كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الحادي عشر

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

رفع
المسـاهم
عفا الله له ولوالديه

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد الحادي عشر

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

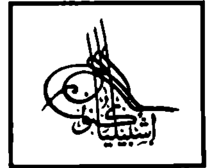
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

الحديث رقم (٨١٠)

٨١٠- عن أنسٍ ﷺ، قَالَ: رَخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ وعَبْدِ الرَّحْمن بن عَوْفٍ رضي الله عنهما في لُبْس الحَريرِ لِحَكَّةٍ كَانَتْ بِهِما. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لحكة كانت بهما: الحكة: الجرب ونحوه[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري ساقه الراوي مساق الخبر المأنوس المعلوم حقيقة أو تنزيلاً، وقد حمل مظهراً من مظاهر رحمة الإسلام بالمسلمين، وعطف الرسول ﷺ، ورحمته بأمته، والذي يعكسه قول الصحابي: (رخص) والتي توحي بأنه كان محرماً، وتسميته لأصحاب الرخصة، وسببها حتى لا يتذرع متذرع بفعلهما، فيدعي حلّه على الإطلاق، وقوله (لحكة بهما) فيه إيجاز بالحذف أي: لوجود حكة، وهي مرض الجرب، فالداعي للرخصة هو المرض، وهو عذر شرعي أُحل لهما بسببه استعمال الحرير، وقد رحم الإسلام أصحاب الأعذار، وأباح لهم ما لم يبح لغيرهم كإباحة الإفطار في رمضان للمريض والمسافر، ثم يقضيان، وترك الصلاة للمرأة في حيضها، وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦/٢٥). واللفظ له

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار.

ثانياً: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثالثاً: من خصائص الدعوة: المرونة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار:

جاء الحديث بترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به داء جلدي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، وفي ذلك أتم دليل على تيسير الإسلام، ورفعه الحرج والمشقة عن أصحاب الأعذار، وذلك بناء على التيسير والتسهيل على الناس الذي هو مراد الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

وما شرعت الرخص إلا لرفع المشقة والحرج عن العباد، وهو أمر مقطوع به ومعلوم من الدين بالضرورة، وذلك كرخص الفطر في رمضان، والقصر والجمع في الصلاة في حالات السفر والمرض، وتناول المحرمات عند الضرورة[2]، كما جاء في الحديث الرخصة بلباس الحرير لمن به علة من الرجال. واستدل بذلك أن الإنسان إذا كان به علة تضطره إلى لبس الحرير، ويرجى بلبسه خفتها، أنه يجوز معها لباسه[3]، وذلك من دلائل التيسير والسماحة في الإسلام، ومظاهر التيسير في الإسلام كثيرة ومتنوعة والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى، لقد كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو، والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، والأحاديث على ذلك كثيرة، منها ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٢.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦/ ٥٨٥.

يارسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا))[١]. فكأن القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة، والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[٢].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الطريق الوسط واتباع التيسير، فالسهولة والرفق، والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال، ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[٣].

ثانياً- من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

إن من أبرز الدلائل على فقه الداعية: مراعاته أحوال المخاطبين، ومراعاته لمشاكلهم، وما ينزل بهم[٤]، وذلك يؤخذ من الحديث من ترخيصه ﷺ لمن به علة جلدية وله حاجة إلى لبس الحرير بالاستثناء من التحريم. "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما". وفي ذلك دعوة إلى الداعي أن يحرص على مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة والإفتاء، وإذا سئل عن شيء فلا يكون همه المبادرة إلى الإجابة عنه، من غير النظر إلى الأمور التي تجب مراعاتها قبل الإفتاء وعند الإفتاء[٥].

يقول الإمام السنوسي: (إن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٠.

(٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثلاثون ص٨٢.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص١٢٨.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٦.

(٥) من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١٦٢.

والأعراف، وحتى في الفتاوى، كما ذكره المتأخرون من أنها إذا كانت مبنية على العرف، ينبغي أن تتنوع بتنوعه، ولا يوقف فيها مع نصوص المتقدمين التي بنوها على عرفهم المنقضي، وهو تحقيق من النظر، وكذا ينبغي للواعظين أن ينوعوا الوعظ بحسب ما تدعو الحاجة إليه بتعليم الناس ما جهلوه، وتذكيرهم ما نسوه وتحريضهم على ما أهملوه، قالوا: ولهذا جرت عوائد خطباء المشرق وقدماء الأندلس بتنويع الخطب بحسب الحاجة الوقتية للتنبيه على ما يفعل الناس لذلك، فيحصل للسامعين أعظم منفعة أو أكبر فائدة وأهمل هذا البعض، بل طالما أنكره وانتقده من ينتمي منهم للعلم، ولو علم هذا ما اشتملت عليه خطبة ﷺ وخطب خلفائه رضي الله عنهم وأئمة الصدر الأول من ذلك لما أنكره)[1].

لذا كان مما ينبغي على الداعية الحرص على مراعاة أحوال المدعوين وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم ومجتمعاتهم، ما لم يؤد ذلك إلى المساس بالثوابت الدينية.

ثالثاً- من خصائص الدعوة: المرونة:

إن ما جاء في الحديث من ترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به علة دليل على ما اتصف به الإسلام من مرونة في تشريعاته، ورفعه الحرج عن أصحاب العلل والأعذار "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، فإن من ينظر في تشريعات الإسلام يجد مرونة سمحة تتمثل في تشريع الرخص في الصلاة والصيام وغيرها، مثل رخص المرض والسفر والخطأ والنسيان والإكراه وغير ذلك. ومن ذلك تشريع التيمم عند فقد الماء، أو التضرر باستعماله، وكذلك ما جاء في الحديث من ترخيص لبس الحرير لمن اضطر إلى ذلك[2]، وذلك من مظاهر قوة الإسلام، فهو دين مرن يتسع لكل ما فيه مصلحة وعدل[3]، مع المحافظة على ما فيه من الثوابت التي لا يجوز لأحد المساس بها.

---

(١) مكمل إكمال الإكمال ٢٢٦/١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٢٣١.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

اليسر ورفع الحرج من خصائص شريعة الإسلام، وإذا كانت المحرمات محدودة في الإسلام، فإن تناول بعضها مباح بحسب الضرورة والتي تقدر بقدرها، ولهذا وجب بيان منهج الإسلام في هذا الجانب على النحو التالي:

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: التيسير ورفع الحرج والواقعية:

لقد جاءت نصوص الإسلام تعلي من قيمة التيسير على الناس وترفع من شأنها، خاصة لذوي الأعذار، ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من ترخيص النبي ﷺ لمن به حكة أو مرض جلدي بلبس الحرير المحرم على الرجال، كما حدث للزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية آمرة بالتيسير ورعاية واقع الناس، ومن الواقعية الملموسة في ذلك "أنها قدرت الضرورات التي تعرض للإنسان وتضغط عليه، حق قدرها فرخصت في استخدام المحرمات، وتناولها على قدر ما توجب الضرورة"[١].

وكما هو مقرر عند علماء المسلمين أن الضرورات تبيح المحظورات.

لذا ينبغي للمربين مراعاة أحوال أصحاب الحاجات وذوي الأعذار، إذ أن التربية لم تقم على "المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع وإنما جاءت بما يكفل البناء الحقيقي للمجتمع"[٢]. متوافقة مع ما فطر عليه الإنسان وخُلق، ومراعاة منهج الإسلام في التربية كفيل ببناء مجتمعٍ سليم وواقعي.

ثانياً- العناية بصحة المتربين:

من المضامين التربوية المهمة التي يحملها الحديث الحفاظ والعناية بصحة المتربين، وذلك ما يمكن أن نلاحظه في ترخيص النبي ﷺ للزبير بن العوام، وعبدالرحمن ابن

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٧١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢١٥.

عوف رضي الله عنهما في لبس الحرير، رعاية لحالتهما الخاصة، وما ألمَّ بهما من علة مرضية.

إن العناية بصحة الأولاد والمتربين من الأهمية بمكان، وإهمالها إيراد للمتربين موارد الهلكة، "فكم من الناس من قد فرط بهذا الأمر، ولم يرعه حق رعايته، فالأولاد أمانة، ومن الأمانة أن يعتني الوالد والمربي بصحتهم خصوصاً وهم صغار، لأن كثيراً من العاهات، والأمراض تبدأ مع الأولاد وهم صغار، فإذا أُهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم وربما قضت عليهم.

ومما يحسن بالوالدين في هذا الصدد أن يقوموا على شؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة أو إذا ولدوا وهم معاقون، أو مصابون ببعض التشوهات الخَلْقية، أو ما شاكل ذلك، فحري بالوالدين أن يقوموا على رعاية الأولاد، وأن يحسنوا تربيتهم وأن يشعروهم بمكانتهم، كما يحسن بالوالدين أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يحذروا كل الحذر من التسخط والاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره، بل عليهم أن يحمدوا الله على ما آتاهم، وأن يتحروا الخيرَة فيما قضاه الله، فربما كانت الخيَرةُ خفية، وربما أن الله يرحم الأسرة جميعها ويدر عليهم الأرزاق، ويرفع عنهم صنوف البلايا"[(١)].

ثالثاً- تنمية الثقافة الدينية عند المربين:

إن مما ينبغي على المعلمين والمربين الإحاطة بأكبر جانب ممكن من الثقافة الدينية خاصة في المجال العقدي والفقهي، حتى إذا ما عَنَّت قضية أو وجدت حالة أو عرض سؤال، أو طلب تأصيل أو تحليل أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي بالاضطلاع في ذلك، فلو أصيب متربي بعلة ما كما جاء في الحديث من إصابة عبدالرحمن بن عوف أو الزبير رضي الله عنهما، أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي أن يجيب أو على الأقل يحيل على أهل التخصص.

فلا شك أن لدراسة العلم الشرعي أكبر الأثر في حياة المربين والمتربين على حد سواء، فلدراسة التوحيد مثلاً "أهمية كبرى في تعليم الجيل المسلم الإيمان الله على بصيرة فيسلموا من الشرك والابتداع.

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٥١، ١٥٢.

وللفقه أيضاً أهمية في تعليم الطهارة والصلاة، وأحكامها والصيام، مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبَل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدي بهم أولادهم وبناتهم، وهذا سيكون له أثرهُ -بإذن الله- في حمل الناشئة -على الخصال النبيلة والعادات الحميدة"[1].

إن العناية بالثقافة الدينية عند المعلمين والمربين وإعدادهم الإعداد الكامل أمر بالغ الأهمية، وإلا عاد الأمر بالسلب على التربية والمتربين.

"إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية، وهو الذي ينفخ فيها الروح ويجري في عروقها دم الحياة، مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب إلى الإدارة إلى الجو المدرسي إلى التوجيه أو التفتيش، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم"[2].



(١) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٢، ٣٤.

(٢) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ص٦.

١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا

الحديث رقم (٨١١)

٨١١- عن معاوية ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ)) حديث حسن، رواه أَبُو داود[١] وغيره بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب القرشي الأموي المكي أمير المؤمنين.

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، أظهر إسلامه يوم فتح مكة وقيل: إنه أسلم قبل ذلك.

كان طوالاً جسيمًا أبيض مُجيدًا للكتابة والحساب فصيحًا حليمًا وقورًا.

كان من كتّاب النبي ﷺ الذين يكتبون الوحي، دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب))[٢]. وكذلك قال ﷺ ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهدِ به))[٣].

وقال ابن عباس: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ وقال اذهب وادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه[٤].

---

(١) برقم ٤١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٧/٤ رقم ١٧١٥٢ وابن خزيمة ١٩٣٨ عن العرباض بن سارية. وقوّى الذهبي إسناده في السير ٣٨٢/٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٨٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم ٩٦-٢٦٠٤، وقال بعض العلماء: هذا الحديث فضيلة لمعاوية، لأنه يكون قربة له يوم القيامة، لقول النبي ﷺ (اللهم إنما محمد بشر فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٢/١١، والسير ١٢٤/٣. والحديث أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١.

شارك في الفتوحات، وقد رأى منه عمر حزمًا وعلمًا فولاه دمشق، ثم أصبح واليًا على الشام كله، فقام بالفتوحات، وفتح جزيرة قبرص، فكان أول مسلم ركب البحر المتوسط للغزو.

قال الذهبي في السير: "وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم -وهو ثغر- فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بشجاعته وحلمه. وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح. فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد"[١].

وظل على الشام واليًا، حتى وقع الخلاف بينه وبين علي بن أبي طالب، فدار بينهما القتال حتى قُتِل عليٌّ على يد أحد الخوارج. فلما تولى ابنه الحسن صالح معاوية وبايعه بالخلافة سنة ٤١هـ فسمي عام الجماعة لاجتماع المسلمين على إمام واحد.

قال ابن كثير عن خلافته: "فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو"[٢].

وقد أطلق عليه عمر بن الخطاب كسرى العرب، ووصفه ابن عباس بأنه فقيه[٣]، وفي رواية وصفه بأنه صحب رسول الله ﷺ[٤].

وتوفي سنة ٦١هـ وقد مكث في ولاية الشام ٢٠ سنة وفي الخلافة ٢٠ سنة كذلك.

رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان من كبار الفاتحين في الإسلام ومن صحابة رسول الله ﷺ الواجب علينا تعظيمهم، والكف عما وقع بينهم. قال الإمام أحمد بن

---

(١) السير ٣/١٣٢-١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١١/٤٠٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه البخاري ٣٧٦٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٦٤.

حنبل: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام[(١)].

ونحن بدورنا نقول كما علمنا ربنا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[(٢)].

غريب الألفاظ:

الخزُّ: ثياب تنسج من صوف وإبريسم[(٣)].

النمار: جمع نمر وهي السباع المعروفة. والمراد: النهي عن استعمال جلودها[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يمتاز بالقصر، والإيجاز، ويعتمد أسلوب النهي في قوله: (لا تركبوا الخز، ولا النمار) وأسلوب النهي على حقيقته، والخز: ثِيَاب سَدَاهَا مِنْ حَرِير، وَلُحْمَتهَا مِنْ غَيْره، وَقِيلَ تُنْسَج مَخْلُوطَة مِنْ حَرِير، وَصُوف أَوْ نَحْوه، وَقِيلَ أَصْله إِسْم دَابَّة يُقَال لَهَا الْخَزّ سُمِّيَ الثَّوْب الْمُتَّخَذ مِنْ وَبَره خَزًّا لِنُعُومَتِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَا يُخْلَط بِالْحَرِيرِ لِنُعُومَةِ الْحَرِير، وقوله: (ولا النِّمَار) نهي آخر على حقيقته أَيْ جُلُود النُّمُور وَهِيَ السِّبَاع الْمَعْرُوفَة وَاحِدهَا نَمِر إِنَّمَا نَهَى عَنْ إِسْتِعْمَالهَا لِمَا فِيهَا مِنْ الزِّينَة وَالْخُيَلَاء وَلِأَنَّهُ زِيّ الْأَعَاجِم أَوْ لِأَنَّ شَعْره لا يَقْبَل الدِّبَاغ[(٥)].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣/٣٢، ٧/٤٠٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥/٢٠١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٩، والسير ٣/١١٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٧/١٥٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/١٠٧، والأعلام، خير الدين الزركلي ٧/٢٦١، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣/١٧٩٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ز ز).

(٤) المرجع السابق في (ن م ر).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٥٢١).

ومن الملاحظ في أكثر النواهي أنها نهت عن نوعية من الثياب تضر الباطن بينما تزين الظاهر؛ لأنها تورث الزهو، والكبر، والخيلاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الانتفاع بالخز[1]: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة وابن حبيب من المالكية إلى إباحته، لأنه لا سرف فيه ولا خيلاء، وقد لبسه الصحابة رضوان الله عليهم.

بينما ذهب الإمام مالك إلى كراهته[2].

٢-حكم الانتفاع بجلود السباع: ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الانتفاع بجلود السباع إذا دبغت، وذهب الحنابلة إلى أنه لا يجوز الانتفاع بها قبل الدبغ ولا بعده لعموم النهي في ذلك[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله ﷺ: «لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ». وفي

---

(١) وهو ما كان منسوجًا من الحرير وغيره أو كان سداه من إبرسيم ولحمته من الصوف أو القطن. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩/١١٤-١١٥.

(٢) الاختيار ٤/١٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٤/٣٠٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٤٩، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥١٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، داماد أفندي ٨/٥٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١/٣٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٢٢٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٧٩.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨١١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨١٢).

الرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ: "نهى عن جلود السباع"، وأسلوب النهي من أكثر أساليب الدعوة ورودًا واستعمالاً، لما فيه من بيان المنهي عنه، وحمل المدعوين على اجتنابه والابتعاد عنه، وقد أشار القرآن إلى أسلوب النهي واستعمله في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(١)، ومثل نهيه في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٣).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر:

لقد أمر الإسلام بالتواضع ورغب فيه، ونهى عن التكبر وكره فيه، وإن من الأدلة العملية على ذلك، ما جاء في الحديث: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع"، وقد ذكر الإمام العظيم آبادي العلة في هذا النهي فقال: "إنما نهى عن استعمالها لما فيها من الزينة والخيلاء، ولأنه زي الأعاجم"(٤). ولما فيه من زي المترفهين والمتكبرين بالتفاخر على غيرهم(٥)، فإن البعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر من لوازم التواضع وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦)، وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾(٧)، إذ أن التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، كل ذلك له مكانته في المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا يتكبر فيه فرد ولا يختال، ولا يزهو بنفسه، فإن

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٣.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٤.
(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧.
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.
(٦) سورة الحجر، آية: ٨٨.
(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة، فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه لتعاميه عن عيوبه ونقائصه، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها[(١)].

إن التخلق بالتواضع والابتعاد عن الكبر من الأهمية بمكان في حياة الأفراد والمجتمعات، إذ أن الكبر إذا شاع في مجتمع، دب الخوار في جسمانه، وسرى التفرق في بنيانه، فلا يمكن أن نتصور حياة مستقيمة لمجتمع ليس فيه احترام، ولا هيبة ولا حرمة ولا أدب.

فضلاً عما يُحْرَمُ منه يوم القيامة من الفوز بالجنان، التي يُحْرَمُ من دخولها المتكبرون فهم ليسوا لها بأهل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]، (فالتواضع والبعد عن الكبر، والتبرؤ منه طريق موصل إلى مرضاة الله وجنانه، وهو سبيل من سبل القرب إلى الله، ومن ثم القرب إلى الناس، وبالجملة فإن التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين)[(٣)].

ثالثًا- من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين:

إن مما ينبغي على المسلم أن يحتفظ بشخصيته الإسلامية المستقلة، فلا يكون تبعًا لغيره، ولا ينتهج نهجه، خاصة في الأمور التي حرمها الدين الإسلامي، والحديث مظهر من مظاهر الحفاظ على شخصية المسلم. فقال ﷺ: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "نهى عن جلود النمار"، وذكر العلماء الحكمة في ذلك أنه زى المترفهين والمتكبرين وأهل العجم[(٤)]. وذلك أن التشبه بغير المسلمين، والتقليد الأعمى لهم، دليل الهزيمة الروحية والنفسية، وعدم الإيمان بالذات، بل فيه معنى ذوبان الشخصية، وفقدان

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٢٦٨/٤.

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٧، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.

الذاتية في بوتقة من يحب، وفي كيان من يقلد[١]، وجاءت النصوص تنهى عن التشبه بالغير، فروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))[٢]. وتنهى عن التبعية والانقياد الأعمى للغير، وتأمر بمحافظة المسلم على شخصيته، فقال ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا))[٣].

إن الإمعة والتبعية للغير دليل على ضعف صاحبها عقلاً ورأيًا ودينًا، إضافة إلى ما يورثه ذلك من ذلٍّ ومهانة، وطريق إلى التردي في مهاوى الضلالة. ويبين لنا علي بن أبي طالب حقيقة الإمعة التابع لغيره، ويكشف لنا عن شخصيته مبينًا أنواع الناس في ذلك، فيقول: (إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعية للخير، والناس ثلاثة: فعالم ربانيّ، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، إلى أن قال: أف لحامل حق لا بصيرة له، ينقدح الشك في قلبه بأول عارضٍ من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن فتن به)[٤].

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٤٣/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٧، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٣٤٥).

(٤) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت: بدون تاريخ، ٣٥٨/٢.

الحديث رقم (٨١٢)

٨١٢- وعن أَبي المَليحِ، عن أبيه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ والنسائيُّ[١] بأسانيد صِحَاحٍ.

وفي رواية للترمذي[٢]: نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أنْ تُفْتَرَشَ.

ترجمة الراوي:

ابو ابي المليح: هو أسامة بن عُمير بن عامر بن الأقَيشِر الهذلي البصري.

وهو والد أبو المَليح الراوي عنه، ولم يرو عنه إلا هو، واسمه مختلف فيه فقيل: عامر. وقيل: زيد.

أسلم وشارك في المغازي والغزوات، فشهد الحديبية وحنينًا، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية ومُطرنا، فلم تبل السماء أسافل نعالنا، فنادى منادي النبي ﷺ أن صلُّوا في رحالكم[٣].

وقال كذلك: إنه شهد رسول الله بحنين في يوم مطير أمر مناديه فنادى: إن الصلاة في الرحال[٤].

وذات يوم ركب خلف النبي ﷺ على بعيره. فعثر فقال: تعس الشيطان، فعلمه النبي ﷺ القول الصحيح فقال له: ((لا تقل تعس الشيطان، فإنه يستعظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي. ولكن قُلْ: بسم الله. فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب))[٥].

ولما فتح العراق وبنيت البصرة نزلها وسكن فيها[٦].

---

(١) اخرجه أبو داود ٤١٣٢، والترمذي ٣/١٧٧٠، والنسائي في المجتبى ٤٢٥٣، وفي الكبرى ٤٥٦٥ ولفظهم سواء. وقال الحاكم ١٤٤/١: هذا الإسناد صحيحٌ.

(٢) برقم (٢/١٧٧٠).

(٣) اخرجه أبو داود ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٩٣٢).

(٤) اخرجه أبو داود ١٠٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٣٠).

(٥) اخرجه أبي داود ٤٩٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٦٨).

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٤/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٩٨/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٠/١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠٩/١، ٥٩٣/٤.

الشرح الأدبي

حرص الرسول ﷺ على كل ما يحفظ على المؤمن دينه، ويحفظ قلبه مطمئنًا مقبلاً على ربه، والإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به فما بالك بثيابه الملاصقة لجسمه؟، فثوب مريح يسكن النفس، وثوب يدعو إلى الزهو، والخيلاء ينظر الناس إليه فيعجبه ذلك من نفسه، ثم يصير عادة تطغى على نفسه، لذلك نهى الرسول ﷺ عن تلك النوعية في غير حديث منها هذا الحديث الذي نحن بصدده، وقد ورد الحديث في صورة خبرية، مؤكدة بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر، أو لتعظيمه عند المخاطب، وفيه إيجاز بالحذف تقديره: لبس، أو افترش، والنهي: يَحْتَمِل أَنَّه وَقَعَ لِمَا يَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ الشَّعْر لأَنَّ الدِّبَاغ لا يُؤَثِّر فِيهِ. وَقِيلَ: يَحْتَمِل أَنَّ النَّهْي عَمَّا لَمْ يُدْبَغ مِنْهَا لأَجْلِ النَّجَاسَة، أَوْ أَنَّ النَّهْي لأَجْلِ أَنَّهَا مَرَاكِب أَهْل السَّرَف وَالْخُيَلاء.

المضامين الدعوية(١)

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الفخر من طرق شتى، منها ملبسهم وأثاثهم ومركبهم، ولم يكن شيء من ذلك ابتغاء مرضات الله، بل ليقال عنهم كذا وكذا، وقلد الأبناء الآباء، والفقراء الأغنياء، لهذا كانت دعوة الإسلام إلى:

أولاً- التربية على الاستقلال في الذات وعدم التقليد للكفار والمتجبرين:

جاء في حديثي الباب ضمنيًا الدعوة إلى استقلالية الشخصية الإسلامية، وعدم تقليد الغير خاصة في المظاهر التي نهى الإسلام عنها، ورهب منها كالترف المبالغ فيه والتجبر والذي من مظاهره استعمال الحرير وجلود السباع.

"إن تقليد الغير دليل على ضعف الشخصية واهتزازها، وعدم الاعتزاز بالقيم الإسلامية".

ولعل السبب في نمو ظاهرة التقليد كثرة وسائل الاتصالات وتنوعها ما بين قراءة واستماع ومشاهدة واحتكاك بالمجتمع الخارجي فيوقعهم ذلك في مجال تأثيرها الجاذب مما يدفع بهم في النهاية إلى تقليد الكفار والفساق والمجّان في لبسهم، وفي طريقة أكلهم وشربهم، وفي قصات شعورهم، وفي هيئاتهم ومشياتهم.

فينبغي على المربي أن يتنبه لذلك، وأن يحذره كل الحذر، فإن الأمة لا تموت إلا إذا ضعفت شخصية أبنائها، وفقدوا اعتزازهم بتراثهم فذابوا في غيرهم، ولذلك فإن أعداءنا يحرصون كثيرًا على أن يجعلوا من أولادنا نسخة مكررة من أولادهم، فعلى المربي أن يوقظ في نفس المتربي شعوره بذاته، وأنه إنسان مسلم، وأن الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه وأن المسلم قدوة للبشرية كلها [(1)]، فهو ليس ضعيف الشخصية ولا العقل والتفكير حتى يقع مأسورًا في تقليد غيره والتشبه به.

ثانيًا- التربية على عدم الاستغراق في النعيم:

لقد نهى الإسلام عن السلوكيات الخاطئة والتي منها المبالغة في الترف والاستغراق

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص١٢١، ١٢٢.

في التنعيم خاصة إذا كان ذلك بشيء حرمه ونهى عنه الإسلام كلبس الحرير، واستخدام جلود النمور والأسود، والسباع للفرش أو غيره.

"إن الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات والتقلب الدائم في النعيم والترف من أسباب الإخلاد للراحة والتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد، والانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الأسقام والأمراض"(١).

والإسلام بمنعه الاستغراق في التَنَعُّم إنما يريد أن يحرر الإنسان من الاستعباد لنفسه، ومن الاستذلال لمطامعها وأهوائها، لأنه لن يبلغ التحرر الوجداني التام، الذي يطمح إليه الإسلام إلا بمجاهدة النفس ولأهميتها، فقد اعتنى الإسلام بها عناية فائقة لدرجة أنه اعتبر جهاد النفس يحتاج إلى عزيمة وإرادة وشجاعة أكثر مما يحتاجه جهاد العدو في ساحة القتال، بل إن طريق النصر الحقيقي على العدو هو الانتصار على النفس.

إن المسلم الحقيقي الحر هو الذي لا ينصاع لرغباته ولا يستذل لشهواته ما دام أنه يشهد أن لا إله إلا الله، فاهمٌ معناها ومقصدها ومقتنع بما تشمله من حقائق(٢).

ثالثًا- تنمية خلق التواضع وإبراز الدلائل العملية عليه:

لقد أرشد الإسلام أتباعه إلى التخلق بخلق التواضع، لكن مجرد التخلق به لا يكفي بل لا بد من إظهاره عمليًا في سلوك الإنسان وتصرفاته، ومن ذلك البعد والتبرؤ من مظاهر التكبر والتجبر والتي منها استعمال الأدوات والملابس التي تَنُمُّ عن كبر صاحبها وتجبره وترفعه على الناس، وذلك كلبس الحرير وافتراش جلود السباع، والذي ورد النهي عنه في حديثي الباب.

إن غرس خلق التواضع من أعظم الأهداف الخلقية للعملية التربوية، إذ أن "الهدف الأخلاقي، وتهذيب الخلق وتربية الروح يعد من الأهداف الرئيسة من أجل بناء إنسان

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١٨٣/١، ١٨٤.

(٢) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٢٩٦، ٢٩٧.

على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية، ومن هنا فإن أنماط السلوك الخلقي التي تستهدف التربية الإسلامية إكسابها للأفراد تظل ثابتة لا يعتريها التغيير على مدى الأيام لأن مصدرها ثابتٌ، وهو الإسلام.

إن حسن الخلق زينة الإنسان، ومن أسباب سعادته، وسوء الأخلاق من أسباب تفكك المجتمع وسقوط الحضارات، والهدف الأخلاقي للتربية الإسلامية يسعى إلى تطهير النفس وتزكيتها بالفضائل ومكارم الأخلاق، وكراهية الرذائل والشرور والنفور منها والابتعاد عن ممارستها وتكوين بصيرة علمية، وقناعة عقلية بالقيم الأخلاقية الإسلامية.

وقد حدد الإسلام مجموعة القيم الثابتة التي تحكم سلوك الفرد المسلم، ومعاملاته مع الآخرين، ومن هذه القيم الصدق والأمانة وإتقان العمل والتواضع والمحبة والوفاء والوعد والصبر والحلم والتسامح والرحمة، ومراعاة حقوق الغير وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

١٢٥- باب مَا يقول إِذَا لبس ثوبًا جديدًا

الحديث رقم (٨١٣)

٨١٣- عن أَبي سعيد الخدْريّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا استَجَدَّ ثَوبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ - عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً- يقولُ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ انْتَ كَسَوْتَنِيهِ، اسْأَلكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

استجد ثوبًا: لبس ثوبًا جديدًا[2].

الشرح الأدبي

عادة النبي ﷺ دوام الاتصال بربه وهو ما جعله يحوّل كل عادة إلى عبادة، لذلك نجد له عند كل فعل ذكرًا، وعند كل نعمة شكرًا، وهذا الحديث من هذه النوعية التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه، وقد بدأ بأسلوب خبري تصدّره أسلوب الشرط الذي يشير إلى أن هذا الدعاء كان عادة الرسول ﷺ عند كل ثوب جديد، وتصدير الدعاء بلفظ (اللهم) يعطيه خصوصية؛ لأنها مجمع الأسماء الحسنى كما ذكر الحسن البصري، وقوله: (لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ) أسلوب قصر لصفة الحمد على الله لا تتعداه لغيره، وقوله (أنت كسوتنيه) تقديم المسند إليه يحتمل الاختصاص، أو تقوية الحكم، وقوله: (أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ) لفظه إنشاء، ومعناه خبر؛ لأنه مقصود به الدعاء،

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٢٠، والترمذي واللفظ له ١٧٦٧، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٢٠، وقال الحاكم ١٩٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج د د).

وتصويره في صورة الفعل المضارع يستحضر صورة الافتقار، والمسكنة إليه، وكذلك: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ) أي أطلب منك العوذ، فهو طلب في المعنى، وخبر في اللفظ، وصيغة هذا الدعاء فيها حمد لنعمة الله، واستعانة به على حسن استعمالها، وتلك نعمة أخرى، مع تفويض الله في دفع ما يخشاه من ضر، وما يرجوه من خير، وهو ما يدل عليه الطباق بين الخير، والشر، وبين الطلب، والاستعاذة التي كالضد له؛ لأنها دفع للأذى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن اللباس وآدابه:

أ-تسمية الثوب الجديد، باسمه المتعارف عليه، الموضوع له، سواء أكان قميصًا أم إزارًا، أم رداء، أم عمامة، وهكذا.

ب-يستحب تسمية الله تعالى عند لبسه.

ج-يستحب الدعاء -بعد لبسه- بالمأثور من أذكار اللباس.

د-كما يستحب أن يبدأ وهو يلبس ثوبه بميامنه، وعند خلعه بالشمال ثم اليمين[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

(١) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١/١٤٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٦٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٣٤٤.

أولاً- من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد:

لقد كان شأن رسول الله ﷺ حمد الله على أحواله كلها، والحديث بيَّن شكر النبي ﷺ لله تعالى على الثياب الجديدة؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" وذلك مَثَلٌ تطبيقي وسنة عملية دالة على ما كان عليه ﷺ من شكر لربه على نعمه وآلائه[1]، وكان ﷺ لا يقتصر شكره لله على نعمه على مجرد التلفظ بل كان يدفعه ذلك إلى الإكثار من العبادة لدرجةٍ أثارت شفقة الصحابة رضي الله عنهم عليه، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ((إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيَقومُ - أو لَيُصلِّي- حتى تَرِم قدماه - أو ساقاه- فيقالُ له، فيقول: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه:

جاء في الحديث الترغيب في شكر الله على نعمه وآلائه، خاصة إذا أنعم الله على الإنسان بشيء جديد من ثوب ونحوه، والشكر من أعلى المنازل، وقد أمر الله تعالى به ونهى عن ضده، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3] وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[4] وجعل الله الشكر سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤/٤٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

لَشَدِيدٌ ﴾[١] وجعله الله سببًا لرضاه عن عبيده ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[٢][٣] وقال ﷺ ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[٤].

فحمد الله على الملبس والطعام والشراب وما شاكل ذلك من ألوان شكر الله على نعمائه والاعتراف بها، فالشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به، والشكر بالفعل أظهر منه بالمقال[٥] قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[٦] أي قلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين، قال أبو عبدالرحمن الحُبْلي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد.

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليه السلام كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً[٧] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان[٨].

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد:

لقد أمرنا الله بالاقتداء بالنبي ﷺ والائتساء بسنته المطهرة[٩] فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١٠] ومن

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٧.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٧٢/٢، ٥٧٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٣٥٥/٨.

(٦) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٥٠٠/٦، ٥٠١.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٧/١٤/٧.

(٩) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٠٢/٢١/٨.

(١٠) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ذلك ما ورد في الحديث من سنته ﷺ عند لبس الشيء الجديد "كان رسول الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً ثم يقول: "اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" فإن الاقتداء برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في ملبسه وتنعله ونحوهما، لمن أقوى الأدلة العملية على محبة المسلم لرسول الله ﷺ، فإن أقوى شاهد على صدق الحب هو موافقة المحب لمحبوبه، وأقوى دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إنَّ في نقل الصحابة رضي الله عنهم لما كان عليه ﷺ من أخلاق وآداب، ترغيب في الاقتداء به ﷺ واتباع سنته، ومن ذلك ما جاء في الحديث في بيان سنته ﷺ عند لبسه لشيء جديد "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه..." وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين، لما جبل عليه الإنسان من حب لنفسه، وما من شك أن تلك الغريزة تدفعه إلى أن يحقق لنفسه كل الخير[2].

لذا ينبغي على الداعية الأخذ بهذا الأسلوب، وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، لأن هذه الدنيا قد تغر الإنسان بزخارفها، وتلهيه بملذاتها الزائلة فيركن إليها، فإذا ذُكِّر المسلم بمصير أهل الإيمان، وأن الفوز ليس بجمع الأموال وكثرة الأولاد، وإنما الفوز بدخول جنة النعيم، وبما أعده الله للمؤمنين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد من البشر، أفاق من رقاده وشمَّر العمل لذلك اليوم العظيم.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يوظف الإسلام كل شيء للتذكير بالله، ويحرر النفس من نسبة الفعل إليها، لأن ذلك سبب الهلكة كما حدث لإبليس وفرعون وقارون، والكسب الظاهري دون إرادة الهية لا يجلب لصاحبه شيئاً، ولهذا وجب علينا:

أولاً- التربية على الحمد والشكر والاعتراف بالجميل ورد الفضل إلى أهله:

وذلك ما يلحظه القارئ للحديث في هديه ﷺ إذا استجد ثيابًا يحمد الله عليه، ويرد الفضل ويعترف بالجميل للمنعم الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى قائلاً " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ".

وما جاء في الحديث بيان لأحد طرق الحمد والشكر على النعمة وهو "إظهار الحمد لله تعالى، والتلفظ به اعترافًا بنعمه، كذلك من سبل شكر النعمة التحدث بها، إظهارًا لفضل الله واعترافًا بكرمه دون مباهاة وتكاثر، بل يعزو ما هو فيه من نعمة إلى الله تعالى"[1].

لذا ينبغي على المربين غرس مثل هذه القيم الخلقية في نفوس المتربين فإن المربي والمعلم المخلص عليه أن يكون واعيًا بتلك القيم والأخلاق تمامًا فاهمًا لأبعادها وما تمثله، مُنَمِّيًا في الطالب الحساسية الاجتماعية، وحسن التعامل مع الآخرين وكيفية التعامل معهم وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة[2] ورقيِّ التعامل، ورد الفضل لأهله والثناء عليهم وشكرهم والاعتراف لأهل الفضل بالإحسان والجميل، وهذا له أكبر الأثر في علو النفس وسمو التربية.

ثانيًا- التربية على ذكر الله:

لقد جاءت شريعة الإسلام حاثة على ذكر الله تعالى في جميع الأحوال والأحايين،

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٩١.

(٢) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١، ص٢١٤.

ومن ذلك ما ورد في حديث الباب من ذكر الإنسان لله عندما يلبس ثوبًا جديدًا لأول مرة وحمده وشكره، مقتديًا برسول الله ﷺ قائلاً: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

لذا ينبغي على المعلمين والمربين أن يربطوا المتربين بذكر الله تعالى وينشئونهم عليه استحضارًا وقولاً وفعلاً، فذكر الله علاج للقلوب وإحلال للطمأنينة.

"والأذكار القولية التي ينبغي للمربي أن يحرص -أشد الحرص- على تلقينها للناشئة كثيرة منها أذكار الصباح والمساء وأدعية البدء قبل تناول الطعام، والفراغ منه، وأدعية النوم، واليقظة، وأدعية، دخول المنزل والخروج منه، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، وأدعية الركوب، وما يقال عند الوضوء والأذكار التي تسن بعد الصلاة"[(١)]، ودعاء لبس الجديد الذي جاء في حديث الباب.

إن الأذكار وترديدها هي "أشبه بصندوق من أغلى الجواهر والمطاعم والمشارب، حيث يتربى المسلم على ذكر الله تعالى وأسمائه وصفاته، فإن كانت من صفات القهر خضع لها وخشع، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وإن كانت هكذا من صفات الرحمة تاب وأناب، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وهكذا يتربى الإنسان بالأذكار وما تحمله من آداب.

إن الذكر يدفع عن الإنسان خواطر وهواجس النفس والشيطان، فتتهذب أخلاق الإنسان، وتترقى، ويرتفع العبد فوق الشهوات، وتصفو نفسه ويطهر قلبه، ويتخلق بالأخلاق الحسنة من خلال بقائه ذاكرًا لله تعالى باللسان والقلب والجوارح"[(٢)].

ثالثًا- التربية الجسدية والعناية بالملبس والزينة والمظهر:

من المضامين التي يمكن استنباطها من حديث الباب العناية بالملبس والزينة والمظهر، وذلك ما نلحظه في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا..." فرسول الله ﷺ لم يأت برهبانية، ولم يأمر بتعذيب الجسد وحرمانه،

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٧٤، ٧٥.

(٢) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٦٦، ٦٧.

أو جلد النفس والقسوة عليها، وإنما جاء بوسطية سمحة تعطي كل شيء حقه، فليس من الإسلام لبس المرقعات أو الإهمال في الجسد وتجميله.

إن "الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم، ومن أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به الإنسان من زينة ولباس ورياش، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾[1]، وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[2]، على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة في حدود الوسطية، والاعتدال تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[3][4]، فما أحرى المسلم أن يكون ذا زينة حسنة ومظهر جميل لائق ورائحة زكية طيبة "فذكر الله تعالى الدائم يجعل الإنسان يشعر بقرب الله منه وحمايته له وهذا له أثره النفسي الحسن عليه، إذ يجعله يشعر بالثقة في نفسه، وبالقوة التي يستمدها من الله تبارك وتعالى[5].

رابعًا- من المضامين التربوية: توجيه الهمم إلى طلب الخير والبعد عن الشر:

إن من المضامين التربوية التي يمكن الإفادة منها وغرسها في نفوس المتربين والناشئة توجيه الهمم والحث على التطلع إلى الخير والأفضل والبعد عن الشر وطلب العون على العوذ منه والابتعاد عنه، وذلك ما نلحظه في قوله: "أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له"، "فإن في كل شيء جانبين: جانب خير وجانب شر، وعلى الإنسان أن يتوجه بهمة إلى جانب الخير ويسأل الله العون والتوفيق"[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٦٣، ٩٦٤.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٥٦٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٨.

لذا ينبغي على المربين الاستفادة من هذا الجانب ويعملون على إثارة الهمم عند المتربين وتوجيههم إلى الخير والتطلع إلى الأسمى والأرقى دائمًا، وذلك من "القيم التربوية الطيبة التي يحسن الحرص عليها"[1] والاستفادة منها.



(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٢١١.

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هَذَا الباب قَدْ تقدم مقصوده وذكرنا الأحاديث الصحيحة فيهِ[١].

٤- كتَاب آداب النَوم والاضْطِجَاع

وَالقعُود والمَجلِس وَالجليس وَالرّؤيَا

١٢٧- باب ما يقوله عند النوم

الحديث رقم (٨١٤)

٨١٤- عن البَراء بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه[٢].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأت ظهري إليك: أسندتُه، والمراد: توكلت عليك واستعنتُ بك[٣].

---

(١) انظر الأحاديث ٧٢١ - ٧٢٧.

(٢) بل في الدعوات، برقم ٦٣١٥ من حديث المسيب بن رافع، عن البراء، وزاد في آخره: (وقال رسول الله ﷺ: من قالها ثمّ مات تحت ليلته مات على الفطرة). الجمع للحميدي ٥٢١/١ رقم ٨٥١. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣ بلفظ المتفق عليه الذي يورده المؤلف بعد هذا الحديث، ثم قال: وفي رواية للبخاري، والترمذي ثمّ ذكر الزيادة التي في آخر الحديث.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج أ).

الشرح الأدبي

هذا الدعاء من الأدعية الجامعة، وله تركيب مختلف في مكوناته، وأساليبه، ولعل ذلك يرجع إلى الغرض منه؛ لأنه دعاء النوم، وهو موت أصغر (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1] حيث يفقد الإنسان سيطرته على جوارحه، ويكون في عالم مختلف فتضمَّن كل ما يحتاج المودع إليه من عناصر منها:

أولاً: الطهارة الظاهرية، والباطنية حتى إذا ما قدر له الموت كان طاهراً، وهو ما أشار إليه أسلوب الشرط الذي يجعل ذلك عادة للمؤمن (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ).

ثانياً: الاستسلام، والتفويض، والاعتماد عليه، والتي عبَّرت عنها الأفعال الماضية، مع الجار المتصل بالضمير العائد على الله (أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي) والتي تفيد تحقق معانيها.

ثالثاً: التبرأ من كل حول، وقوة إلا من حول الله، وقوته، وقد جاءت في أسلوب القصر (لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ) الذي يقصر الملجأ، والمنجى إليه دون غيره.

رابعاً: تجديد الإيمان بالله، وبكتبه، ورسله (آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) ثم إن الدعاء تخللته تراكيب تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً كلفظ (اللهم - رغبة - رهبة - ملجأ - منجا) وهي ألفاظ تسبر غور النفس التي تتنازعها مشاعر القلق والأرق، والفرق، فتفرغ في هذا الدعاء تلك المشاعر في توكل على الله يضمن حفظها، ولذلك كان جزاء قائلها إن مات أن يموت على الفطرة، وقوله: (مت على الفطرة) كناية عن كمال الإخلاص، وكمال الطهر، لأنهما أصل الفطرة- والله أعلم -.

---

(١) الزمر الآية ٤٢.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبّة ليست بواجبة:

إحداها: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النوم على طهارة، مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشياطين به في منامه وترويعه إياه.

الثانية: النوم على الشق الأيمن؛ لأن النبي ﷺ كان يحبّ التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه.

الثالثة: ذكر الله تعالى، ليكون خاتمة عمله)[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩/١٧/٢، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١١٢-١٢١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤١ .

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٠) مع زيادة في آخره.

الحديث رقم (٨١٥)

٨١٥- وعنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((إِذَا أتيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَن، وَقُلْ...)) وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: ((وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

مَضجَعك: موضع اضطجاعك[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان توجيهاً عملياً من الرسول ﷺ والصحابي هو الذي نقل الحديث عن فعله ﷺ وفي هذا الحديث توجيه للصحابي من الرسول ﷺ، وقد بدأه بأسلوب الشرط الذي يربط إتيان المضجع بالوضوء حتى يصير عادة يعتادها، ثم إنه استخدم التشبيه البليغ للتوضيح، والبيان مع الترغيب في قوله (فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ) وهو طهارة ظاهرية، وباطنية، وفي الجملة جناس يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقد جاء قوله: (ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ) تَوجُّهاً إلى الله تعالى بالقلب، وتوكلاً، واتباعاً لسنة نبيه ﷺ بالجسد، ثم أمره بالدعاء المذكور في الحديث السابق...).

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٣١١، ومسلم ٥٦/٢٧١٠. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ض ج ع).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الرواية الأخيرة من الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (٨١٦)

٨١٦- وعن عائشة ﷺ، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، فَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَن، حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فيُؤذنه: فيُعلمه بالصلاة[2].

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة ﷺ بأسلوب خبري يرجع إلى عمق الماضي عن طريق فعل الكينونة، وقولها (يصلي) بصيغة المضارع تصوير للحدث، وقولها (من الليل) من للتبعيض أي: بعض الليل، (فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) أسلوب شرط يحكي عادة تتكرر كل ليلة، ويربط صلاة الركعتين بطلوع الفجر، وقولها: (ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ) استخدام حرف العطف (ثم) يشير إلى فترة زمنية بين الآذان، والإقامة، وتخصيص شقه الأيمن؛ لأنه كان يحب التيمن في كل شيء، وقيل: حِكْمَته أَنْ لا يَسْتَغْرِق فِي النَّوْم لأَنَّ الْقَلْب فِي الْيَسَار فَفِي النَّوْم عَلَيْهِ رَاحَة لَهُ فَيَسْتَغْرِق فِيهِ، وَفِيهِ كَلام لأَنَّهُ صَحَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام كَانَ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه. نَعَمْ يَجُوز أَنْ يَكُون فِعْله لإِرْشَاد أُمَّته وَتَعْلِيمهمْ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الفقهية الآتية:

الحكم الأول: حكم صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في حكم صلاة الوتر. فذهب المالكية والحنابلة إلى أن الوتر سنة مؤكدة[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٠ واللفظ له، ومسلم ٧٣٦/١٢١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٣) أشرف المسالك ٥٦/١ لشهاب الدين البغدادي المالكي، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١.

وذهب الشافعية إلى أن الوتر سنة[١]. واختلفت الرواية عن الإمام أبي حنيفة: فروى حماد بن زيد عن الإمام أبي حنيفة إلى أن الوتر فرض.

وروى يوسف بن خالد أن الوتر واجب، وروى نوح بن أبي مريم المروزي أن الوتر سنة وبه أخذ أبو يوسف ومحمد[٢].

الحكم الثاني: مقدار صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في مقدار صلاة الوتر.

فذهب الحنفية إلى أن مقدار صلاة الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة وهي أقل صلاة الوتر، ويزيد إلى إحدى عشرة ركعة. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص. وقالوا لا ينبغي أن يؤقت شيء من القرآن في الوتر[٣].

وذهب المالكية إلى أن الوتر ثلاث ركعات يفصل بينهما بسلام، ويقرأ في الشفع في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الوتر الإخلاص والمعوذتين[٤].

وذهب الشافعية إلى أن أقل الوتر ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، وأدنى الكمال ثلاث، وأكمل منه خمس ثم سبع ثم إحدى عشرة. ويقرأ من أوتر بثلاث بعد الفاتحة في الأولى الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص ثم الفلق ثم الناس[٥].

وذهب الحنابلة إلى أن الوتر أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسن فعل الركعة عقب الشفع بلا تأخير. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص[٦].

---

(١) المهذب للشيرازي ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٠٥/١، والهداية ٦٦/١.

(٣) البدائع ٦٠٩/١، ٦١٠.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٤٢/١.

(٥) المهذب ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٦) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٢٦٤/١، الإقناع ١٤٣/١.

ووقت صلاة الوتر ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح.

الحكم الثالث: حكم ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في حكم ركعتي الفجر: فذهب المالكية إلى أن ركعتي الفجر سنة ويقرأ فيهما بفاتحة الكتاب[١].

وذهب الشافعية إلى أن ركعتي الفجر سنة بل إن ركعتي الفجر وصلاة الوتر من أوكد السنن، ويقرأ فيها من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ ومن آل عمران: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أو الشرح والفيل، أو الكافرون والإخلاص[٢].

وذهب الحنابلة إلى أن ركعتي الفجر سنة، وسن تخفيف ركعتي الفجر، ويقرأ فيها بعد الفاتحة في الأولى الكافرون والإخلاص، أو ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وفي الثانية ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ ..﴾[٣].

الحكم الرابع: حكم الاضطجاع بعد ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في ذلك فذهب المالكية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر إن أريد به الفصل بين الفجر والصبح فيكره، وإن كان لغير ذلك فلا بأس به[٤].

وذهب الشافعية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر مندوب[٥]، وذهب الحنابلة إلى أنه يسن الاضطجاع بعد الفجر[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثاً: من صفات الداعية: قوة الصلة بالله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٣٠٥/١، وأشرف المسالك ٥٦/١.

(٢) المهذب ١٥٦/١، وفقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٣) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والكافي ٢٦٤/١، والإقناع ١٤٦/١.

(٤) المدونة الكبرى لمالك ٢١٠/١، وفقه العبادات على المذهب المالكي ٢٠٠/١.

(٥) فقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٦) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والإقناع ١٤٦/١.

اولاً- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لصلاة النبي ﷺ في الليل فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والحديث يبين سنة من سنن النبي ﷺ التي ينبغي الاقتداء بها، وهي صلاة الليل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1] فإن التقرب إلى الله بالعبادات أقوى الأسباب لتزكية النفس[2] وفي الصلاة وقيام الليل خضوع وذل لله، وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه[3].

وقيام الليل من جملة الأعمال الصالحات، التي تجعل صاحبها يستحق الرعاية الحسنة من الله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ))[4] إضافة إلى ما يلقيه الله لصاحب العمل الصالح من محبة في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[5] وغير ذلك من النتائج الطيبة التي يزداد بها نشاط الإنسان في القيام بالأعمال الصالحة التي لها الدور الفعال والأثر البين في بناء شخصية المسلم بناءً دينياً على أسس قوية[6].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، احمد فريد ص ٦٨.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي ص ١١.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٠.

(٥) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٦) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ١٧٤، ١٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر:

ورد في الحديث التصريح بصلاة النبي ﷺ لركعتي سنة الفجر ركعتين خفيفتين "فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والمقصود بقوله "فيصلي ركعتين خفيفتين" هما سنة الصبح، وفيه دليل على تخفيفهما[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: قوة الصلة بالله:

وردت في الحديث علامة من علامات قوة الصلة بالله وهي صلاة الليل، فقالت عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل..." وأولى الناس بتقوية صلته بالله هو الداعية، إذ أن الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وعليه أن يُمتِّن صلته بالله لتكون دعوته نابعة في قوله وفعله، فالاجتهاد في الطاعات والتقرب بها إلى الله عز وجل من أقوى أسلحة الدعاة، ذلك لأن للطاعات نوراً ينعكس على وجوههم ووقاراً وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم، ولقد كان إمام الدعاة ﷺ يجد راحته وقرة عينه في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُبِّبَ إليَّ من الدنيا: النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلت قُرَّةُ عَيني في الصلاة))[٢][٣].

قال السيوطي: (وقوله "جعلت قرة عيني في الصلاة" إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى إنه بمناجاته تقر عيناه، وليس له قريرة العين فيما سواه، فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى)[٤].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

في اجتهاد رسول الله ﷺ في العبادة ومنها صلاة الليل، وأمر الله المؤمنين

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٣٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٦٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، وصحيح الجامع الصغير ٣١٢٤).

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٧٤/٧.

بالاقتداء بسنته ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١] ترغيب في الصلاة بالليل وإحيائه بالعبادة، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخداماً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٢].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشجيع على فعل الخير مع أصحابه رضي الله عنهم لأن المعرفة لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بل لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية، تحفز الإرادة، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والعبد عن الشر، ومن أمثلة الترغيب والتشجيع على عمل الخير وخير العمل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ تعالى: أعددَتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[٣] فهذا الحديث وغيره من أحاديث رسول الله ﷺ كانت خطاباً لقوم رغبوا في الآخرة، ورضوا بها، وزهدوا في الدنيا، ويظهر التشويق فيها جلياً، مما يزيد الراغب حرصاً على العمل والجد والمثابرة، لينال رغبته ويحظى بأمنيته[٤].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩١.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٤، ٢٢٥.

الحديث رقم (٨١٧)

٨١٧- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أمُوتُ وَأحْيَا)) وَإذَا اسْتَيْقَظ قَالَ: ((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أحْيَانَا بَعْدَمَا أمَاتَنَا وَإلَيْهِ النُّشُورُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

المضجع: موضع الاضطجاع والنوم[2].

النشور: البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول دعاء النوم والاستيقاظ كما أنه يصف هيئة نوم النبي ﷺ وقد ورد في أسلوب خبري في بدايته حيث بدأ بأسلوب الشرط الذي يصور هيئة نومه، وطبيعة دعائه، وقوله (إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن إرادة النوم، وقوله (وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ) يشير إلى كمال تواضعه ﷺ، وقوله (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا) الدعاء باللهم توجُّه لله بالكلية، وإقرار بالعبودية، والطباق بين قوله: أموت، وأحيا يقرر أن حياة المؤمن من مبدئها إلى منتهاه بيد الله يتقلب فيها وفق مراده، وفيه إشارة إلى أن النوم موت أصغر، وقوله عند الاستيقاظ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) اعتراف بنعمة الله، والطباق بين أحيانا، وأماتنا يوضح الفارق بين الحالتين وقدرة الله، وملكه للإنسان في الموقفين، ونعمته عليه في تحصيل الفائدتين في النوم بالراحة، وفي الحياة بما فيها، وهو مستحق للحمد في كل حال.

---

(١) برقم ٦٣١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١١٨.

فقه الحديث

وضع اليد تحت الخد[1]: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من النوم وضع يده تحت خده ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. ورد هذا الحديث "إذا أخذ مضجعه عن النوم وضع يده تحت خده" وفي حديث حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: ((اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك))[2].

٢-ما يقال عند النوم والاستيقاظ: يستحب أن يقال عند النوم والاستيقاظ ما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه: (اللهم باسمك أموت وأحيا وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[3].

٣-كراهية الاضطجاع على البطن: يكره الاضطجاع على البطن، لأن هذا الاضطجاع يبغضه الله تعالى، ويستحب أن يكون الاضطجاع على شقه الأيمن، وأن يكون على وضوء[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى.

أولاً- من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ:

إن من أوجب المهام على الداعية تبليغ المدعوين بسنة نبيهم ﷺ وتبيينها لهم، ومن

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤٥.

(٢) اخرجه أبو داود ٥٠٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٠٤٥).

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤٥.

(٤) المرجع السابق ٤/٢٤٥.

ذلك ما جاء في بيان حذيفة ﷺ لحال النبي ﷺ عند النوم فقال "كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده" أي وضع كفه الأيمن، لأنه يحب التيمن في شأنه كله، وليعلم أمته[١]، ثم يقول "اللهم باسمك أموت وأحيا" وإذا استيقظ قال "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا" أي أيقظنا بعد أن أنامنا[٢]؛ إذ أن البيان من أهم الواجبات على الداعية، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه لهم، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] وقال ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٤] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[٥].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

إن من الأذكار العظيمة، التي كان يواظب عليها النبي ﷺ عند النوم، وعند الانتباه منه، ما جاء في الحديث: (كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور).

قال القاضي عياض: "(باسمك أحيا وباسمك أموت)، ومعناه: يحتمل أنه يريد بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، ويحتمل أنه يريد: بك أحيا وبك أموت أي أنت تحييني وأنت تميتني.

وقوله: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) يريد بالموت هنا النوم، وأصل الموت في كلام العرب السكون، فنبه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت"[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٢١١ - ٢١٢.

وقال النووي: "قيل معناه: بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، وقيل: بك أحيا أي: أنت تحييني وأنت تميتني، وإنما ذكرت الحياة والموت بهذه المناسبة، لأن النوم شعبة من الموت، كما أن اليقظة عودة إلى الحياة الكاملة"(١).

أما الحكمة من ذكر الله تعالى عند النوم والاستيقاظ، فقد أشار إليها كثير من العلماء: قال القاضي عياض: "وحكمة الدعاء إذا ما أراد أن ينام، ليكون ذكر الله آخر كلامه، وفائدته إذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الإيمان بالله وذكره، والاعتراف بأن الأمور كلها له وبيده، ويفتح يومه بالكلام الطيب"(٢).

وبنحو ذلك قال النووي: "قال العلماء: وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله ذكر الله تعالى، وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب"(٣).

وقد ورد في غير هذا كثير من الأذكار عند النوم واليقظة، ومنها ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ))(٤).

ومنها أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ. فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ. وَلْيَقُلْ:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/١١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٦٨٢٠.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي. وَبِكَ أَرْفَعُهُ. إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا. وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))[١].

وفي هذا إشارة إلى أن المسلم لا غنى له عن ذكر ربه طرفة عين عند نومه ويقظته، وفي جميع شؤونه، فها هو عند النوم يختم أعماله بذكر الله، وعند الانتباه يكون أول أعماله ذكر الله، ثم هو في جميع أحايينه محافظاً على ذكر الله، فعلى ذكره سبحانه يحيا وعليه يموت وعليه يبعث يوم القيامة[٢]، إضافة إلى ما في ذكر الله تعالى من استجلاب نعم الله عز وجل واستدفاع نقمه، ومن أكبر العون على طاعة الله عز وجل، ويسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فالذكر يعطي الذاكر قوة عظيمة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه[٣].

كذلك من ألوان فضل ذكر الله تعالى عند النوم واليقظة طرد الشيطان وقمعه وإزالة ما يعقده، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاَثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ. بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً. فَإِذَا اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. وَإِذَا تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ. فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ. فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ. وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ))[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

وذلك امتثالاً واقتداء برسول الله ﷺ في سنته وهديه عند النوم والاستيقاظ كما جاء في الحديث: (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، إذ أنه على المدعو عند نومه أن يكون متذكراً لأمرين، ما مضى من أيامه فيحمد الله على ما

(١) أخرجه مسلم ٦٨٣٠.

(٢) ذكر الإمام ابن القيم ما يربو على سبعين فائدة وثمرة للذكر، انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٨٢ - ١٥٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦ واللفظ له.

أمده فيها من الصحة والعافية، والمطعم والمشرب، والمسكن وغير ذلك، وأن يتذكر ما يستقبل من أوقاته، وهو فيها بين أمرين إما أن تقبض روحه فهو يسأل الله إن كان ذلك المغفرة والرحمة، أو أن يُفسح له في أجله فهو يسأل الله في هذه الحال أن يحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين[١].

وفي أدعية المسلم عند نومه إقبال على مولاه يقظة ونوماً، فلا يقضي به نومه لتكاسل أو تباطؤ عما طلب منه، ولا تيقظه لغفلة عما طلب منه من دوام مراقبة وحضور[٢]، وفي ذلك دخول للعبد في قائمة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وفيمن يذكرون الله قياماً وقعودًا وعلى جنوبهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٣]، الذين زيّن الله ألسنتهم بالذكر، وعقولهم بالفكر وقلوبهم بالخشية والاطمئنان، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، الأذن الصماء واليد الشلاء[٤].

قال ابن عثيمين في شرح الحديث مبيناً أهمية ذكر الله والاقتداء في ذلك برسول الله ﷺ، وأن ذلك من نعم الله وعطاياه: "شاء الله أن يمن علينا، فشرع لنا أذكاراً عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، كل هذا من أجل أن تكون أوقاتنا معمورة بذكر الله عز وجل، ولولا أن الله شرع لنا ذلك لكان بدعة، ولكن الله شرع لنا هذا من أجل أن تزداد نعمته علينا بفعل هذه الطاعات.

فمنها هذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن حذيفة، وأبي ذر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك اللهم أحيا وأموت)، إذا أوى يعني: إذا ذهب إلى

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٥٠٧.

(٣) سور آل عمران، آية: ١٩١.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢٣.

فراشه وأراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت، فهو المحيي يحيي من يشاء، وهو المميت يميت من يشاء، فتقول: باسمك اللهم أحيا وأموت. أي: أموت على اسمك، وأحيا على اسمك، ومناسبة هذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[2].

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)، فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور - يعني الإخراج من القبور- يكون إلى الله عز وجل، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: (الحمد لله الذي أحيانًا بعدما أماتنا وإليه النشور)، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم، الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق، وتنشيطاً للبدن فيما يُستقبل، وأنه يذكّر أيضاً بالحياة الأخرى، إذا قمت من قبرك بعد موتك حيّاً إلى الله عز وجل.

وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، فلولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يُبعث ويجازى على عمله ما عمل، ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[3]، وآيات كثيرة في هذا. فالمهم أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول: (باسمك اللهم أحيا وأموت) وإذا استيقظت تقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) والله الموفق"[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٢٧ - ١٥٢٨.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى:

فكما جاءت النصوص التي تدل على فضل ذكر الله تعالى عند النوم، ورد عن رسول الله ﷺ ما يدل على كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ))[1] أي حسرة ونقصاناً[2].

لأن الإعراض عن ذكر الله خسارة لا تدانيها خسارة، وبذلك صرح القرآن ،وأخبر عن خسران من لها عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[3] وجاء في الحديث الترغيب في ختم المسلم يومه بذكر الله تعالى وذلك قياساً على بقية الأعمال فإن الأعمال كلها، أرشد القرآن إلى ختمها بذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[4] وختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾[5] وختم به الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾[6] وختم به الجمعة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[7] فمن كان سبيله ختم أعماله

---

(١) أخرجه ابو داود ٤٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٠٦٥)

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ٢٠٩٩.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) سورة الجمعة، آية: ١٠.

وأيامه بذكر الله تعالى فإنه يرجى أن يكرمه الله، بأن يختم حياته بذكر الله تعالى، وإذا كان آخر كلام العبد ذكر الله أدخله الله الجنة(١).

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٦٣/٢، ٢٦٤.

الحديث رقم (٨١٨)

٨١٨- وعن يَعيشَ بن طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ أَبي: بينما أنَا مُضْطَجعٌ في المَسْجِدِ[١] عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُني برجلِهِ، فَقَالَ: ((إنَّ هذِهِ ضجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ))، قَالَ: فَنظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ. رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

طخفة الغفاري: هو صحابي اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً: فقيل: طِهفة بن قيس [بالهاء] وقيل: طِخفة بن قيس [بالخاء]. وقيل طغفة [بالغين] وقيل: طِقفة [بالقاف والفاء]. وقيل: قيس بن طخفة. وقيل غير ذلك.

وليس له إلا هذا الحديث الواحد في النهي عن النوم على البطن، وكان فقيراً فعاش مع أصحاب الصفة في المسجد، وأول هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل[٣]: كان أبي من أصحاب الصفة فأمر رسول الله ﷺ بهم، فجعل الرجل ينقلب بالرجل، والرجل بالرجلين، حتى بقيتُ خامس خمسة، فقال رسول الله ﷺ: انطلقوا. فانطلقنا معه إلى بيت عائشة فقال: يا عائشة أطعمينا. فجاء بحَشيشة[٤] فأكلنا ثم جاءت بحَيْسة[٥] مثل القطاة، فأكلنا ثم قال: يا عائشة أسقينا فجاءت بعُسٍّ[٦] فشربنا، ثم

---

(١) عند ابي داود زيادة: (من السحر).

(٢) برقم ٥٠٤٠. وذكر الدارقطني في العلل ٢٩٩/٩ الاختلاف في إسناده ثم قال: يرويه ابو سلمة، عن ابن طهفة الغفاري، عن ابيه، وهو الصواب. وكذا قال الحاكم في المستدرك ٢٧١/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥١٥ مختصرا كما هنا، ومطولاً برقم ٤٥١٤ وعزاه إلى أحمد وابن حبان.

(٣) ٣٠٧/٢٤ وهو عند أبي داود وابن ماجه ٧٥٢.

(٤) الحشيشة هي ما يحش من الحب فيطبخ. والحش: طحن خفيف فوق الدقيق قاله السندي في حاشيته على مسند أحمد بن حنبل.

(٥) الحيسة: هي أخلاط من تمر وسويق وأقط وسمن مجمع فيؤكل. والقطاة: نوع من الحمام. وكأنه شبه في القلة.

(٦) العُسُّ: قدح ضخم.

جاءت بقدح صغير فيه لبن فشربنا، فقال رسول الله ﷺ: ((إن شئتم بتُّم وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد. فقلت: لا، بل ننطلق إلى المسجد. فبينا أنا من السحر مضطجع على بطني...)) الحديث.

وقد ذكره البخاري في التاريخ الأوسط في فصل من مات ما بين الستين إلى السبعين[١].

غريب الألفاظ:

الضَجْعة: هيئة الضجوع[٢].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري تغلب على أحداثه المفاجأة التي توحي بها عبارات الحديث كقوله: (بينما أنا – إذ جاء رجل – فإذا رسول الله ﷺ) والبداية بالظرف (بينما) فيها تشويق، وإثارة تحقق اليقظة، والانتباه لما بعده، والضمير (أنا) توكيد وتقوية للحكم، والتعبير بصيغة اسم الفاعل (مضطجع) بدلاً من الفعل (أضطجع) يوحي بالاسترخاء، والاستغراق فيه لدلالة الاسمية على اللزوم، والثبات، والجار والمجرور (في المسجد) يشير إلى شرف المكان، وأنه يراعى فيه ما لا يراعى في غيره من الأماكن، وتقييد الحدث بقوله (على بطني) يشير إلى الخطأ، وقوله (إذ جاء رجل) يمثّل بداية تحول الأحداث، وتصحيح الخطأ وقوله: (يحركني برجله) تنبيه، وتمهيد قبل تقرير الحكم لاحتمال النوم، والغفلة، ثم جاءت عبارته مؤكدة بأكثر من مؤكد ˊ)إنَّ هذه ضِجْعَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ) وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بالإضافة إلى أن صياغة المسند

---

(١) التاريخ الكبير ٣٦٥/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩٧/٣ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٤٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٩٩/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(ضجعة) على اسم الهيئة والجملة التي وصفت بها تقرر أنها سبب الذم لبغض الله لها، وتعلُّق فعل البغض بالله يصعِّد الإحساس بالخطأ، ويبين خطره، لأنه يسبب غضب الجبار.

فقه الحديث

يكره الاضطجاع على البطن، لحديث الباب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء:

إن الداعية يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بمدعويه، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، وفي الحديث ضرب النبي ﷺ أنموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تفقدٍ لأحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء، فعن يعيش بن طفخة رضي الله عنه قال: قال أبي بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ، والسنة النبوية مليئة بالنماذج لملاحظاته ﷺ وتفقداته لأصحابه"[٢]، ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَأَىٰ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ. فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: ((يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)) فَقِيلَ لِلرَّجُلِ، بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَداً. وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ[٣]، وتلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء مجتمعه الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٩٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٠٩٠.

حية واقعية، تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم والرفع من مستواهم[١].

لقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، والأمثلة الدالة على اهتمام رسول الله ﷺ بالناس ومواساته لهم وتشجيعهم إن اصابوا، وتقويمهم إن أخطأوا كثيرة، منها ما روي عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يوماً وليلةً، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيماً رَفيقاً، فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهينا أهلَنا ـ أو قد اشتَقْنا ـ سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم))[٢].

كما كان ﷺ يتفقد المرضى ويزورهم في بيوتهم ويدعو لهم ويصلي عليهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ماتَ إنسانٌ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُهُ، فماتَ بالليلِ، فدَفَنوهُ ليلا. فلمَّا أصبحَ أخبروهُ فقال: ((ما مَنَعَكم أن تُعلِموني؟)) قالوا: كان الليلُ فكرِهْنا ـ وكانت ظُلمةٌ ـ أن نشُقَّ عليك. فأتى قبرَه فصلَّى عليه[٣].

لذا لا بد للمربي والداعية أن يقرن اهتمامه بمدعويه بالمحبة والشفقة والتوجيه للصواب، فإن المدعو والمتلقي الذي يشعر أن مربيه يحبه ويعطف عليه، لا شك أنه سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة مربيه وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه"[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم:

إن من الآداب التي ينبغي الحرص عليها عند النوم اتباع السنة في ذلك، ومن ذلك ما ورد في الحديث من النهي عن النوم منكباً على الوجه والبطن مبيناً ﷺ العلة في

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ٧٣٢.

(٢) اخرجه البخاري ١٤٢.

(٣) اخرجه البخاري ١٥٢

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٣.

كراهة ذلك فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال العظيم آبادي: "وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز وأنه ضجعة الشيطان"[١]، كما ذكر النبي ﷺ علة أخرى لكراهة النوم على البطن هي مشابهة أهل النار في نومهم[٢]، فروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي. فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ((يَا جُنَيْدِبُ إِنَّمَا هذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ))[٣].

ففي الحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه، لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس، لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به لأن هذا لحاجة[٤]، وإنما السنة: النوم على الجانب الأيمن كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: ((إِذا أتيتَ مَضجَعَكَ فتَوَضَّأْ وُضوءَكَ للصلاةِ، ثمَّ اضْطَجِع على شِقِّكَ الأيْمَنِ))[٥]، فإن ذلك أنفع ما يكون بالقلب، وأسرع لانتباه النائم لتعلق القلب وعدم انغماره بالنوم[٦]، إضافة إلى ما في ذلك من كونه أصلح للبدن، كما نص على ذلك الأطباء[٧].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه:

إن من خصائصه ﷺ إيتاؤه وتمكنه من جوامع الكلم، والحديث فيه ما يدل على ذلك ففي قوله ﷺ: (إن هذه ضجعة يبغضها الله)، فقد جمع ﷺ فيه عدة معانٍ، منها النهي مع توكيده، إضافة إلى ذكر العلة التي من أجلها نهى عن

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢١٥٨.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٣٧٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٦٥٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣١١، اخرجه مسلم ٨٠٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٣.

(٧) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢١٨.

الاضطجاع على البطن لأنها ضجعة الشيطان والكفار، وفي ذلك دلالة على ما أكرم الله به رسوله ﷺ من جوامع للكلم، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[1]، والمقصود بجوامع الكلم هي الكلمات الجامعة الوجيزة التي تحمل معاني كثيرة[2]، فجوامع الكلم، تقع فيها المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة[3].

"لذا ينبغي على الداعية التأسي برسول الله ﷺ في عرض دعوته بالابتعاد عن الكلام المرسل وتجنب التطويل، وذلك حفظاً للذاكرة من الكل، وحفاظاً على قدرة الفكر على الاستيعاب"[4]، فإن التطويل وملء الحديث بالحشو من الكلام ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريغها[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٧٧، ومسلم ٥٢٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٦/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٦.

(٤) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء لنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ ورقم طبعة، ص ٧٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار المدينة المنورة: ١٩٨٤م ص ١٠٣٢.

الحديث رقم (٨١٩)

٨١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجَعاً لاَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أبو داود[١] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التِّرة: النَّقص، وقيل: التبعة[٢].

الشرح الأدبي

الحديث أساليبه خبرية بدأ مؤكداً بـ (إن) مع اسمية الجملة بياناً لأهمية الخبر المسوق، وقد جاء المعنى النبوي في ثوب الشرط الذي يحقق التشويق، ويربط الفعل بالجزاء وجوداً، وانتفاءً، وفعل الشرط (قعد) في الماضي الدال على التحقق بقيد (لم يذكر الله فيه) وجملة الجواب (كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ تِرَةٌ) في صيغة الماضي المتحقق، وتقديم خبر كان على اسمها يفيد اختصاصه وحده بالترة، وهي المنقصة، والحسرة، والندم، وتقييد ها بالجار، والمجرور (من الله) يصعِّد الرهبة ويعظِّم الإحساس بخطر الغفلة عن ذكر الله، ثم إن الجناس في قوله: (قعد مقعداً) يأخذ السمع، ويلفت الانتباه للمعنى، ويؤكده.

وقوله (وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ) أسلوب شرطٍ ثانٍ يتفق مع ما قبله في الصياغة، وفي القيد (لا يذكر الله فيه)، وفي جواب

---

(١) برقم ٤٨٥٦. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٣)، وقال الترمذي ٤٦١/٥: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ٥٥٠/١: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠. وسيكرره المؤلف برقم ٨٣٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر هـ).

الشرط المترتب على الفعل بقيده، ويختلف مع سابقه في فعل الشرط (من اضطجع مضجعاً) الذي يقرر تغير الحالة من القعود إلى الاضطجاع، ليشمل أكثر الحالات التي يستخدمها الناس في مجالسهم مع خلوها عن ذكر الله الذي سبب ذم هذا المضجع، وجعله حسرة، وندامة على صاحبه.

والحديث يثمّن غالياً قيمة الذكر، ويجعله سبب الفلاح، والسعادة في الآخرة؛ لأن ضده، وهو الغفلة يحقق الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [مريم: ٣٩].

فقه الحديث

يكره لمن قعد في مكان أن يفارقه قبل أن يذكر الله تعالى، لحديث الباب[1].

وبوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع.

ثانياً: من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع:

لقد رغّب الإسلام في ذكر الله عامة في جميع الأحوال ومختلف الشؤون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[3]، وقال:

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٢/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٤٧/٣.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[1]، وجاء في الحديث بيان ما ينبغي من ذكر في المجالس وعن الاضطجاع فقال ﷺ مرهباً من خلوهما من الذكر: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، والترة بمعنى النقص والتبعة[2]، وذلك ما يدل على أهمية الذكر، وتجميل المجالس والمضاجع به، ففي الإعراض عنه حسرة وندامة، لأن خلو المجالس ونحوها من الذكر تضييع لرأس المال من زمان ومكان وفواتٍ للربح، وأية حسرة أعظم من ذلك؟[3].

وأي فضل أعظم من أن يباهي الله ملائكته بالذاكرين ومجالسهم، وقد تظاهرت النصوص على ذلك، فروي عن معاوية رضي الله عنه خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[4].

والذاكرون هم أهل السبق[5]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ))[6]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٤/٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٦٦.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ))[1].

ثانياً- من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك:

إن من الآداب التي ينبغي التجمل بها ذكر الله تعالى والمداومة عليه، ففي الذكر حياة القلوب، ونماء الإيمان، وزكاة النفس، وسبيل السعادة، والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحديث بيان سوء حال من يعرض عن ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، أي: حسرة وندامة، فمداومة الذكر مجانبة للشيطان، والإعراض عن الذكر تمكين للشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2].

أما كمال ذكر الله والمداومة عليه، فإنه سبب عظيم من أسباب حفظ اللسان وصونه عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والسخرية والباطل، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فما خلق اللسان إلا للكلام، فإن لم يتكلم بذكر الله، وذكر أوامره وبالخير والفائدة، تكلم في المحرمات أو ببعضها، فمن عوّد لسانه على ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله، نطق بكل باطل ولغو وفحش[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء في الحديث الترهيب من التجافي عن ذكر الله تعالى فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة)، وأسلوب الترهيب من أعظم الأساليب الدعوية تأثيراً في النفوس، وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب للنفس، وذلك ما يدعوه إلى أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) الفوائد المنثورة، خطب ونصائح، كلمات ومقالات، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧١ - ٧٢.

يحميها من كل شر، سواء ما كان فيه من عاجل أو آجل[(١)]، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى حال عباده وهم يدعونه ويتضرعون إليه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(٢)]، وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[(٣)].

رابعاً- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية توجيه أنظار المدعوين إلى أبواب الخير، وتحذيرهم من أسباب التردي والخسران؛ فالواجب على الداعي الاهتمام بالمدعوين بأن يعطيهم ما عنده من الخير[(٤)]، ويحذرهم من الشر حرصاً عليهم، وعلى إيصال الخير لهم، ودرء الشر عنهم، وليكن رسول الله ﷺ أسوته في ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٥)]، ومن ذلك حرص الداعية على تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع وتحذيره من ترك الذكر، ففي الذكر الحياة، وهو قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته[(٦)].

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))، ولفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[(٧)]. فجعل بيت

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٣٥.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٦) انظر: الوابل الصيب ٨٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر.

وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور[1]

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٦٩/٣ - ٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النوم من أجلّ النعم على الإنسان، وهو دليل الأمن، وقد امتنّ الله تعالى على عباده تلك النعمة، ولهذا وجب شكر المنعم على هذه النعمة العظيمة، لأن النوم الدائم وفاة، والحياة الدائمة بلا نوم تفضي إلى الجنون، والجمع بين اليقظة والنوم من تمام النعمة وعلى هذا تكون تربية المسلم من الطرق التالية:

أولاً- التربية العقدية:

وذلك ما نلحظه من احتواء كلمات الدعاء التي كان يقولها ﷺ وما لقنها للبراء بن عازب على معاني إخلاص العقيدة والتسليم وتفويض الأمر لله تبارك وتعالى: «اللَّهُمَّ أَسْلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، ... آمنتُ بكتابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ» والإيمان بالبعث والنشور: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

إن التربية العقدية وإحسانها وحسن عرضها وغرسها في نفوس المتربين أساس كل خير والدافع للتحلي بكل خلق طيب جميل، "فالإنسان حين ينشأ على الإيمان منذ طفولته تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتَقَبُّل كل فضيلة ومكرمة والاعتياد على كل خلق فاضل حيث يبيت إيمانه بالله حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، وحتمية استناد الأخلاق إلى معتقدات تجعلها تتغلغل إلى أعماق النفس وتخلص الإنسان من أوزاره.

إن تصحيح العقيدة وتربية النشء على العقيدة الصحيحة والإيمان بالله يعني الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بالكلية، وهذا علاج للنفس من خلال استكشافها الضر ممن يملكها، ويعني اللجوء إلى الله، وهذا علاج للنفس من الفتور في الطاعة وعلاج لها من الطمع والاشتغال بالإصلاح الظاهر لزينة الناس وإغفال إصلاح الباطن"[(١)].

---

(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٥٩، ٦٠.

ثانياً- ربط الولد بالنوافل:

إن من واجبات الآباء والمربين ربط الأولاد بالنوافل كما جاء في أحاديث الباب من توجيهه ﷺ إلى نوافل الذكر كالذكر عند الإيواء إلى الفراش ونوافل الصلاة كالتهجد من الليل وصلاة ركعتين خفيفتين إذا طلع الفجر كما نرى ذلك مبثوثاً في أحاديث الباب.

لقد رغب الإسلام في النوافل والإكثار منها ، وذلك "اجتهاداً في طلب رضا الله تعالى والتشمير لتنفيذ أمره ومبتغاه، ولا شك أن الامتحان في هجر الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس تربيةٌ على المجاهدة وتحرير من الخضوع لأهواء النفس"(١).

"إن النوافل التي ثبتت مشروعيتها من أعظم الأعمال الصالحة التي تقرِّب العبد من الله عز وجل وترسخ في نفسه حساسية التقوى وطمأنينة القلب وحلاوة الإيمان.

فاحرص أيها الأخ المربي أن تعطي لأهلك وأولادك... القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك... ليكتسبوا منك ويأخذوا عنك ويقتدوا بك... ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة... ففي الدعوة إلى الأخذ بفضيلة النافلة والعمل بعبادة التطوع.

سوف ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلة الصوم وحرصوا على العمل والتطبيق في الأوقات المخصصة والأيام المتعينة.

وهذا الربط التنفلي من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً وإعداده خلقياً ونفسياً، بل هو الذي ينشئ الولد على الإخلاص والتقوى ومراقبة الله عز وجل، واستحضار العظمة الربانية في كل الأحوال.

فإذا فعلت هذا أيها المربي الكريم فتكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في الربط الروحي والتكوين الرباني، بل يكون ولدك من الذين يُشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم"(٢).

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٣٩.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٨٤، ٨٣٥.

ثالثاً- الجمع بين الرجاء والخوف:

وهذا ما نلحظه فيما ورد في الدعاء عند الاضطجاع للنوم "...رغبة ورهبة إليك" فهذا الدعاء يَنُمُّ عن رجاء وخوف ورغبة ورهبة وأمل في رحمة الله وخوف من عقابه.

إن الخوف والرجاء أو الرغبة والرهبة هما جناحا الإيمان، فإن توفرا في قلب عبد صدق إيمانه واكتمل بالعمل، فهو بين رجاء ورغبة يؤمله في رحمة الله ويدفعه إلى الطاعة وبين خوف ورهبة يحذره من عقاب الله تعالى ويدفعه عن المعاصي.

لذا ينبغي على المربين غرس تلك الدوافع والموانع من الترغيب والترهيب في نفوس المتربين، فإن الرغبة والرجاء "يولدان الأمل ويبعثان على النشاط والعمل للآخرة ويحببان إلى المسلم الطاعات وينأيان به عن المعاصي ويدفعان به إلى مقاومة الشيطان، كما أنَّ الرهبة والخوف يورثان العبد الخوف من عذاب الله عز وجل، ويولدان الرهبة حتى تصير طبعاً في الإنسان توصله إلى تقوى الله عز وجل، والتي يجني العبد ثمرتها في سعادته في الدنيا والآخرة" (١).

من أجل ذلك يجدر بالمعلمين والمربين أن يغرسوا مثل هذه الدوافع والموانع في نفوس المتربين، فإن النفس إذا ما استحضرت الثواب والعقاب والنعيم والشقاء تخلل فيها الرغبة والرهبة والخوف والرجاء وذلك "ما يوجد لديها وازعاً نفسياً، يسموا بها إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق، بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون ذلك سبباً في اعتلاله ومرضه" (٢).

رابعاً- التربية الصحية:

وذلك ما نجده في التوجيه النبوي في أحاديث الباب من الوضوء قبل النوم والنوم على الجانب الأيمن، كما في قول البراء بن عازب: "كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٥٦/٥، ٢١٩٥/٥.

(٢) انظر: نحو إنسانية سعيدة، محمد المبارك، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ، ص١٤.

فراشه"، وقوله ﷺ: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك..".

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بتربية الجسم فهو من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين، لينشأ الأطفال على خير ما ينشئون عليه من قوة الجسم وسلامة البدن ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط.

إن الاعتناء بالنواحي الجسمية لدى الأطفال بتميتها وحمايتها أمر ضروري لتكوين إنسان كامل يؤدي مهمته على أكمل وجه، إذ لا يمكن الفصل بين هذا الجانب، وبين غيره من جوانب التربية كالجانب العقلي والجانب الاجتماعي... فهي مترابطة.

ومن واجبات الآباء والمربين في تربية الجسم تعليمهم آداب النوم، إذ أن الجسم في نموه يعتمد على الأكل والشرب والنوم، ولكي ينمو الجسم نمواً صحياً متكاملاً ينبغي أن يتبع في تناول الأكل والشرب ومواعيد النوم طرقاً منظمة لتصبح عادة وخلقاً، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على دعوة الإنسان إلى اتباع عادات معينة تساعد على تنظيم صحة الإنسان[1]، ومنها الوضوء قبل النوم والاضطجاع على الجانب الأيمن، كما هو واضح في أحاديث الباب.

إن "اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف النبي ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان، فإذا نام على بطنه فيؤدي ذلك إلى كثرة حكٍّ أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائماً غيَّرا من حالته وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن والابتعاد عن النوم على الصدر، فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية، والأطباء جميعاً ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن"[2].

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١١٤، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٥٤، ٣٥٥.

خامساً- العناية بالتوجيه والتقويم:

إن العناية بالتوجيه والتقويم من الأمور التربوية المهمة التي يجدر الاهتمام بها، وذلك ما يظهر في توجيه النبي ﷺ وإرشاده لطفخة الغفاري رضي الله عنه ونهيه له عن النوم على البطن وكذلك في نهيه ﷺ في الحديث الآخر، عن خلو أحوال الإنسان من قعود واضطجاع وغيرها من ذكر الله تعالى فقال ﷺ: من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تره، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة"، وبهذه العبارات الموجزة وجه النبي ﷺ الأنظار إلى الخطأ والحض على تغييره وإصلاحه، وبهذا نجد أن الرسول ﷺ قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة الأخطاء التي قد تقع من الولد وتأديبه، وتقويم اعوجاجه، وتكوينه الخلقي والنفسي، حتى يأخذ المربون بأحسنها ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة، ولا بد أن يصلوا في نهاية المطاف إلى إصلاح الولد وتهذيبه وجعله إنساناً مؤمناً تقياً"[1].

إن الاهتمام بتربية الطفل والعناية به وتقويم سلوكياته وتوجيهه وإرشاده إلى الخطأ وتجنبه هو "حجر الأساس الذي يرتكز عليه بناء شخصيته في المستقبل وتوجيه شئون حياته، وهذا له أكبر الأثر في تعديل سلوك الطفل بل في كافة مراحل عمره كافة، لأن الطفل يولد وهو يحمل استعدادات الخير واستعدادات الشر[2]، لذا كانت أهمية دور الأسرة تقويم تصرفات الأولاد وتعديل سلوكياتهم "خاصة ما داموا في سن الطفولة لأن فيه تنطبع العادات الحسنة أو العادات السيئة، وفيه يتقبل الصغير كل ما يعرض له من خير أو شر فهو لا يفرق بين الخير والشر إلا من تصرفات أسرته معه، فما يُسمح له بفعله فهو خير في نظره، وما ينهي عنه فهو شر عنده، وهو يحاول أن يقلد كل ما يرى ويسمع في أسرته فيجب على الوالدين التنبه لذلك والاستفادة منه للقيام بدورهما

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧٦٣/٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٧.

التربوي على أكمل وجه"(١).

سادساً- من أساليب التربية: التربية بالتلقين:

من أهم الأساليب التربوية التربية عن طريق التلقين، وقد استخدمه النبي ﷺ في أحد أحاديث الباب في قوله ﷺ للبراء بن عازب: «إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك ...».

إن من أنجح الأساليب التربوية للولد أسلوب التلقين خاصة في مراحله العمرية الأولى، حيث "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تُستغل هذه المراحل العمرية في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور مع الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك،ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"(٢).

إن التربية بالتلقين لا يمكن أن يستغنى عنها لأنها من الأهمية بمكان، إذ أن القدوة وحدها لا تكفي لإتمام عملية التربية بل لابد من معاضدتها بالتعليم والموعظة والتلقين، "إذ لو كانت القدوة وحدها تكفي لإتمام عملية التربية والوفاء بكل المطلوب فيها لكانت القدوة العظمى للبشرية كلها المتمثلة في شخص رسول الله ﷺ كافية وحدها لإقامة منهج التربية الإسلامي، ولكن هذه القدوة على ضخامتها التي لامثيل لها في تاريخ البشرية كله حتى على مستوى الأنبياء والرسل كانت تلجأ إلى الموعظة والتلقين والتوجيه فضلاً عن الكتاب المنزل وهو في معظمه وعظ وتلقين وتوجيه"(٣).

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٤٠.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٣) طرق التعليم التربوية في السنة النبوية، أحمد فؤاد عليان، الطبعة الأولى، دار المسلم، الرياض ١٤١٣هـ، ص٤١.

١-التربية بالقول والفعل: كما في حديثي البراء بن عازب رضي الله عنهما: الأول كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقّه الأيمن ثم قال: "اللهم أسلمت نفسي إليك ..." الثاني: قال لي رسول الله ﷺ "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل، وذَكَرَ نحوه.

فإذا كان النبي ﷺ أرشد البراء رضي الله عنه بما يفعله عند نومه بما فيه الخير والنفع له، فإنه ﷺ كان يفعل ذلك أيضًا. وفي ذلك إرشاد لأهل التربية والتعليم أنهم إذا أرشدوا إلى شيء فعلوه ولم يخالفوه ولم يناقضوه بل ينبغي عليهم أن يكونوا أول الفاعلين وأول العاملين، نظرًا لما في ذلك من أثر كبير في نجاحهم في رسالتهم التربوية والتعليمية، فإن صدق الفعل للقول أهم الأسباب وأخطرها، فالمتعلمون -على سبيل المثال- معلقة أبصارهم بمعلمهم، فإن رأوا أن أفعاله تصدق أقواله ولا تخالفها عرفوا صدقه فأطاعوه وأقبلوا عليه وامتثلوا لتعاليمه وإن كانت الأخرى كان ما يسمعونه من المعلم لا يجاوز الأذان وكان بينه وبين قلوبهم سد منيع. بل كان ضرر هذا المعلم أشد من نفعه.

ب-الممارسة العملية: كحديث حذيفة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: "اللهم باسمك أموت وأحيا..." المهمة لكونها تبقي أثر التعليم في نفوس المتعلمين مدة طويلة، فضلاً عن شدة تأثيرها في نفوسهم.

ج-التربية بالمواقف: كما في حديث طِخْفة الغفاري رضي الله عنه: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحرِّكني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله" فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

والمربي البارع لا يترك المواقف والأحداث تمردون توجيه منه أو بيان لما هو صواب وصحيح، فإنه في اليوم الواحد يقع فيه الكثير من الأحداث والمواقف، وبراعة المربي تظهر في استثمارها في غرس القيم الصحيحة ونزع القيم السلبية.

د-الإلقاء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة ..." الحديث.

والإلقاء يعتمد على الحرص الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويتيح للمعلم أن يلقي عليهم أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت، لذا كان مناسبًا للمراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.



١٢٨- باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا

ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبياً

الحديث رقم (٨٢٠)

٨٢٠- عن عبدِ اللهِ بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ مُسْتَلْقياً في الْمَسْجِدِ، وَاضِعاً إحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٧٥).

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري غرضه إفادة الخبرة إن كان الراوي يريد الإعلام بالخبر بداية، أما إن كان المخاطبون يعلمون هذا من حال رسول الله ﷺ فالغرض من الخبر هو لازم الفائدة، وهي جواز النوم على الهيئة الموصوفة للنبي ﷺ لفعله المقرر في هذا الخبر، وقد أكد الصحابي ما نقل عن الرسول ﷺ بأكثر من مؤكد تعظيماً لأمر الخبر، أو لغرابة الخبر فأراد أن يمهِّد له نفوس المخاطبين، وقوله (مستلقياً) حال مبينة لهيئة نومه ﷺ وقوله: (في المسجد) إشارة إلى إباحة الاستلقاء في المسجد، و (ال) في لفظ المسجد للعهد أي المسجد المعهود، وهو المسجد النبوي، وقوله (وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى) حال ثانية لهيئة الاستلقاء بوضع القدم على القدم، وفي الحديث إشارة إلى جوازه لفعل الرسول ﷺ.

(١) أخرجه البخاري ٤٧٥، ومسلم ٧٥/٢١٠٠ ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال النووي: (يجوز القعود متربعًا ومفترشًا ومتوكـأً ومحتبيًا والقرفصاء والاستلقاء على القفا ومدّ الرجل، وغير ذلك من هيئات القعود ونحوها، ولا كراهة في شيء من ذلك إذا لم يكشف عورته، ولم يمدّ رجله بحضرة الناس. وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على ذلك، وذكر أحاديث الباب[١]).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد ووضع إحدى الرجلين على الأخرى.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد، ووضع إحدى الرجلين على الأخرى:

إن أمر المسلم قائم على الستر والوقار، لذا حث الإسلام على كل ما يحقق هاتين الصفتين، فأباح ما لا يخدشهما وما لا يتناقض معهما، لذا أباح الاستلقاء ووضع إحدى الرجلين على الأخرى، مادام لا يؤدي ذلك إلى كشف العورة، وهذا واضح من الحديث كله، وقد أخرج مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً: ((لاَ يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى))[٢].

قال الخطابي: (يشبه أن يكون إنما نهى عن ذلك من أجل انكشاف العورة؛ إذ كان لباسهم الأزر دون السراويلات، والغالب أن أزرهم غير سابغة، والمستلقي إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مع ضيق الإزار لم يسلم أن ينكشف شيء من فخذه، والفخذ عورة. فأما إذا كان الإزار سابغاً، أو كان لابسه عن التكشف متوقياً، فلا بأس له، وهو وجه الجمع بين الخبرين)[٣].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/ ٢٤١ .

(٢) اخرجه مسلم ٢٠٩٩/٧٤.

(٣) معالم السنن ٢٠٧/٧، ٢٠٨.

قال النووي: (قال العلماء: أحاديث النهي عن الاستلقاء رافعاً إحدى رجليه على الأخرى، محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شيء منها، وأما فعله ﷺ فكان على وجه لا يظهر منها شيء)[1]، وهذا لا بأس به ولا كراهة فيه على هذه الصفة. وفي هذا الحديث جواز الاتكاء في المسجد والاستلقاء فيه. قال القاضي عياض: لعله ﷺ فعل هذا لضرورة أو حاجة من تعب أو طلب راحة أو نحو ذلك، وإلا فقد علم أن جلوسه ﷺ في المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس متربعاً أو محتبياً، وهو كان أكثر جلوسه، أو القرفصاء أو مقعياً وشبهها من جلسات الوقار والتواضع[2].

قال النووي: ويحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهي الذي نهيتكم عن الاستلقاء ليس هو على الإطلاق، بل المراد به من ينكشف شيء من عورته أو يقارب انكشافها"[3].

وقال ابن حجر: (والظاهر أن فعله ﷺ كان لبيان الجواز، وكان ذلك في وقت الاستراحة، لا عند مجتمع الناس؛ لما عرف من عادته الجلوس بينهم بالوقار التام ﷺ)[4].

وعن سعيد بن المسيب، قال: ((كَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ يَفْعَلانِ ذَلِكَ))[5].

قال ابن حجر: (وقال الداودي: فيه أن الأجر الوارد للابث في المسجد لا يختص بالجالس، بل يحصل للمستلقي أيضاً)[6].

---

(١) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ٢٣٤/٢، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤١٧/٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٢٠/٦، ٦٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/١، (٤١٠/١٠).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/١.

(٥) هو في نفس الحديث ٤٧٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/١.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي: "أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، ولاشك أن الإخبار هذا وصف لهيئة النبي ﷺ في استلقائه في المسجد، ومن ثم لبيان جواز هذه الهيئة وإباحتها، كما نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: (وفيه جواز الاتكاء في المسجد والاضطجاع وأنواع الاستراحة)[1].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١، وانظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١٠/١٢٥، ١٢٦.

الحديث رقم (٨٢١)

٨٢١- وعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ في مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاء. حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بأسانيد صحيحة.

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

تربع: هو أن يقعد على إليته ويجعل قدمه اليمنى إلى جانب يساره وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه، وربعها بمعنى أدخل بعضها تحت بعض[2].

حسناء: نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة[3].

الشرح الأدبي

صاغ الصحابي المعنى في ثوب الخبر الذي لا ينكر دون مؤكدات دلالة على ثقته في عدم معارضته أو إنكاره؛ لأنه من الأوضاع المشهورة في جلوس الرسول ﷺ للذكر، وغيره، ثم إنه ساقه في جملة الشرط التي تدل على ملازمة الفعل للجزاء أي ملازمة صلاته لتربعه بعدها حتى تطلع الشمس، وقوله: (في مجلسه) هو مكان الجلوس، وإضافة المجلس إليه إضافة تشريف، وحتى لبيان الغاية، وقوله: (حسناء) تتميم بلاغي أفاد نكتة جديدة، وهي استكمالها لطلوعها، وليس بعضها بل مكتملة نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة التي تتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الأفق من السحب، والأدخنة، وفيه ندب القعود في المصلى بعد الصبح إلى طلوع الشمس مع ذكر الله عز وجل.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٧٥٠، وأخرجه أيضًا مسلم ٦٧٠/٢٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٦٦١ وعزاه أيضًا إلى مسلم، وأبي داود وغيرهما.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٠٦-١٠٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي .

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام التالية:

أولاً: حكم الجلوس بعد صلاة الفجر: ومعنى جلوسه متربعاً: أن يقعد على وركيه ويمد ركبتيه اليمنى إلى جانب يمينه وقدمه اليمنى إلى جانب يساره، واليسرى بالعكس[1].

ويشير أيضاً إلى أنه يستحب ذكر الله تعالى عقيب الصلاة والاستغفار. فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت ، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ))[2].

ثانياً: وكان رسول الله ﷺ يقعد بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس حسناء فيستحب للإنسان أن يفعل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ[3].

حكم التربع في الفريضة بغير عُذر: اتفق الفقهاء على أن التربع مخالف للهيئة المشروعة في الفريضة في التشهدين جميعًا، والحنفية قالوا بكراهة التربع من غير عذر، لأنه يقلل من الخشوع، وهذا في الفريضة، أما في النفل فالأمر فيه سعة، وهذا قول المالكية، والشافعية، والحنابلة[4].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦/١٢ .

(٢) أخرجه البخاري ٨٤٤، ومسلم ٥٩٣.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٦١/١، والشرح الكبير ٦٢٩/١.

(٤) المبسوط، السرخسي ٢٧/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦٥/١، ١٦٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٤٤/٤، والفروع، ابن مفلح ٥٦٥/١.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

اولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة:

النبي ﷺ هو القدوة والأسوة، وكانت أعين الصحابة رضي الله عنهم معلقة به، فنقلوا جميع أحواله وشؤونه، وكان مما نقلوا هيئات جلوسه، كما في هذه الأحاديث، فقال جابر بن سمرة رضي الله عنهما: "كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه"، وابن عمر رضي الله عنهما أخبر أنه: "رأى النبي ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء". وكذلك أخبرت قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها.

والاحتباء: (قعود الشخص على مقعدته، وضم فخذيه إلى بطنه، واشتمالهما مع ظهره بثوب أو نحوه أو باليدين)[٢].

قال ابن حجر: (والقرفصاء جلسة المحتبى، ويدير ذراعيه ويديه على ساقيه، وقيل هي الاحتباء، وقيل جلسة الرجل المستوفز[٣]، وقيل جلسة الرجل على إليتيه قال: وحديث قيلة يدل عليه لأن فيه "وبيده عسيب نخلة" فدل على أنه لم يحتبِ بيديه، قلت: ولا دلالة فيه على نفي الاحتباء، فإنه تارة يكون باليدين وتارة بثوب، فلعله في الوقت الذي رأته قيلة كان محتبياً بثوبه. وقد قال ابن فارس وغيره: الاحتباء أن يجمع ثوبه ظهره وركبتيه ...، وقيل: القرفصاء الاعتماد على عقبيه ومس إليتيه بالأرض، والذي يتحرر من هذا كله أن الاحتباء قد يكون بصورة القرفصاء، لا أن كل احتباء قرفصاء... وقال ابن بطال: لا يجوز للمحتبي أن يصنع بيديه شيئاً ويتحرك لصلاة

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٢، ٨٢٣).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ، ٢/٦٦، ١٥/٢٦٣.

(٣) استوفز: جلس على هيئة كأنه يريد القيام. واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٦.

أوغيرها؛ لأن عورته تبدو، إلا إذا كان عليه ثوب يستر عورته فيجوز. وهذا بناء على أن الاحتباء قد يكون باليدين فقط، وهو المعتمد)[١].

قال ابن عثيمين: "أما القعود فإن جميع القعود لا بأس بها، فلا بأس أن يقعد الإنسان متربعاً، ولا بأس أن يجلس وهو محتبي القرفصاء، يعني يضم فخذيه وساقيه، ويجعل يديه مضمومتين على الساقين، هذا أيضاً لا بأس به، لأن النبي ﷺ قعد هذه القعدة"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ رأس المتواضعين، وهذا واضح من حديث قيلة: فلما رأيتُ رسول الله المُتَخَشّعَ في الجِلْسة أُرعدتُ من الفَرَقِ، قال المزى: (والمُتَخَشّعُ: المُتَواضع، كأنها حينَ ظَنّت أنّ رسول الله ﷺ إنما يُعرف بلباسه أو مجلسه، ثم رأته غير مُتَميّز من أصحابه زادت هيبته عندها، فأُرْعِدت)[٣].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: المتخشع يجوز أن يكون نعتاً لرسول الله ﷺ وأن يكون مفعولاً ثانياً، ويكون التقدير الرجل المتخشع. وقال البيضاوي: المتخشع صفة رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يجعل ثاني مفعولي "رأيت"، لأنه ههنا بمعنى أبصرت. ولقد سلك التوربشتي مسلك التجريد، جرد من ذاته الزكية الرجل المتخشع، وجعله شخصاً آخر، وهو مبالغة لكمال التخشع فيه، وإلقاء رداء الهيبة عليه، ومن ثم قالت "أرعدت من الفرق")[٤].

وقال ابن مفلح: (قال ابن الجوزى: وهذه الجلسة تحكيها قيلة في حديثها: إني رأيت رسول الله ﷺ جالساً جلسة المتخشع والقرفصاء، وكان أحمد يحتبي في جلوسه هذه الجلسة، وهي أولى الجلسات بالخشوع. والقرفصاء، أن يجلس الرجل على إليته رافعاً ركبتيه إلى صدره بأخمص قدميه إلى الأرض، وربما احتبى بيده، ولا جلسة أخشع منها

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١١٢٢

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٧/٥٧٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩/٥٠.

انتهى كلامه ... وقال في النهاية[1]، عن قولها: فإذا رسول الله جالس القرفصاء، قال: هي جلسة المحتبي بيديه)[2].

وقال ابن القيم عن هديه ﷺ في جلوسه واتكائه ما يدل على تواضعه ﷺ قال: (كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قَيْلة بنت مخرمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيتُ رسول الله ﷺ كالمتخشّع في الجلسة، أُرعدت من الفرق. ولما قدم عليه عديُّ بن حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض. قال عدي: فعرفت أنه ليس بملك. وكان يستلقي أحياناً، وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه. وكان إذا احتاج في خروجه، توكأ على بعض أصحابه من الضعف)[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم عن جلسات النبي ﷺ، وهي التربع والاحتباء[4]، والقرفصاء، وكان هذا وصفاً لبعض أحوال النبي ﷺ، ونقلها إلى المدعوين، لكي تكون أمام أعينهم ويدركوها بأفهامهم، ويمتثلوها في حياتهم، وكان هذا الإخبار لبيان جواز هذه الهيئات من الجلوس، لكي يكون المدعوون في سعة من أمرهم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٤٥

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، ٣٩١/٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٧٠/١.

(٤) قال ابن هبيرة عن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: رايت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء، وهو القرفصاء. قال ابن هبيرة: هذا يدل على قلة لحم رسول الله ﷺ، فإن الرجل السمين لا يمكنه الاحتباء باليدين، ويدل على جواز الجلوس بحيال الكعبة، فإن قوماً كانوا يعظمونها فوق الحدّ المشروع ويقولون: لا نجلس عندها بل نقف. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٥/٤.

الحديث رقم (٨٢٢)

٨٢٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ بفناء الكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بِيَدَيْهِ هكَذا (وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ[1]). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مُحْتَبِياً: قعد ونصب ساقيه وجمعهما إلى صدره بيديه أو بعمامته[3].

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[4].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الرؤية هي أقوى طرق العلم، والراوي يخبر دون أن يؤكد بأي مؤكد ثقةً في عدم المعارضة أنه رأى الرسول ﷺ بفناء الكعبة، وإضافة الفناء للكعبة في قوله: (بفناء الكعبة) إضافة بيان، وتشريف، وقوله (محتبياً) الاحْتبَاء: هو أن يَضُمَّ الإنسان رجْلَيْه إلى بَطْنه بثَوْب يَجْمَعَهُما به مع ظَهْره، ويَشُدُّه عليها. وقد يكون الاحتباء باليَدَيْن، وقوله (بيده) وضع إحداهما على رسغ الأخرى، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وهذه الجلسة من جلسات التواضع، والوقار تدلل على زهد، وتواضع النبي ﷺ؛ لأن المتكبرين من الملوك،

---

(١) هذه الزيادة ليست من الحديث، لعل النووي يشير إلى تبويب البخاري لهذا الحديث، حيث قال: (باب الاحتباء باليد، وهو القرفصاء).

(٢) برقم ٦٢٧٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٦٨.

والأمراء، وذوي الهيئات لا يجلسون إلا جلسات الفخر، والتباهي على العروش، وفي القصور ولكنه اختار- ومن تبعه - ما عند الله.

فقه الحديث

الاحتباء خارج الصلاة مباحٌ إن لم يرافقه محظور شرعي آخر، ككشف العورة مثلاً، والأولى تركه وقت الخطبة وعند انتظار الصلاة، لأنه يكون مهيئًا للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١٥/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٥/٢، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٣)

٨٢٣- وعن قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها، قالت: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رسولَ الله المُتَخَشِّعَ[1] في الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2].

ترجمة الراوي:

قَيْلَة بنت مخرمة: هي قيلة بنت مخرمة العنبرية التميمية. كانت من بني عنبر من قبيلة تميم. خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ فلاقت عناءً وتعباً وشدةً، لكنها واصلت هجرتها، حتى وجدت حُريث بن حسّان البكري وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ فرافقته حتى قدمت المدينة، وأثنت عليه وعلى أخلاقه وعفّته، وكانت من الأوائل.

دخلت المدينة وقت صلاة الصبح، فصلّت مع النبي ﷺ. ولم تكن تعرفه، وظنت أنه يكون متميزاً عن أصحابه في مجلسه ولباسه، فلما وجدته يجلس القُرفصاء تواضعاً غير متميز عن أصحابه -زادت هيبته عندها فأُرْعدت- كما في الحديث المشروح. لكن النبي ﷺ هدأ من روعها وطمأنها. وهو جزء من حديث لها طويل فيه من غريب اللغة وفصيحها الكثير[3]. قال ابن عبدالبر: هو حديث طويل فصيح حسن وقد شرحه أهل العلم بالغريب. وفي هذا الحديث ذكرتْ أن لها ابناً يدعى حِزاماً قاتل مع النبي ﷺ ثم ذهب إلى خيبر من أجل الطعام فمات هناك.

ويتضح من هذا الحديث فصاحتها وقوة حجتها وحسن دفاعها عن حقها، وقد أثنى النبي ﷺ على ذلك منها.

---

(١) هذا لفظ موسى، ولفظ حفص بن عمرو: (المُتَخَتِّشع).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٤٧، والترمذي في الشمائل ١٢٧ ولفظهما سواء. إسناده ضعيف، لجهالة جدَّتي عبد الله بن حسان، وهما: دُحَيبة، وصفيّة ابنتا عُليبة.

(٣) أخرج الحديث بطوله الطبراني ٢٥ رقم ١) وابن مندة كما في الإصابة والمزي في تهذيب الكمال. وقد شرح المزي غريبه فاستوفى. والحديث أخرج بعضه الترمذي ٢٨١٤، وأبو داود وحسنه الألباني.

وفي آخره أن النبي ﷺ كتب لها كتاباً فيه: ((لقيلة والنسوة من بنات قيلة ألا يُظلمن حقاً ولا يُكرهن على مَنْكحٍ، وكل مؤمن ومسلم لهن نصير، أحسنَّ ولا يُسئن))[١].

غريب الألفاظ:

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[٢].

المتخشع: أي الخاشع الخاضع المتواضع[٣].

أُرعدتُ: ارتعشتُ واضطربتُ من هيبته[٤].

الفرق: الخوف والفزع، والمعنى: هبته مع خضوعه وخشوعه[٥].

الشرح الأدبي

ورد المعنى في ثوب القصة التي تحكي واقعة شخصية حدثت مع إحدى الصحابيات الجليلات، وهي رؤيتها للنبي ﷺ على الهيئة الواردة في الحديث، وقد ساقت المعنى في صورة خبرية لا تتوقع لها معارضاً؛ لأنها حدث خاص بها، وتجربة مرَّت عليها وصفت فيها خلجات نفسها عند رؤية الرسول ﷺ، وقولها: (وهو قاعد) جملة حالية،

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣١٢/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٣٨/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٦٧/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٨٦/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٦٤٠/٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ق)، وعون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

والضمير (هو) للتوكيد، وإضافة القعود للقرفصاء إضافة بيانية، والقرفصاء: أَنْ يَجلِس عَلَى أَلْيَتَيْهِ وَيُلْصِق فَخِذَيْهِ بِبَطْنِهِ وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ أَوْ يَجْلِس عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُنْكَبًا وَيُلْصِق بَطْنه بِفَخِذَيْهِ وَيَتَأَبَّط كَفَّيْهِ، وقولها: (فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) يوحي بالمفاجأة، وكأنها لم تتبين من الرؤية الأولى شخصه ﷺ فلما تبينته أخذتها رعدة من هيبته، وإجلاله، وقولها: (المتخشع) أَيْ الْخَاشِع الْخَاضِع الْمُتَوَاضِع وقولها (أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) كناية عن الهيبة، والإجلال من رؤية النبي ﷺ وهي تدل على شدة توقير الصحابة - ﷺ - للرسول ﷺ رجالاً ونساءً، والحديث يكشف جانباً من جوانب حياته التي تشير إلى أنه لم يتميز عن غيره في قعوده، وقيامه بشيء يدل على افتخار، ولا كِبْر - مع أنه خير من جلس على ظهرها -.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢١، ٨٢٢).

الحديث رقم (٨٢٤)

٨٢٤- وعن الشَّريدِ بن سُوَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدي، فَقَالَ: ((أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

الشَرِيد بن سُوَيْد الثقفي: هو الشريد بن سُوَيد الثقفي، وقيل الشريد اسمه مالك بن قُسْحُم بن جُذَام بن الصَّدِف، قتل قتيلاً من قومه فلحق بمكة، فحالف بني حطيط بن جُشم بن ثقيف، ثم وفد إلى النبي ﷺ فأسلم، فسماه النبي ﷺ وقيل سُمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقته الثقفيين، قيل إنهم تعاقدوا معه ألا يغدر بهم حتى يعلمهم، فنزلوا منزلاً، فجعل يحفر بنصل سيفه، قالوا: ما هذا؟ قال: احفروا قبوركم، فلم يفهموها، وأكلوا وشربوا وناموا، فقتلهم، فلم ينج أحدٌ إلا الشريد، فلذلك سُمِّي الشريد.

يقال: إنه من حضرموت، لكن عداده في ثقيف؛ لأنهم أخواله، وتزوج منهم، سكن الطائف، والمدينة، وحديثه في أهل الحجاز، وهو من أصحاب الرواية، روى له البخاري في الأدب، والترمذي في الشمائل، والباقون.

وكان ممن بايعوا رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان، وكان النبي ﷺ يكرمه ويقربه إليه، فكان النبي ﷺ يردفه وراءه، وكان ﷺ يسمع لروايته من الشعر، فعن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية بن الصلت، فأنشدته، فكلما أنشدته بيتاً قال هِيْ -وفي رواية (إيه)، وفي رواية أخرى (هيه)- حتى أنشدته مائة قافية، فقال: إن كان ليسلم))[2] [3].

---

(١) برقم ٤٨٤٨. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٥٦٧٤، وقال الحاكم ٢٦٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٦/٣٢ رقم ١٩٤٥٧، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٦٢٩/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٨٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٨٢/٣، ٣٨٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٢، والسندي ٤٦٤/٢٩.

غريب الألفاظ:

أَلْيَة يدي: اللحمة التي في أصل الإبهام[1].

الشرح الأدبي

قول الصحابي رضي الله عنه: (مَرَّ بي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جَالِس) تقديم الجار المجرور (بي) على الفاعل فيه تخصيص، أكده قوله: (وأنا جالس) وهي جملة حالية، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبِّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وقد فسره بقوله (وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي) والتعبير بالفعل الماضي يحقق الفعل ويقرره، وقول الرسول ﷺ (أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟) استفهام إنكاري يحمل معنى اللوم، والتوبيخ، يدل على ذلك توكيد الفعل بالمصدر (أتقعد قعدة)، وإضافة القعدة للمغضوب عليهم، والمقصود من التعريف بالإضافة هنا الذم، ويُرَاد بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الْكُفَّار، وَالْفُجَّار الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ مِمَّنْ تَظْهَر آثَار الْعُجْب، وَالْكِبْر عَلَيْهِمْ مِنْ قُعُودهمْ، وَمَشْيهمْ وَنَحْوهمَا.

فقه الحديث

قال ابن عثيمين بما معناه: (يكره من هيئات الجلوس هيئة مَنْ جعل يده اليسرى مِنْ خلف ظهره، وجعل بطن الكفّ على الأرض ويتكئ عليها، وذلك لأن هذه الهيئة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم. أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٢ النقل بالمعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهى.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء:

إن الداعية يعيش مع المدعوين، يتفقدهم ويطلع على ما تيسير من أحوالهم، وهو ناصح أمين لهم، يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر، وقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه ﵃ كما قال الشريد بن سويد ﵁: "مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس قد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت ... الحديث.

فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فالله سبحانه وتعالى يقول عنه ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو ذر ﵁ قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله، وقال: ياجنيدب، إنما هذه ضجعة أهل النار[2].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ[3].

ولا شك أن تفقد الداعية لأحوال المدعوين، يدل على تواضعه وحبه لهم وشفقته عليهم، وكل هذا يساهم في قربه منهم ومن ثم طاعتهم له، وبالتالي يسهل عليه أن يوجههم إلى ما فيه نفعهم ويحذرهم مما فيه ضرهم، كما يمكّنه من تصحيح الأخطاء

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

أولاً بأول، وعلاجها عند أول حدوثها، وكل هذا يعجل بالقضاء واختفائها بين المدعوين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين:

إن من أبغض الناس إلى الخالق والخلق المتكبرين والمتجبرين، لذا كان المسلم أبعد ما يكون عنهم وعن التشبه بهم، فلا يفعل أفعالهم، بل يبتعد عنها وينهى غيره عن إتيانها، وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ للشريد بن سويد لما رآه بهذه الهيئة من الجلوس - قال له: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟". قال ابن عثيمين: (ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، فإن هذه القعدة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم)[1].

قال الطيبي: (والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود)[2].

وقد صح عن النبي ﷺ قوله: (إن المغضوب عليهم اليهود. وإن الضالين النصارى)[3].

لكن القاريّ استدرك على الطيبي قوله، فقال: (في كونهم هم المراد من المغضوب عليهم، ههنا محل بحث. وتتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم، والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أعم من الكفار والفجار المتكبرين المتجبرين، ممن تظهر آثار العجب والكبر عليهم من قعودهم ومشيهم ونحوهما، نعم ورد في حديث صحيح أن المغضوب عليهم في سورة الفاتحة هم اليهود")[4].

وما يؤيد ما ذهب إليه القاري، أن ابن حبان أخرج هذا الحديث في باب التواضع والكبر والعجب من كتاب الحظر والإباحة[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٢/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٥/٩.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، وابن حبان ٦٢٤٦، ٧٢٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٥٦٧٤.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهي:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟"، فصلوات الله وتسليماته عليه لم يكن يسأل الشريد ولا يستفهمه، وإنما أراد ﷺ نهيه والإنكار عليه فاستخدم الاستفهام، ولذلك امتثل الصحابي، فعند ابن حبان ما يشعر بالامتثال: قال ابن جريج: "أحد رواة الحديث": "وضع راحتيه على الأرض وراء ظهره"[1]. قال ابن عثيمين: (أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[2].

وقال الطيبي: (وفي التخصيص بالذكر "أى المغضوب عليهم" فائدتان: إحداهما: أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى، وأن المسلم ممن أنعم الله عليه، فينبغي أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه ولعنه)[3].

---

(١) صحيح ابن حبان، ٥٦٧٤، هذا ما فهمته من قول ابن جريج، ويحتمل أن ابن جريح يصف قعدة الصحابي التي نهاه النبي ﷺ عنها، وإن كان في هذا بعد، فالله أعلم.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٢٢/٢.

(٣) شرح الطيبي، ٥٥/٩، وهكذا ذكر المؤلف إحدى الفائدتين، ولم يذكر الأخرى في المطبوع بين أيدينا. ويحتمل أن تكون الفائدة الأخرى متضمنة في الفائدة الأولى، فالله أعلم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

صور النوم المنهي عنها واضحة في السنة، وهي كل نومة تثير شبهة أو تحرك شهوة، وما عدا ذلك فهو من المباح وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية أبرزها ما يلي:

أولاً- إعطاء الجسد حظه من الراحة والاسترخاء:

في أحاديث الباب ما يدل على التربية الجسدية، ومنها إعطاء الجسد حظه من الراحة والاستجمام والاسترخاء وهيئات النوم والقعود التي تريحه ما دام الإنسان يجتنب الهيئات المنهي عنها كالنوم على البطن، والجانب الأيسر، والجلسة التي تشبه اليهود في جلوسهم، مع أخذ الحذر والاحتياط في الحفاظ على العورة من الظهور والتكشف.

لقد وردت في أحاديث الباب عدة هيئات لجلوس النبي ﷺ والتي منها "تربع في مجلسه"، "محتبياً بيده"، "مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، "وهو قاعد القرفصاء".

إن الاهتمام بالجسد وإعطائه حظه في حدود القصد والاعتدال أمر مطلوب لتجديد نشاطه وحيويته وقوته، "فكلما كان الجسم قوياً نشيطاً كان الإنسان أكثر قابلية وقدرة على العمل وأداء الواجبات خاصة إذا وافق ذلك همة عالية تدفعه إلى الكسب المعيشي وليقوم بما هو مكلف به من النفقة على نفسه وعلى مَنْ تجب عليه نفقتهم كالأهل والأبناء ولا يكون عالة على الناس، وليعف نفسه عن المسألة.

إن نشاط الجسم وحيويته ينعكس انعكاساً إيجابياً على نفسية الإنسان فيشعر بالراحة النفسية ويذهب عنه الملل والكآبة، فيكون أكثر قابلية واستعدادًا لأداء واجباته"[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٠-٢٠٣.

ثانياً- الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض:

إن مما ينبغي الاهتمام به في التربية الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض التي هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل [1] والقُرَب.

ولقد كان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في ذلك، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من بيان تنفله ﷺ بعد الفرائض "كان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء" أي يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس بيضاء نقية"[2].

إن على المربين أن يربوا المتربين على التنافس في القُرَب والخيرات، يكونون "في زيادة دائمة، يرفضون حتى البقاء على مستوى واحد من العبادة، يكونون دائماً في زيادة وارتقاء، زيادة في قراءة القرآن، وفي نوافل الصلاة، وفي الصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعمال البر، وكل ما يقرب من الجنة ويباعد عن النار[3].

ثالثًا- أسلوب الممارسة العملية:

من أهم أساليب التربية أسلوب الممارسة العملية، وهذا له أكبر الأثر في إيصال المعلومة وحفظها وتطبيقها تطبيقاً عملياً، وذلك ما نلاحظه في جلوس ابن عمر رضي الله عنهما على هيئة إحدى جلسات النبي ﷺ، فعنه أنه قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ بفناء الكعبة مُحتبياً بيدَيه هكذا» ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء.

وهكذا تعلمنا النصوص أن نتعلم ونمارس ما نتعلم "وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، فينبغي على المعلم والمربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم، إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[4].

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧١.

(٣) نظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٦٣، ٦٤.

(٤) انظر: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ط/١، دار عالم الكتب، القاهرة: ١٩٧٧م، ص٦٠.

إن استخدام الأسلوب العملي في التربية والتعليم من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[1].

إضافة إلى أن استخدام الإنسان لحواسه وتدريبها عملياً يكسبه معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل المتربي بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة[2].

رابعاً- التوجيه المباشر:

ورد ذلك في توجيه النبي ﷺ للشريد بن سويد ونهيه له عن التشبه باليهود في قعدتهم فعنه أنه قال: « مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِيَ، فَقَالَ: أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ». وفي ذلك النهي عن التشبه باليهود حتى في طريقة جلوسهم واتكائهم.

وقد استخدم النبي ﷺ في ذلك التربية عن طريقة التوجيه المباشر، "والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وكذلك عندما يرى خطأ ما فيأمر بتصحيحه.

إن التوجيه المباشر من أهم أساليب التربية وأنفعها، فمن خلاله يحاول المربي تصحيح الأخطاء والحث على صالح الأعمال، وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال واستثمار قدراته بجوانب الخير وجعل ذلك عادة مستديمة له [3].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٣-٢٨٨.

خامساً- دور المرأة في التعليم والتربية والتنشئة:

لقد أفصح لنا أحد أحاديث الباب عن دور المرأة في نقل سنة رسول الله ﷺ، حيث نقلت لنا قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها هيئة لرسول الله ﷺ فعنها: «أَنَّهَا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ». وذلك يدخل تحت السنة الفعلية لرسول الله ﷺ.

وذلك مما يلفت الأنظار إلى أهمية اضطلاع المرأة، وقيامها بمسئوليتها في العملية التعليمية والتربوية، فليس من الإسلام، وليس من المقبول أن تُلقِى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمنهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم[1].



(١) انظر: الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، د. محمد عبدالمحسن التويجري، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٢٥.

١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس

الحديث رقم (٨٢٥)

٨٢٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لا يُقِيمَنَّ أحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ**[١]، **وَلكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا**[٢])) وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

كلام الراوي خبري؛لأنه كلام يُقَابل به خالي الذهن، وحديث الرسول ﷺ بدأ بأسلوب إنشائي بأسلوب النهي (لا يقيمن أحدكم رجلاً) رعاية لحال المؤمنين، وحرصاً على سلامة صدورهم، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي حكم النهي صفة العموم، وتنكير كلمة رجل يفيد العموم أي رجل، كما أن في التعميم ستراً على المذنب، وهو من كمال أدبه ﷺ، وقوله (من مَجْلِسِهِ) إضافة المجلس للضمير العائد على النكرة يفيد اختصاصه به، وقوله: (ثم يجلس فيه) الفعل المضارع يستحضر صورة فيها إهانة، واحتقار لإنسان، وتَكبُّرٌ من آخر، وهو يجلس بعد قيام أخيه، وحرف العطف ثم يشير إلى طول الألم النفسي الذي لحق من أُقيمَ من مجلسه، وإن قصرت فترة التبديل في الزمن لكنها لثقلها على نفسه صارت أمداً، وكم من لحظة ألم في حياة الإنسان تساوي سنين بعمق أثرها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٧/٢٧ بلفظ: (الرجل) بدل: (رجلاً).

(٢) لفظ البخاري برقم ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٣.

تنبيه: هذا الحديث كما بينا من عدة ألفاظ عند البخاري ومسلم، ولم يرويا بهذا اللفظ في موضع واحد.

وقد وضع الرسول ﷺ الحل عن طريق الاستدراك ثم الأمر (توسعوا، وتفسحوا) واتصال الفعلين بواو الجماعة مع تاء الافتعال، وتشديد السين يؤكد تكليف الجالسين كلهم بالتضام، والتداخل حتى يسع بعضهم بعضاً عوضاً عمّا نهاهم عنه (وَالْحِكْمَة فِي هَذَا النَّهْي مَنْع اِسْتِنْقَاص حَقّ الْمُسْلِم الْمُقْتَضِي لِلضَّغَائِنِ، وَالْحَثّ عَلَى التَّوَاضُع الْمُقْتَضِي لِلْمُوَدَّةِ، وَأَيْضًا فَالنَّاس فِي الْمُبَاح كُلّهمْ سَوَاء، فَمَنْ سَبَقَ إِلَى شَيْء اِسْتَحَقَّهُ، وَمَنْ اِسْتَحَقَّ شَيْئًا فَأَخَذَ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقّ فَهُوَ غَصْب وَالْغَصْب حَرَام، فَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُون بَعْض ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الْكَرَاهَة، وَبَعْضه عَلَى سَبِيل التَّحْرِيم، قَالَ: فَأَمَّا قَوْله " تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا " فَمَعْنَى الْأَوَّل أَنْ يَتَوَسَّعُوا فِيمَا بَيْنهمْ وَمَعْنَى الثَّانِي أَنْ يَنْضَمّ بَعْضهمْ إِلَى بَعْض حَتَّى يَفْضُل مِنْ الْجَمْع مَجْلِس لِلدَّاخِلِ)(١).

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث(٢) الشريفة إلى مدى أحقية الإنسان بالمكان الذي كان جالساً فيه وتركه ثم رجع إليه مرة أخرى. ويشهد لذلك في الفقه الإسلامي باب أحكام الطريق.

وتفصيل ذلك: يجوز للإنسان الجلوس في الطريق العام ولو في وسطه من أجل الاستراحة أو المعاملة [بالبيع والشراء] ما لم يؤد ذلك إلى التضييق على المارة؛ فإن أدى إلى التضييق عليهم فلا يجوز، ولا يشترط للجلوس في الطريق إذن الإمام لإطباق الناس على ذلك(٣).

وإذا ترك الجالس مكانه - أي موضع جلوسه- وانتقل إلى مكان غيره، بطل

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث: (٥٧٩٩).

(٢) أي: أحاديث الباب.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١٤٢/٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٣٦٨/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٩/٢ للشربيني الخطيب، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٧٧/٥.

حقه في المكان الذي تركه، ويحق لغيره أن يجلس مكانه لأن يده قد زالت. أما إذا قام منه وهو يريد الرجوع إليه، بأن ترك متاعه فيه لم يبطل حقه، ولا يجوز لغيره أن يجلس مكانه، لأن الأول ما زالت يده عليه[1].

وإن استبقا اثنان إلى نفس المكان، أقرع الحاكم بينهما لعدم الأفضلية، وقيل يقدم الإمام أحدهما برأيه[2].

وإذا فارق الجالس مكانه بالليل، فليس لغيره مزاحمته في اليوم الثاني، وكذا في الأسواق التي تقام مرة كل أسبوع أو شهر، إذا اتخذ مقعداً كان أحق به في النوبة الثانية. وإذا أراد غير الجالس أن يجلس في نفس المكان مدة غيبته إلى أن يعود، جاز إذا كان لغير المعاملة، وكذلك المعاملة في الأصح، والجالس في المكان للاستراحة يبطل حقه فيه إذا فارقه.

أما فيما يتعلق بالجلوس في المسجد، فإن من ألف مكاناً في المسجد يفتي فيه أو يقرأ القرآن فيه، فهو كالجالس في الطريق من أجل المعاملة. والظاهر أن مجلس الفقيه يفيد الاختصاص، وإذا جلس المصلي في المسجد لصلاة لم يصر أحق بالمكان في صلاة غيرها؛ لأن لزوم بقعة معينة للصلاة غير مطلوب، وبقاع المسجد تختلف.

ولو فارق الجالس للصلاة مكانه قبل الصلاة لحاجة، كإجابة داع ورعاف وغير ذلك، وأراد الرجوع بعد الفراغ من حاجته، لم يبطل حقه في المكان الذي كان جالساً فيه وإن لم يترك مكانه شيئًا كالإزار أو السجادة، وقيل يبطل حقه في ذلك المكان. هذا إذا لم تقم الصلاة في غيبته، أما لو أقيمت الصلاة واتصلت الصفوف، بطل حقه في ذلك المكان وسد الصف مكانه[3].

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/ ٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/ ٥٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ٤/ ١٩٦، .

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/ ٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/ ٥٧٧.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/ ٣٧٠، ٣٧١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهى والأمر:

أما النهى فقول النبي ﷺ: "لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِس مَكَانَه". وجاء النهى أسلوباً مباشراً لطلب الترك وعدم الفعل، وقد أكد بنون التوكيد في آخره، ليدل على شدة هذا النهى لما في فعل ضده (وهو إقامة الغير للجلوس مكانه) من تكبر وعدم تواضع. ولما كان النهى منعاً للفعل، جاء الأمر ليبين الفعل المشروع، وهو "توسعوا وتفسحوا".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس:

جاء الإسلام لنشر الود والتآلف بين الناس، وحرص على ترسيخ كل ما يؤدي إلى هذه الغاية، فحضّ على نشر السلام، وعلى البشر عند اللقاء، ونحو ذلك، كما نهى عن كل ما يعيق تحقيق هذه الغاية، فمنع الغيبة والنميمة والأذى، ولذا نهى النبي ﷺ عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه، لما يؤدي ذلك إلى تباغض وقطيعة وعداوة، لأن هذا حقه، قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: هذا اللفظ عام في المجالس ولكنه مخصص بالمجالس المباحة، إما على العموم كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص كمن يدعو قوماً بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها. وأما المجالس التي ليس للشخص فيها ملك ولا إذن له فيها، فإنه يقام ويخرج منها.

ثم هو في المجالس العامة، وليس عاماً في الناس، بل هو خاص بغير المجانين ومن يحصل منه الأذى كآكل الثوم النيء إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم، قال: والحكمة في هذا النهى منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن والحث على التواضع المقتضي للموادة، وأيضا فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق

إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئا فأُخذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام)[1].

وقال أبو العباس القرطبي: (نهيه ﷺ عن أن يقام الرجل من مجلسه، إنما كان ذلك لأجل أن السابق لمجلس قد اختص به، إلى أن يقوم باختياره عند فراغ غرضه، فكأنه قد ملك منفعة ما اختص به من ذلك، فلا يجوز أن يحال بينه وبين ما يملكه، وعلى هذا فيكون النهي على ظاهره على التحريم، وقيل: هو على الكراهة. والأوّل أولى، ويستوي في هذا المعنى أن يجلس فيه بعد إقامته أو لا يجلس، غير أن هذا الحديث خرج على أغلب ما يفعل من ذلك، فإن الإنسان في الغالب إنما يقيم الآخر من مجلسه ليجلس فيه)[2].

ولعل من قبيل احترام الناس وتقديرهم قوله ﷺ: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه))[3].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا)[4].
وقال أبو العباس القرطبي: (قوله: "فإن ذلك يحزنه" أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك: بأن يقدِّر في نفسه: أن الحديث عنه بما يكره، أو أنَّهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان، وأحاديث النفس. وحصل ذلك كلُّه من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا: يستوي في ذلك كلُّ الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحدٍ، ولا عشرة، ولا ألفٌ مثلاً؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن، وأوقع، فيكون بالمنع أولى. وإنما خصَّ الثلاثة بالذكر لأنه أوَّل عدد يتأتى فيه ذلك المعنى. وظاهرُ هذا الحديث يعمُّ جميع الأزمان والأحوال.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥/١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٩/٥-٥١٠، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١١٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٦/١١.

وإليه ذهب ابنُ عمر، ومالكٌ، والجمهور. وقد ذهب بعضُ الناس: إلى أن ذلك كان في أول الإسلام؛ لأن ذلك كان حال المنافقين، فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام؛ سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاصٌّ بالسفر، وفي المواضع التي لا يأمن الرجلُ فيها صاحبه؛ فأما في الحضر، وبين العمارة: فلا.

قلتُ: وكلُّ ذلك تحكُّمٌ، وتخصيصٌ لا دليلَ عليه. والصحيح: ما صار إليه الجمهور. والله تعالى أعلم)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

إذا كان الإسلام نهى عن إقامة الرجل من مجلسه لما في ذلك من أذى يلحق به، فإنه أمر بالتفسح في المجلس والتوسع فيه، لما في ذلك من إكرام من أتى المجلس ولم يجد مكاناً، وذلك لأن عدم التفسح يؤذيه، لذا قال النبي ﷺ: "ولكن توسعوا وتفسحوا".

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم))[3]، وقال ابن حجر: (أي وسعوا يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة")[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٢٥.

(٢) سورة المجادلة، آية : ١١.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٥٢٣ رقم ١٠٧٧٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٦/٤٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٥.

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ولكن تفسَّحوا، وتوسَّعوا" هذا أمرٌ للجلوس بما يفعلون مع الداخل، وذلك: أنه لما نُهي عن أن يقيم أحداً من موضعه تعيَّنَ على الجلوس أن يوسعوا له، ولا يتركوه قائماً، فإن ذلك يؤذيه، وربما يُخجله. وعلى هذا: فمن وجد من الجلوس سعة تعين عليه أن يوسع له. وظاهرُ ذلك أنه على الوجوب تمسُّكاً بظاهر الأمر، وكأن القائم يتأذى بذلك، وهو مسلم، وأذى المسلم حرامٌ. ويُحتمل أن يقال: إن هذه آدابٌ حسنةٌ، ومن مكارم الأخلاق، فتُحمل على الندب. وقد اختلف العلماء في قوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]. فقيل: هو مجلس النبي ﷺ كانوا يزدحمون فيه تنافساً في القرب من النبي ﷺ. وقيل: هو مجلس الصف في القتال. وقيل: هو عامٌ في كل مجلسٍ اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، وهذا هو الأولى؛ إذ المجلس للجنس على ما أصَّلناه في الأصول)[2].

قال القاسمي عن الآية: (تعليم منه تعالى للمؤمنين بالإحسان في أدب المجالس، وذلك بأن يفسح المرء لأخيه ويتنحى توسعة له. قال الشهاب: وارتباطه بما قبله ظاهر، لأنه لما نهى عن التناجي والسرار، علم منه الجلوس مع الملأ فذكر آدابه ورتب على امتثالهم فسحة لهم فيما يريدون التفسح من المكان والرزق والصدر)[3].

وقال ابن كثير: (وذلك أن الجزاء من جنس العمل" كما جاء في الحديث الصحيح: من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة)[4]... ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾. قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض)[5]. وقال العز بن عبدالسلام: (التفسح في المجالس إكرام لأهل الإسلام)[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١٠-٥١١.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٨/١٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥/٨

(٦) شجرة المعارف والأحوال ٢٠٠.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية:

جاء الإسلام دعوة عامة للإصلاح، فجاء لإصلاح النفوس والأبدان والمجتمعات، لذا حضّ على التمسك بالآداب الاجتماعية الصحيحة، من ذلك آداب المجلس، كما هو واضح في الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1].

قال القاسمي: ("وإذا قيل انشزوا": أي انهضوا للتوسعة أو ارتفعوا في المساجد أو انهضوا عن مجلس الرسول إذا أمرتم بالنهوض عنه، ولا تملوه بالارتكاز فيه "فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، أي يرفع المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين بها الجارين على موجبها بمقتضى علمهم، درجات دنيوية وأخروية. قال الناصر: لما علم أن أهل العلم، بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس، ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء، ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس تواضعاً لله تعالى، انتهى. وهذا - كما قال الشهاب- من مغيبات القرآن، لما ظهر من هؤلاء في سائر الأعصار من التنافس في رفعة المجالس ومحبة التصدير")[2].

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه، قال النووي: (فهذا ورع منه، وليس قعوده فيه حراماً إذا قام برضاه، لكنه تورع عنه لوجهين: أحدهما أنه ربما استحى منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيب قلبه، فسد ابن عمر الباب ليسلم من هذا. والثاني أن الإيثار بالقرب مكروه أو خلاف الأولى. فكان ابن عمر يمتنع من ذلك لئلا يرتكب أحد بسببه مكروهاً أو خلاف الأولى، بأن يتأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثره به، وشبه ذلك، قال أصحابنا: وإنما يحمد الإيثار

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٩/١٦.

بحظوظ النفوس وأمور الدنيا دون القرب)[١].

وقال ابن عثيمين: (ولهذا تجد الشريعة بينت مسائل الدين المهمة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وما كان دون ذلك من آداب النوم والأكل والشرب والمجالس)[٢].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٣.

الحديث رقم (٨٢٦)

٨٢٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ[1]، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث متصل بمعنى سابقه، ومؤكد له وقد صدر المعنى في صورة خبرية غرضها إفادة الحكم نفسه، وقد أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، صرفاً للمخاطبين إلى العناية بالخبر، وقد جاء المعنى النبوي في صورة الشرط التي تقرر أحقية صاحب المكان بمكانه إذا عاد إليه بعد أن قام عنه، وقوله: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) استخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (مجلس) للتعميم، وحرف العطف ثم يشير إلى فترة زمنية قبل الرجوع، وقوله (فهو أحق به) الفاء في جواب الشرط ؛لأنه جملة اسمية، وهي تدل على ثبوت حقه في مكانه، ودوامه حتى يعود إليه، والضمير (هو) يفيد التخصيص.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين.

---

(١) لفظ مسلم: (مجلسه).

(٢) برقم ٢١٧٩/٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٦.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الشرط لبيان حق من قام من مكانه ثم رجع إليه بأن يجلس في مكانه السابق، ومن ثم لا يزاحمه أحد ولا ينازعه فيه. فجاء أسلوب الشرط دعوة للمدعوين بأن يسلموا له بحقه في مكانه، وأن يقبلوا ذلك بنفسٍ راضية، ومن الملاحظ أن الحديث له روايتان فيهما أداتا شرط، فالحديث في صحيح مسلم ((إِذَا قَامَ -وفي رواية: مَنْ قَامَ- أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ))[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه:

جاء الإسلام لينظم علاقة المدعو بأهله وبمجتمعه وبعالمه، لذا وضع الإسلام من الآداب ما يكفل ان تكون علاقة المدعو بمجتمعه علاقة قائمة على الود والمحبة والتقدير والعدل، والإنصاف وعدم الاعتداء. ومن تلك الآداب أن من قام من مجلس ثم عاد إليه، فمن حقه أن يجلس فيه، كما بيّن الحديث الشريف.

قال أبوالعباس القرطبي: (هذا الحديث يدل على صحةالقول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه إلى أن يقوم منه، لأنه إذا كان أولى به بعد قيامه؛ فقبله أحرى وأولى. وذهب آخرون: إلى أن ذلك على الندب؛ لأنه موضعٌ غيرُ متملك لأحدٍ، لا قبل الجلوس، ولا بعده، وهذا فيه نظر؛ وهو أن يقال: سلمنا أنه غير متملك له لكنه يختص به إلى أن يفرغ غرضه منه، فصار كأنه يملك منفعته إذ قد مُنع غيره من أن يزاحمه عليه. وحمله مالك على الندب إذا كانت رجعته قريبة. قال: وإن بَعُدَ ذلك حتى يذهب ويبعد فلا أرى ذلك، وأنه من محاسن الأخلاق.

وعلى هذا فيكون هذا عاماً في كل المجالس، وقال محمد بن مسلمة: الحديث محمول على مجلس العلم هو أولى به إذا قام لحاجة، فإذا قام تاركاً له؛ فليس هو بأولى. وقد اختلف العلماء فيمن ترتب من العلماء، والقراء بموضع من المسجد للفتيا، وللتدريس. فحُكي عن مالكٍ: أنه أحقُّ به إذا عُرف به. والذي عليه الجمهور: أن هذا

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٩.

استحسانٌ، وليس بواجبٍ، ولعلَّه مراد مالك، وكذلك قالوا فيمن قعدَ من الباعة في موضع من أفنية الطرق، وأفضية البلاد غير المتملكة فهو أحق به ما دام جالساً فيه، فإن قام منه، ونيته الرجوع إليه من غده؛ فقيل: هو أحقُّ به حتى يتم غرضه، حكاه الماوردي عن مالكٍ؛ قطعاً للتنازع، وقيل: هو وغيره سواءٌ، والسابق إليه بعد ذلك أحق به)(١).

وقال النووي: (قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً ثم فارقه ليعوده، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلاً يسيراً ثم يعود؛ لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه؛ لهذا الحديث. هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول. قال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالكٍ، والصواب الأول.

قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سجادة ونحوها أم لا، فهذا أحق به في الحالين، قال أصحابنا: وإنما يكون أحقّ به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم)(٢).

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين:

إن إثبات حق من قام من مجلسه، في أن يعود إليه ويجلس فيه، لمن الدلائل على احترام المدعوين بعضهم بعضاً، وعلى شيوع روح التقدير فيما بينهم، قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على احترام المؤمن، وإن كان مكانه قد تلبس لحُرمة جلوسه فيه، فكان أحق به، فإذا قام ثم عاد كان أحق بمكانه الذي سبق اختياره له، وتوطيده إياه، وهذا يُفهم منه أنه محمولٌ على من قام من مجلسه ففهم الباقون أنه عائد إليه، فيكون في جلوس غيره في مجلسه إشارة إلى أنه قد كان متطلعاً إلى مكانه، وقد

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١١-٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

استراح إلى قيامه فأخذ مكانه.

والذي أرى في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ ذكره موقظاً به فطن الإخوان، للتنبيه إلى مراعاة حسن الأدب في الصحبة، ومجانبة كل ما يتلف وجوه الصفا بينهم حتى في هذا)[1].

وقد قال النبي ﷺ: ((فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))[2].

قال النووي: (قوله ﷺ: وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" هذا من جوامع كلمة ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم الا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[3].

وقال ابن القيم: قال البخاري في صحيحه: قال عمار: ثلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقدْ جَمَعَ الإيمانَ: الإنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، وبَذْلُ السَّلامِ للعالَمِ، والإنفاقُ مِنَ الإقْتارِ[4].

قد تضمنت هذه الكلماتُ أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ولا يحملهم فوق وسعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويُعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يخبثها بتدنيسه لها، وتصغيره إياها، وتحقيرها بمعاصي الله، وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبه وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته ومحابِّه على مراضي الخلق ومحابهم، ... والمقصود أن قول عمار رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٩٤.

(٤) علقه البخاري فوق الحديث ٢٨، وانظر: كلام ابن حجر في روايته موصولاً، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار، كلام جامع لأصول الخير وفروعه.

وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضدُّ هذا، فإنه لا يُردُّ السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد.

وأما الإنفاق من الإقتار، فلا يصدُر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، وسخاء نفس بها، ووثوق بوعد وعده مغفرة منه وفضلاً، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر، ويأمر بالفحشاء، والله المستعان)[1].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤٠٧-٤١٠.

الحديث رقم (٨٢٧)

٨٢٧- وعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا إذَا أتَيْنَا النَّبيَّ ﷺ، جلَسَ أحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

الشرح الأدبي

الحديث في أدب المجلس يبيِّن أدب الصحابة في دخولهم على النبي ﷺ وفي مجلسه، وهو ما يؤكده البناء التركيبي لحديث الصحابي -رضي الله عنه- حيث عبَّر بالفعل الماضي الدال على تحقق الفعل، وثبوته قطعاً، ثم استخدامه لـ (نا) الفاعلين، في الفعلين (كنا، أتينا) وإضافة لفظ أحد لضمير الجماعة دلالة على عمومه، وقوله (حيث ينتهي) فيه إيجاز بالحذف أي: حيث ينتهي به المجلس بمعنى أنه لا يَتَقَدَّمُ عَلَى أَحَدٍ الحاضرين تَأَدُّبًا، وَتَرْكًا لِلتَّكَلُّفِ، وَمُخَالَفَةً لِحَظِّ النَّفْسِ مِنْ طَلَبِ الْعُلُوِّ كَمَا هُوَ شَأْنُ أَرْبَابِ الْجَاهِ، وهو من الآداب التي تراعي الجوانب النفسية بين المسلمين بما يضمن سلامة الصدور، ونقاء القلوب.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٢٥، والترمذي ٢٧٢٥ ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (٨٢٨، ٨٢٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر:

أما الإخبار فقول الصحابي جابر بن سمرة ﷺ: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي"، وفائدة هذا الإخبار أنه إخبار عن فعل في مجلس النبي ﷺ فكان مطلعاً عليه ومقراً له، فكان من سنته ﷺ. فكان ذلك دعوة للمدعوين للامتثال والفعل. ومثال الإخبار قول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم"[1].

وأما القصر فقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه سلمان رضي الله عنه: ((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر... إلا غفر ما بينه وبين الجمعة الأخرى))[2].

وكذلك القصر في قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما". وفي رواية لأبي داود: "لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما"[3].

وفائدة القصر في حديث سلمان رضي الله عنه بيان فضل من فعل ذلك، أما القصر في الحديث الآخر فبيان الجائز من الأفعال.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

نبينا محمد ﷺ هو الرسول والمعلم، عنه يؤخذ الحلال ويعرف الحرام، وبمتابعته والاقتداء به يصل المدعو إلى الفلاح والفوز، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حرصاً على مجالسة النبي ﷺ، يوضح هذا قول الصحابي جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي". فدل هذا على كثرة إتيانهم إلى النبي ﷺ ومجالسته، والإنصات لقوله، والنظر إلى فعله ليفعلوا مثلما يفعل، وسؤاله ﷺ عما يشغلهم ويهمهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومن هذا القبيل قول سماك بن حرب لجابر بن سمرة رضي الله عنه: ((أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَثِيراً. كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوِ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ. فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ))[1].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه حنظلة بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه قال: ((نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين))[2].

وقد كان سبب حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ هو الاقتداء به والعمل على طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لذا فإننا قد نتمثل هذه المجالسة في حياتنا المعاصرة، بأن نحرص على معرفة سنته، والجلوس لتدارسها، والحض على امتثالها وتفعيلها في أرض الواقع، فإن كان فاتنا مجالسة النبي ﷺ والأخذ عنه، فلا يفوتنا مجالسة أقواله وأفعاله وسيرته، حتى يجمعنا الله به في جنته اللهم آمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس، وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما:

لا يكاد يخلو يوم في حياة الناس من أن يضمهم مجلس واحد، لذا حضّ الإسلام على وضع بعض الآداب، التي إذا التزم الناس بها في مجالسهم تحابوا وتآلفوا، وشاع بينهم الاحترام المتبادل، ومن هذه الآداب:

أ- الجلوس حيث ينتهي المجلس، وهذا واضح من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال المباركفوري: (والحاصل أنه لا يتقدم على أحد من حضاره "أى الحاضرين المجلس" تأدباً وتركاً للتكلف، ومخالفة لحظ النفس من طلب العلو، كما هو شأن أرباب الجاه)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٦٣.

(ففي هذا الحديث أدب وتأديب للنفوس وتربية لها، إذ على القادم إلى مجلس أن يجلس حيث ينتهي به المجلس إن شاء وإلا انصرف، ولا ينبغي أن يزاحم غيره فيؤذيه، ولا يجلس وسط الحلقة لما جاء من النهي، ولا يقيم أحداً ليجلس مكانه، ولا يستنكف أن يجلس في أخريات الناس، بل يقصد كسر النفس وتهذيبها، وتعويدها على التواضع ومخالفة الشيطان، فإن ذلك من صفات أولياء الرحمن، فإن الرضا بالدون من شرف المجالس. ويندب إكرام أهل العلم والفضل، والسابقة في الجهاد والإيمان، حباً واحتراماً لا تعظيماً وتفخيماً)[١].

ب- عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما[٢]، كما هو واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ (لأنه قد يكون بينهما محبة ومودة، وجريان سر وأمانة، فيشق عليهما التفرق بجلوسه بينهما)[٣].

قال ابن عثيمين: (وكذلك أيضاً من آداب المجلس ألا يفرق بين اثنين، يعني لا يجلس بينهما فيضيق عليهما... أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق، لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرقا، لكن أن تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما، هذا من الإيذاء)[٤].

كما أن هذا التصرف يوقع في النفوس الضغائن، ويورث الكراهية والحقد، لشعورهما بأن هذا الجالس بينهما بغير إذن إنما هو للاحتقار والإزراء بهما، وعدم احترام خصوصياتهما، وإنَّ أخذ المسلم بهذا التوجيه فيه احترام للمشاعر، وتنظيم للعلاقات، وتقدير للخصوصيات، وهو دليل على الخلق النبيل والسلوك الجميل في التعامل مع الآخرين.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة:

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٠٥/١.

(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٣١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٨٠/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٥/٢-١١٢٦.

يوم الجمعة من أفضل الأيام، وصلاة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى؛ لذا أحاطها الشرع بآداب كثيرة، تبين فضلها ومكانتها، كما يتضح ذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصُه بعبادات يختص بها عن غيره. وقد اختلف العلماء: هل هو أفضلُ، أم يومُ عرفة؟ على قولين: هما وجهان لأصحاب الشافعي)[1].

وخصائص يوم الجمعة كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه "زاد المعاد" فأوصلها إلى ثلاث وثلاثين ومائة[2]، من ذلك قول ابن القيم:

(**الخاصة الثالثة:** صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومِن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظمُ مِن كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضُه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاوناً بها، طبع اللهُ على قلبه، وقُربُ أهل الجنة يومَ القيامة، وسبقُهم إلى الزيارة يومَ المزيد، بحسب قُربهم من الإمام يومَ الجمعة وتبكيرهم.

الخاصة الرابعة: الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمرٌ مؤكد جداً.

وللناس في وجوبه ثلاثةُ أقوال: النفيُ والإثبات، والتفصيلُ بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها، فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه، فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد.

الخاصة الخامسة: التطيب فيه، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع.

الخاصة السادسة: السِّواك فيه، وله مزية على السواك في غيره.

الخاصة السابعة: التبكير للصلاة)[3].

قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغتسَلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الْجنابةِ ثم راحَ فكأنَّما قرَّب بَدَنَةً، وَمَن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قرَّب كَبشاً أَقْرَنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّب دَجاجةً، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قرَّبَ بيضةً. فإذا خرجَ الإِمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكر))[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٥/١.

(٢) المرجع السابق ٣٧٥/١-٤٢٥، وانظر: الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ١٧٠/١-١٨٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧٦/١-٣٧٧

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

قال ابن القيم: (إنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملاً على صلاة وقربان. وكان يوم الجمعة يوم صلاة، جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلاً من القربان وقائماً مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان)[١].

الخاصة الثامنة: أن يشتغل بالصلاة، والذكر، والقراءة حتى يخرج الإمام.

الخاصة التاسعة: الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوباً في أصح القولين، فإن تركه، كان لاغياً، ومن لغا، فلا جمعة له، وفي "المسند مرفوعاً "والذي يقول لصاحبه: أنصِتْ، فَلا جُمُعَةَ لَهُ"[٢]،[٣].

وقال ابن عثيمين: (كذلك من آداب الجمعة: ألا يفرق بين اثنين)[٤].

وقد أخرج البخاري هذا الحديث أيضاً في كتاب الجمعة تحت باب: "لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة"[٥]. وعن أبي الزاهرية، قال: ((كُنَّا مع عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابِ النَّاسِ، فقال عَبْدُ الله بنُ بُسْرٍ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فقال لَهُ النَّبيُّ ﷺ: اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ))[٦].

قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: التفرقة بين اثنين يتناول القعود بينهما أو إخراج أحدهما والقعود مكانه، وقد يطلق على مجرد التخطي، وفي التخطي زيادة رفع رجليه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٩٨/١-٢٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٥١، من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه مطولاً وفيه: "وَمَنْ قالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: صَهْ. فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ" واللفظ لأبي داود، وقد ضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ٢٣٠)، وقد أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١ بلفظ «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٧/١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٦/٢.

(٥) الحديث رقم ٩١٠.

(٦) أخرجه أبو داود ١١١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٨٩).

على رءوسهما أو أكتافهما، وربما تعلق بثيابهما شيء مما برجليه، وقد استثنى من كراهة التخطي ما إذا كان في الصفوف الأول فرجة، فأراد الداخل سدها، فيغتفر له لتقصيرهم)[١].

وليوم الجمعة كثير من الخصائص غير هذا (ومع هذا يتساهل كثير من الناس في حق هذا اليوم، فلا يكون له مزية عندهم على غيره من الأيام، والبعض الآخر يجعل هذا اليوم وقتاً للكسل والنوم، والبعض يضيعه باللهو واللعب والغفلة عن ذكر الله، حتى إنه لينقص عدد المصلين في المساجد في فجر ذلك اليوم نقصاً ملحوظاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله)[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة:

(إن خطبة الجمعة لها أهمية عظيمة في الإسلام، لما تشتمل عليه من تلاوة القرآن وذكر أحاديث الرسول ﷺ وتضمنها التوجيهات النافعة والموعظة الحسنة، والتذكير بأيام الله، فيجب الاهتمام بها من قبل الخطيب ومن قبل المستمعين، فليست خطبة الجمعة مجرد حديث عادي كالأحاديث التي تلقى في النوادي والاحتفالات والاجتماعات العادية)[٣] لذا حرص النبي ﷺ على حض المستمعين على الإنصات للخطبة، فقال: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام". قال ابن القيم عن خصائص يوم الجمعة:

(**الثانية والعشرون:** أن فيه الخطبةَ التي يُقصد بها الثناءُ على الله وتمجيدُه، والشهادةُ له بالوحدانية، ولرسوله ﷺ بالرسالةِ، وتذكيرُ العباد بأيامه، وتحذيرُهم من بأسه ونقمته، ووصيتُهم بما يُقَرِّبُهم إليه، وإلى جِنَانه، ونهيُهم عما يُقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها)[٤].

وقال: (ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/٢.

(٢) الملخص الفقهي ١٧٢/١.

(٣) الملخص الفقهي ١٧٦/١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٩٨/١.

والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تُحببه إلى خلقه، وأيامِه التي تُخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبهم إليه، فيذكرون مِن عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يُحبِّبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يُحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبُّوه وأحبهم، ثم طال العهدُ، وخفي نورُ النبوة، وصارت الشرائعُ والأوامرُ رسوماً تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطَوْها صورها، وزيَّنوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلالُ بها، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصَّعوا الخُطب بالتسجيع والفِقر وعلم البديع، فَنَقَص بل عَدِمَ حظُّ القلوب منها، وفات المقصودُ بها)[1].

وقال ابن القيم كذلك: (وكان ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي)[2].

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن حديث سلمان الفارسي قائم على الترغيب. فقد أخبر النبي ﷺ أن من فعل هذه الآداب يوم الجمعة فقد "غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى"، ومن هذا القبيل حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَة، ثُمَّ لَبِسَ ثِيابَه، وَمَسَّ طيباً إن كان عِنْدَه، ثُمَّ مَشى إلى الجُمُعَة وعَلَيْه السَّكِينَةُ، ولم يَتَخَطَّ أَحَداً، ولم يُؤْذِه، وركَعَ ما قُضِيَ له، ثُمَّ انتظرَ حتَّى يَنْصَرِفَ الإمامُ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ))[3].

والترغيب أسلوب دعوي له ثماره الطيبة "فإن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى، والتوجه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٢٣-٤٢٤.

(٢) السابق ١/٤٢٧.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١٩٨ رقم ٢١٧٢٩، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حرب بن قيس لم يسمع من أبي الدرداء ٣٦/٥٩.

الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وإنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة"[1]، ولذا فإن المسلم عندما يقرأ هذا الحديث أو يسمعه، فإنه يكون شديد الرغبة في فعل هذه الخصال يوم الجمعة، حتى تغفر ذنوبه وتكفر سيئاته، لكن ينبغي التنبيه أن السيئات التي تكفر في هذا العمل هي صغائر الذنوب، أما كبائر الذنوب فلايكفرها إلا التوبة النصوح، وهذا عام بجميع الأعمال الصالحة التي ورد أنها تكفر الذنوب، كصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والحج المبرور وغير ذلك مما أتت به النصوص. وهذا قول جمهور العلماء[2].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٢) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٣٤٩.

الحديث رقم (٨٢٨)

٨٢٨- وعن أَبي عبد الله سَلْمَان الفارسي ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيب بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإمَامُ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٥).

غريب الألفاظ:

يَدَّهِنُ: يَطلي نفسه[2].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطَيَّبُ بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدُّهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه[3].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول سنن الجمعة، ويرغب فيها، وقد جاء في أسلوب خبري في جملة قصر طويلة بالنفي، والاستثناء، وهو طريق يساق به المعنى الذي ينكره المخاطب، أو يجهله، ونلاحظ في الحديث أنه مفعم بالحركة التي تجسِّدها الأفعال، وقد انقسمت هذه الأفعال قسمين: الأول: أفعال مضارعة تصور الاجتهاد، والدأب للترقي من حسن إلى أحسن (يغتسل، يتطهر، يدهن، يمس، يخرج، يفرق، يصلي، ينصت) فالبداية

(١) برقم ٨٨٣. وأورده المنذري في ترغيبه ١٠٢٣. وسيكرره المؤلف برقم ١١٥٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د هـ ن).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمصابح في (د هـ ن).

(٤) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س س).

بالاغتسال الدال على النظافة الظاهرية، ثم التطهر الذي يوحي بالطهارة المعنوية، والظاهرية، ثم الدهن الذي يعطي هيئة حسنة، ثم الطيب لإنعاش الروح، ثم الخروج الذي يعني القصد، والنية، ثم رعاية حال الناس، وعدم التفريق بينهم، ثم الصلاة التي تعني الاتصال بالله ثم الإنصات الذي يعني تمام التهيؤ لتلقي الموعظة.

الثاني: أفعال ماضية تدل على التحقق (استطاع - كُتب - تكلم - غُفر) والفعل الأول يدل على أن المدار في إتيانها على القدر المستطاع دون تكلف، والفعل الثاني يدل على يقينه بأن ما وُفِق إليه من الصالحات من فضل الله الأمر الذي يعود به إلى اليقين بعظمة فضل الله عليه، وهو ما يشي به الفعل الماضي في صيغة ما لم يسم فاعله (كُتب) والفعل الثالث يدل على بلوغ الموعظة حال الصمت الذي هيأه الإنصات، والفعل الرابع غُفر، وهو بمثابة الجائزة التي توجِّه الحركة من بداية الحديث بدافع الرغبة في الحصول عليها، وهو جزاء من جنس العمل لأن من طهر ظاهره بالغسل، والطهارة، والتطيب، وطهر باطنه بالقصد، والتوكل، والصلاة، نقّاه الله من خطاياه.

فقه الحديث

١-ما يستحب لصلاة الجمعة:

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب مع الاغتسال للجمعة أن يتنظف بإزالة أظفار وشعر وما يحتاج إلى إزالته كوسخ ونحوه، وأن يتطيب ويدهن ويتسوك ويلبس أحسن ثيابه، وأفضلها البيض، ويستحب للإمام أكثر مما يستحب لغيره من الزينة وغيرها ... واعلم أن هذا المذكور من استحباب الغسل والطيب، والتنظف بإزالة الشعور المكروهة والظفر والروائح الكريهة ولبس أحسن ثيابه، ليس مختصًا بالجمعة، بل هو مستحب لكل من أراد حضور مجمع من مجامع الناس. نصّ عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب وغيره. قال الشافعي: أحب ذلك كله للجمعة والعيدين وكل مجمع يجتمع فيه الناس. قال: وأنا لذلك في الجمع ونحوها أشد استحبابًا. قال الشافعي والأصحاب: وتستحب هذه الأمور لكل من أراد حضور الجمعة ونحوها، سواء الرجال والصبيان والعبيد، إلا النساء فيكره لمن أرادت منهن الحضور، الطيب والزينة وفاخر

الثياب، ويستحبّ لها قطع الرائحة الكريهة. وإزالة الظفر والشعور المكروهة)[1].

٢-كراهة تخطي الرقاب:

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد كراهة التخطي يوم الجمعة. قال الشافعي: أكره التخطي، إلا لمن لا يجد السبيل إلى المصلّى إلا بذلك أ هـ. وهذا يدخل فيه الإمام، ومن يريد وصل الصف المنقطع إن أبي السابق من ذلك، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذي قام منه لضرورة، واستثنى المتولي من الشافعية من يكون معظمًا لدينه أو علمه، أو ألِفَ مكانًا يجلس فيه، أنه لا كراهة في حقه. وفيه نظر، وكان مالك يقول: لا يكره التخطي إلا إذا كان الإمام على المنبر)[2].

٣-مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة: قال ابن حجر: (وفيه مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة، لقوله: "صلى ما كتب له" ثم قال: "ثم ينصت إذا تكلّم الإمام" فدلّ على تقدم ذلك على الخطبة)[3].

٤-جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة، قال ابن حجر: (فيه جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة)[4].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٨٦-٢٨٧، وانظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٧٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٠٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٥٦٣، وشرح الروض المربع ٢/٤٧٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/٢١٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٧١ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٧٢، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء انظره في: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٩٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١/٤٦-٤٧ ومراجعها التي منها رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٥٥٣، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١/١٤٧-١٤٨، وجواهر الإكليل ١/٩٧، والشرح الكبير ١/٣٨٥، ومنهاج الطالبين ١/٢٨٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٢٣٠-٢٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٧٢ .

(٤) المرجع السابق ٢/٣٧٢ .

٥-قال ابن حجر: (واستدل به على أن التكبير ليس من ابتداء الزوال، **لأن** خروج الإمام يعقب الزوال، فلا يسع وقتًا يتنفل فيه)[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) المرجع السابق ٢/٣٧٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٩)

٨٢٩- وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ انْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية لأبي داود[2]: ((لاَ يُجْلسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الآداب التي تنظم العلاقات الاجتماعية، وتحترم الخصوصية، وتدعم الحرية الشخصية، وقد ساق الراوي حديثه بأسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وقد جاء كلام الرسول ﷺ في أسلوب إنشائي تصدَّره نهي عام في قوله (لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بِإذْنِهِمَا) وتنكير كلمة (رجل) يفيد العموم، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: التفريق، والفعل المضارع يصوِّر فعل التفريق، وانتهاك خصوصية المتحابين، وقطع السر، وغيره مما يوغر الصدور، ويسبب الضيق، ويفسد بين الناس، ولذلك استثنى المأذون له منهما؛ لأنه لا اعتداء ثَمَّ على حريتهما.

فقه الحديث

١-الجلوس بين الاثنين بدون إذنهما:

إذا أراد الشخص أن يجلس بين رجلين فعليه استئذانهما، وذلك لقوله ﷺ: ((لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)).

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

(٢) برقم ٤٨٤٤. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

وعدّ ابن حجر الهيتمي من الشافعية أن التفريق بين الاثنين بدون إذنهما كبيرة، وذلك أخذًا من اللعن المذكور في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو أخذ ظاهره إذا تأذى منه غيره إيذاءً لا يحتمل عرفًا، وعليه يحمل حديث اللعن. وأما القول بالكراهة فإنه يحمل على ما إذا خفّ الإيذاء.

والحكمة من النهي ظاهرة، إذ قد يكون بينهما مودة أو محبة، أو حديث سر وجلوسه بينهما يسوءهما[١].

٢-الجلوس وسط الحلقة: قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه يتأخر، أي أنه كان يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن من جلس وسط الحلقة.

ولأن الجالس وسط الحلقة يستدبر البعض بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبونه ويلعنونه، ويستحب له أن يجلس حيث ينتهي به المجلس[٢].

والظاهر من اللعن الإطلاق لتأذيهم. وقيل مختص بمن يجلس استهزاءً كالمضحك وبمن يجلس لأخذ العلم نفاقًا.

وأما تفسير السبب في لعنه بأنه يتخطى رقاب الناس، ويجلس وسط الحلقة ويحجب البعض عن بعض فقد قال المناوي: فغير قويم، إلا إن قيل بقصد الضرر، أو أُوِّل اللعن بالأذى. ووجه اللعن أنهم يلعنونه ويذمونه[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٢٥١/١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٠٥/١.

(٣) بريقة محمودية لمصطفى الخادمة الحنفي ١٦٦/٤، ١٦٧.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٢٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٧، ٨٢٨).

الحديث رقم (٨٣٠)

٨٣٠- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ حسن.

وروى الترمذيُّ[2] عن أبي مِجْلَزٍ: أنَّ رَجُلاً قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ -أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ- مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. قَالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الحديث مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً لمن يخبر عنه، وما يخبر به، وقد تصدَّر الحديث خبر غريب بدأ بلفظ يثير الانتباه، ويحقق الترقب؛ لأنه من الألفاظ التي تشغل العقل بالبحث عن سببها لاسيما إذا صدرت من صادق لا يكذب ومن داعٍ لا ترد دعوته، وهو (لعن) وقوله: (من جلس وسط الحلقة) من اسم موصول، وتعريف المسند إليه بالموصولية للتنبيه على خطأ، والفعل يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأنه في صورة الماضي، و (وسط الحلقة) لأنه يَتَخَطَّى رِقَاب، وَيَقْعُد وَسَطهَا وَلا يَقْعُد حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِس فَلُعِنَ لِلأَذَى، وَقَدْ يَكُون فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَعَدَ وَسَط الْحَلْقَة حَال بَيْن الْوُجُوه فَحَجَبَ بَعْضهمْ عَنْ بَعْض فَيَتَضَرَّرُونَ بِمَكَانِهِ وَبِمَقْعَدِهِ هُنَاكَ.

---

(١) برقم ٤٨٢٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٨.

(٢) برقم ٢٧٥٣. إسناده منقطعٌ، رواه أحمد في المسند ٢٣٢٧٧ وقال عقبه: قال حجّاج: قال شعبةُ: لم يدرك أبو مجلز شعبة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أسلوب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين.

ثالثاً: من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين.

اولاً- من اسلوب الدعوة: الترهيب:

إن الترهيب في هذا الحديث نابع من استخدام لفظ اللعن، وفي ذلك ترهيب شديد وتخويف كبير. جاء في الموسوعة الفقهية: (اللعن في اللغة: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء. وكانت العرب في الجاهلية تحيي ملوكها: أبيت اللعن، ومعناه: أبيت أيها الملك أن تأتي ما تعلن عليه. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ... ويكون اللعن لبيان أن تلك الأوصاف للتنفير عنه والتحذير منه)[1].

قال العز بن عبدالسلام: (اللعن أبلغ في القبح من السب المطلق)[2].

كما أن من آداب الداعية الترهيب من السلوك الاجتماعي المنفر للآخرين؛ لأن الداعية في مقام الناصح الأمين، يحض على الأخلاق الفاضلة، وينفر من الأخلاق السيئة التي تنفر الآخرين من صاحبها، ولذلك رهب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، كما في الحديث. وقد قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[3].

قال القاسمي: (أى لا ينهي بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧٢-٢٧٤.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ١/٢٠ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧٢-٢٧٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٨-٧٩.

ذلك ليحذر من ارتكاب مثل الذي ارتكبوه، فقال "لبئس ما كانوا يفعلون"، مؤكداً بلام القسم تعجباً من سوء فعلهم، كيف وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير)[١].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ))[٢].

قال النووي: (أما اللعانان: فكذا وقع في مسلم، ووقع في رواية أبي داود: "اتقوا اللاعنين"، والروايتان صحيحتان.

قال أبو سليمان الخطابي[٣]: (المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شُتم ولُعن، يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك، أضيفَ اللعن إليهما.

قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن: مواضع اللعن.

قلت: فعلى هذا؛ يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما، وهذا على رواية أبي داود.

وأما رواية مسلم؛ فمعناها -والله أعلم-: اتقوا فعل اللعانين، أي: صاحبي اللعن، وهما اللذان يلعنهما الناس في العادة، والله أعلم.

قال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخاً ينزلونه ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود تحته، فقد قعد النبي ﷺ تحت حايش النخل[٤] لحاجته، وله ظل بلا شك، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: "الذي يتخلى في طريق الناس" فمعناه: يتغوط في موضع يمر به الناس، وما نهى عنه في الظل والطريق؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره، والله أعلم)[٥].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦/٣٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩، وأبو داود ٢٥.

(٣) معالم السنن ١/٣٠.

(٤) النخل الملتف المجتمع، كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضًا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٤٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين:

وذلك واضح من الحديث. قال الخطابي: "وهذا يتأول فيمن يأتي حلقة قوم، فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها، ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس، فلُعِن للأذى، وقد يكون في ذلك أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه وحجب بعضهم من بعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك)[1].

قال ابن الأثير: (لأنه إذا جلس في وسَطها، استَدْبر بعضَهم بظَهره، فيُؤذيهم بذلك فيَسبُّونه ويَلْعنُونه. ومنه الحديث أنه ﷺ قال: "لا حِمَى إلاّ في ثلاث" وذكر منها "حَلْقة القوم"[2] أي لهم أن يَحْمُوها حتى لا يَتَخطّاهم أحد ولا يَجْلس وسطها)[3].

وقال الطيبي: (قال التوربشتي: المراد منه -والله أعلم- الماجن الذي يقيم نفسه مع السخرية ليكون ضحكة بين الناس، ومن يجري مجراه من المتأكّلين بالسمعة والشعوذة)[4].

ومن قبيل مراعاة شعور الآخرين قول النبي ﷺ: ((لاَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَىٰ خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلاَ يَسُومُ عَلَىٰ سَوْمِ أَخِيهِ، وَلاَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ عَمَّتِهَا وَلاَ عَلَىٰ خَالَتِهَا، وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِىءَ صَحْفَتَهَا، وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللّهُ لَهَا))[5].

قال ابن الأثير: (المُساوَمَة: المُجاذَبَة بين البائع والمشتري على السِّلْعةِ وفَصلُ ثمَنِها... والمَنْهيُّ عنه أن يتَساوَم المُتَبايعان في السِّلْعة ويَتقَارَبَ الانعقاد، فيجيء رجلٌ آخر يريد أن يشتري تلك السِّلعة، ويُخرِجها من يد المُشتري الأوّل، بزيادةٍ على ما اسْتقرَّ الأمرُ عليه بين المُتساوِمَين ورَضيا به قبل الانعقاد، فذلك ممنوعٌ عند المُقاربة، لما فيه من الإفساد،

---

(١) معالم السنن ١٨٣/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٧٥/٦ والبيهقي في السنن ١٥١/١، ١٥٦، وقال محققا الآداب الشرعية ٤٣٠/١: وهو مرسل.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٢٦.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٣/٩.

(٥) أخرجه مسلم ٣٨-١٤٠٨.

ومُباحٌ في أوَّلِ العَرْض والمساومة)(١).

وقال النووي: (قوله ﷺ: "وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِىءَ صَحْفَتَهَا..."، معنى هذا الحديث: نَهَى الْمَرْأَةَ الأَجْنَبِيَّةَ أَنْ تَسْأَلَ الزَّوْجَ طَلاقَ زَوْجَتِهِ، وَأَنْ يَنْكِحَهَا وَيُصَيِّرَ لَهَا مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَعْرُوفِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَنَحْوِهَا مَا كَانَ لِلْمُطَلَّقَةِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِاكْتِفَاءِ مَا فِي الصَّحْفَةِ مَجَازًا، والمراد بأختها: غيرها سواء كانت أختها من النسب أو أختها في الإسلام، أو كافرة)(٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين:

إن المدعو الحق حريص أشد الحرص على أن يجتنب ما يلحق الأذى بالآخرين، أو يسبب لهم ضرراً، لذا رهّب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، لما في ذلك من الضرر. قال ابن مفلح: (قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة". أنبأنا أبو داود قال: رأيت أحمد بن حنبل إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه، يتأخر يعني يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي ﷺ، انتهى كلامه)(٣).

قال ابن عثيمين: (ومن الآداب أيضاً: أنه يجلس حيث انتهى به المجلس، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين، سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط الحلقة. وذلك أنك تحول بينهم وبين من معهم، ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحد في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في ذلك عدوان عليهم وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك)(٤).

فعلى المسلم أن يراعي الآداب الحسنة، فلا يكون سبباً للأذى والفوضى، وإلحاق الضرر بالآخرين، فلا يجلس في وسط الحلقة، لأن الجلوس وسط الحلقة فيه شذوذ وتشويش، ومن يفعل ذلك فإنه يكون ممقوتاً من الجالسين، ومذموماً من الشارع الحكيم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧٧.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/٤٣٠

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٧.

الحديث رقم (٨٣١)

٨٣١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((خَيْرُ المَجَالِسِ أوْسَعُهَا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح عَلَى شرط البخاري.

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث مبني على الإيجاز بالقِصَر؛ لأنه مكون من جملة واحدة من ثلاث كلمات لكنها ذات دلالة واسعة، ومعنى عميق، ومن مزايا الأحاديث القصار، سهولة الحفظ، وسرعة الانتشار، وقد جاءت بأسلوب خبري، وقد سيق مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكر، ولفظ (خير) من الألفاظ التي تبشر بمحبوب ينتظر، وإضافته للمجالس للبيان، والمسند أفعل تفضيل يرغب في التوسعة في المجالس التي تضمن مكاناً فيها لكل من يريدها، وفي هذا فرصة لنشر الخير، والعلم على نطاق واسع، وهو ينسحب على كل مجلس خير في الطعام، والعلم، والموعظة وغيرها، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأزمان، والبلدان؛ لأنه أروح للجالس، وأمكن في تصرفه من قيامه، وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة، و الإكرام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السعة والتوسع في المجالس.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) برقم ٤٨٢٠. وقال الحاكم ٢٦٩/٤: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

لقد وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير وأثبت لها الخيرية، قال ابن عثيمين: "ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة، فإن سعة المجالس من خير المجالس. كما قال ﷺ: "خير المجالس أوسعها"؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً كثيرة، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حُجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنك السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناساً كثيرين؛ ولأنه أشرح للصدر"(١).

وقد أمر النبي ﷺ بالتفسح في المجلس والتوسعة فيه، فقد قال ﷺ: ((لا يُقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا))(٢).

ففي حديث الباب من الفوائد، الترغيب في إفساح المجالس ودفع ما يفضي إلى ضيقها، لأن ضيقها يكدر الخواطر، ويولد الكراهية بين المتجالسين، وقد يفقد المجلس ثمرته إن كان مجلس علم أو قضاء أو غيره. فخير المجالس أوسعها بالنسبة لأهلها، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان والبلدان، لأنه أروح للجالس وأمكن في تصرفه من قيامه وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة والإكرام)(٣).

والحديث عام في كل المجالس التي يجتمع فيها الناس، وجدير بمن يكون مسؤولاً عن شيء من ذلك أن يختار السعة على الضيق، فالمساجد الواسعة، وقاعات الدراسة وصالات المحاضرات، ينبغي أن يحرص فيها على الوسع، بل وحتى في مجالس البيوت، فإن الدار الواسعة من حسنات الدنيا العاجلة.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان الحقائق:

لقد أخبر ﷺ عن أن خير المجالس أوسعها، وهذا بيان للمدعوين ووضع الحقائق أمامهم، ليفعلوا الأخيْر والأحسن والأفضل.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٩١١، ٦٢٧٠، ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٧٧.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٤٧٦/٣.

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ))(١).

قال النووي: (قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته، لأن إخراج آدم لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته)(٢).

ثالثاً- من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين:

لقد بين النبي ﷺ فضل وسع المجالس، وجعل الواسع منها هو خيرها وأفضلها، وذلك لما فيه من الفوائد الجمة والمنافع الكثيرة، لعل من أهمها الأريحية التي يكون عليها الجالسون، مما قد تكون سبباً في تآلفهم وتوادهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾(٣).

قال الطاهر بن عاشور: (الآية لا تدل إلا على الأمر بالتفسح إذا أمر به النبي ﷺ، ولكن يستفاد منها أن تفسح المؤمنين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوباً أو ندباً، لأنه من المكارمة والإرفاق، فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين، وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيها غيره، فهي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده، وذلك ما لم يفض إلى شدة مضايقة أو مضرة، أو إلى تفويت مصلحة من سماع أو نحوه، مثل مجالس العلم و الحديث وصفوف الصلاة، وذلك قياس على مجلس النبي ﷺ في أنه مجلس خير.... قال مالك: ما أرى الحكم إلا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر. يريد أن هذا الحكم وإن نزل في مجلس النبي ﷺ فهو شامل لمجالس المسلمين من مجالس الخير، لأن هذا أدب ومواساة،

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٦٠، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٤٧/٣.

(٣) سورة المجادلة، آية : ١١.

فليس فيه قرينة الخصوصية بالمجالس النبوية، وأراد مالك بـ"نحوها" كل مجلس فيه أمر مهمّ في شؤون الدين، فمن حق المسلمين أن يحرصوا على إعانة بعضهم بعضاً على حضوره. وهذا قياس على مجلس النبي ﷺ وعلته هي التعاون على المصالح. وأفهم لفظ التفسح أنه تجنب للمضايقة والمراصة، بحيث يفوت المقصود من حضور ذلك المجلس أو يحصل ألم للجالسين)[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وهذا واضح من وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير، ولا شك أن هذا ترغيب للمدعوين لكي يمتثلوا لهذا الأدب ويطبقوه في مجالسهم المختلفة، بحيث تتسع للجالسين جميعاً، ولا يكون فيها مضايقة وألم لبعضهم أو كلهم.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٨/٣٨.

الحديث رقم (٨٣٢)

٨٣٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ، أسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ)) رواه الترمذي[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغطه: أي تكلم بما فيه إثم[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بأدب المجلس، ويتتبع ما يقع فيه من لغط ترجع تبعته على الجالسين، ويربطهم بالله ذكراً، وفكراً، وهو منهج يربي عليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابهم يجعلهم في كل شأن من شؤون حياتهم متصلين بالله.

وأسلوب الحديث شرطي غرضه الترغيب بربط مغفرة ذنوب المجلس بقول هذا الدعاء، والربط بالفاء في قوله: (فكثر - فقال) يشير إلى ضرورة المسارعة إلى التوبة، وتتبع الذنب بالاستغفار، يؤكد ذلك الظرف (قبل) وإضافة المجلس له إضافة تخصيص، واسم الإشارة (ذلك) يؤكد هذا، ويقرره.

---

(١) برقم ٣٤٣٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ٥٣٧/١: هذا الإسناد صحيحٌ على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علّله بحديث وهيب، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأخبار من قوله. وقال في معرفة علوم الحديث ص ١١٣: هذا حديثٌ من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح، وله علة فاحشةٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥١/٢، وفي دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٧٣: كثر فيه كلامه بما لا ينفعه في آخرته.

والدعاء يبدأ بجملة التنزيه لله عن كل نقص (سبحانك)، ثم التَّوجه لله بكل الجوارح مع استحضار أسمائه الحسنى، وصفاته العلى عن طريق صيغة (اللهم) التي جاءت معترضة بين التنزيه والحمد لهذه الخصيصة فيها التي تحيط الدعاء بحالة من الخشوع، والخضوع، ثم حمده، ثم توحيده عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لا إله إلا أنت) والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه.

ثم طلب المغفرة، والتوبة الذي قدَّم له بتنزيه الله، وحمده، والاعتراف بوحدانيته مما يحقق له ما أراد بالخلاص من لغط مجلسه، فربما - وقعت فيه كلمة يسجن بها سبعين سنة، وليتها في سجن بل في النار، وهو لا يبالي -كما أخبر ﷺ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا)[١].

فقه الحديث

التحميد للقائم من المجلس مستحب[٢]، لهذين الحديثين[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو.

ثالثاً: من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله.

رابعاً: من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار.

خامساً: من وسائل الدعوة: السؤال والجواب.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) سنن بن ماجة حديث (٣٩٦٠).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/١٠، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) الحديث رقم (٨٣٢)، (٨٣٣).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٣).

أولاً- من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام:

إن الإنسان جبل على حب الكلام والإكثار منه، لذا يكثر في كلام جماهير الناس اللغو واللغط ونحوه مما لا فائدة ولا نفع فيه، لذلك رغب الإسلام في الاقتصاد في الكلام، فلا يقول إلا خيراً أو ليصمت، وهذا يستنبط من حديث أبي هريرة "من كثر لغطه"، فإنه يدل على أنه الأولى بالمرء أن يتجنب اللغو واللغط.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: اللغط بالتحريك الصوت وأراد به الهراء من القول[1]، وما لا طائل تحته من الكلام، فأحل ذلك محل الصوت العرى عن المعنى[2])[3].

وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[4].

قال النووي: (وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري قال: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال. قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من الآفات، ذلك نعت أرباب الرياضة، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق. وروينا عن الفضيل بن عياض قال: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه. وعن ذي النون: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه)[5].

---

(١) في المطبوع: الهزاء، وهو تحريف. والهراء: الكلام الكثير الفاسد لا نظام له. ويقال: رجل هراء: إذا كان كثير الكلام هذّاء. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٨٠.

(٢) اللغط: صوتٌ وضجة لا يفهم معناها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٣٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٧٢/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢.

قال ابن مفلح: (وروى الخلال عن عطاء قال: كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك بما لابد لك منه ...

وقال ابن عبدالبر: قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام، وقال عمر بن الخطاب: من كثر كلامه كثر سقطه ... أوصى ابن عباس بخمس كلمات فقال: إياك والكلام فيما لا يعنيك في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه في غير موضعه قد عنت. ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً. فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك. واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، ودع ما تحب أن يدعك منه، واعمل عمل رجل يعلم أنه يجازى بالإحسان ويكافأ)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو[٢]:

يسود المجالس في غالب الأحيان كثير من اللغط وما لا طائل تحته ولا فائدة فيه، فمن جلس مجلساً وكثر لغطه، عليه أن يأتي بهذاالدعاء قبل أن يقوم من مجلسه: "سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إلا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلك". وفي الحديث الآخر: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

قال المباركفوري: (فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك". ولعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٣]، واللهم معترض، لأن قوله "وبحمدك" متصل بقوله سبحانك، إما بالعطف أى أسبح وأحمد، أو بالحال: أى أسبح حامداً لك "إلا غفر له" أي ما حبس شخصاً مجلس فكثر لغطه فيه فقال ذلك إلا غفر له "ما كان" أي من اللغط)[٤].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٦٢/١-٦٦.

(٢) اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٨٣١، والمراد باللغط واللغو هنا ما لا ينفعه في الآخرة، فيكون من الكلام المباح أو المكروه، لا المحرم، فلا يدخل فيهما الغيبة والنميمة، لأنهما محرمتان، والله أعلم.

(٣) سورة الطور، آية : ٤٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥١/٢.

وقال ابن حبان في صحيحه: "ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند القيام من مجلسه ختم له به، إذا كان مجلس خير، وكفارة له إذا كان مجلس لغو"[(١)]. وأخرج تحته قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس لغو أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات، إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن عليه كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[(٢)].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[(٣)]، قال: من كل مجلس[(٤)]. وقال ابن مفلح: (روى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قوله عز وجل: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[(٥)]، منهم مجاهد وأبو الأحوص ويحيى بن جعدة، وعطاء قالوا: "حين تقوم من مجلس تقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وقالوا: من قالها غفر الله له ما كان في المجلس. وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحسانا، وإن كنت غير ذلك كان كفارة)[(٦)].

ثالثاً- من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله:

إن المجالس لا تخلو عادة من الكلام الذي لا طائل منه ولا فائدة فيه، ولا ينفع قائله في آخرته، ولا شك أن ذلك يشعر -وخاصة إن ازداد وقوعه من المدعو- بنوعٍ من الغفلة عن مقصوده الذي خلق من أجله، وهو عبادة رب العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/٣٥٣.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٩٣، وقال محقق صحيح ابن حبان، إسناده صحيح على شرط مسلم..

(٣) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٤) أخرجه الفريابي وابن المنذر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣/٧١١.

(٥) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣/٥٧٥، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣/٢٤٢ .

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، كما يشعر بإقباله على الدنيا واستغراقه في أمورها وشؤونها. مما قد يشعر معه بإعراضه عن الله عز وجل وعن ذكره، فكان من فضله وكرمه سبحانه أن قضى على لسان رسوله ﷺ بكفارة المجلس التي تغفر ما وقع في المجلس من اشتغال وانهماك في أمر الدنيا وإعراض عن الآخرة. فكان هذا الذكر في آخر المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

ومن الملاحظ أن هذا الذكر كله تمجيد لله وثناء عليه، فبدأ بقوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) كأنه يعلن وقد انتهى المجلس: يا رب إني أنزهك عن كلّ نقص وأقرّ لك بكل كمال وجلال، وأحمدك حمداً كبيراً واثني عليك الثناء كله، وأقر وأشهد أنك المعبود بحق، لا إله غيرك ولا معبود سواك، فيا رب أطلب منك الغفران والعفو عن تقصيري وتضييعي وجهلي، وأتوب إليك من ذلك كله.

فكان هذا الذكر من المدعو إعلاناً عن رجوعه إلى ربه وإلى ذكره بعد أن كان غفل، وطلباً إلى الله أن يتقبله ويعفو عما بدر منه، وإقراراً بتقصيره وغفلته، فلما وقع ذلك من العبد أجابه الله سبحانه وتعالى، وتفضل عليه فغفر له وعفا عنه.

وبناء على ذلك فإن المدعو إذا وقع منه تقصير، فإن عليه أن يسارع باللجوء إلى الله عز وجلّ، ويظهر أمامه تضرعه وتخشعه وتذلله عسى الله أن يتقبل منه، وهذا ما علّمه لنا النبي ﷺ كما في هذين الحديثين.

رابعاً- من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار:

لقد سأل الرجل النبي ﷺ في حديث أبي برزة رضي الله عنه عن قوله في آخر المجلس، بعد أن لم يكن يقوله، فسأل قائلاً: "يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي ﷺ فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

ومن ذلك قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[2]، شق ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأينا لا يظلم

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

نفسه؟ قال: إنه ليس الذين تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١] إنما هو الشرك))[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدِّين ويتفقهن فيه"[٣].

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضح في حديث أبي برزة رضي الله عنه: قال الرجل: يارسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي ﷺ فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس". فكانت هذه الإجابة إعلاماً للمدعوين بأن يفعلوا هذا، حتى يغفر لهم ما قد يقع في مجلسهم من أقوال فيها لغط ولهو ولغو.

ولعل أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المباشرة الفعالة التي تتكرر كثيراً جداً، فلا يكاد يخلو يوم من سؤال وجواب عنه، وذلك لكثرة ما يعرض للإنسان في حياته اليومية مما يحتاج معه إلى إزالة إشكال أو إيضاح أو نحو ذلك.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وذلك واضح في قول النبي ﷺ: "إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك" وقوله ﷺ: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس" فقد رغب النبي في أن يقول المدعو هذا الذكر عند قيامه من المجلس، بأن أخبره أن ذلك غفران لما قد يقع من لغط منه ولغو. قال ابن عثيمين: "قلما يجلس الإنسان مجلساً إلا ويحصل له فيه شيء من اللغط أو من اللغو أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك، كلما قام من مجلسه: ((سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ حتى يكون كفارة للمجلس))[٤].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢، ومسلم ١٢٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦١٠٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

الحديث رقم (٨٣٣)

٨٣٣- وعن أَبي بَرْزَة ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقول بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنتَ أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إليكَ)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: ((ذلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي المَجْلِسِ)) رواه أَبُو داود[1].

ورواه الحاكم أَبُو عبد الله في (المستدرك)[2] من رواية عائشة ﷺ وقال: (صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

أبو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٠٧).

غريب الألفاظ:

بِأَخَرَةٍ: أي في آخر جلوسه، أو في آخر عمره[3].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يعلِّم أصحابه بطريقة عملية تنقية أنفسهم، وأعمالهم أولاً بأول، وهو أحرص الناس على الكلمة الصالحة الطيبة، ولا ينطق عن الهوى، ومع ذلك، يستغفر الله، ويتوب إليه، وقوله هذا الذكر في نهاية المجلس شكراً لربه، وبياناً عملياً لأمته، وقوله (بآخرة) فيها إيجاز أي في نهاية مجلسه حتى يستوعب كل ما فيه، وقوله (إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ الْمَجْلِسِ) استخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحققه، والتعبير بالإرادة تبكير بالفعل، وقول الرجل للرسول ﷺ (إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً) أكَّد الكلام بـ

---

(١) برقم ٤٨٥٩. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٧٣٣/٢: رجال إسناده ثقات، إلا أنه اختلف فيه على أبي العالية. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٥.

(٢) ٤٩٦/١ – ٤٩٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٧٣٠/٢: إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٦.

(٣) النهاية ٢٩ ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٩.

(إن) المتصلة بكاف الخطاب، ثم اللام الداخلة على الفعل المضارع، ثم بالمصدر المؤكد للفعل تعظيماً للخبر، وعناية بمضمونه، وقوله ((مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى) أسلوب نفي يقرر أنه لم يسمعه قبل من الرسول ﷺ، أو أنه كان حديث النزول على الرسول ﷺ وقوله (ذلك كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ) تعريف المسند إليه بالإشارة التي للبعيد فيه تعظيم لهذا الدعاء، وتفخيم لشأنه يبعث على العناية به، وصياغة المسند في الصورة الاسمية الدالة على الثبوت، والدوام، وعلى صيغة المبالغة يصعِّد هذا الشعور، ويؤذن بضرورة العمل به، والمحافظة عليه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٤)

٨٣٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهؤلاءِ الدَّعَواتِ[1]: ((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأسْمَاعِنا، وَأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا مَا أحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

واجعله الوارث منا: أي اجعل المذكور من الأسماع والأبصار والقوة الباقي منا، بأن يبقى إلى الموت[3].

الشرح الأدبي

قول ابن عمر رضي الله عنه (قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) تُسْتَعْمَلُ قَلَّمَا لِمَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا النَّفْيُ الصِّرْفُ وَالثَّانِي إِثْبَاتُ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، فعلى الأول يكون معناها أنه لا يتركه، وعلى الثاني يشير إلى كثرة دعاء الرسول ﷺ بهذا الدعاء، كما يقرر أنه لم يواظب

---

(١) عند الترمذي زيادة: (لأصحابه).

(٢) برقم ٣٥٠٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٥٢٨/١: هذا حديثٌ صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٣) النهاية في (و ر ث)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨١/٢.

عليه بل كان يدعو بغيره مما ثبت عنه ﷺ، (حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ) حتى لبيان الغاية، والتعبير باسم الإشارة المخصص للجمع بغرض التفخيم، وقوله (لأصحابه) أنه كان يدعو، وأصحابه يؤمنون وقوله: (اللهم اقسم لنا) نداء جامع لأسباب استجابة الدعاء، يليه أمر بغرض الدعاء أي: اجعل لنا قسمة، ونصيباً (من خشيتك) أي: خوفك، والخشية الخوف، أو خوف مقترن بتعظيم (ما يحول) أي يحجب، ويمنع (بيننا وبين معاصيك)؛ لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قل الخوف جداً، واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، وقوله (ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك) أي مع شمولنا برحمتك (ومن اليقين) أي وارزقنا من اليقين بك، وبأنه لا راد لقضائك، وقدرك (ما يهون) أي يسهل (علينا مصائب الدنيا) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة، ومصلحة، واستجلاب مثوبة، وأنك لا تفعل بالعبد شيئا إلا، وفيه صلاحه (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا) الضمير للتمتع، والمعنى اجعل ثأرنا مقصوراً على من ظلمنا، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره، وتُحْمَل من (لا يرحمنا) علي ملائكة العذاب في القبر، وفي النار لئلا يلزم التكرار فتقول إنما خص البصر والسمع بالتمتع من الحواس؛ لأن الدلائل الموصلة إلى معرفته تعالى، وتوحيده إنما تحصل من طريقهما؛ لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات المنزلة، وذلك بطريق السمع أو من الآيات المقصوصة في الآفاق، والأنفس، وذلك بطريق البصر فسأل التمتع بهما حذراً من الانخراط في سلك الذين ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولما حصلت المعرفة ترتب عليها العبادة فسأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه، ثم إنه أراد أن لا ينقطع هذا الفيض الإلهي عنه لكونه رحمة العالمين فسأل بقاء ذلك ليستن بسنته بعده فقال واجعل ذلك التمتع وارثا باقيا[1].

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي حديث: (١٥٠٥).

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب دعاء الجالس في جمع لنفسه ومن معه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا.

أولاً- من وسائل الدعوة: الدعاء:

يتضح هذا من قول الصحابي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات".

ولعل من هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك، قال: ((ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة[٢]، كانوا يدعون القراء. فمكث شهراً يدعو على قتلتهم))[٣].

وفي رواية: ((قَنَتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْعُو علَى أُنَاسٍ قَتَلُوا أُنَاساً مِنْ الصَّحَابةِ. يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ))[٤].

(والقنوت في اللغة له معان عدة، أشهرها: "الدعاء" وهو أشهرها. قال الزجاج:

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٢٤.

(٢) بئر معونة: هي من جهات بدر على أربع مراحل من المدينة المنورة في ديار بني سليم. وقد كانت السرية في صفر ٣ هـ. انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٧، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٣٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٣٠٢ -٦٧٧.

(٤) أخرجه مسلم ٣٠٢ - ٦٧٧.

المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وأن القانت الداعي، وحكى النووي أن القنوت يطلق على الدعاء بخير وشر، يقال: قنت له أو قنت عليه. وفي الاصطلاح: قال ابن علان: القنوت عند أهل الشرع اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام)[1].

ولعل كون الدعاء وسيلة من وسائل الدعوة يكون أوضح ما يكون في وقت الشدائد والنوازل، وأقوى ما يدل على ذلك ما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2]. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[3].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ؛ ليراه أصحابه بتلك الحال، فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير، وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[4].

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٧/٣٤، ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٣) اخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء:

الدعاء هو العبادة والنبي ﷺ أعبد العابدين وأصدق الخاشعين، لذا كان ﷺ حريصاً على مناجاة ربه ودعائه. وذلك واضح من قول الراوي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات...".

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: ((مَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فقالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))[1].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾، قال: عن دعائي: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]،[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء، ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم، جمله من الأدعية استجابها الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ.

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي ولرفع الدرجات، ولجلب الخير ودفع الشر. ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبواباً كثيرة من الخير. وقال الغزالي: فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له، فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٤، والترمذي ٣٤٢٧، والنسائي ٥٤٨٦، وابن ماجه ٣٨٨٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٣٤).

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢، وابن ماجه ٣٨٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ما جه ٣٠٨٦).

لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا:

إن من علامات صدق الإيمان التوجه إلى الله بالإنابة والخضوع والتضرع، والمدعو والداعية في أشد الحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا، لأن بصلاح أمر الدين يسلم المرء في الآخرة، كما أن صلاح أمر الدنيا معين على صلاح الدين، ولذا كان النبي ﷺ يتوجه بهذا الدعاء في ختام المجلس.

فهذا دعاء عظيم من أدعية النبي ﷺ التي كان يدعو بها في ختام مجالسه، وفيه تعليم لأمته وترغيب لها في أن تفعل في مجالسها ما كان يفعله ﷺ.

"اللهم اقسم لنا من خشيتك": أي اجعل لنا قسمة ونصيباً من خوفك ومعرفة عظمتك وجلالك ما يحول بيننا وبين معصيتك، لأن القلب إذا امتلأ من خوف الله تعالى أحجمت الأعضاء عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلَّ الخوف واستولت الغفلة على الإنسان، كان ذلك من علامات الشقاء، فإن المعاصي بريد الكفر، والغناء بريد الزنا، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله.

(ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك): لأن دخول الجنة متوقف بعد رحمة الله تعالى على الأعمال الصالحة، ولذا فقد جاءت الآيات مؤكدة على هذا المعنى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2]. فالعمل الصالح سبب مهم من أسباب دخول الجنة.

"ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا": أي ارزقنا من اليقين بك وبوعدك ووعيدك ما يجعلنا نتقبل أقدارك، ونطمئن بأن ما قضيته وقدّرته لنا هو الخير، وفيه

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٩/٢٠، ومصادرها.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٢.

الحكمة والمصلحة، فنسلم لك الأمر كله، ونستسلم ونخضع راضين مطمئنين.

"ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا": أي اجعلنا متمتعين ومنتفعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا، بأن نستعملها في طاعتك، والتمتع بالسمع والبصر: إبقاؤهما صحيحين إلى الموت مدة حياتنا، وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس، لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقهما، ولأن البراهين إما أن تكون عن طريق آيات الله المتلوة التي أنزلها في كتابه وتلك طريقها السماع، أو تكون آيات مبثوثة في الآفاق والأنفس وذلك عن طريق البصر، فنسأل الله التمتع بها حتى لا يكون العبد ممن ختم اللهُ على قلوبهم وسمعهم، ثم نسأل اللهُ أن يديم نعمة الصحة والعافية علينا موروثاً لمن بعدنا، أو محفوظاً لنا ليوم الحاجة، ومعنى وراثتها على هذا المعنى، لزومها عند موته لزوم الوارث له.

"واجعل ثأرنا على من ظلمنا" أي مقصوراً عليه، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره فأخذ به غير الجاني كما تفعل الجاهلية، أو اجعل إدراك ثأرنا على من ظلمنا، فندرك به ثأرنا.

"وانصرنا على من عادانا": أي مكّنا منه وانتقم لنا منه، وأظفرنا به حتى نقتص منه ونقهره.

"ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا..." والمعنى: لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام، واعتقاد سوء، وفترة في عبادة، واجعل الآخرة همنا ورغبتنا فإن حب الدنيا والانغماس بها سبب للهلاك.

"ولا تسلط علينا من لا يرحمنا" أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة والكفرة، بحيث يكونون متحكمين في رقابنا، مسلطين علينا، فنفتن في ديننا ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(١)][(٢)].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٣٢/٢، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨٠/٢-٢٤٨١، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١١٢٩/٢-١١٣٠.

الحديث رقم (٨٣٥)

٨٣٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ: إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْل جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب من الأساليب الخبرية التي تحصر معنى في معنى لا ينفك عنه، وهو أسلوب القصر، يقصر القائمين من مجلسهم دون ذكر الله على صفة كونهم كالقائمين عن جيفة الحمار وقوله (مَا مِنْ قَوْمٍ) ما نافية، ومن للاستغراق و (قوم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وتنكير المجلس يفيد عموم المجالس وجملة: (لا يَذْكُرُونَ اللّهَ فِيهِ) تمثل موضع الخطأ، والتشبيه بجيفة الحمار تنفير من هذه المجالس التي تخلو من ذكر الله، وله عدة دلالات منها نتن الرائحة، لأنهم تركوا ذكر الله الذي هو طيب المجالس، ومنها البلادة لتفريطهم فيما فيه سعادتهم، ومنها الإشارة إلى إتيانهم ما لا ينبغي، لأن الحمار ليس مما يؤكل لحمه، وقوله) وكان لهم حسرة) فيه إيجاز بالحذف أي يوم القيامة، وتقديم الجار والمجرور (لهم) يفيد اختصاصهم بالحسرة.

---

(١) برقم ٤٨٥٥. وصحّحه ايضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٣، وقال الحاكم ٤٩٢/١: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وكذا قال ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٢ وقال: إسناده صحيح.

فقه الحديث

بوّب النووي على الحديثين[١] الأولين: باب كراهة القيام من المجلس قبل أن يذكر الله تعالى[٢].

لكن الأمير الصنعاني استدلّ بالحديث الثاني على وجوب الذكر والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار أو العذاب، فقد فسرّت بهما، فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه ﷺ معًا[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس.

رابعاً: من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

أسلوب القصر أداتاه حرف النفى "ما" وبعدها أداة الاستثناء "إلا" في قوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا مثل جيفة حمار..." وفي الحديث الآخر: "ما جلس قوم مجلسًا يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة ..." وفائدة القصر هنا الحصر، فيفيد إثبات الخسارة والندامة لكل من لم يذكر الله في مجلسه.

ثانياً- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك:

---

(١) الحديث رقم (٨٣٥)، (٨٣٦).

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٢٤ .

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٩٤ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٦).

لقد أخبر النبي ﷺ أن من لم يذكروا الله في مجلسهم، قاموا عن مثل جيفة حمار (أي مثلها في النتن والقذارة. وذلك لما يخوضون من الكلام في أعراض الناس وغير ذلك "وكان": أي ذلك المجلس "لهم": وفي بعض النسخ "عليهم" "حسرة": يوم القيامة أي ندامة لازمة لهم لأجل ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى)[1]. وقال ابن القيم: (وكره رسول الله ﷺ لأهل المجلس أن يخلوا مجلسهم من ذكر الله عز وجل)[2].

ومن ذلك القبيل قول النبي ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت))[3]. قال ابن القيم: (صدأ القلب بأمرين: "بالغفلة والذنب" وجلاؤه بشيئين: "بالاستغفار والذكر". فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكماً في قلبه وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هى عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق، في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه، فإذا تراكم الصدأ واسود، وركبه الران، فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً)[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس:

إن العبد محتاج أشد الاحتياج إلى ذكر الله عز وجل في كل أحواله، فإن في ذلك غناه وفلاحه، وفي تركه فقره وخسرانه، ولهذا حذر النبي ﷺ من أن يخلو مجلس من ذكر الله تعالى، فإذا كان من لم يذكر الله في مجلسه أصابته الحسرة والندامة، فإن هذا حث ودفع للمدعوين أن يداوموا على ذكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[5]. وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) عون المعبود على سنن أبي داود: العظيم آبادي ص ٢٠٩٨-٢٠٩٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٦٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن القيم، مطبوع ضمن مجموعة الحديث المعروفة بـ"مجموعة الحديث النجدية". ٢٩٩/٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيراً، وَالذَّاكِرَاتُ))[٣].

قال ابن القيم: (قضية الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله. وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله)[٤].

وذكر الله تعالى له صور وأشكال، قد يكون بتلاوة كتابه، أو بشرح آية أو حديث، أو وعظ وتذكير أو تفكر وتدبر في آياته ومخلوقاته، أو ذكر نعمه وآلائه، أو بدعائه سبحانه، وذكر رسله وأنبيائه، وما يقرب من الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل، وإذا لم يحصل شيء من ذلك، فلا أقل من أن يأتي الإنسان في آخر المجلس بالدعاء السابق في كفارة المجلس، وهو أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك". وعلى هذا فكل وقت لا يشتغل فيه الإنسان بطاعة الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فإن عاقبته الحسرة والندامة يوم القيامة، نسأل الله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٩٨.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١١٣٢.

رابعًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن الصلاة على رسول الله ﷺ:

لقد جاء في الحديث التحذير من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ؛ حيث قال ﷺ: "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" قال المباركفوري: (قوله: "ولم يصلوا على نبيهم" تخصيص بعد تعميم "إلا كان" أي ذلك المجلس "عليه ترة" أي تبعة ومعاتبة أو نقصانٌ وحسرة، من وتره حقه نقصه وهو سبب الحسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1])[2] إن التقصير في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تفريط في واجب أوجبه الله على المسلم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3] قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا)[4] ومن مواطن الصلاة والسلام عليه ﷺ عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم، كما جاء في الحديث من الترهيب من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة...".

إن ترك الصلاة على رسول الله ﷺ من أشد ألوان الجفاء، ومظهر من مظاهر نقصان الإيمان، فلقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة عليه من شروط اكتمال الإيمان؛ فعن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[5].

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٢٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٤، ومسلم ٤٤.

فذكر ﷺ في هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة؛ فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال كمحبة الناس بعضهم بعضا، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحابّ كلها.

لقد أمر الله تعالى بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ في مقابل إحسانه إلى الأمة تعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته ﷺ من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه ﷺ، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ.

قالوا: ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلاً، فقال ﷺ: ((البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ))(١). لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يذكر عنده، ولا يثني عليه، ولا يبالغ في مدحه وتمجيده، ويبدئ ذلك ويعيده، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه، عده الناس بخيلاً لئيمًا كفورًا، فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض، الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا من شر الدنيا والآخرة، الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه، فضلاً عن أن تقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثني عليه، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ، فلا أقل من أن يصلي عليه مرة إذا ذكر اسمه ﷺ(٢).

خامسًا- من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله يعود على الذاكر ومجتمعه بأجل الفوائد وأعظمها، لذا كان من أهداف الدعوة حث المدعوين على ملازمة ذكر الله، وعدم الغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى، كما هو واضح من الحديث، قال ابن القيم عن فوائد الذكر: وفي الذكر

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم ص ٥٤٩، ٥٥٠.

أكثر من مائة فائدة:

(إحداها): أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

(الثانية): أنه يرضي الرحمن عز وجل.

(الثالثة): أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(الرابعة): أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(الخامسة): أنه يقوي القلب والبدن.

(السادسة): أنه ينور الوجه والقلب.

(السابعة): أنه يجلب الرزق.

(الثامنة): أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(الخامسة عشرة): أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[1]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى فضلاً وشرفاً.

(الخامسة والعشرون): أنه سبب في اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لابد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة، إلا بذكر الله تعالى. والمشاهدة والتجرية شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى، ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...". إلى آخر الفوائد)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/ ٢٠٠ -٢٠٣.

الحديث رقم (٨٣٦)

٨٣٦- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ (فِيه)[1]، إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ؛ فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الحديث السابق، وهو الترغيب في الذكر، وبيان فضله، وقد جاء في أسلوبه نفسه، وهو أسلوب قصر لمجلس هؤلاء على كونه حسرة، وندامة ويزيد عن سابقه قوله (وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ) وهي من ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على فضله، لأن الصلاة على النبي ﷺ لون من ألوان ذكر الله ولما كان فيها مع ذكر الله صلاة على رسوله كان لها مزيد فضل عن غيرها، ولذلك أضاف لفظ نبي للضمير العائد عليهم، وفيها تشريف من ناحية، ومن أخرى تنبيه لهم على تقصيرهم في الصلاة عليه وهو نبيهم، وقوله: (إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً) فيه إيجاز بحذف الظرف أي يوم القيامة، وتقديم الجار، والمجرور (عليهم) يفيد الاختصاص، وقوله (فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) أسلوب شرط يعلّق تعذيبهم، أو المغفرة لهم على مشيئة الله، وقد بني على الإيجاز حيث حذف مفعول المشيئة، وفاعله، وتقديره إن شاء الله تعذيبهم عذبهم، وإن شاء الله المغفرة لهم غفر لهم، والحديث تنبيه للغافلين، وترغيب للذاكرين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) (فيه) لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/٥٥٠: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤١.

(٣) رياض الصالحين ٣٣٨.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٧)

٨٣٧- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُر الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لاَ يَذْكُرُ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أَبُو داود[1].

وَقَدْ سبق قريباً، وشَرَحْنَا (التِّرَة) فِيهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[2].

المضامين الأدبية[3]

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم ٤٨٥٦، وتقدم برقم ٨١٩. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥٣، وقال الترمذي ٤٦١/٥: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ٥٥٠/١: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٨٠٥/١.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

(٤) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

المسلم لا ينسى ربه، على أي حال كان، والمجالس قد يقع فيها من اللغو ما لا يقع في غيرها ولهذا سن الرسول ﷺ سننًا تتعلق بآداب المجلس قبل الاجتماع وأثناءه وبعده، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تربية الأولاد على التأدب بآداب المجالس:

لقد وردت في أحاديث الباب عدة آداب للمجالس يجب أن يعلمها الآباء أبناءهم ويتابعونهم عند تنفيذها منها:

أ- الجلوس حيث ينتهي بالإنسان المجلس: «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النبيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي»، فلا يتأتى أن يقيم أحداً من مكانه ولا يتخطى الرقاب فيؤذي الجالسين.

ب- عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما: كما في قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بِإذْنِهِمَا». فإن الإقدام على ذلك وإقحام الإنسان نفسه بين الآخرين من سيء الآداب وأرذل الأخلاق.

ج- لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذياً للناس: فإن فعْل ذلك موجب للعن، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن ذلك جالب للمقت والبعد عن الرحمة[1].

د- إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو احق به، كما في قوله ﷺ: «إذا قام أحدكم من مجلسه فرجع إليه، فهو أحق به»، وذلك إذ لم يطل بُعْدُ الإنسان من مجلسه بحيث يظن عدم عودته إليه، ومثل هذا من التوجيهات لو راعيناه لزالت إشكالات كثيرة ومصادمات متعددة.

هـ- ان يردد دعاء كفارة المجلس: والذي ورد في حديث: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...» فإن هذا الدعاء يتكفل بإذن الله

---

(١) انظر: كيف نربي أولادنا إسلامياً، محيي الدين عبدالحميد، مؤسسة بدران، ص١٩٩، ٢٠٠، والتربية عل منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢١٥-٢١٧، وشرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٢-٤٧٦.

تعالى بإزالة آثار الخطأ وتحقيق التنظيف التام الكامل، فقد سماه النبي ﷺ وجعله للمجلس كفارة.

"إن مراعاة حقوق الآخرين في المجتمع والتزام الآداب الرفيعة في التعامل معهم أمر واجب متلازم كل التلازم مع الأصول التربوية والنفسية النبيلة، بل يمكننا القول إن مراعاة الحقوق والآداب والذوقيات مظهر من مظاهر الأصول التربوية والنفسية النبيلة"[(١)].

ثانياً- العناية بالنظافة وحسن الهيئة والمظهر:

لقد اعتنى الإسلام بالنظافة وأرشد إليها وأمر بالتطهر والتطيب وحسن الهيئة والهندام حتى يكون المسلم شامةً بين الناس، يُشار إليه بالبنان، "ومن عناية الإسلام بالمظهر أن أمر بالنظافة لأنها الأساس لكل زينة حسنة ومظهر جميل لائق خاصّة في مواطن الاجتماع وفي أوقات الجمعة والعيدين"[(٢)].

ومن دلائل ذلك ما جاء في أحد أحاديث الباب من حثٍّ على الاغتسال والتطهر والتطيب ليوم الجمعة فقال ﷺ: «لا يَغتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمعةِ ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِن طُهرٍ ويَدَّهِنُ من دُهنهِ ...»، وهذا الاغتسال يوم الجمعة وإن لم يكن واجباً وجوب الفرائض التي لا رخصة في تركها فإن السنة تحث عليه حثاً شديداً وما ذلك إلا حرصاً من الإسلام على النظافة وسلامة الأبدان من الأمراض وحفظ الشعور والذوق العام حتى لا يؤذي الناس بعضهم بعضا[(٣)].

لذا كان من المهام المنوطة بالمربي والمعلم تعويد المتربين على الطهارة والنظافة والتجمل، ولا يقتصر الأمر عند مجرد التنظيف والتطهر بل يمتد إلى تحصيل أسباب الألفة وزيادتها بنشر الروائح الطيبة، ومظاهر الجمال في المجتمع الإسلامي.

إن من شدة اهتمام الإسلام بالنظافة أن جعلها شرط صحة لكثير من العبادات

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٥٧.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٦٤.

(٣) انظر: الأساس في أسس الرعاية، محمد الأمين الشنقيطي ص٣٢.

كالصلاة والطواف ونحوها، فالنظافة ركن أساس من الأركان التي دعا إليها الإسلام[١].

ثالثاً- الإكثار من ذكر الله تعالى اثناء التعليم وبعده:

من المهام التربوية الحسنة تعوُّد المربين المتربين على ذكر الله تعالى في مجالسهم واستذكارهم وتحصيلهم للعلوم والمعارف، وقد جاءت الوصية في أحاديث الباب بألا تخلو المجالس من ذكر الله تعالى ودعائه، جاء ذلك في قوله ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعداً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تعالى فيهِ كانَتْ عليْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ ...»، كما كان ﷺ مواظباً على كثير من الأذكار والأدعية في مجالسه، حفظ منها الصحابة الكثير ونقلوه إلينا، ومنها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاءِ الدعواتِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعصيتكَ...».

"فلنحرص على أن نكثر من ذكر الله تعالى أثناء تدريسنا وجلوسنا في الفصول وقاعات المحاضرات لنحظى بالثواب والفضل العميم من الله تبارك وتعالى، ولنبدأ كل درس بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ مع الإكثار من الاستغفار والأذكار، كما أن على المعلم كلما توقف عن شرح مسألة للاستراحة، أن يكثر من الأذكار ليكون لسانه رطباً من ذكر الله تعالى، وليغرس في نفوس الطلاب حب الأذكار وتكرارها على ألسنتهم كل وقت وعلى كل حال.

وإذا أراد المعلم القيام من مجلسه عند نهاية الدرس فليحرص على ذكر كفارة المجلس[٢]، والذي جاء في أحاديث الباب من حديث أبي برزة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...».

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٣٧.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢، ٧٣.

رابعاً- غرس خلق التواضع والابتعاد عن مظاهر التكبر:

إن من القيم التربوية التي ينبغي على المربين غرسها في نفوس المتربين خلق التواضع، والابتعاد عن مظاهر التعالي والتكبر وحب الظهور ونحوها والتي جاء النهي عن بعضها في أحاديث الباب كالنهي عن "إرهاق الناس بإزالتهم عن مجالسهم والتمتع بالراحة دونهم، كما في قوله ﷺ: «لاَ يُقيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فيهِ»، وكذلك النهي عن حب الظهور والتميز والانفراد بالمجالس كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن التظاهر في الإسلام ممنوع خاصة في المجالس العامة كمجالس العلم وغيرها لما فيه من إيذاء الجالسين والاعتداء على حقوقهم، وتَعَوُّد الإساءة إلى الناس وعدم التحكم في السلوك"[1].

فمن الأخلاق النبيلة التي ينبغي أن ينشأ عليها الناشئة التواضع وكراهة الظهور إذ أن من "علامة صدق العبد فيما يعمله لله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكراهة اطلاع الناس عليه، كما أن كراهة الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والسمعة والتصنع للخلق"[2].

خامساً- الاهتمام بالمدارس ودور التربية:

إن من شروط كمال العملية التعليمية والتربوية اختيار الأماكن وتهيئتها التهيئة المناسبة ومراعاة الجوانب الصحية والنفسية، وما شاكل ذلك، ومن ذلك ما جاء في طيات أحاديث الباب من ملائمة المدارس وحلقات التعليم من حيث مساحتها واتساعها لعدد الدارسين بها.

فكلما اتسعت المساحة وقضي على ظاهرة التكدس عاد ذلك بالأثر الإيجابي على العملية التعليمية والتربوية وعلى المعلمين والمتعلمين على حد سواء فإن خير المجالس كما قال ﷺ أوسعها.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٤.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٢١٩/١.

لذا ينبغي علينا الاهتمام "بالمدارس والمؤسسات التربوية، حيث إن نجاح وظيفة المدرسة يتوقف إلى حد كبير على عدة عوامل أساسية منها توفير بيئة مدرسية تشجع على التعليم والابتكار والإبداع"[١].

سادساً- التطبيق التربوي:

إن عملية التعليم والتربية لا تقف عند مجرد التعليم، ولا تقتصر على مجرد التلقين فحسب، بل تتعدى ذلك وتصل إلى مرحلة التطبيق التربوي والممارسة العملية من المربي والمتربي.

وذلك ما نلحظه في أحاديث الباب فرسول الله ﷺ لم يقتصر على مجرد الإرشاد إلى ذكر الله تعالى في المجالس، وإنما كان يتمثل بتلك التعاليم ويكثر من ذكر الله تعالى، ومن ذلك حرصه ﷺ على إنهاء المجالس بدعاء كفارة المجالس " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" كما كان يكثر من ختم المجالس بالأدعية، والتي منها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاء الدعوات: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعصيتكَ ...».

"إن تعلم العلم لا يكفي ليستقيم الإنسان، فلابد للمربي من العمل به حتى يكون قدوة صالحة، جاعلاً ظاهره موافقاً لباطنه، متحلياً بالأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة، وأن يجعل سلوكه وفق ما تعلمه ويعلمه لتلاميذه حتى يكون قدوة حسنة للمتربين، وأن يحسن النية في طلب العلم، وفي العمل به وأن يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى"[٢].

سابعًا- الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستفيد منها، من ذلك:

---

(١) انظر: علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة، د. هشام محمد مخيمر، ط/١، دار اشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٢.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٦٣.

أ-الإلقاء: كحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى".

وأسلوب الإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات من قبل المعلم، ويناسب هذا الأسلوب المتعلمين الكبار، وذلك لتميزهم بالنضج العقلي.

ب-الترغيب والترهيب: أما الترغيب فكقوله ﷺ: "من جلس في مجلسٍ فكثر لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك".

وأما الترهيب فقوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة".

وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي تتميز بقوة بقاء أثرها التربوي؛ وذلك لما فيه من تحذير للمتعلمين من التقصير، ولما فيه من ترغيب المتعلمين في فعل الخيرات.

ج-أسلوب المناقشة والحوار: كما في حديث أبي برزة رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت واستغفرك وأتوب إليك" فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

وأسلوب المناقشة والحوار يتميز فيفعل دور المتعلم في العملية التربوية ويدفع الملل عنه ويستثير دافعيته للتعلم.



١٣٠- باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[الروم: ٢٣].

الحديث رقم (٨٣٨)

٨٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلاَّ المُبَشِّرَاتِ)) قالوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الرؤيا، وما يتعلق بها يبدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات بلفظ سمعت، والتعبير بالسماع فيه تقرير للخبر، وتأكيد على عدم تطرق الشك إليه، ثم إن إضافة الرسول لله فيها تشريف، وتعظيم يضمن تعظيم الإخبار عنه، وقول الرسول ﷺ (« لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلا الْمُبَشِّرَاتُ) أسلوب قصر ينفي بقاء شيء من النبوة عن كل شيء، ويثبته للمبشرات، وقولهم، وما المبشرات؟ استفهام على حقيقته، فجاءت إجابة الرسول ﷺ مبنية على حذف المسند إليه (الرؤيا الصالحة) أي هي الرؤيا الصالحة، ووصف الرؤيا بالصالحة تقييد بالوصف يخرج ما كان من تحزين الشيطان، وما كان من حديث النفس بما تراه في اليقظة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب.

---

(١) برقم ٦٩٩٠.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، فهذا إخبار منه ﷺ أن الرؤيا الصالحة - وهي تفسير المبشرات- هي التي بقيت من النبوة.

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن بدء الوحي للنبي ﷺ: ((أَوَّلُ مابُدِىءَ به رسولُ اللهِ ﷺ منَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصالحةُ في النَّومِ، فكانَ لايَرى رُؤيا إلا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ))[1].

قال ابن حجر: (وبدئ بذلك ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة، ثم مهد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر)[2].

قال ابن أبي جمرة عن الجمع بين الرؤيا الصالحة والنبوة: (اعلم أن النسبة بينهما وطريق الجمع من وجهين: الواحد: من طريق أن النبوة حق لاشك فيها، فهذه كذلك حق لا شك فيها. وقد نبّه ﷺ على ذلك في الحديث بعد هذا بقوله: ((وما كان من النبوة لا يَكْذِب))[3] والوجه الآخر هو، أنه لما كانت بداية نبوته عليه السلام قبل أن يأتيه الوحي "بالرؤيا الصالحة" كما هو مذكور أول الكتاب "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" فما كان بدؤها أولاً هو الذي تبقى منها آخراً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[4])[5].

وقال ابن أبي جمرة كذلك عن الحكمة في استخدام النبي ﷺ لفظ النبوة ولم يستخدم لفظ الرسالة، قال: (اعلم أن هذا من أكبر الدلائل على ما خصه الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري، ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١/١.

(٣) هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤياالمؤمن جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة". اخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٥) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٢٥/٤.

به من حسن البلاغة، وسرعة الإدراك لغوامض الفوائد على البديهة، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام منهم من هو مرسل للغير، ومنهم من تنبأ وليس بمرسل، فلما كانت المرائي، منها ما يكون فيما يخص المرء في نفسه، ومنها ما يراها لغيره كما ذكرنا عنه ﷺ آنفاً بقوله ﷺ: ((الرُّؤيَا الصَّالحةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالحُ))[1] فلهذه النسبة ذكر ﷺ النبوة ولم يذكر الرسالة، وإنما هي حق مثل ما هي النبوة، وبقي فيها احتمال، هل تخص أو تعم، كما أن النبوة قد يكون معها الإرسال، فتكون عامة، أو لا يكون معها إرسال فتكون خاصة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة:

هذا واضح من تفسير المبشرات بالرؤيا الصالحة، قال الطيبي: (معنى الصالحة الحسنة ويحتمل أن تجري على ظاهرها أو أن تجري على الصادقة، والمراد بها صحتها، وتفسير رسول الله ﷺ المبشرات على الأول ظاهر، لأن البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، واستعماله في الخير أكثر، وعلى الثاني مؤول، إما على التغليب، أو يحمل على أصل اللغة)[3].

وقال أبو العباس القرطبي: (إن الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة، إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي ﷺ، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب)[4]. وقد سأل أبو الدرداء رضي الله عنه النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾[5]، فقال النبي ﷺ: ((مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) بهجة النفوس ٢/٢٣٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨/٢٣٩-٢٤٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٦٤.

الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ. فهى بُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبُشْرَاهُ فِي الآخِرَةِ))[١]. وفي صحيح مسلم: ((وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً ...، وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَة: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ. وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ))[٢].

وقد قال النبي ﷺ أيضاً: ((إذا رأَى أَحدُكم رُؤيا يُحبُّها فإنما هيَ من الله، فليحمد الله عليها وليحدِّثْ بها، وإذا رأى غيرَ ذلك مما يَكرَهُ فإنما هيَ منَ الشيطان فليستَعذْ من شرِّها ولا يَذكرْها لأحد فإنها لا تَضرُّه))[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب:

أما القصر فقوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات". وأما السؤال: فقول الصحابة رضي الله عنهم، سائلين الرسول ﷺ: وما المبشرات؟، وأما الجواب: فقوله ﷺ "الرؤيا الصالحة"، فأفاد كل هذا أن الرؤيا الصالحة من النبوة، فكان من حق من وقعت له الفرح والاستبشار. قال ابن أبي جمرة عن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معنى المبشرات، قال: (فيه دليل على جواز مراجعة العالم إذا لم يفهم كلامه، يؤخذ ذلك من قولهم: "وما المبشرات؟"، ويترتب على هذا من الفقه التثبت في العلوم الشرعية، حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سواء بالأدب؛ لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه دَعيٌّ زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٧٥٢٠/٤٥، والترمذي، ٢٢٧٣، والطبري في التفسير ٢١٦/١٢، واللفظ له، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٦٨١/٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٤).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم واللفظ له ٢٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١.

(٤) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٣٦/٤.

الحديث رقم (٨٣٩)

٨٣٩- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا المُؤْمِنِ تَكْذِبُ[١]، وَرُؤيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية[٣]: ((أَصْدَقُكُمْ رُؤيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ورد معنى الحديث في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد غرضه إفادة معناه، وهو الإخبار بأن رؤيا المؤمن في آخر الزمان يغلب عليها الصدق، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط المؤذن بربط صدق الرؤيا باقتراب الزمان، واقتراب الزمان أي اقتراب قيام الساعة، أو المقصود تقدم الإنسان في السن، واقتراب أجله؛ لأن أعمال الإنسان في هذه المرحلة يغلب عليها الصلاح.

ونسبة الرؤيا للمؤمن بيان، وتخصيص، وقوله (من النبوة) إشارة إلى أن في قلب المؤمن شعاع من النبوة هو شعاع الإيمان الذي جعل باطنه، وظاهره متفقين، فإذا رأى رؤية جاءت جزءاً من هذا الصدق الذي يحياه ظاهراً، وباطناً، ولذلك جاء قوله ﷺ (وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لا يَكْذِبُ) تأكيداً على صدق هذه الرؤيا تبعاً لصدق صاحبها، وإيمانه، وقد أكد ذلك بأسلوب القصر، والجملة التعليلية، المؤكدة ب (إن) التي تقرر نفي الكذب عن كل ما كان من النبوة، والذي قصد به هنا رؤيا المؤمن.

وإذا نظرنا في ألفاظ الحديث نلاحظ أن ألفاظ (النبوة، والمؤمن، والرؤيا) تكرر كل منها مرتين، وهي كلمات موحية بطبيعتها، والصلة بينها، وثيقة فالنبوة وحي الله

---

(١) لفظ البخاري: (لم تكد تكذب رؤيا المؤمن)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٢٦/٣ رقم ٢٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣/٦.

(٣) أخرجها مسلم في الرواية التي تقدمت برقم ٢٢٦٣/٦.

الذي انقطع بموت النبي ﷺ والرؤيا الصالحة هي شعاع النور المنبعث من مشكاة النبوة إلى قلوب المؤمنين في كل زمان، ومكان تربطهم بربهم إيماناً، وعملاً بفرائضه، وتربطهم بنبيهم محبة، ومتابعة لسنته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب"، قال ابن حجر: (قال الخطابي في المعالم[1]: "في قوله: "إذا اقترب الزمان ..." قولان: أحدهما: أن يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار، وهو وقت استوائهما أيام الربيع، وذلك وقت اعتدال الطبائع الأربع غالباً، وكذلك هو في الحديث. والمعبرون يقولون: أصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل والنهار، وإدراك الثمار.

والقول الآخر: إن اقتراب الزمان، انتهاء مدته إذا دنا قيام الساعة، قلت [القائل ابن حجر]: يبعد الأول التقييدُ بالمؤمن، فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وقد جزم ابن بطال بأن الأول هو الصواب[2]، واستند إلى ما أخرجه الترمذي من طريق معمر عن أيوب في هذا الحديث بلفظ "في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا"[3] قال: فعلى هذا فالمعنى إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى

---

(١) معالم السنن ٧/٢٩٧.

(٢) هكذا في المطبوع من فتح الباري الذي بين أيدينا ونظنه سبق قلم، وأن صحة العبارة: وقد جزم ابن بطال بأن القول الآخر هو الصواب، ويدل على هذا ما بعده من كلام.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٢٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٦٧).

مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تُذَكَّرُ بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء، وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة، التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة:

لقد أخبر النبي ﷺ بأن "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[٢].

قال البغوي: (قوله: "جزء من النبوة" أراد تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده، وإنما كانت جزءاً من النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحيٌ، وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾[٣].

وقيل: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باقٍ، والنبوة غير باقية، أو أراد به أنه كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ))[٤] أي: هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا فيها بهم، لا أنها حقيقة نبوة، لأن النبوة لا تتجزأ، ولا نبوة بعد الرسول ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: ((ذهبتِ النبوةُ وبقيت المبشراتُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٣/١٢. وقد ذكر ابن حجر أقوالاً أخرى ترجح أن المراد بتقارب الزمان قرب قيام الساعة. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠/٦-١١.

(٢) وقد وردت روايات أخرى بأعداد مختلفة. قال النووي: (فحصل ثلاث روايات، المشهور: "ستة وأربعين" والثانية "خمسة وأربعين"، والثالثة "سبعين جزءاً". وفي غير مسلم من رواية ابن عباس: "من أربعين جزءاً" وفي رواية "من تسعة وأربعين" وفي رواية العباس "من خمسين" وفي رواية ابن عمر "ستة وعشرين" ومن رواية عبادة "من أربعة وأربعين". شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/١٥/٨.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٤) قال محققا شرح السنة: أخرجه أبو داود ٤٧٧٦، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين، وباقي رجاله ثقات وله شاهد بنحوه عند الترمذي ٢٠١٠ بسند قوي من حديث عبدالله سرجس المزني، وحسنه الترمذي.

(٥) قال محققا شرح السنة: أخرجه البخاري ٦٩٩٠، ومسلم ٤٧٩، والطبراني ٣٠٥١، وأحمد ٢٧١٤١/٤٥ وابن ماجه ٣٨٩٦ وابن خزيمة وابن حبان ٦٠٤٧.

وقال بعض أهل العلم في قوله: "جزء من ستة وأربعين" إن مدة وحي الرسول ﷺ من حين بُدئ إلى أن فارق الدنيا، كان ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت ستة أشهر منها في أول الأمر، يوحى إليه في النوم، وهو نصف سنة، فكانت مدة وحيه في النوم جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من جملة أيام الوحي")[1].

لكن التوربشتي تعقب هذا القول الأخير فقال: (أما حصر سني الوحي في ثلاث وعشرين، فإنه مما ورد به الروايات المعتد بها مع اختلاف في ذلك. وأما كون زمان الرؤيا فيها ستة أشهر، فشيء قدره هذا القائل في نفسه، لم يساعده فيه النقل. وأرى الذاهبين إلى التأويلات التي ذكرناها قد هالهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة. وقد قال ﷺ: "ذهبت النبوة" ولا حرج على أحد في الأخذ بظاهر هذا القول؛ فإن جزءاً من النبوة لا يكون نبوة كما أن جزءاً من الصلاة على الانفراد لا يكون صلاة. وكذلك عمل من أعمال الحجيج وشعبة من شعب الإيمان.

وأما وجه تحديد الأجزاء بستة وأربعين: فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه ويتلقى بالتسليم؛ فإن ذلك من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض له بالقياس، وذلك مثل ما قال في حديث عبدالله بن سرجس في السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد: أنها جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة[2]. وقلما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء ولئن قيض له الإصابة في بعضها، لما يشهد له الأحاديث المستخرج منها لم يسلم له ذلك في البقية. انتهى كلامه)[3].

لكن أبا العباس القرطبي ذكر أنه ظهر له وجه في تفسير أن الرؤيا جزء من النبوة، فقال بعد أن ذكر أربعة أوجهٍ فقال: (وقد ظهر لي وجه خامس، وأنا أستخير الله في ذكره، وهو: أن النبوة معناها: أن يطلع الله من يشاء من خلقه على ما يشاء من

(١) شرح السنة ١٢/٢٠٢-٢٠٤ وقد نقله عن الخطابي في معالم السنن ٧/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) كذا قال ولفظ الحديث "أربعة وعشرين جزءاً من النبوة" وهو عند الترمذي ٢٠١٠ وقد تقدم تخريجه قريباً.

(٣) نقله الطيبي في شرحه على المشكاة ٧/٣٤٠.

أحكامه ووحيه، إما بالمشافهة، وإما بواسطة ملك، أو بإلقاء في القلب، لكن هذا المعنى المسمى بالنبوة، لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف، والعلوم، والفضائل، والآداب، ونزَّهه عن نقائص ذلك. ولذلك قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(١)، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢)، وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(٣)، وقال: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾(٤) وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥).

فقد حصل من هذا: أن النبوة لم يخص الله بها إلا أكمل خلقه، وأبعدهم عن النقائص. ثم: إنه لما شرفهم بالنبوة، حصلت لهم بذلك على جميع نوعهم الخصوصية، فلما كانت النبوة لايخص الله بها إلا من حصلت له خصال الكمال، أطلق على تلك الخصال: نبوة، كما قال ﷺ: "التؤدة والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من النبوة". أي: من خصال الأنبياء، لكن الأنبياء في هذه الخصال متفاضلون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾(٦)، وقال: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ﴾(٧)، فتفاضلهم بحسب بما وُهب لكل واحدٍ منهم من تلك الصفات، وشرف به من تلك الحالات، وكلٌّ منهم الصدق أعظم صفته في نومه ويقظته، وكانوا تنامُ أعينهم، ولا تنامُ قلوبهم فنائمهم يقظان، ووحيُهم في النوم واليقظة سيَّان؛ فمن ناسبهم في الصدق حصل من رؤياه على الحق؛ غير أنه لما كان الأنبياء في مقاماتهم

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٥٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

وأحوالهم متفاضلين، وكان كذلك أتباعهم من الصادقين؛ وكان أقلُّ خصال كمال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستاً وعشرين جزءاً، وأكثر ما يكون من ذلك سبعين، وبين العددين مراتب مختلفةٌ بحسب ما اختلفت ألفاظ تلك الأحاديث.

وعلى هذا: فمن كان مثل الأنبياء في صلاحه وصدقه على رتبة تناسب كمال أحدٍ من الأنبياء؛ كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبي، وكمالاتهم متفاضلة كما قررناه، فنسبة أجزاء منامات الصادقين متفاوتة على ما فصلناه. وبهذا الذي أظهر الله لنا يرتفعُ الاضطراب. والله الموفق للصواب)[١].

وقال ابن حجر: (إن الرؤيا الصالحة إنما كانت جزءاً من أجزاء النبوة، لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان، فإنها ليست من أجزاء النبوة)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها:

لقد أخبر النبي ﷺ أن "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً" قال النووي: (ظاهره أنه على إطلاقه. وحكى القاضي عياض[٣] عن بعض العلماء: أن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم، وموت العلماء والصالحين، ومن يستضاء بقوله وعلمه، فجعله الله تعالى جابراً وعوضاً ومنبهاً لهم، والأول أظهر، لأن غير الصادق في حديثه، يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايته إياها)[٤].

وقال أبو العباس القرطبي: (إنما كان ذلك، لأن من كثر صدقه تنور قلبه، وقوي إدراكه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة والاستقامة، وأيضاً فإن من كان غالب حاله الصدق في يقظته، استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقاً. وعكس ذلك الكاذب والمخلط، يفسد قلبه ويُظلم، فلايرى إلا تخليطاً وأضغاثاً[٥]. هذا غالب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٧-١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٣٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/٢١١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/٥/٢١.

(٥) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٤٠.

حال كل واحد من الفريقين، وقد يندر فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، لكن ذلك قليل، والأصل ما ذكرناه)[(١)]. وقال ابن حجر: (وهذا يؤيد ما تقدم أن الرؤيا لا تكون إلا من أجزاء النبوة إن صدرت من مسلم صادق صالح)[(٢)].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٢/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٣/١٢.

الحديث رقم (٨٤٠)

٨٤٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ - أَوْ كَأَنَّما[١] رَآنِي فِي اليَقَظَةِ- لاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يتمثل: لا يتشبه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يداعب خيال المؤمنين، ويهدهد خواطرهم بأحب بشارة إلى قلوبهم وهي رؤيته ﷺ في المنام على حقيقة صورته الجليلة لا يتمثل في صورته شيطان، وهو أمل يسعى إليه كل مؤمن، وقد جاء الخبر الحبيب إلى النفوس في صورة خبرية وثَّقَ فيها أسلوب الشرط الصلة بين رؤية الرسول ﷺ في المنام، وبين رؤية الرسول ﷺ في اليقظة، وقوله (رآني) ماض دال على التحقق، وقوله (فسيراني) الفاء في جواب الشرط، والسين بوابة إلى المستقبل، والفعل المضارع يصوِّر الحدث ويلوِّح للسامع بمشهد يتمناه، وهو شخص الرسول ﷺ، وقول الراوي: (أو كأنما رآني في اليقظة) شك منه في أي العبارتين قال، وهذا دليل على شدة حذرهم في النقل عن الرسول ﷺ إلا اليقين، فإن شك أحدهم في لفظ نقل شكه حتى يتبرأ من شبهة الكذب على رسول الله، ومعنى العبارة أن رؤيته في المنام تساوي رؤيته في الحقيقة، ولذلك أتبعها بجملة ´)لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي) توكيداً لمضمون الجملة السابقة، يضمن سلامة الرؤيا من عبث

(١) لفظ مسلم: (لكأنما).

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٩٣، ومسلم واللفظ له ١١/٢٦٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ث ل).

الشيطان، ثم إنها خصيصة لرسول الله ﷺ كرامة له، وهدية لمن تابعه ممن جاء بعده من المؤمنين إلى يوم القيامة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دلالة رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام:

رؤيا النبي ﷺ في المنام من المبشرات والمفرحات، لذا كان على الداعية أن يهتم بها ويوضح ذلك للمدعوين. جاء في الموسوعة الفقهية: "ذكر البخاري في كتاب التعبير من صحيحه باباً بعنوان: (من رأى النبي ﷺ في المنام)، وذكر خمسة أحاديث منها ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ. ولاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي))[1]، وهذه الأحاديث على جواز رؤيته ﷺ في المنام.

وقد ذكر ابن حجر في الفتح[2]، والنووي في شرح مسلم[3] أقوالاً مختلفة في معنى قوله ﷺ: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة)، والصحيح منها أن مقصوده أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا أضغاثاً[4]، بل هي حق في نفسها، ولو رؤي على غير صورته التي كان عليها في حياته ﷺ فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو

---

(١) كتاب: التعبير في صحيح البخاري ٩١، والباب: ١٠، والأحاديث من ٦٩٩٣ - ٦٩٩٧، وهذا الحديث برقم ٦٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/ ٤٠٠ - ٤٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٤) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ ﴾ لسورة يوسف، آية: ٤٤.

من قبل الله[١].

وقال[٢]: وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، يؤيده قوله: ((فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ))[٣]، أي: رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به، فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها، ولا يهمل أمرها، لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه"[٤].

قال القرافي: "قال العلماء: إنما تصح رؤية النبي ﷺ لأحد رجلين:

أحدهما: صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه السلام.

وثانيهما: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب، حتى انطبعت في نفسه صفته عليه السلام، ومثاله المعصوم، كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله عليه السلام، كما يجزم به من رآه، فينتفي عنه اللبس والشك. وأما غير هذين فلا يحصل الجزم، بل يجوز أن يكون رأى النبي عليه السلام بمثاله، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يفيد قولُ الذي يراه: هذا رسول الله. ولا قول من يحضر معه: هذا رسول الله، لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره، فلا يحصل الجزم.

---

(١) وقال الطيبي: المعنى: من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر، وليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله، وهي من المبشرات لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب إلى الباطل الذي هو الشيطان، فإن الشيطان لم يتمثل بي، وكيف لا يكون مبشرات؟ وهو البشير النذير السراج المنير وهو الرحمة المهداة إلى كافة الخلق، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٤٢/٨ - ٢٤٣.

(٢) هذا قول القرطبي كما نقل ذلك عنه الحافظ في الفتح ٤٠١/١٢، وهو في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٣/٧ - ٢٤، وذكره قبله المازري في المعلم ٢٩٥/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩/٢٢ - ١٠.

إذا تقرر هذا وأنه لا بدّ من رؤية مثاله المخصوص، فيشكل بما تقرر في كتب التعبير، أن الرائي يراه شيخاً وشاباً وأسود وذاهب العينين وذاهب اليدين. وعلى أنواع شتى من المثل التي ليست مثاله عليه السلام.

فالجواب عن هذا: أن هذه الصفات - صفات الرائين وأحوالهم - تظهر فيه عليه السلام وهو كالمرآة لهم"[(١)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دلالة رؤية النبي ﷺ في المنام:

يشتاق كل مسلم أن يرى النبي ﷺ في منامه، لما في ذلك من أثر كبير على نفسه، لذا بيّن النبي ﷺ هذا الأمر فقال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي)، قال ابن حجر: "قال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره -لكونه حينئذٍ غائباً عنه- فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، قاله القزاز. وقال المازري[(٢)]: إن كان المحفوظ [أي من الرواية] (كأنما رآني في اليقظة) فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ (فسيراني في اليقظة) احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه، فإنه إذا رآه في المنام، جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه ﷺ.

وقال القاضي[(٣)]: وقيل معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها. وقيل: معنى الرؤيا في اليقظة أنه سيراه في الآخرة. وتعقب بأنه في الآخرة يراه جميع أمته، من رآه في المنام ومن لم يره، يعني: فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية. وأجاب القاضي عياض باحتمال أن تكون الرؤيا في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه، والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات. قال: ولا يبعدُ أن يعاقب الله بعض المذنبين في

---

(١) الفروق: القرافي: أحمد بن إدريس المالكي ٦٨٤هـ تحقيق: عمر حسن القيام ٣٦٩/٤.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٦/٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٢٠/٦.

القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ مدة"[١].

وقال ابن تيمية: (إن هذا في رؤية المنام، لأن الرؤية في المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان، فمنعه الله أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا. فمن ظن أن المرئى هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان)[٢].

وقال القرطبي: (ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته، وهو دينه وشريعته، فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان، وكذلك الحكم إذا رأى على خلاف الصورة التي كان عليها مما يجوز عليه)[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ في هذا الحديث، فقد أخبر أنه من رآه في المنام فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل به، قال ابن عثيمين: (وإذا ضرب للإنسان مثل بأبيه أو أمه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك، فقد يكون هذا هو الواقع، وقد يكون من الشيطان، يتمثل الشيطان للنفس بصورة هذا الإنسان ويراه النائم. إلا النبي ﷺ، فإن الإنسان إذا رأى النبي ﷺ على هذا الوصف المعروف، فإنه قد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ أبداً ولا يجرؤ.

فإذا رأى الإنسان شخصاً ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ فليبحث عن أوصاف هذا الذي رأى، هل تطابق أوصاف النبي ﷺ؟ فإن طابقت فهو هو، وإن لم تطابق فليس النبي ﷺ، وإنما هذه أوهام من الشيطان أوقع في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ، وليس هو الرسول، ولذلك دائماً يأتي أحد يقول: رأيت الرسول ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢ - ٤٠٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٢٩/١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥/٦ - ٢٦.

وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا وصفه، إذا أوصافه، لا تطابق أوصاف النبي ﷺ مع أنه في منامه وقع عليه أنه النبي ﷺ، لكن إذا تحدث عن أوصافه، فإذا هو ليس النبي ﷺ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ)[1].

قال ابن حجر: (إن الله تعالى وإن أمكنه [أي أمكن الشيطان] من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ، وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها، ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال: لا بد أن يراه على صورته التي قبض عليها، حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة، والصواب التعميم في جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقية في وقت ما، سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره، وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي)[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٠٣.

الحديث رقم (٨٤١)

٨٤١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ، يقول: ((إذَا رَأى أحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا، فَإنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا.

(وفي رواية: فَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا إلاَّ مَنْ يُحِبُّ)[1].

وَإذَا رَأى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فإنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لأحَدٍ؛ فَإنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الراوي المعنى في صورة خبرية أكدها بـ (أن) مع اتصالها بالضمير العائد عليه ليلفت عناية المخاطبين لما يروي، وأنه يستحق الإنصات، والتعبير بالسمع رغبة في توثيق الخبر، وبداية كلام الرسول ﷺ بأسلوب الشرط الذي يرتب الحمد لله على حصول الرؤية المحبوبة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (رؤيا) للتعظيم يدل على ذلك جملة الصفة بعدها (يحبها)، وأسلوب القصر بطريق إنما الذي يقصر الرؤية على كونها من عند الله، لا غيره، والفاء تلغي الزمن بين حصول الرؤية المحبوبة، وحمد الله، وهكذا عند حصول كل نعمة يجب أن

---

(١) هذه الزيادة هي المتفق عليه، أخرجها البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١/٤ عن أبي قتادة، وليس عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٨٥، ولم يروه مسلم عن أبي سعيد الخدري، وهو من أفراد البخاري كما في الجمع للحميدي ٤٥٨/٢، رقم ١٧٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٢ وعزاه إلى الترمذي، واستدرك عليه الناجي في عجالة الإملاء لوجوده في الصحيحين.

يرتب الإنسان عليها شكراً دون مهلة قد يستغلها الشيطان لينسيه إياه، ثم إنه من تمام شكرها التحديث بها لشرح صدور الأحباب بالخير المرجو.

أما الصورة المقابلة فهي رؤية الإنسان ما يكره، والعمل فيها عكس العمل في سابقتها عند الرؤية الصالحة، وقد استخدم أسلوب المقابلة لتقرير هذا المعنى حيث قابل بين الفعلين (يحب، ويكره) اللذين يظهران أبعاد الموقف النفسي عند كل رؤية، وبين (من الله، ومن الشيطان) اللذين يحددان مصدرهما، وبين (فاليحمد، وليستعذ) اللذين يقرران رد الفعل الصحيح، وبين فليحدث بها، ولا يذكرها) اللذين يدلان على إشاعة الخير، وقصر الشر، وجملة الختام (فإنها لا تضره) علاج نفسي يربِّت على قلب المؤمن، ويذهب عنه كيد الشيطان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام.

ثالثاً: من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه.

رابعاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على التفاؤل.

خامساً: من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام:

لقد أخبر النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة والحسنة من الله، وعلى الإنسان أن يقوم بواجب الشكر تجاه هذه النعمة، بأن يحمد الله عليها ويحدث بها، وفي رواية: (لا يحدث بها إلا من يحب).

قال ابن عثيمين: (الرؤيا الصالحة الحسنة إذا رأى الإنسان ما يحب فهذه من الله عز وجل، وهي نعمة الله على الإنسان أن يُريه ما يحب، لأنه إذا رأى ما يحب نشط وفرح وصار هذا من البشرى، فمن عاجل بشرى المؤمن الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له. ولهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤٢، ٨٤٣).

قال النبي ﷺ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[١]، هذه بشرى وخير، هي من الله عزّ وجل[٢].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسرّ رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقاً به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك"[٣].

وقال ابن حجر: "ولمسلم[٤] في رواية من هذا الوجه: ((فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِرْ وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ))، وقوله: (فليبشر) -بفتح التحتانية وسكون الموحدة، وضم المعجمة- من البشرى. وقيل: بنون بدل الموحدة (لينشر) أي: ليحدث بها، وزعم عياض[٥] أنها تصحيف، ووقع في بعض النسخ من مسلم (فليستر) بمهملة من الستر".

وفي حديث أبي رزين عند الترمذي: ((ولا يقصها إلا على وادّ))[٦]، وفي أخرى: ((وَلاَ تُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ لَبِيباً أَوْ حَبِيباً))[٧]، وفي أخرى: ((لا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ))[٨]، قال القاضي أبو بكر بن العربي: "أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه، وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه. وأما اللبيب وهو العارف

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٤٧٩، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (أيها الناس لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له).

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٣٢/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٧/٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٣ - ٢٢٦١.

(٥) نقله عنه النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠/١٥/٨ .

(٦) بل هو عند أبي داود ٥٠٢٠، وابن ماجه ٣٩١٤، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ٣١٦٢، وقد أخرجه أحمد ١٦١٨٢/٢٦ فينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٢٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٨).

(٨) أخرجه الترمذي ٢٢٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٩).

بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت، وأما الحبيب فإن عرف خيراً قاله، وإن جهل أو شك سكت.

قلت: [القائل ابن حجر]: "والأولى الجمع بين الروايتين، فإن اللبيب عبّر به عن العالم والحبيب عبر به عن الناصح"[١].

وقال أبو عبدالله القرطبي عن قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: " ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[٢]، قال: "هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها"[٣].

قال ابن حجر: (حاصل ما ذكر من أبواب الرؤيا الصالحة ثلاث اشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام:

وهذا واضحٌ من الأحاديث الثلاثة، قال ابن حجر: (وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء، أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شرّ الشيطان، وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً.

ووقع عند المصنف - أي البخاري- في باب القيد في المنام: عن أبي هريرة رضي الله عنه خامسة: وهي الصلاة، ولفظه: ((فمن رأى شيئاً يَكرَهه فلا يَقُصَّه على أَحد، ولْيَقمْ فلْيُصَلِّ))[٥]، لكن لم يصرح البخاري بوصله، وصرح به مسلم[٦].. وزاد مسلم سادسة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٦/٩/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١٢.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠١٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٢٦٣.

وهي التحول عن جنبه الذي كان عليه فقال: حدثنا قتيبة فساق إسناده عن جابر رفعه: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثاً. وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاَثاً. وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ))[1].

وفي الجملة فتكمل الآداب ستة، الأربعة الماضية والصلاة والتحول.... وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور: فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح، وهي مشروعة عند كل أمر يكره، وأما الاستعاذة من الشيطان، فلما وقع في بعض طرق الحديث أنه منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه، وأما التفل فقال عياض[2]: أمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيراً له واستقذاراً، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: [أي ابن حجر]: والتثليث للتأكيد..

قال النووي[3]: "وأما قوله: (فإنها لا تضره)، فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا، كما جعل الصدقة وقاية للمال، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجوء إليه، ولأن في التحرم بها عصمة من الأسواء، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة، لقرب المصلي من ربه عند سجوده، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها"[4].

ثالثاً- من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه:

لقد أرشد النبي ﷺ في هذه الأحاديث المدعوين إلى الآداب التي يتبعونها عند الرؤيا الصالحة وعند الرؤيا المكروهة، قال ابن حجر: "قوله: (فلا يحدث بها إلا من يحب)، إن الحكمة فيه أنه إذا حدث بالرؤيا الحسنة من لا يحب، قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضاً وإما حسداً، فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٦٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٠٧/٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١٢ - ٢٨٨.

ونكداً، فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك"[١].

ونقل ابن حجر قول أبي العباس القرطبي في المفهم[٢] في تفسير قوله ﷺ: (وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، قال القرطبي: "ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا، يعني ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين، هو المأمور بالاستعاذة منه، لأنه من تخيلات الشيطان وتشويشاته، فإذا استعاذ الرائي منه صادقاً في التجائه إلى الله، وفعل ما أمر به من التفل والتحول والصلاة، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك، ولم يصبه منه شيء، وقيل: بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائي بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء، والصدقة تدفع ميتة السوء، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. ولكن الأسباب عادات لا موجودات. وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائي ولكنه لا يجده في اليقظة، ولا ما يدل عليه، فإنه يدخل في قسم آخر، وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم، ثم يحصل النوم فيراه، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع"[٣].

رابعاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التفاؤل:

قال النووي: "قال الإمام المازري: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا، أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنه جعلها علماً على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر، فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره، كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علماً على المطر، والجميع

---

(١) المرجع السابق ١٢/٤٥٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٩ - ١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٣٨٩.

خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله ﷺ: (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان) لا على أن الشيطان يفعل شيئاً، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، هذا كلام المازري[(١)]. وقال غيره[(٢)]: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف، بخلاف المكروهة، وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى وتدبيره وبإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها ويسر بها"[(٣)].

كما أمر النبي ﷺ مَنْ رأى رؤيا حسنة أن يحدث بها، كما أرشد من رأى رؤيا يكرهها ألا يحدث بها أحداً، فضلاً عن إرشاده إلى ما يفعله حتى لا تضره، وفي هذا كله نشر للتفاؤل بين أوساط المدعوين ودفعهم إلى عدم التأثر بالرؤيا التي يكرهونها.

ولعل هذا ما يوضحه حال أبي قتادة الصحابي رضي الله عنه الذي روى حديث النبي ﷺ: ((الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُمُ منَ الشيطان فإذا حلَمَ أحدُكم حُلماً يخَافهُ فلْيَبصُق عن يَسارِهِ ولْيتعوَّذْ باللهِ من شرِّها، فإنها لا تضرُّه))[(٤)].

فقد روي عن أبي قتادة رضي الله عنه هذا الحديث أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وهو من التابعين، قال: "إن كنتُ لأرى الرؤيا تمرضني، فلقيت أبا قتادة فقال: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي. حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))... الحديث[(٥)].

وفي رواية لأبي سلمة قوله: (فإن كنتُ لأرى الرُّؤيا أثقلَ عليَّ من الجبلَ، فما هوَ إلا

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٩١/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢٠٦/٧ - ٢٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨ - ١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٩٢، ومسلم ٢٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٤ - ٢٢٦١.

أن سمعتُ هذا الحديثَ فما أُباليها)[١].

وفي رواية قال أبو سلمة: (كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا. غَيْرَ أَنّي لاَ أُزَمَّلُ. حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ)[٢].

قال النووي: (أما قوله: أُزَمَّل، فمعناه: أغطى وألف كالمحموم، وأما أُعْرَى -فبضم الهمزة وإسكان العين وفتح الراء - أي أُحمُّ لخوفي من ظاهرها في معرفتي، قال أهل اللغة: يقال: عُري الرجل - بضم العين وتخفيف الراء- يعرى: إذا اصابه عُراء - بضم العين وبالمد- وهو نفض الحمّى وقيل: رعدة)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه جابر بن عبدالله ﵁ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ لِلأَعْرَابِيِّ: ((لاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ))، وقال: سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال: ((لاَ يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ))[٤].

قال النووي: (قال المازري[٥]: يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منامه هذا من الأضغاث بوحي أو بدلالة من المنام دلته على ذلك، أو على أنه من المكروه الذي هو من تحزين الشياطين)[٦].

خامساً- من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد:

أما الشرط فواضح من أداتي الشرط: (إذا)، (فمن) والشرط يجعل المدعو منتبهاً لمعرفة ما يكون بعد أداة الشرط وفعل الشرط، لأنه هو المطلوب غالباً، فجاء جواب الشرط ليبين ما على المدعو أن يفعل إذا رأى رؤيا صالحة أو رأى رؤيا مكروهة. وجاء

(١) أخرجه البخاري ٥٧٤٧، ومسلم ٢ - ٢٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨، ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥ - ٢٢٦٨.

(٥) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٧/٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٨/١٥/٨.

الإخبار في قوله ﷺ: (الرؤيا الصالحة من الله)، ليبشر من رآها، وأكد ذلك بأن صاغها ﷺ في أسلوب القصر: (فإنما هي من الله تعالى)، وكذلك في قوله: (الحلم من الشيطان)، لينبه على أنها لا تضر الإنسان، لذلك جاء ﷺ بالقصر والتوكيد: فإنما هي من الشيطان، فإنها لا تضره.

الحديث رقم (٨٤٢)

٨٤٢- وعن أَبي قَتَادَة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ -(وفي رواية: الرُّؤيَا الحَسَنَةُ) [١]- مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأى شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلاثاً، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(النَّفْثُ): نَفْخٌ لَطيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

ترجمة الراوي:

ابو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الحُلم: الرؤيا والحُلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغَلَّب الحُلم على ما يراه من الشر والقبيح، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[٣].

فلينفث: النَّفْثُ: نفخ لطيف لا ريق معه[٤].

الشرح الأدبي

تحديد مصدر الرؤية راحة نفسية، وسكينة في القلب في حالة الرؤية الصالح، وفي حالة الرؤية المكروهة، أما في حالة الرؤيا الصالحة، فإنه إذا علم مصدرها وأنها من عند الله اطمأن إلى تحققها، وزاد رجاؤه لخيرها، أما في حالة الرؤيا المكروهة فمعرفة مصدرها يذهب حزنه مما رأى؛ لأنه إذا علم أنها من الشيطان، علم أنها لا تضره، لذلك قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة، وحدد مصدر كل

---

(١) عند البخاري برقم ٧٠٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٩٢ واللفظ له، ومسلم ٢٢٦١/٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٣.

(٣) النهاية في (ح ل م).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٣.

رؤية، ثم قرر بأسلوب الشرط ما يجب على الإنسان في الحالتين بأسلوب الأمر (فلينفث، وليتعوذ) وتقييد الفعل الأول بالجار، والمجرور (عن شماله) لأنها جهة يحبها الشيطان، ويكون عليها، والفعل الثاني بالجار، والمجرور (من الشيطان) ؛ لأنه مصدرها؛ ونحن لا نراه فعلّمنا أن نستعين بمن يراه، ويرد كيده، وقد علل لذلك بأنها لا تضره، وقد أكدها بأكثر من مؤكد لكي ينزع وساوس الشيطان من النفس، ويردّها نفساً مطمئنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٤٣)

٨٤٣- وعن جابر ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثاً، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه في كل مناسبة، وعند كل حاجة لاسيما في الأمور التي تتخلف فيها القدرة البشرية، ولا يكون للإنسان فيه تصرُّف، كعالم الرؤى، والأحلام، لذلك وضع الرسول ﷺ حلولا يجد فيها المؤمن ما يذهب عنه ما قد يعتريه مما يكرهه في هذا العالم، وبداية كلام الرسول ﷺ بأسلوب الشرط الذي يرتِّب البصق على حصول الرؤيا المكروهة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، لأنها من الشيطان، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، وأن كل فردٍ معرَّض لذلك، وجملة (يكرهها) جملة حالية تكشف عن الوجهة النفسية للرائي، وقد وضع له النبي ﷺ العلاج الناجع في ثلاث خطوات، الأولى: قوله (فليبصق)، والفاء في جواب الشرط، واللام للأمر، وتحديد جهة اليسار؛ لأنها جهة الشيطان، وعطف فعل الاستعاذة عليه استكمالاً للعلاج النفسي الذي وضعه النبي ﷺ لهذه الحالة، لأن الإنسان في نومه لا يملك نفسه وليس له قدرة يتصرف بها في عالم الرؤى، فإذا رأى ما يكره استعاذ بمن له القدرة على ذلك فتسكن نفسه،

(١) برقم ٢٢٦٢/٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨١.

وتذهب مخاوفه، ثم استكمل أركان العلاج بأمره (وليتحول) ينتقل عن جنبه الذي رأى عليه هذه الرؤية، مفارقة حسية للجهة التي عبث به الشيطان فيها، بعد المفارقة المعنوية بالاستعاذة بالرحمن.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٤٣) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤١، ٨٤٢).

الحديث رقم (٨٤٤)

٨٤٤- وعن أَبي الأسقع واثِلةَ بن الأسقعِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أعْظَمِ الفِرَى أنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلَى غَيرِ أبيهِ، أوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أوْ يَقُولَ عَلَى رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ)) رواه البخاري(١).

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، أسلم سنة تسع قبل غزوة تبوك والنبي ﷺ يتجهز لها، وشهدها مع النبي ﷺ، وكان من فقراء المسلمين، لذا كان من أهل الصفة، وقد وصفهم فقال: كنا أصحاب الصفة ما منّا رجل له ثوب تام ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار، إذ أقبل علينا النبي ﷺ فقال: ليبشر فقراء المهاجرين(٢).

وقد نال شرف أن يكون من أهل بيت النبي ﷺ، فقد قال: إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساءً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قلت: يا رسول الله: وأنا؟ قال: وأنت. فوالله إنها لأوثق عمل عندي(٣).

وفي رواية: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي قال: إنها لمن أرجى ما أرتجي(٤).

ولما قبض النبي ﷺ انتقل إلى الشام وسكن بها وكان يشارك في الفتوحات، فقد شارك في فتح دمشق وحمص وغيرهما.

---

(١) برقم ٢٥٠٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥٧/١٧ آ. مخطوط وقال محققو السير: ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٠٣/١٩-١٠٤، والطبراني في الكبير ٢٦٦٩، ١٥٩/٢٢ وقال الذهبي في السير ٣٨٥/٣: حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٩٧٦ والطبري في التفسير ١٠٤/١٩.

وله موقف بطولي في فتح دمشق يدل على شجاعته وجرأته، فقد مكث بجانب بابها بحيث لا يراه أحد من الروم، فلما خرجوا، حمل عليهم وكبّر، فظنوا أنهم أحيط بهم، فانهزموا ورجعوا إلى مدينتهم ولما عرفوا أنه وحده تبعوه ليقتلوه، لكنه قتل منهم، ثم جاء إلى خالد بن الوليد، فوجد عنده أحد كبار الروم يلتمس منه الأمان لأهل دمشق.

وقد طال عمره ومات في دمشق في خلافة عبدالملك بن مروان سنة ٨٣هـ. وقيل: ٨٥هـ وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة. وقيل مات ببيت المقدس[١].

غريب الألفاظ:

الفرى: جمع فرية: الكذبة العظيمة[٢].

يدعى الرجل إلى غير أبيه: هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه، فنهي عنه وجعل الولد للفراش[٣].

الشرح الأدبي

كثافة المؤكدات في بداية حديث رسول الله ﷺ ينبيء بخطر ما بعده، وأنه يجب أن تتوفر عليه الأسماع، وأن تفطن له العقول، وقد صدَّر الخبر بأفعل التفضيل (أعظم) المضافة إلى لفظ منفر ارتقت به درج عظائم الذنوب، واستقرت فوقها (الفرى) وهو: جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة التي يتعجب منها لما يترتب عليها من أذى يتعدى

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٧/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٩/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٣، والسير ٣٨٣/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٠/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٧/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٦١/٣.

(٢) النهاية في (ف ر ى)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٣) النهاية في (د ع ى).

ضرره الفرد إلى الجماعة، وقوله (أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ) أي ينتسب إلى غير أبيه، وهو خلط في الأنساب، وضياع للحقوق، ثم عطف عليه نوعاً ثانياً من أنواع الكذب وهو (أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ) وذكر العين مع دلالة الرؤية عليها فيه توكيد للفعل وهي آلته، وقوله (يُري) أي يدعي الرؤية، وكان هذا من أعظم الكذب؛ لأن الرؤيا جزء من النبوة، والنبوة لا تكون إلا وحيا، والكاذب في الرؤيا يدعي أن الله أراه ما لم يره وأعطاه جزءاً من النبوة، ولم يعطه، والكاذب على الله أعظم فرية ممن كذب على غيره، ولذلك قُدِّم على الكذب على رسول الله ﷺ في قوله: (أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ) والتعبير بـ (على) يفيد الاستعلاء، وتجاوز الحد، وذكر الرسول ﷺ بصفة الرسالة، ثم إضافته لله تعظيم لجرم هذا الكاذب على من هذه صفته، ولأن الكاذب على الرسول ﷺ مضلل للأمة لذا أُدرج ضمن أعظم الفرى ترهيباً من الإقدام عليه.

فقه الحديث

في الحديث ما يلي من أحكام:

الحكم الأول: من انتسب إلى غير أبيه: إن من الكبائر التي حذر منها الشارع لما يترتب عليها من المفاسد وتغيير ما شرع الله تعالى، أن ينتسب المرء إلى غير أبيه، أو يدعى ابناً ليس ابنه، وهو يعلم أنه كاذب فيما ادعاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر))[1]، والكفر المذكور في الحديث له تأويلان ذكرهما النووي: أحدهما: أنه في حق المستحلّ.

والثاني: أنه كفر النعمة والإحسان وحق الله تعالى وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج عن ملة الإسلام[2]، وكذلك الحكم لمن ينفي نسب ابنه وهو يعلم كذبه[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٨، ومسلم ٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/٥٠ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/٣٤.

الحكم الثاني: الكذب في الرؤيا: حذّر الشارع من الكذب في الرؤيا ونهى عنه، لأنه لما كان المنام جزءاً من الوحي، كان المخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يُلْقه إليه، أو لأن الله يرسل ملك الرؤيا فيرى النائم ما شاء، فإذا أخبر عن ذلك بالكذب، يكون كاذباً على الله وعلى الملك[١].

الحكم الثالث: الكذب على رسول الله ﷺ: الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[٤]. قال ابن حجر الهيتمي: (عدّ هاتين كبيرتين هو ما صرحوا به وهو ظاهر، بل قال أبو محمد الجويني: إن الكذب على النبي ﷺ كفر، وقال بعض المتأخرين: وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ورسوله كفر يخرج عن الملة، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك)[٥].

قال النووي: (وكما يحرم تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فإنه يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه، ولم يتبيّن حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكذابين على رسول الله ﷺ)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٢/٦ .

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٩٧/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١/١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/٣٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ.

خامساً: من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إن من أعظم الفرى...." وجاء التوكيد هنا ليبين شناعة هذه الأمور الثلاثة وخطورتها، وهذا ما يشعر بوصفها بأنها من الفرى "وهو جمع فرية، والفرية الكذب والبهت، تقول: فرى -بفتح الراء- فلان كذا، إذا اختلق"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب:

هذا واضح من وصف الادعاء إلى غير الأب بأنه من أعظم الكذب. قال ابن حجر: (وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة، وهي الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآه، والادعاء إلى غير الأب، والكذب على النبي ﷺ)[٢].

وقد قال ﷺ: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار))[٣].

وقال ﷺ أيضاً: (من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[٤]، قال ابن حجر: (وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٥.

(٢) المرجع السابق ٦/٦٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٠٨، ومسلم ٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

غيره. وقيد في الحديث بالعلم، ولا بد منه في الحالتين إثباتاً ونفياً، لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر، ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى لشيء ليس هو للمدعى، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها، مالاً وعلماً، وتعلماً ونسباً، وحالاً وصلاحاً، ونعمة وولاءً، وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة عليه)[1]. وإنما كان ادعاء المرء إلى غير أبيه من أعظم الكذب، لأن المدعى إلى غير أبيه كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان، وإنما خلق من ماء غيره، وفي هذا الادعاء ما يشوش على الأنساب والأعراض والولوغ فيها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام:

وهذا واضح من نص الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((من تحلَّم بحلم لم يَرَه كلِّف أن يَعقدَ بين شَعيرتَين، ولن يَفعَل))[2]. وقال ﷺ أيضاً: ((من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر))[3]. قال ابن حجر: (ومعنى نسبة الرؤيا إلى عينيه مع أنهما لم يريا شيئاً، أنه أخبر عنهما بالرؤية وهو كاذب: وقد تقدم بأن كون هذا الكذب أعظم الأكاذيب في شرح الحديث الذي قبله "أى حديث ابن عباس)[4].

وقد قال ابن حجر: (وأما الكذب على المنام فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من[5] أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٥/٦، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٣٧/١، ١٧٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٥) هكذا في المطبوع والأولى: "مع".

كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾(١)، وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله لحديث "الرؤيا جزء من النبوة"(٢)، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى، انتهى ملخصا،... والحق أن التكليف المذكور في قوله "كلف أن يعقد" ليس هو التكليف المصطلح، وإنما هو كناية عن التعذيب)(٣).

وقال ابن هبيرة: (أما كون التمحلم في نومه يكلف العقد بين شعيرتين فكأنه الذي أرى عينيه ما لم تريا، كلف عمل ما لا ينعمل؛ عذاباً له من جنس ذنبه)(٤).

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))(٥).

قال ابن حجر: (والحكمة في التشديد في الكذب على النبي ﷺ واضح، فإنه إنما يخبر عن الله، فمن كذب عليه كذب على الله عز وجل، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾(٦)، فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر، وقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(٧) ... فالذي يكذب على النبي ﷺ ينسب إليه شرعاً لم يقله. والشرع غالباً إنما تلقاه النبي ﷺ على لسان الملك، فيكون

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) الحديث بلفظ: "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٧/١٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٦/٣ - ١٩٧، وانظر كذلك: الإفصاح ٢٤٣/٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٩٣.

(٧) سورة الزمر، آية: ٦٠.

الكاذب في ذلك كاذباً على الله وعلى الملك)[(١)].

وقال النووي عن حديث "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" قال: (وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية من الصحة، وقيل: إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن النبي ﷺ نحو من أربعين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، ... واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد: ...

الثاني: تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله. هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف.

الثالثة: أنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه، كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك، فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع.

الرابعة: يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ)[(٢)].

خامساً- من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب:

هذا واضح من تنفير الحديث من الكذب والادعاء والافتراء. قال ابن القيم: (وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٦

(٢) شرح مسلم مج١/١/٧٤-٧٦، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤ /٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]، فهم الرفيق الأعلى (وحسن أولئك رفيقا) ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده، إحسانا منه وتوفيقا)[٢].

وقال عبدالرحمن حسن حبنكة: (تبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية تعتمد على صدق الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حقيقة أخبارهم. ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب، لندرك مدى تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده)[٣].

وقال د. مصطفى السباعي: (قال عبدالله بن المقفع: "إن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً، لأن الكذب الذي يجري على لسانه، إنما هو من فضول كذب قلبه، وإنما سُمِّي الصديق من الصدق".

وهذا حق، فإن الكذاب لن تكون أخوته صادقة، ولا معاملته صادقة، ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيماً صادقاً، ولا حاكماً صادقاً، ولا موظفاً صادقاً، ولا عاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً.

ومن هنا لم يُجمع علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه برذيلة كرذيلة الكذب وخطره على الأفراد والجماعات.

ولو استعرضت مشاكل العالم كله، لوجدتها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب: كذب السياسي على شعبه، وكذب الرئيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه،

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣/٥-٦

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢٢٥.

وكذب النائب على ناخبيه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة، واستفاضت الثقة، واطمأن الناس بعضهم إلى بعض، فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات، لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث، والمواثيق والعقود والمعاملات.

عيّن أبو بكر في خلافته عمر للقضاء بين الناس، قالوا فمكث عمر سنة لا يختصم إليه اثنان! أترى هذا لأن الناس في عهد عمر لم تكن طبائعهم من طبائع البشر التي تختلف وتتنازع، أم ترى ذلك لأن الناس في عهد عمر لم يكن لهم شيء يختصمون عليه ويتنازعون؟ كلا! لا هذا ولا ذاك، وإنما هو الصدق الذي يحجز كل واحد من المتنازعين عن أن يصور الخلاف لنفسه كما يشتهي، بل يصوره كما هو في الواقع والحق، فإذا هو ينتصف من نفسه إذا كان ظالماً، ويرد الحق إذا كان معتدياً، ويتسامح إذا كان مجنياً عليه، وبهذا لم يحتج الناس إلى عمر ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

وما بالنا نذهب بعيداً في أعماق التاريخ، ونحن كنا نشاهد حتى الأمس القريب كيف كان الناس يتعاملون بالثقة، ويتبايعون بالصدق، فلا أيمان ولا مواثيق ولا صكوك ولا سندات، كان التاجر يسافر من حلب إلى دمشق، في عصر لم يكن فيه غير الجمل والبغل والحمار وسيلة للسفر، وكانت الطرقات غير آمنة من اللصوص يحمِّلونه أكياس الذهب ليسلمها إلى عملائهم في دمشق، من غير أن يأخذوا منه إيصالاً أو سنداً أو وثيقة، فيسلمها إلى أصحابها دون أن يأخذ منهم إيصالاً أو توقيعاً. وإننا نرى اليوم بأعيننا حقوقاً تنكر، وأموالاً تهدر، وتجاراً يعلنون الإفلاس رغم كل ما قدموه لأصحاب الأموال من رهن وتوثيق في البنوك والمصارف. فهل ترى سبباً لهاتين الحالتين المتباينتين، بين الأمانة في عصر آبائنا، والخيانة في عصرنا، إلا كثرة الصدق في عهدهم، وفشو الكذب في عهدنا؟

إن الصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الاجتماع، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد والجماهير، فالزعيم الصادق أنجح

الزعماء مسعى وأكثرهم أتباعاً، والسياسي الصادق أكثر السياسيين تأييداً من الشعب وأجلهم في عيونه مقاماً، والتاجر الصادق أكثر التجار زبائن وأكثرهم ربحاً، وحسبك أن ترى نفسك مسوقاً -حين تريد ابتياع سلعة من السلع - إلى أن تفتش عن متجر عرف صاحبه بالصدق لتدفع له ثمن سلعته كما يريد، وإذا أردت أن تُوكل محامياً في دعوى، سألت عن أصدق المحامين وأوثقهم، لتكل إليه أمر قضيتك وأنت مرتاح البال مطمئن النفس.

ولقد رأينا في حياتنا السياسية، أن الأزمات حين تشتد، لا يحلها إلا رجال عرفوا بالصدق في حكمهم، فتسعى إليهم الأحزاب المختلفة، ملقية بين أيديهم زمام الحكم ثقة منها بصدقهم وأمانتهم وتجردهم، والأمانة والتجرد نوعان من الصدق العملي.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، ولقد كانت أمتنا في عصور الخير والمجد، من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية، التي توقع في عصرنا الحاضر بين الدول، ثم لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عليه، والحبر الذي سجلت به.

ومن هنا كانت الأزمة التي يعانيها العالم اليوم، أزمة الثقة بالوعود والأقوال. إن منبر هيئة الأمم ليشهد كل يوم زعماء الدول الكبرى يتبارون في الدعوة إلى السلام، والتنفير من الحرب، والتشهير بالعدوان، ما لو صدقوا فيه جميعاً لما كان على وجه الأرض نزاع ولا شقاء ولا حروب. ولكنهم جميعاً لا يثق بعضهم ببعض، وكل واحد منهم ينطوي في قرارة نفسه على الشك بصدق ما يقول الآخرون. وبذلك أخفقت المؤتمرات وفشلت المفاوضات، بل فشلت هيئة الأمم نفسها في تنفيذ مبادئها التي أعلنتها، لأن أقوى الدول فيها يكذب على أضعف الدول فيها، بما تسرف من وعود، وبما تقول من أحاديث.

وقل مثل ذلك في حياتنا السياسية، فلو كان زعماؤنا ورجال أحزابنا يثق بعضهم بأقوال بعض، لما وصلنا إلى هذه الحال المؤسفة من الفوضى وعدم الاستقرار. وإلا ففيم تختلف الأحزاب في مبادئها وغاياتها؟ وهب أنها اختلفت، ففيم تتقاتل ويسب بعضها بعضاً؟ إنه فقدان الثقة بالأقوال والأحاديث والخطب. يجعل كل فريق يقف من الآخر موقف الذي يشك ولا يثق، ويتهم ولا يبرئ، ويسيء الظن ولا يحسنه.

نستطيع إذاً أن نؤكد مرة أخرى أن مشكلة العالم كله اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب. الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، والكذب في المظاهر، فليس غريباً إذاً أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين، وأكثرهم تنويهاً بالصدق والصادقين.

فما أجدر الساسة والزعماء ورجال الأحزاب، بأن يتحلوا بالصدق، لتستقيم حياتهم فتستقيم حياة الأمة، وما أجدر الناس من تجار وعمال وموظفين ومتعلمين أن يتحلوا بالصدق، لتعود إلى النفوس ثقة فقدناها، ففقدنا الأمن والحب والسعادة والاستقرار. وما أجدر المربين أن يربوا أبناءنا وبناتنا على الصدق، حتى ينشأوا كراماً مطبوعين على الجرأة والعفة والأمانة، وليحذر الآباء، والأمهات، من أن يكثروا الكذب على أطفالهم أو يعودوهم عليه)[1].

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ٨١-٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإخبار من طريق الرؤيا لا يتأتى إنكاره، وليس من حق أحد أن ينكر على من رأى شيئًا في منامه فأخبر به، لأن دائرة الروح تكون أوسع، ولهذا حرم الكذب في ادعاء المسلم رؤية لم يرها في المنام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

اولاً- من أساليب التربية: التبشير:

ورد أسلوب التبشير في أحاديث الباب في عدة مواطن منها قوله ﷺ عن الرؤيا: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، ومع أن الرؤيا غالباً ما تكون للتبشير وتكون أيضاً للإنذار إلا أن النبي ﷺ في الحديث غلب أسلوب التبشير فقال ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، كما تكرر أسلوب التبشير أيضاً في تبشيره ﷺ لمن رآه في المنام أن يراه يوم القيامة، وكذلك تكون الرؤيا له ﷺ بمثابة الرؤية له في الدنيا إضافة إلى ما في رؤيته ﷺ في المنام من الاستبشار بترقٍ في الدين وزيادة في الخير.

لقد كان التبشير من أساليب التربية عند رسول الله ﷺ مع ما يقارن ذلك من التيسير والتخفيف، وذلك كله من وسائل التحفيز والدفع إلى عمل الخير.

"فلا بد للمربين من سلوك منهج التيسير والتبشير مع المتربين، فتيسير الأمور وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير، حتى تغمر قلوب المتربين الفرحة وتعم نفوسهم البهجة ولا يشعرون بثقل التكاليف والواجبات عليها.

إن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفِّرة، وتؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة وإيجاد مساحات كبيرة بين المربين والمتربين يصعب الالتقاء عليها"[١].

---

(١) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، الطبعة الأولى، مكتبة الرشيد، بغداد، ١٩٩٤م، ص١١.

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل والأخلاق الحسنة في التلاميذ:

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتزكية الأنفس والأرواح، ومن هذه الأخلاق خلق الصدق والذي حث عليه النبي ﷺ، وربى عليه أتباعه، ومن شواهد ذلك ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن انتساب الرجل إلى غير أبيه فذلك من أكبر ألوان الكذب والتدليس على الناس والمجتمع بأسره، وكذلك الكذب في الرؤيا والادعاء برؤيا لم تحصل، وكذلك الكذب والتقوُّل على رسول الله ﷺ بما لم يقل، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهِ مَا لَمْ تَرَى، أو يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يُقَلْ».

لذا كان من الواجب على المعلمين والمربين أن يغرسوا في نفوس التلاميذ الأخلاق الكريمة حتى يعتادوا عليها وتكون سجية لهم ومنهاجاً في حياتهم.

"إن المربي الحق والمعلم الناجح هو الذي يُطَبِّع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك"[(١)].

ودور التربية في ترسيخ الأخلاق وتربية النشء عليها يمر بمرحلتين أولاهما مرحلة التنقية وأخراهما التحلية، "فبناء الخلق الحسن في النفس لابد أن يصاحبه تنقيتها مما ترسب لديها من الأخلاق السيئة أو ما يسمى بـ: "التخلية ثم التحلية"، ذلك أن المتربي قد ينشأ في بيئة يغلب عليها الخلق السيئ أو يصحب صحبة غير صالحة فيألف الخلق السيئ ويصبح جزءاً من طبيعته، ومن ثَمَّ لابد من جهد يبذل في اقتلاع هذه الصفات وتنقية النفس منها"[(٢)].

ثالثاً- من مسئوليات المربي تجاه المتربين: النصح والإرشاد:

إن من مسئوليات المربي تجاه المتربين النصح والإرشاد ودلالتهم على الحلول والعلاج لما يعرض لهم وما ينزل بهم.

---

(١) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهوائي، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص١٣.

(٢) تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٤٨.

فنجد أن الرسول ﷺ بين ما ينبغي فعله إذ رأى الإنسان رؤيا مع مراعاة التفاوت بين ردود الفعل تبعاً لتفاوت الرؤيا بين مُفرح فيحمد الله عليها، ويُحدّث بها، ومُحزن فيستعيذ بالله من شرها ويكتمها، فقال ﷺ: «إذا رأى أحَدُكُمْ رُؤْيا يُحِبُّها، فإنَّمَا هيَ مِنَ اللهِ تعالى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ تعالى عَلَيها ولْيُحَدِّثْ بها». وفي رواية: ـ فلا يُحَدِّثْ بها إلاّ مَنْ يُحِبُّ ـ وإذا رأى غيرَ ذلكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإنَّما هيَ مِنَ الشَّيْطانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّها ولا يَذْكُرْها لأحَدٍ فإنَّها لا تَضُرُّهُ»، كما نلاحظ أن الرسول ﷺ كان لا يقتصر على مجرد الإجابة على ما يعرض عليه من أسئلة واستفسارات، وإنما كان يزيد على ذلك بإعلام الصحابة بكيفية التعامل مع ما يعرض لهم وإن لم يسألوا عنه بعد.

كما في أحاديث الباب في بيان الرسول ﷺ لما ينبغي فعله من الإنسان إذا رأى رؤيا، وكأني برسول الله ﷺ خشي على المسلمين أن يرى أحدهم رؤيا تحزنه دونما أن يكون له سابق علم بكيفية إذهاب ذلك الحزن فعلمهم، وإن لم يسألوه.

"إن من حق المتربين والتلاميذ على من عُهد إليهم بتربيتهم ألا يدعوا من نصحهم شيئاً، فيرشدونهم ويقدمون لهم العون التثقيفي والتربوي والنفسي، ويعملون على إشباع حاجاتهم وتحقيق الاستقرار النفسي والروحي لهم.

كما ينبغي على التلاميذ والمتربين طاعة الوالدين والمعلمين والمؤدبين والواعظين والخطباء فهم أكثر خبرة منهم وأكثر إدراكاً لمصلحتهم وأكثر وعياً بقدراتهم وإمكانياتهم واستعداداتهم وميولهم وأكثر فهماً لأمانيهم وميولهم ومشكلاتهم"[(١)].

قال ابن تيمية وهو أحد أساطين التربية الإسلامية البارزين في تاريخ المسلمين "وعلى المعلم أن ينصح للمتعلم ويجتهد في تعليمه وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه، فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه"[(٢)].



(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد ١٢٧-١٤٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٢/٢٨.

كتاب السلام

١٣١- باب فضل السَّلام والأمر بإفشائه

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء: ٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٥].

الحديث رقم (٨٤٥)

٨٤٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من باب رد السلام، والترغيب فيه ورد في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعظم بتوكيده دون مقابلة بإنكار، أو معارضة، وقد بدأ بقول الراوي (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ)، وتنكير لفظ (رجل) للجهل به، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وسؤاله (أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟) فيه إيجاز بالحذف أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعاً، وقوله: (تُطْعِمُ

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩/٦٣ ولفظهما سواء، وقد تقدم برقم ٥٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٧٦، وتقدم رقم ٥٤٩.

الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) فيه إيجاز بحذف ما دل عليه السؤال أي: أعظم الأعمال أن تطعم، والتعبير بالفعل (تطعم) دون المصدر، لأن فيه ترغيباً بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويجسِّد الحدث المرغب فيه، وفي قوله (تطعم الطعام) جناس يأثر السمع ويؤكد المعنى، وقوله (وَتَقْرَأُ السَّلامَ) أي تلقي التحية المعروفة بصيغتها، وبين هذه الجملة، والتي سبقتها سجع طبعي أحدث جرساً يستوقف السمع فيقر المعنى في القلب، وقوله (عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) تتميم بلاغي أفاد عموم السلام، لأنه ينشر الألفة، والمحبة بين عامة المسلمين، وبين قوله (عرفت، لم تعرف) طباق سلب يؤكد عموم السلام وشموله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٩).

الحديث رقم (٨٤٦)

٨٤٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ - نَفَرٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ جُلُوس- فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتِكَ. فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل السلام يقرر أن تلك الصيغة للسلام هي اختيار الله لأنبيائه، وللمؤمنين إلى يوم القيامة، يقوم على القصة، والحوار متعدد الأطراف فقد أخبر الرسول ﷺ عن آدم عليه السلام، في حواره مع الملائكة، وهذا يدل على أن تحية الإسلام هي تحية جميع الأنبياء من بداية البشرية، ولا ينبغي أن يستبدلها إنسان بغيرها، وقوله: (اذهب فسلم) أسلوب أمر جاء تصويراً، وحكاية لما وقع بين آدم، وربه عند خلقه، وقوله (على أولئك) الإشارة للتفخيم، وعلى للاستعلاء إشارة إلى علو السلام، وأنه يأتي من عالٍ وهو السلام - عز، وجل - وقوله (فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ) أمر بإتباع تلك التحية، وجملة (فإنها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكِ) تعليلية، وفيها إشارة إلى اعتمادها تحية للمؤمنين من اتباع جميع الأنبياء، وقوله (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا) ومعنى السلام عليكم أي معكم، وقيل معناه: الله مطلع عليكم، فلا تغفلوا، وقيل معناه: اسم السلام عليكم أي: اسم الله عليكم إذ كان اسم الله يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتقاء عوارض الفساد عنه، وقيل معناه: السلامة لكم كأن المسلم بسلامه على غيره معلم له بأنه مسالم له لا يخافه، وقيل: معناه الدعاء له بالسلامة، أما قول الملائكة: (فَزَادُوهُ، وَرَحْمَةُ اللهِ)، قال ابن القيم: في حكمة إضافة الرحمة إلى الله تعالى، وتجريد السلام عن الإضافة: (أن السلام يُراد به قول المسلم: سلام عليكم، وهذا في الحقيقة

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٢٧، ومسلم ٢٨٤١/٢٨.

مضاف إليه، ويراد به حقيقة السلامة المطلوبة من السلام سبحانه وتعالى، وهذا يضاف إلى الله، فيضاف هذا المصدر إلى الطالب الذاكر تارة، وإلى المطلوب منه تارة، فأُطلق، ولم يضف، وأما الرحمة فلا تُضاف إلا إلى الله وحده، ولهذا يُقال: رحمتي، وبركتي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم، وسلام من فلان على فلان، وسر ذلك: أن لفظ السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة فإنها اسم لمعناها دون لفظها).

فقه الحديث

حكم البدء بالسلام وحكم الرد:

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن السلام سنة مستحبة، وليس بواجب. وهو سنة على الكفاية إن كان المسلمون جماعة، بحيث يكفي سلام واحد منهم، ولو سلموا كلهم كان أفضل.

وذهب الحنفية -وهو رواية عن أحمد وقول مقابل للمشهور عند المالكية- إلى أن الابتداء بالسلام واجب. لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((حق المسلم على المسلم ست)) قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: ((إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))[1].

وأما رد السلام فإن كان المسلَّم عليه واحدًا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم، فإن رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم، وإن ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال والفضيلة، فلو رد غيرهم لم يسقط الرد عنهم، بل يجب عليهم أن يردوا، فإن اقتصروا على رد ذلك الأجنبي أثموا[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٦٢، ٥.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٦٩/٥، ومراقي الفلاح ١٠٥، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٠/١، وحاشية العدوي على الرسالة ٤٣٤/٢-٤٣٦، حاشية القليوبي ٢١٥/٤-٢١٦، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٧٤/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦١/٢٥-١٦٣)، وانظر كذلك: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢١/٤-٣٢٢.

وما تقدم من حكم السلام والرد خاص بالمسلم الذي لم ينشغل بالأذان أو الصلاة أو قراءة القرآن، أوبتلبية حج أو عمرة، أو بالأكل أو بالشرب، أو قضاء حاجة وغيرها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

اولاً- من اساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "لما خلق الله تعالى آدم قال: اذهب فسلم،وقوله "فاستمع ما يحيونك"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من بيان أوجه الخير وأمر المدعوين وحثهم على الامتثال به، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن كثيراً في مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٣]، وجعله الله تعالى من سمات المجتمع الإيماني ﴿ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[٤] وقال: ﴿ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ ﴾[٥].

ثانياً- من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة في الحديث إلى هذه الوسيلة باعتبارها أهم وسائل الدعوة "فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٣/٢٥ وما بعدها.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٦.

الله" قال ابن حجر: قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصيصاً، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله له "فسلم")، قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون ألهمه ذلك)[1]، وأسلوب التعليم من أجدى الأساليب الدعوية، فهو وسيلة لتهذيب سلوك الإنسان، ومقاصده في معاملاته وعلاقاته بربه وبنفسه، وبسائر خلق الله سبحانه وتعالى[2].

لذا نجد أن الإسلام يفرض على المسلمين أن يكونوا أمة متعلمة، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الشخصية المسلمة، ومن هنا نجد الإسلام يهيئ كل ما يلزم لدفع المسلمين إلى طريق التعليم والتعلم، ولهذا كان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3]. فهذه أول دعوة تسمو بقدر العلم وتشير إلى قيمته[4]، ومن أهداف وسيلة التعليم في الدعوة إلى الله، زرع الآداب والأخلاق في نفوس المدعوين المستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة[5].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم المهام التي يضطلع به الداعية وأعظمها شأناً الإيضاح والبيان، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[6]، فحينما تكون الدعوة واضحة تكون نتائجها أسلم وأحكم[7]،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٨٦.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٤) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص١٨٤.

(٥) التربية في السنة النبوية، أبولبابة حسين، ص٥٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٨.

وقد ضرب النبي ﷺ في الحديث أنموذجاً حياً لذلك ببيانه أصل تحية الإسلام، وهو إلهام الله وتعليمه لآدم عليه السلام وكذلك تعليم الملائكة، لما خلق الله تعالى آدم قال: "اذهب فسلم على أولئك النفر، نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله".

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

لقد تضافرت النصوص على بيان فضل إفشاء السلام، لماله من آثار إيجابه على المجتمع والأفراد، فبين النبي ﷺ أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أى الإسلام خير؛ فقال: «أنْ تُطعمَ الطعامَ وتقرأ السلامَ على منْ عرفتَ ومنْ لم تعرفْ»[1]. وهو من أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ))[2].

كما بين النبي ﷺ أن إفشاء السلام من أسباب كمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[3]،[4].

وإفشاء السلام من أسباب تحقق التآخي والتآلف بين آحاد المجتمع الإسلامي[5]، إضافة إلى ما يضيفه السلام في المجتمع من أمن واطمئنان[6]، كما أن إفشاء السلام أول

---

(١) أخرجه البخاري، ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم، ٥٤.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، ٢٩٩.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ١١٦.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٢٢٨٦/٦.

أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[1].

لهذه الأسباب وغيرها أمر الإسلام بالسلام وإفشائه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[2]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[3].

وجعله رسول الله ﷺ من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فقال ﷺ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، ...))[4]. بل إن السنة لتأمر بالجهر بالسلام مبالغة في إفشائه، فلقد كان هدى النبي ﷺ في السلام، أن يرفع صوته بالسلام وكذلك في الرد، فلا يحصل بالإسرار الأجر -إلا ما استثنى من ذلك-، فأخرج البخاري في أدبه أثراً عن ابن عمر: عن ثابت بن عبيد قال: «أتيت مجلساً فيه عبدالله بن عمر فقال: إذا سلمت فأسمع فإنها تحية مباركة طيبة»[5].

وذكر ابن القيم: (أن من هديه ﷺ أنه كان يسمع المسلِّم رده عليه)[6]، وقال ابن حجر: (واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سراً، بل يشترط الجهر، وأقله أن يسمع في الابتداء والجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه)[7]، وكان من السنة تعميم السلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «أن رجلاً سأل النبي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) الأدب المفرد ١٠٠٥، وقال الألباني: صحيح الإسناد، وكذا قال الحافظ ٨/١١، (صحيح الأدب المفرد ٧٦٩).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٩/٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١/١١.

ﷺ أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[1]. فهذا الحديث فيه الحث على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة ولعل من أعظمها التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص٤٤.

الحديث رقم (٨٤٧)

٨٤٧- وعن أَبي عُمَارة البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ: بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإبْرَارِ المُقسِمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، هَذَا لفظ إحدى روايات البخاري.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

ورد الحديث في أسلوب خبري غرضه الفائدة، وقد تجرد عن عوامل التوكيد لثقة المتكلم في قبول الخبر، ولأنه قابل به خالي الذهن، وقد تصدره قول الصحابي (أَمَرَنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ) حكاية لأمر الرسول ﷺ لهم بصيغة الجمع بياناً لعدم انفراده بجملة هذه الأوامر، وتنكير كلمة: (سبع) للتشويق بذكر العدد المبهم، ثم توضيحه، وفي الحديث مراعاة النظير؛ لأنه جمع بين الشيء، وما يناسبه، كما أن فيه تناسباً بين الألفاظ، والمعاني، لأن العيادة تناسب المريض، والإتباع يناسب الجنائز، والتشميت يناسب العاطس، وَالنَصْر يناسب الضَّعيف، وَالعَوْنُ يناسب الْمَظْلُوم، وَالإِفْشَاءُ يناسب السَّلام، وَالإِبْرَارُ يناسب الْقَسَم، وهي جملة من خصال الخير من شأنها -إن روعيت بين المسلمين- أن تنشر المحبة، وتحقق التكافل بينهم، وتضمن تماسكهم فيما بينهم كما صوَّرهم الإسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٥ واللفظ له، ومسلم ٢٠٦٦/٣، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (٨٤٨)

٨٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على تقرير معنى إفشاء السلام الذي يشيع المحبة بين المسلمين عن طريق المنطق الفطرى بمقدمات تترتب عليها نتائج بطريقة مشوقة بدأت بجملة، نفت دخول الجنة إلا بعد بلوغ درجة الإيمان، وقد وصل الأفعال بواو الجماعة دلالة على عموم الحكم، ونظماً للمجتمع كله في سلك الخطاب، وهو ما يحقق ترقب الجميع للخبر، ثم إنه علَّق الإيمان على التحابب، وهو تفاعل من المحبة وهذه الصيغة تدل على المشاركة، أي يحب كل واحد منهم الآخر، ثم صعَّد التشويق عن طريق الاستفهام التشويقي (أوَلا أَدُلّكُمْ عَلَى شَيْء) ثم ربط بأسلوب الشرط المحبة التي يتوقف عليها الإيمان الذي يتوقف عليه دخول الجنة بهذا الشيء الذي يعرضه عليهم (إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ) حتى إذا صار المخاطبون في قمة اليقظة، والترقب قرر المعنى الذي يريد عن طريق أسلوب الأمر حثاً، وترغيباً (أفشوا السلام بينكم) وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير المعنى تدل على أهمية الأمر، وأثره في المجتمع الذي ينبعث محبة بين أفراده، وسلاماً يعم الجميع.

---

(١) برقم ٥٤/٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإيمان أصل دخول الجنة.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على أسباب المحبة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة.

خامساً: من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس.

اولاً- من موضوعات الدعوة: الإيمان اصل دخول الجنة:

لقد جاء في صريح الحديث أن الإيمان أصل دخول الجنة، فقال ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا". إذ أن الجنة وما فيها من نعيم محرمة على الكفار[1]، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

قال النووي: فهذا على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً[3]، فالإيمان منجاة من دخول النار ومن البقاء فيها، وأصل الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة[4]. إذ أن الإيمان هو أساس الأعمال الصالحات والدافع إليها، كما هو واضح في الحديث، من الدعوة إلى ظهور آثار هذا الإيمان على جوارح الإنسان وعلاقاته، ودليل ذلك على صدق الإيمان، فيقول ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٧٤٩/٣.

بينكم» وفي ذلك بيان أن انتشار السلام وظهوره بين المسلمين، سبب من أسباب كمال الإيمان، الذي هو الأصل لاستحقاق الجنة بعد فضل الله عز وجل، فقوله "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا..." هو على ظاهره وإطلاقه، وأما قوله: "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" أي لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وقيل معنى الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك[1].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على اسباب المحبة:

إن من أهم الواجبات التي يضطلع بها الداعية إلى الله دلالة المدعوين على الخير وبيانه أوجه الفضل فيه، وفي الحديث قدم النبي ﷺ أنموذجاً تطبيقياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من دلالة على الخير والحث عليه، فقال ﷺ "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"، قال القاضي عياض: (أي لا يتم إيمانكم ولا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب والألفة. وفيه حض على إفشاء السلام على من عرف ومن لم يعرف، والسلام أول درجات البر وأول خصال التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكين ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، واستدراج محبة كافتهم كما قال ﷺ، ودليل التواضع والتواصل)[2].

إن دلالة الناس على الخير، وتبليغ الدعوة وما فيها من آداب وأخلاق، يحتاج إلى دعاة أقوياء، وهداة أشداء، ومبلغين صابرين يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم، بعد أن تشرق بها

---

(١) فتح الملهم، شبير احمد العثماني، ٢/٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٠٤، ٣٠٥.

جوانحهم وتستضيء بها حياتهم[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام، بدخول الجنة واستحقاقها، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية، فالترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهى، ولما كان الإنسان مفطوراً على الإحساس باللذة، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، كان لأسلوب الترغيب تأثيرٌ كبيرٌ في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه[٢].

كما هو واضح في ترغيب النبي ﷺ في السلام بأنه سبب لكمال الإيمان الذي هو سبب لدخول الجنات، وترغيب المسلم بما أعده الله لعباده من نعيم وجنات، منهج واضح في دعوة القرآن إلى الإيمان والأعمال الصالحات، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له داراً فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها[٤]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

---

(١) الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، ص٢٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٩٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٢٧/٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٣ .

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة:

إن بيان أصل دخول الجنة وأسباب استحقاقها من أعظم الأهداف للدعوة، وقد جاء في الحديث التصريح بأن الأصل لدخول الجنة، وبدونه يحرم الإنسان منها، هو الإيمان، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا" والإعراض عن الإيمان فيه الضلال والحرمان من الجنان، لذا أمر الله المؤمنين بالثبات على إيمانهم، وتقويته وزيادته، حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه وهو اليقين(١)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(٢).

وهذه الآية نزلت في جميع المؤمنين، والمعنى يا أيها الذين صدَّقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه(٣)، ودوموا عليه ولا تفارقوه، فالأمر في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾، ليس من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٤) أي بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾(٥)،(٦).

خامساً- من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس:

من أبرز أهداف الدعوة تحقيق المحبة بين الناس ببيان أسبابها.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري ص ٧١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤١٥/٥/٣.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٤/٢.

وكما أشار النبي ﷺ في الحديث إلى السلام كسبب من أسباب المحبة، فقال ﷺ: ((أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" فالإسلام يريد من المجتمع الإسلامي ائتلاف آحاده وتلاحم سداه، حتى يكون كالجسد الواحد))، روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[١]. فإن المحبة والمودة وغيرها من مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار[٢].

لذا جاءت النصوص آمرة بالتمسك بالأسباب التي تقوي من كيان المجتمع، وتحافظ على بنيانه.

قال الراغب الأصفهاني: (المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[٣] أي محبة في القلوب، تنبيهًا على أن ذلك أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة، لأن المهابة تنفر والمحبة تؤلف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة، لأن طاعة المحبة من داخل، وطاعة الرهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا عُمِّروا، وبورك لهم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٢.

(٣) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٤) الذريعة إلى مكارم الأخلاق ٣٦٤.

الحديث رقم (٨٤٩)

٨٤٩- وعن أَبي يوسف عبد الله بن سلام ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، أفْشُوا السَّلاَمَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، (وَصِلُوا الأَرْحَامَ) [(١)]، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) رواه الترمذي[(٢)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: وهو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وكان من بني قينقاع، وكان حليفاً للقواقلة من بني عوف بن الخزرج من الأنصار، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله ﷺ عبدالله، وكان يكنى بأبي يوسف، وقيل كان يكنى بأبي الحارث، وعبدالله بن سلام من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام.

أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، فعنه أنه قال: خرجت في جماعة من أهل المدينة لننظر إلى رسول الله ﷺ في حين دخوله المدينة، فنظرت إليه، وتأملت وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذّاب، وكان أول شيء سمعته منه ((أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))[(٣)].

وعن أنس أن عبدالله بن سلام بلغه مَقْدَمُ النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني به جبريل آنفاً، قال ابن سلام: ذاك عدوُ اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت،

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند ابن ماجه برقم ٣٢٥١.

(٢) برقم ٢٤٨٥ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. والسياق للمنذري في ترغيبه ٣٩٨٣. وقال الحاكم ١١٣/٣: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسيكرره المؤلف برقم ١١٦٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٥١/٥ رقم ٢٣٧٨٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٢٠١/٣٩.

وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ...))[(١)].

روى عن رسول الله ﷺ وروى له الجماعة، وشهد له رسول الله ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام، قال وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ﴾[(٢)(٣)] وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبدالله بن سلام إنه عاشر عشرة في الجنة[(٤)].

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتب، وذكره ابن سعد في عداد أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس والجابية، ولما كانت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها. وأقام بالمدينة حتى مات سنة (٤٣هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨١٢، ومسلم ٢٤٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠٤، وقال حسن صحيح غريب، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٥٢/٢، ٣٥٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٧، ٤٣٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٦٥/٣، ٦٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٨٣، ٨٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤١٣/٢-٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٩/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/٢، والسندي ١٩٦/٣٩، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢١٣/٢-١٢٢٠.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد: منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغير ذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ.

ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (افشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا – الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلواْ به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

فقه الحديث

١-إفشاء السلام: قال الأمير الصنعاني: (الإفشاء لغة: الإظهار والمراد: نشر السلام على من يعرفه وعلى من لا يعرفه... وقال ابن دقيق العيد: وقد يستدل بالأمر بإفشاء السلام من قال بوجوب الابتداء بالسلام. ويردّ عليه أنه لو كان الابتداء فرض عين على كل أحد لكان فيه حرج ومشقة، والشريعة مبنية على التخفيف والتيسير؛ فيحمل على الاستحباب، انتهى)[١].

٢-إطعام الطعام: اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش، ومنعه مانع فله أن يقاتل ليحصل على ما يحفظ حياته. لما روى عن الهيثم: أن قومًا وردوا ماءً فسألوا أهله أن يدلوهم على بئر فأبوا، فسألوهم أن يعطوهم دلوًا فأبوا فقالوا لهم: إن أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت أن تتقطع فأبوا أن يعطوهم، فذكروا ذلك لعمر رضي الله عنه فقال لهم عمر: فهلا وضعتم فيهم السلاح؟[٢] قال الفقهاء: فيه دليل على أن لهم في الماء حق الشفة[٣] وكذلك الطعام[٤].

ويندب الإطعام لإكرام الضيف، وصلة الرحم، وبرّ الجار، وإضافة الصديق وأهل الخير والفضل والتقوى، لقوله تعالى في ضيف إبراهيم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[٥] ولقوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[٦]، كما يسن في أمور تدخل في باب

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٨-٩٨٩ .

(٢) أورده أبو يوسف في كتاب الخراج بهذا المعنى ص ٩٧ .

(٣) حق الشفة: حق الشرب. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٢٥.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ١٦٦/٢٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧، عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٤.

(٦) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

الإكرام كالأضحيةوالوليمة)[١].

وقال الصنعاني: (إطعام الطعام يشمل من يجب عليه إنفاقه ويلزمه إطعامه، ولو عرفًا أو عادةً، وكالصدقة على السائل للطعام وغيره، فالأمر محمول على فعل ما هو أولى من تركه ليشمل الواجب والمندوب)[٢].

٣-صلة الأرحام: لا خلاف في أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[٣] وقول النبي ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[٤])[٥].

٤-قيام الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحبٌ عند الشافعية [٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل.

ثالثاً: من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة.

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٩ .

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٨/٢٧.

(٦) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٦٠/٢-٣٦١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٨/٣٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا أيها الناس" وأسلوب النداء في قوله "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام"، وأسلوب النداء والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما في النداء من تقريب المدعو، والتحبب إليه بالنداء عليه، وفي الأمر من بيان طرق الخير وأوجه فضلها، وحمل المدعوين عليها، وقد تكرر أسلوب النداء والأمر كثيراً في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[2]، وفي السنة كما ورد في الحديث "يا أيها الناس أفشوا السلام ...".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل:

جاء في صريح الحديث الإشارة إلى الفضل الأعظم لإفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل، وهو دخول الجنة فقال ﷺ: "... تدخلوا الجنة بسلام". أي تدخلوها بسلام من الله أو من الملائكة أو من أي مكروه أو تعب ومشقة[3]، وقال ابن علان في قوله " تدخلوا الجنة بسلام" جواب لمقدر، أي إن فعلتم ما ذكر تدخلوها متلبسين بالسلام من الآفات التي تكون في غيرها، وبه سميت دار السلام على أحد الأقوال، والمراد دخولها مع الناجين، ويحتمل أن المراد مطلق دخولها مع الناجين، فيكون فيه تبشير فاعل هذه الأمور بالموت على الإسلام، ليكون من أهلها[4].

وبذلك جعل الله تبارك وتعالى (طريق الجنة مفتوحاً أمام المؤمنين، إذا تحققت فيهم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

هذه الصفات المهمة من انتشار السلام بالقول والفعل، وإطعام الطعام من القادرين للمحتاجين ولحفظ الود بين المتحابين، وصلة الأرحام تجميعاً للأمة وتدعيماً لها، وقيام الليل للعبادة)[١].

ثالثاً- من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة:

إن أهم الواجبات المنوطة بالمسلم سواء أكان داعية أو مدعوا، تحصيل أسباب دخول الجنة، فإن فلاح الإنسان وسعادته في العاجل والآجل، موقوف على التمسك بالإسلام والتخلق بشمائله وأخلاقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه[٢]. وقد ذكر النبي ﷺ جانباً من الأسباب الموجبة لدخول الجنة، فقال "أفشوا السلام" أي أظهروه وأكثروه على من تعرفونه وعلى من لا تعرفونه، "وأطعموا الطعام" لنحو المساكين والأيتام، "وصلوا الأرحام" فلا تقطعوها، "وصلوا بالليل والناس نيام" لأنه وقت الغفلة، فلأرباب الحضور مزيد المثوبة، أو لبعده عن الرياء والسمعة[٣].

فالحديث دعوة إلى التماس أسباب الجنة، سواء كانت أعمالاً بين العبد وربه، أو كانت إحساناً إلى خلقه، وقد كثرت آيات القرآن المبينة لجزاء من كانت تلك صفاته وأعماله، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤]، قال الحسن: أخفى القوم أعمالاً، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[٥]. "فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل، بالجزاء الذي أخفاه لهم، مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم - حتى يقوموا إلى صلاة

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨١.

(٢) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٥٠٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

(٤) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٥/١٤/٧.

الليل - بقُرَّة الأعين في الجنة"[١].

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين:

إن من أهداف الدعوة التي لا تغيب على أحد توثيق علاقة الناس بربهم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والخضوع وإظهار الافتقار إلى الله تعالى[٢]، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى مظهر من مظاهر ذلك، وهو قيام الليل وإحياؤه، فقال "وصلوا والناس نيام" كما أن من أهداف الدعوة توثيق علاقة الناس ببعضهم البعض، وذكر في الحديث مظاهر ذلك بالتودد إليهم، عن طريق إفشاء السلام، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، فقال: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام"، قال ابن علان: (فلما كانت المحبة أمراً قهرياً لا اختيار فيه على الأصح في ذلك، كانت الأسباب المؤدية إليها في الاختيار أرشد إليها)[٣]، فقال "أفشوا السلام وأطعموا الطعام ...".

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص٢٥٢.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى ص ٧١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

الحديث رقم (٨٥٠)

٨٥٠- وعن الطُّفَيْل بن أُبَيٍّ بن كعب: أنَّه كَانَ يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو مَعَهُ إلَى السُّوقِ، قَالَ: فإذَا غَدَوْنَا إلَى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عَبدُ الله[1] عَلَى سَقَّاطٍ ولاَ صَاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلاَ مِسْكِينٍ، وَلاَ أحَدٍ إلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بنَ عُمَرَ يَوْماً، فَاسْتَتْبَعَنِي إلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ[2]: مَا تَصْنَعُ بالسُّوقِ، وَأنْتَ لا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلاَ تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تَجْلِسُ في مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأقُولُ: اجْلِسْ بنَا هاهُنَا نَتَحَدَّث، فَقَالَ: يَا أبَا بَطْنٍ – وَكَانَ الطفَيْلُ ذَا بَطْنٍ – إنَّمَا نَغْدُو مِنْ أجْلِ السَّلاَمِ، فنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيْنَاهُ. رواه مالك في المُوطَّأ[3] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سَقّاط: هو الذي يبيع سقط المتاع وهو رديئه وحقيره[4].

صاحب بيعة: صاحب حالة بيع، أو صفقة البيع[5].

استتبعني: أي طلب مني أن أتبعه[6].

ولا تسوم: من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها[7].

---

(١) في الموطأ زيادة: (ابن عمر).

(٢) لفظ الموطأ (وما) بزيادة الواو.

(٣) ٩٦١/٢ رقم ٦ رواية يحيى بن يحيى الليثي.

(٤) النهاية في (س ق ط).

(٥) النهاية في (ب ي ع)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٩٥.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

(٧) النهاية في (س و م).

الشرح الأدبي

يحكي الطفيل حال ابن عمر رضي الله عنهما عندما كان يذهب إلى السوق معه، ويرى تطبيقه العملي لأوامر رسول الله ﷺ، ومنها إفشاء السلام، وأنه كان يسلم على كل من لقيه، دون استثناء لأحد، وهو ما قرره عن طريق أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء حيث قصر المذكورين في الحديث على صفة السلام، وفيه حسن تقسيم حيث شمل كل طبقات أهل السوق (لَمْ يَمُرَّ عَبْد اللَّه عَلَى سَقَّاط وَلا صَاحِب بِيعَة وَلا مِسْكِين، وَلا أَحَد إِلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ) وهم إما سقاط أي صغار التجار، وأصحاب البيعة، وهم كبار التجار، والمساكين، ثم شمل عموم المشترين، بقوله: (ولا أحد إلا سلم عليه) وهو بذلك يطبق أمر الرسول ﷺ بتعميم السلام على كل من عرف، ومن لم يعرف، وقوله لعبد الله بن عمر (وما تصنع في السوق...؟) استفهام تعجبي يدل على ذلك قوله بعده (وَأَنْتَ لا تَقِف عَلَى الْبَيِّع، وَلا تَسْأَل عَنْ السِّلَع، وَلا تَسُوم بِهَا، وَلا تَجْلِس فِي مَجَالِس السُّوق) أي ليس له حاجة خاصة تقتضي ذهابه إلى السوق، ولكنه أراد أن يفشي السلام، وليس هناك مكان أنسب من السوق لتنفيذ الحديث لكثرة الناس مع حاجتهم إلى التذكرة لغفلتهم، وانشغالهم في أمور البيع، والشراء، وقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- (إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْل السَّلام نُسَلِّم عَلَى مَنْ لَقِينَا) وتأمل بناء العبارة التي تقرر بطريق القصر بـ (إنما) سبب خروجه الوحيد، وهو إفشاء السلام، ثم هذا الجناس بين السلام، ونسلم الذي يدور حوله المعنى كما يدور عبد الله لنشرها في السوق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إلقاء السلام على كل من يمر عليه في السوق.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثالثاً: من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل عنها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على السلام على كل من يمر عليه في السوق:

لقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أهل الورع والعلم، كما كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ[1]، والحديث يعكس لنا صورة من ذلك، وهي حرصه رضي الله عنه على إلقاء السلام، فعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقَّاط، ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه. واستمساك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحرصه على تطبيق السنة يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دأب حثيث على التمسك بسنة رسول الله ﷺ وحرصهم ذلك يعطينا القدوة والأسوة التي تؤثر في النفوس أكثر مما تؤثر الكلمات والعبارات[2].

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

الإنسان إذا أشكل عليه أمر أو خفى عليه، فعلاجه أن يسأل أهل العلم وذوي الخبرة، فبالسؤال والعلم يطرد الإنسان الجهل، وكما قال ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3]، ومن ثمَّ قيل: "حسن السؤال نصف العلم"[4]، ولقد ضرب لنا الطفيل بن أبي بن كعب في الحديث مثالاً يحتذى به في السؤال عما خفي على الإنسان وأشكل، قال الطفيل: "فجئت عبدالله بن عمر يوماً، فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ وفي ذلك وقاية للإنسان من الوقوع في حرج، أو التلبس بخطأ بالسؤال والعلم.

ولقد أرشد الإسلام أتباعه إلى الرجوع إلى أهل العلم ومراجعة أهل الذكر للنهل

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ص ٤١٩.

(٢) تأملات دعوية في السنة النبوية، د. عبدالله بن وكيل الشيخ ص ٣٤.

(٣) أخرجه أبي داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٣/١.

مما آتاهم الله من علم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾[1]، فعلى الدعاة إلى الله تربية المدعوين وتنشئة النشء على هذا الأمر، وعلى المسارعة إلى سؤال أهل العلم في أي أمر يشكل حكمه الشرعي، ولقد كان صحابة النبي ﷺ رجالاً ونساءً يحرصون على سؤال النبي ﷺ ورجعوهم إليه، ويسألونه ﷺ فيما ينزل بهم من نوازل في حياتهم، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة، فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج بها، فقال له عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونكَحتْ زَوجاً غيرَه[2].

ومن غلبه الحياء في السؤال، لا يمنع أن يأمر غيره أن يسأل عنه، كما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: كنتُ رَجُلاً مَذّاء، فأمَرْتُ المِقْدادَ أَنْ يسألَ النبيَّ ﷺ، فسَألَهُ فقال: ((فيه الوُضوءُ))[3].

وسؤال أهل العلم في عصرنا الحاضر من اليسر والسهولة بمكان، فقد أنشئت المجمعات الفقهية، والهيئات العلمية، التي تضم كبار الفقهاء للنظر في المسائل العلمية.

ثالثاً- من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل:

"إنه مما ينبغي على الداعية بيان الحكمة من الأمور التي يقوم بها اقتداء بالكتاب والسنة، وبيان ثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول"[4]، ونرى ذلك في بيان عبدالله بن عمر لحرصه على السلام إجابة للطفيل بن أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

(٤) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ط/١ مؤسسة الرسالة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٨٣.

من أجل السلام، نسلم على من لقيناه - أي نغدو من أجل إفشاء السلام ونشره - ونسلم على من لقيناه، عرفناه أم لم نعرفه[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد جاء الإسلام حاثاً على إفشاء السلام، وإضفائه على العلاقات الاجتماعية وصبغها به، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على امتثال ذلك بإفشاء السلام بينهم، كما جاء في الحديث من خروج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من أجل السلام: (إنما نغدو من أجل السلام)، قال ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام، ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[٣]، فعن عبدالله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير قال: ((تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٥].

إن إفشاء السلام والتبسم وإطلاقة الوجه، وإظهار الأخوة والمودة من هدي الإسلام، لا ما ينتهجه بعض الناس اليوم من الهجر وترك السلام، والاكفهرار وعبوس الوجه، حتى يبدو الواحد وكأنه حاقد على الدنيا كلها، أو كأنه بين فئة من الكافرين المحاربين له، ويجهل أو يتجاهل مِثْلُ هذا، أن السنة هي السلام وردُّ السلام، والتبسم والبشر، على ما تشهد به سنة رسول الله ﷺ وسيرته[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) التمهيد والاستذكار، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤، ٩٣.

(٦) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٦٥.

لقد حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لا بد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَىٰ أَخيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ))[2].

والسلام والتحية في الإسلام أسلوب رفيع من أساليب الذوق، الذي يرقى بالإنسانية درجات من السلامة والصفاء والعيش الهانئ، ومن هنا نرى حرص الرسول ﷺ على أن ينشر المسلم التحية والسلام في أركان بيته الصغير، لينطلق بعد ذلك في أرجاء المجتمع الكبير، يسهم في بنائه، ويغمره بعطائه[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث، وذلك في حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وذهابه إلى السوق ولو لم تكن له به حاجة، بغية السلام وتحصيل أجره: (إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيراً في تهذيب النفوس وإرشادها إلى الخير، وحثها عليه، بغية صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٥٠.

(٣) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٢ - ١٥.

(٤) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٧٢.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب بما عند الله، حثاً لأمته على الإقبال على فعل الطاعات، ومن ذلك ما جاء في باب الحث على إفشاء السلام، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أيُّهَا الناسُ، أَفشوا السلامَ وأَطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[1].

لذا ينبغي على الداعية، ألا يهمل أسلوب الترغيب وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المتقين المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

---

(١) اخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٦).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الأمن من أهداف الإسلام، على اختلاف صوره، وإلقاء السلام مظهر من مظاهر الأمان، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية الاجتماعية:

إن من المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث الباب: التربية الاجتماعية، وذلك من خلال غرس الفضائل والأخلاق الكريمة في نفوس الناشئة، كبذل الخير وإفشاء السلام وإشاعة المحبة، والمودة بين أفراد المجتمع وإقرار السلام بين الأفراد والمجتمعات وصلة الأرحام وتحقيق التكافل الاجتماعي والتعاون، وذلك كله من أسباب ومقومات قوة الأمة، فَضْلاً عن التقرب إلى الله تعالى، ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ».

إن من الغرائز التي فطر الإنسان عليها "رغبته في تحقيق مكانة اجتماعية طيبة والتزامه بالقيم الخلقية والاجتماعية السائدة في ثقافته" [1]. لذا جاء الإسلام مقوياً ومنضجاً لهذه الفطرة مع تهذيبها لتتوافق مع مبادئ الإسلام السامية، "وبناء شخصية المسلم المستقلة ذات المعالم الواضحة والسمات المتفردة، ومن هذه المعالم ما جاء في أحاديث الباب من مراعاة طبيعة الإنسان الاجتماعية، وتنمية هذه الطبيعة كالتعاون وامتثال الآداب الإسلامية الاجتماعية العامة كآداب الطريق وآداب الصحبة واحترام الكبير وتوقيره" [2].

"إن الإسلام دين شامل ينظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من التعامل الرفيع والتعامل البديع، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ

---

(١) انظر: علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة" د. هشام محمد مخيمر، ص١٤٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٩٥-٢٩٨.

مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وقد مضت أجيال المسلمين المتتالية منذ جيل الصحابة حتى وقت قريب وفق هذه التعاليم السامية والمثل العليا، فكانت تكثر في مجتمعهم أعمال المروءة والفتوة والسعي في الخير والرفق بالآخرين وسائر صنائع المعروف، ولكن هذه المظاهر خفتت في الأجيال المعاصرة بسبب تأثر المسلمين بفلسفة الحياة الغربية المادية وطبيعتها النفعية، فصار إنفاق المال تضييعاً وبذل المعروف سذاجة، لأن الحضارات غير الإسلامية لا يتطلع أفرادها إلى ما وراء الحياة الدنيا، فلا يبذل من الوقت والمال والجهد إلا ما يعود عليه بالنفع العاجل في دنياه، وبذلك ارتفع الصراخ في عالمنا لزيادة الإنتاج المادي على الصعيدين الفردي والقومي للارتفاع بمستوى الدخل.... وازدادت صراعات المجتمعات مع بعضها والطبقات فيما بينها ولم تعد ابتسامة الإنسان للإنسان إلا إحدى وسائل ابتزازه، وهكذا انطمست معاني الإنسانية أو كادت في عالم الحضارة المادية.

إن بوسع المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويفخروا بحضارتهم ويشمخوا بإنسانيتهم التي ستبقى علامات مميزة وسمات خاصة بالأمة الإسلامية التي تهتدي بوحي الله وقيمه الأخلاقية الثابتة دون أن تحتكم لأهواء الفلاسفة والمفكرين الذين ولدوا الحيرة للإنسان وقضوا بآرائهم النفعية المادية على أسمى خصائص الإنسانية، وصدق الله العظيم، إذ قال: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾[2][3].

ثانياً- غرس خلق التعاون المادي والمعنوي:

من أبرز المضامين التربوية التي يمكن الاستفادة منها من أحاديث الباب حث المربين على ترسيخ التعاون في نفوس المتربين سواء كان هذا التعاون في صورة مادية

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٣) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٢٤٧-٢٥٠.

كعون المظلوم وإبرار القسم وإطعام الطعام والإحسان، أو كان في صورة معنوية كإفشاء السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونحو ذلك، كما هو واضح في أحاديث الباب التي تضمنت الصورتين المادية والمعنوية من التعاون والتكافل كقوله ﷺ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

إن التعاون والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي.

وهناك صور لهذا التكافل، بين الفرد وذاته، وتكافل بين الفرد والأسرة، وتكافل بين الفرد والجماعة.

فالتكافل بين الفرد وذاته أو بما يسمى بالتوافق النفسي أن ينهاها عن شهواتها ويزكيها ويطهرها ويسلك بها طريق النجاة والسلامة.

والتكافل بين الفرد وأسرته يعتبر قوام هذه الأسرة ورباطها الذي يقوي عناصر المحبة والود والإخاء ويسهم في بناء كيان قوي مؤسس على الحق والخير في المجتمع، وجاء الأمر بتقوية هذا الجانب في أحاديث الباب كالحث على صلة الأرحام وغيره.

والتكافل بين الفرد والجماعة بعد التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته يجعله يحصل الثمرة ويحسن عمله[1]، ويقوي من روابط الأخوة في المجتمع وكثرة روافدها وتقويتها، وذلك كعيادة المريض وعون المظلوم وإفشاء السلام والتحابِّ، وغير ذلك من دعائم الأخوة الإسلامية التي وردت في أحاديث الباب.

"إن توجيهات القرآن والسنة في الحث على التعاون والتكافل الاجتماعي والحث على الصدقة وصلة الأرحام وبر الأقارب ورعاية حقوق الجيران والأخوة وتفقد أحوالهم من أعظم عوامل التمسك والوئام في المجتمع الإسلامي، وهذا مالا يوجد له نظير ولا مثيل في مجتمعات الدنيا"[2].

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٥١-١٥٣.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٧.

ثالثاً- التعامل مع البيئة والانخراط في المجتمع:

إن من المهام الملقاة على المربين والمعلمين ومَنْ يقومون بدور التوجيه كعلماء الدين والمفكرين والكُتَّاب والمثقفين أن يبثوا في الناس روح الانتماء للجماعة والانخراط فيها والتعايش معها بما فيها من إيجابيات وسلبيات.

إن الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، وعزلته عن الإنسان مخالف لفطرته، ولذلك جاءت آداب الإسلام وأخلاقه تنحو منحى الاجتماع وتنمي من ثقافته وتكثر من روافده، كما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى القيام بالواجبات الاجتماعية كإفشاء السلام والتعاون، ونصر الضعيف وعيادة المريض وتقوية الروابط الأسرية بصلة الأرحام وغير ذلك كما في حديث أبي عمارة البراء بن عازب ﷺ قال: «أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسبع: بعيادةِ المريض، واتِّباع الجنائز، وتشميتِ العاطِس، ونصرِ الضعيف، وعونِ المظلوم، وإفشاءِ السلام، وإبرارِ المقسِم». ومثل هذه الأعمال لا تتأتى من إنسان منعزل عن الناس منغلق على نفسه، وإنما تتأتى من إنسان منخرط في صفوف الجماعة وعالم الناس.

"لذا ينبغي على المربي أن يُعوِّد المتربي على التعامل مع البيئة التي يحيا فيها بطريقة صحيحة حتى لا ينشأ معزولاً أو خاملاً، أو يصير قعيد البيت لا يبرحه إلا في صحبة والده أو أخيه الأكبر، لذا كان من اللازم تربية النشء على المشاركة الاجتماعية الإيجابية.

فيُعوَّد الناشئ على الخروج في أوقات الأمان والقيام بشراء بعض الاحتياجات، ويتحمل بعض المسؤوليات والواجبات الاجتماعية التي تناسب المرحلة العمرية...، وينبه على آداب الطريق والسير فيه. كما ينبغي إشعار الصبي بمكانته، وأن مِثْله يُعتمد عليه وأنه أهل للقيام بالمهام وتحمل المسؤولية، كما ينبغي أن يعوده على القيام بالحقوق الاجتماعية فيعوده مثلاً على الذهاب لعيادة جاره، أو زميل الدراسة المريض ... لكن ينبغي في هذه الحالة أن يكون معه مربيه أو أخوه الكبير تحقيقاً للفائدة المرجوة منها..."[1].

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص١١٢، ١١٣.

رابعاً- التطبيق التربوي والتدريب العملي:

من أفضل الأساليب التربوية لإنجاح العملية التعليمية والتربوية توجيه المتربين إلى التطبيق والتدريب العملي والمشاركة والممارسة الفعلية، فإنه لا ينبغي أن تقف العملية التربوية عند حد الوظيفة المعرفية، وإنما ينبغي أن تتجاوز إلى الوظيفة العملية والتطبيق الفعلي، إذ "أن الجانب المعرفي ليس مقصوداً لذاته وإنما وسيلة للتطبيق الصحيح، فإن العلم بدون ممارسته عملياً لا قيمة له ولا ثمرة، فمثلاً الدارس للعبادات مع عدم العمل بها فإنه لا قيمة لهذه الدراسة بل هي جهد وحجة قائمة على المتعلم، وكذلك الطبيب والمهندس وغيرهما إذا لم يقم الإنسان بعمله وفق ما تعلمه فإنه جهد بلا إنتاج، وعلم بلا ثمرة"[1]. ومن هنا تبرز أهمية التطبيق التربوي والممارسة العملية، ويمكن للقارئ أن يرى الإشارة إلى ذلك في أحاديث الباب، ومن دلائل ذلك ما أمر الله تعالى به آدم من الذهاب إلى نفر من الملائكة والتسليم عليهم، فلم يكتف سبحانه بمجرد تعليم آدم، وإنما أمره أن يمارس ذلك ممارسة عملية، ففي الحديث «لما خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عليه السلام قال: اذْهَبْ فسلِّمْ على أُولئِكَ: نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تَحيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ: وَرَحمَةُ اللَّهِ» .

وعلى المستوى البشري نرى ذلك أيضاً واضحاً في اصطحاب ابن عمر للطفيل بن أبي ابن كعب رضي الله عنه إلى السوق من أجل السلام، فعبدالله بن عمر رضي الله عنهما لم يكتف بمجرد نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الآمرة بإفشاء السلام وتلقينها الطفيل رضي الله عنه، وغيره من المسلمين، بل عمد إلى التطبيق العملي لذلك، كما في الحديث عن الطفيل بن أبي ابن كعب أنه كان يأتي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه...".

"إن التوجيه النظري وحده لا يكفي إلا إذا أضيف إليه التدريب العملي"[2]. بل ولا يكتفي بالتوجيه العملي مرة أو مرتين، وإنما ينبغي أن يصبغ بالدوام والاستمرارية

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٤٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٢.

والتكرار، ونلاحظ ذلك من حديث الطفيل مع ابن عمر رضي الله عنهما، وذلك من خلال الألفاظ الدالة على التكرار والكثرة، فمثلاً قوله: "أنه كان يأتي عبدالله بن عمر فيغدوا معه إلى السوق، قال فإذا غدونا..."، وقوله: "إنما نغدوا من أجل السلام.."، فإنه: "بالتكرار ومرور الزمن تصبح هذه التدريبات جزءً من عادات الفرد المتمكنة، ذات الجذور العميقة في قرارة نفسه"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجالين التربوي والتعليمي، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونصر الضعيف، وعون المظلوم وإفشاء السلام وإبرار القسم" وكما في حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام".

والتربية بالتلقين تتميز بأثرها البالغ في نفوس المسلمين، لذا فلم يكن المربي الأول صاحب الرسالة، محمد صلى الله عليه وسلم يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله، فقد كان يستعملها في أغلب المواقف، وخاصة المواقف التي تتعلق بمصالح العباد وترتبط بحقوقهم. كما كان يستعلمها في الأمور المتعلقة بالآخرة.

ب-الإقناع العقلي: كما في إقناع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الطفيل بن أبي بن كعب أن إتيانه للسوق كان بغرض إلقاء السلام على من يلقاه.

والإقناع العقلي يتميز بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ويناسب مواقف التعلم المختلفة.



---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١، دار عمار، عمَّان: ١٩٩٩م، ص٧٥.

١٣٢- باب كيفية السلام

يُستَحَبُّ أنْ يَقُولَ المُبتَدِئُ بالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. فيَأْتِي بضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، ويَقُولُ المُجيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فيَأتِي بِوَاوِ العَطْفِ في قَوْله: وَعَلَيْكُمْ.

الحديث رقم (٨٥١)

٨٥١-عن عِمْرَان بن الحصين رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((عَشْرٌ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((عِشْرُونَ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((ثَلاثُونَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَين: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر قيمة إفشاء السلام في زيادة الحسنات، وقد قرر المعنى بطريقة حوارية تحقق التشويق للحديث بداية، وتحقق للمعنى الثبات نهاية، وقد توصل إلى ذلك من خلال التدرج في إثبات الأجر من الأدنى إلى الأعلى خلال استثمار الحدث بدخول الرجل الذي ألقى السلام بصيغة مقتضبة: (السلام عليكم) بما يعدل ثلث العبارة فرد عليه ثم جلس فجاء قول النبي ﷺ (عشر) مبنية على الإيجاز أي: أجره عشر، أو له عشر، وكذلك في رده على الثاني بقوله (عشرون) أي أجره عشرون، أو له عشرون، وعلى الثالث بقوله (ثلاثون)، ومن الملاحظ أنه حذف المميز للعدد أي: أجره ثلاثون

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٩٥ واللفظ له، والترمذي ٢٦٨٩ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩٦.

حسنة، أو درجة، ومن الملاحظ فيما حذف أنه مفهوم من بقية الكلام فالإيجاز حقق المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال...) (١) ومن الملاحظ في عطف الجمل في رد السلام، أنها عطفت بالفاء التي تشير إلى الفورية، والسرعة دون مهلة قد يظن فيها من ألقى التحية الظنون في سبب عدم الرد، أو تأخره مما قد يسبب له الحرج، أو الضيق الأمر الذي يتعارض مع الغرض الحقيقي للسلام.

فقه الحديث

إن السلام المأمور به له أقل وأكمل، فأقله أن يقول المسلم: السلام عليكم، أو سلام عليكم، والأول أفضل.

وأكمله: أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته(٢).

وصيغة الردّ أن يقول المسلَّم عليه: وعليكم السلام، ويصحّ أن يقول: سلام عليكم. والأول أفضل، والأصل في صيغة الرد أن تنتهي إلى البركة فتقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وإذا قال المسلِّم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإن الزيادة تكون واجبة، فلو اقتصر المسلِّم على لفظ: السلام عليكم كانت الزيادة مستحبة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾(٣))(٤).

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق: د. مفيد قميحة صـ٨٠.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٦٨/٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: روح المعاني ٩٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٢/٦، والعدوي على الرسالة ٤٣٥/٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٩/٢٥-١٦٠، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤٢-٣٢٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام.

ثانيًا: من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام:

لقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ ما جاء به رسول الله ﷺ من هدي بالقبول والتطبيق، ومن ذلك الدعوة إلى السلام وإفشائه، وفي الحديث دلالة على مدى حرص الصحابة جميعهم على تجميل علاقاتهم بالسلام، ففي الحديث نرى أنه ما من داخل على الرسول ﷺ وأصحابه إلا وألقى السلام، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم.. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..)، فما أجدر الناس بالاقتداء بأحوال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على التطبيق العملي لسنة رسول الله ﷺ والاقتداء به في ضبط الأقوال والأفعال"(١).

ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث من بيان حرصهم رضي الله عنهم على إفشاء السلام الذي هو تحية المسلمين، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾(٢)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في لقيا الملائكة له: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾(٣).

وهذا السلام له فضائل وميزات، فقد ورد أنه من خير الإسلام، روي عن عبدالله

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٣/٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٨٠/٢، ٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٤.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: ((تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[١].

كما أن السلام من أسباب المودة والألفة والمحبة بين المسلمين وفيه الأجر العظيم والخير الكثير، فهو من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: ((لا تدخلوا الجنةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا، أو لا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[٢]. أي لا يكمل إيمانكم، أو لا يكون حالكم حال من كمل إيمانه حتى تفشوا السلام الجالب للمحبة الدينية والألفة الشرعية، وإفشاء السلام إظهاره وإشاعته وإقراؤه على المعروف وغير المعروف[٣].

والسلام هو اسم من أسماء الله تعالى، فكأن المسلّم عندما يسلم يقول: أنت في حفظ الله تعالى، قيل: إن السلام دعاء بالسلامة[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام:

إن من أبرز الأمور الواجبة على الداعية الاضطلاع بها، البيان وتعليم المدعوين، وذلك أمر الله، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥]، لما للبيان الواضح من تأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصحيحة[٦]، ومن ذلك بيان الثواب المترتب على السلام كما ورد في الحديث: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: (عشر)، ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: عشرون ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله

(١) أخرجه البخاري ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٤٢/١.

(٤) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، فإن بيان الأجر ومقدار الثواب لمن أكبر الدوافع إلى الإتيان بالعمل، وقد استخدم القرآن ذلك مرارًا فبيّن الثواب ومضاعفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾[1]، وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

فإن بيان الثواب المعد على الطاعة، وبيان كيفية الإتيان والقيام بالطاعة وتعليمها، من وسائل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يستخدم أسلوب التعليم في تلقين الصحابة رضي الله عنهم ماهية العبادة وكيفية الإتيان بها، كما جاء في الحديث من بيان ثواب السلام، وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه يتبين لنا كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا عطَسَ أحدُكم فليقل الحمد لله، وليقلْ له أخوه أو صاحبه ـ يَرحمكَ الله، فإذا قال له يَرحمكَ الله، فليقل: يَهديكُم الله ويُصلحُ بالكم))[4]، فما أحرى بالدعاة إلى أن يهتموا بتعليم الناس الخير، لينالوا الأجر العظيم ويفوزوا بالنعيم المقيم.

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب:

إن صيغة السلام كلما ازدادت ألفاظها ازدادت حسناتها، لذا كان من آداب المدعو حرصه على نيل الأجر والمثوبة بذكر الصيغة التامة في التسليم، والتي جاءت في الحديث: (ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، أي: ثلاثون حسنة، لأن الحسنة يجزى صاحبها بعشر أمثالها، وذلك بناء على أن كلا من السلام ورحمة الله وبركاته حسنة مستقلة، فإذا أتى بواحدة منها

---

(١) سورة النمل، آية: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤٢.

حصل له عشر حسنات، وإن أتى بها كلها حصل له ثلاثون حسنة[١]، فإن الأجر يتفاوت بقدر التفاوت في بذل السلام كله أو بعضه، فالدعاء بالسلام ثوابه عشر حسنات، فإن ضم إليه الدعاء بالرحمة صارت عشرين، وإن ضمت إليهما البركة صارت ثلاثين، وهذا لكل من المبتدئ بالسلام والراد عليه[٢]، وهكذا الفضائل تزيد المثوبات بزيادة العمل.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في إتمام صيغة السلام بزيادة الثواب، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله.. فقال: عشرون... ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... فقال: ثلاثون)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية أثرًا في قيادة النفوس، لحبها ما ينفعها وحرصها على الحصول عليه، وقد ورد أسلوب الترغيب في القرآن كثيرًا وأمر الله به نبيه ﷺ مع قيامه بأساليب أخرى[٣]، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤]، فأحد هذه الأسباب: الموعظة الحسنة وهي كما وضحها ابن القيم: (الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة)[٥].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٢.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ص ١٩٤.

الحديث رقم (٨٥٢)

٨٥٢- وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((هَذَا جبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ)) قالت: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: ((وَبَرَكَاتُهُ)) وفي بعضها بحذفها[2]، وزِيادةُ الثقةِ مقبولة.

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حديث النبي ﷺ مع آل بيته له خصوصية عن غيره من وجوه، منها أن ما يسفر عنه هذا الحديث يصير تشريعات للأمة، تقتدي به، ثانياً أنه حديث يتسم بالأدب العالي، وحسن الأخذ، والرد، ثالثاً: يتميز بأنه من طبقة البيان العالي، بل أعلاها على الإطلاق على المستوى البشري، رابعاً تتجسد فيه أعلى معاني الرحمة، والمحبة، والحنان، والتوقير، وكل المعاني السامية التي يحاول أصحاب النفوس العالية تمثّلها، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (قال لي رسول الله ﷺ) يوحي بالاعتزاز، والسرور لأنها قدمت الجار، والمجرور: (لي) لتفيد اختصاص نفسها بهذا الحديث دون غيرها اعتزازاً بمقول القول، ثم إنها استخدمت صيغة الماضي دلالة على التحقق، وقول الرسول ﷺ (هَذَا جبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ) استخدام اسم الإشارة يوحي بالمدح، وتقديم الخبر (عليك) على المبتدأ يشير إلى الخصوصية، والخبر بيان، وتشريف لام المؤمنين - رضي الله عنها، وأرضاها -.

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢١٧، ومسلم ٢٤٤٧/٩٠.

(٢) عند البخاري برقم ٦٢٠١، ٦٢٤٩، ٦٢٥٣، وكذا عند مسلم.

فقه الحديث

١- يسن بعث السلام إلى من غاب عنه، ويلزم الرسول تبليغه، لأنه أمانة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[(١)] [(٢)].

٢- بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة، إذا لم يخف ترتب مفسدة، وأن الذي يَبْلُغُه السلام يرد عليه، وهذا الرد واجب على الفور، وكذا إذا بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه.

٣- يستحب في الرد أن يقول وعليك أو عليكم السلام بالواو، فلو قال عليك السلام أو عليكم أجزأه على الصحيح وكان تاركًا للأفضل[(٣)].

٤- ويستحب أن يرد على المبلغ أيضًا، فيقول: وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[(٤)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها:

جاء في الحديث التصريح بإخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١/١٥/٨ دار الكتب العلمية، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨ ، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٠/٢٥.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨ ، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤.

عليها، فعنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام)، فقوله: (هذا جبريل) يقتضي أنه كان حاضرًا حينئذٍ، كما هو أصل وضع اسم الإشارة[١]، قال النووي: (وفيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب ونحوه)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها:

إن لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من الفضل ما لا يخفى على أحد، فهي العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب[٣]، ومن فضل عائشة رضي الله عنها ما جاء في الحديث من تسليم جبريل عليه السلام عليها وإبلاغ رسول الله ﷺ لها: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، وفي الحديث فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها[٤]، إلى غير ذلك من الفضائل، فقد حفظت عن رسول الله ﷺ الكثير، وأَكثَرَ الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها[٥]، وقد ورد في فضلها الأحاديث الكثيرة، منها ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كثيرٌ، ولم يكمُلْ مِنَ النساء إلاّ مريمُ بنت عِمرانَ وآسيةُ امرأةُ فِرعونَ. وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّرِيدِ على سائر الطعام))[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٤.

(٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد بن عبدالرحمن العك ١/١٢٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٣٤.

(٦) أخرجه البخاري ٣٧٦٩.

ثالثًا- من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام:

إن في سلام جبريل عليه السلام وإبلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وردها عليه بالصيغة التامة: (وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، امتثالاً واستجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1][2]، وهذه الآية من آداب السلام، علم الله بها المؤمنين أن يردوا على المسلّم بالأحسن من سلامه أو بما يماثله، ليبطل ما كان في الجاهلية من تفاوت السادة والدهماء، وتكون التحية أحسن بزيادة المعنى، فلذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾[3].

إن تحية إبراهيم عليه السلام كانت أحسن، إذ عبر عنها بما هو أقوى في كلام العرب وهو رفع المصدر للدلالة على الثبات وتناسي الحدوث المؤذن به نصب المصدر، وليس في لغة إبراهيم عليه السلام مثل ذلك، ولكنه من بديع الترجمة، ولذلك جاء في تحية الإسلام: السلام عليكم، وفي ردها: وعليكم السلام، لأن تقديم الظرف فيه للاهتمام بضمير المخاطب، وقال بعض الناس: إن الواو في رد السلام تفيد معنى الزيادة، فلو كان المسلّم بلغ غاية التحية أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإذا قال الراد: وعليكم السلام...، كان قد ردها بأحسن منها بزيادة الواو[4]، ولذا جاءت الآية والأحاديث حاضّة على زيادة ألفاظ السلام والإتيان بالصيغ الكاملة له، فإن الثواب يزداد بقدر السلام، فمن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كانت له ثلاث حسنات مضاعفة إلى ثلاثين حسنة[5]، وكما قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[6]، وذلك من بالغ فضله تبارك وتعالى بأن يعطي على الحسنة عشرة أمثالها،

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٤٧/٥/٢.

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن وآخرون ٥٧٩/١.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وهي مماثلة موكولة إلى علم الله تعالى وفضله"[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ضمنيًا في رد عائشة رضي الله عنها على جبريل عليه السلام بالصيغة التامة فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا، وأشدها تأثيرًا في نفوس المدعوين، فإن ترغيب الإنسان وإغرائه ووعده بأنواع العطاء والنعيم، لمن أكبر الأسباب إلى التأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصواب، وذلك لما جُبِلَ عليه الإنسان من التطلع إلى ما هو أعظم وأجدى[٢].

وقد رغَّب القرآن في تحية السلام وردها، وإتيان الأكمل والإحسان فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]، أي: كان على كل شيء تعملونه حسيبًا ومكافئًا[٤]، فاستحضار عطاء الله ومكافئته على الأعمال الصالحة، لمن أكبر الدوافع إلى عمل الخير وخير العمل.

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩٦/٥/٤.

(٢) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٤٣/٥/١.

الحديث رقم (٨٥٣)

٨٥٣- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تكلم بكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفهَمَ عَنْهُ، وَإذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيهِمْ سلم عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاري[1].

وهذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استُجد كلام استُجدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم ٩٥، وتقدم برقم ٦٩٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٩٦).

الحديث رقم (٨٥٤)

٨٥٤- وعن المِقْدَادِ ﷺ في حديثِهِ الطويل، قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ،... فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

الشرح الأدبي

قول المقداد ﷺ كنا يشير إلى أن الحدث طواه الزمان كما يشير إلى تمام تحققه، وإذا كان كذلك فقد صار سُنة عنه يتلقفها الصالحون الصادقون في كل مكان، وزمان، وقوله (نرفع) يشير إلى أنه فعل جمع مما يمنح الخبر لوناً من التوكيد، وقوله (فيجيء) التعبير بالمجيء؛ لأنه لا يحتاج إلى صلة بعكس أتي، ونحوها، ولذلك يقال جاء فلان نفسه، ولا يقال أتى فلان نفسه، وقوله (فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لاَ يُوقِظُ نَائِماً) استخدام الفاء يؤذن بالسرعة، والتسليم فور الدخول، وبين (يسلم، و تسليماً) جناس رقيق يشبه حفيف تسليم المسلم الذي يفيض عليهم من معاني الكلمة ما يبعث الأمان، والمحبة، وكذلك بين (يوقظ ويقظان)، وقوله (فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ) بيان عملي لطريقة تسليمه التي سبق بيانها قولاً، والتسليم بهذا المعنى ينم عن ذوق عالٍ يراعي أحوال الجميع، وينشر المحبة.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يشترط في ابتداء السلام وجوابه رفع الصوت؛ بحيث يصل الأسماع، وينبغي أن يرفع صوته رفعًا يسمعه المسلَّم عليهم والمردود عليهم سماعًا محققًا. ولا يزيد في رفعه على ذلك، فإن شك في سماعهم زاد واستظهر، وإن سلّم على

---

(١) برقم ٢٠٥٥/١٧٤.

أيقاظ عندهم نيام، خفض صوته بحيث يسمعه الأيقاظ ولا يستيقظ النيام، وذلك لحديث الباب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: إفشاء السلام.

أولاً- من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين:

إن من الآداب التي يتحلى بها الداعية: إفشاء السلام، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾[٣]، كما أن إفشاء الداعية السلام سبب جالب لمحبة المدعوين وإقبالهم عليه[٤]، وذلك من عموم قوله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" [٥]، ولذلك كان النبي ﷺ بالغ الحرص على إفشاء السلام، والحديث يعكس ما كان عليه ﷺ من حرص على إفشاء السلام "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان ...".

فإفشاء السلام من الآداب الإسلامية الجميلة، التي تعود على الفرد والمجتمع بأطيب الآثار والثمار، وتنتشر المودة ويتحاب الناس فيما بينهم، فالامتثال بمثل هذه

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤ .

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

الآداب من شأنه أن يقوي أواصر الأخوة، ويصفي النفوس من أدرانها، ويزيد الألفة والمحبة بين قلوب المؤمنين، ويَسُلُّ السخيمة من الصدور(١).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام:

جاء في الحديث بيان أدب السلام لمن دخل على قوم فيهم نيام من قوله: "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من أدب عالٍ وخلق رفيع، قال النووي: " هذا فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأنه يكون سلامًا متوسطًا بين الرفع والمخافتة، بحيث يسمع الأيقاظ ولا يهوش على غيرهم(٢). قال ابن عثيمين: وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرة أو ما أشبه ذلك وفيها نيام وأيقاظ، أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام، لأن النائم لا يحب أن يوقظه أحد، لاسيما أن بعض الناس إذا أوقظ، ما يأتيه النوم بعد ذلك، ويبقى أرِقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذى وفيه ضرر على الآخرين(٣).

فما أحرى بالإنسان أن يتمسك بآداب الإسلام ويتخلق بأخلاقه "إن الإسلام كله أدب وذوق رفيعان، لم يصل إليهما، بل لم يعرفهما بنو آدم من قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين، وما كان لهم أن يكون لهم ذلك بغير تعليم العليم الخبير لهم، وتربيته وتزكيته لهم، فالإسلام كله ناطق بهذه السمة في تعاليمه وأحكامه كلها، وتمثلت تلك الآداب وهذه الأخلاق كلها في شخصية النبي ﷺ، فلقد كانت حياته كلها ذوقًا رفيعًا وأدبًا عاليًا، والوثيقة الناطقة بهذا هي كتاب الله، القرآن الكريم، وحديث النبي ﷺ وسيرته(٤)، ولقد شهد له ربه عز وجل بهذا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥).

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص١٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٤٧.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الرحيلي، ص١٧٠.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ:

لقد مثل رسول الله ﷺ بأخلاقه وآدابه أمام البشرية مثولاً يسمو بخواطرها إلى صورة الكمال، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فكان ﷺ ولا زال خير مثال تقتدي به الإنسانية في الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب[2]. وفي الحديث انموذج حي على حسن أخلاقه وكريم شمائله" فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، أي يسلم تسليما متوسطًا بين أقل الجهد وما فوقه[3]، وذلك مما يدل على محاسن صفاته وأحاسن آدابه[4].

وفي الحديث دلالة على أنه ينبغي على الإنسان في إلقائه السلام، أن يراعى أحوال الناس فلا ينغص هدوءهم، ولا يكدر راحتهم، كما كان شأن رسول الله ﷺ والذي ورد في الحديث بيان حال سلامه ﷺ إذا قدم على بعض أصحابه النائمين، فيسلم في صوت خافت يسمعه اليقظان ولا يتأثر به النائم، وهذا حسن تصرف وكمال يجب مراعاته في السلام وغيره من الأمور[5].

رابعًا- من أساليب الدعوة: إفشاء السلام:

يبدو ذلك في الحديث في قوله: "فيسلم تسليمًا" قال النووي: والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[6]، وذلك مما يجعل الداعية محبوبًا من قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، أما الإعراض عن الناس، والتكبر عليهم، والاستنكاف من التقرب إليهم والسلام عليهم، فإنه يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله[7].

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ص ١٠٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٢.

(٤) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٧) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

لذلك حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، من أجل ذلك كان حرص الإسلام كبيرًا، على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة[1].

(١) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم، ص١٢.

الحديث رقم (٨٥٥)

٨٥٥- وعن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَألْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ. رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن).

وهذا محمول علَى أنّه ﷺ، جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أنَّ في رِوَايةِ أَبي داود[2]: ((فَسَلَّمَ عَلَيْنَا)).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

غريب الألفاظ:

العصبة: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين[3].

ألوى بيده: أشار بيده[4].

الشرح الأدبي

ذكر الظرف المكاني الذي حوى الحدث (في المسجد) ؛ لأن له تعلقاً بالحدث بوجه من الوجوه يتبين خلال التأمل، وقد طوى تحديد الزمان، وأبهمه بتنكيره (يوماً) لأنه لا ترتبط بتحديده فائدة للمعنى الذي يريد تقريره، والتعبير بالعصبة يقرِّب حجم المجموعة الجالسة من العشرة إلى الأربعين، كما يوحي بأنه لا يوجد بينهم من هو مختلف عنهم في الجنس كالرجال، أو في العقيدة كغير المسلمين، أو في الغاية، وهي طلب العلم، أو الصلاة فهم كالمتعصبون بهذه الصفات فالعصب من معانيه الحزم، والشد، وقوله (فَألْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ) استخدم الإشارة في إلقاء السلام مع اللفظ، وهذا يعطي الكلام تمكناً؛ لأن المعنى يشترك في استقباله البصر مع السمع، مما يجعله أوضح في الذهن، وأثبت مع الزمن.

---

(١) برقم ٢٦٩٧. ونقل الترمذي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام، عن شَهْر بن حَوْشَب، وقال محمد بن إسماعيل البخاري: شهر حسن الحديث وقوى أمره.

(٢) برقم ٥٢٠٤.

(٣) النهاية في (ع ص ب).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل و ي).

فقه الحديث

كراهة الإشارة بالسلام باليد ونحوها بلا لفظ [١]:

يكره السلام أو ردّه بالإشارة: بالرد باليد أو بالرأس بغير نطقٍ بالسلام مع القدرة وقرب المسلَّم عليه، لأن ذلك من عمل أهل الكتاب: اليهود والنصارى، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ))[٢].

فإن كانت الإشارة مقرونة بالنطق، بحيث وقع التسليم أو الرد باللسان مع الإشارة، أو كان المسلَّم عليه بعيدًا عن المسلِّم بحيث لا يسمع صوته، فيشير إليه بالسلام بيده أو رأسه ليعلمه أنه يسلم، فلا كراهة.

وتكفي الإشارة في السلام على أصم أو أخرس أو الرد على سلامه[٣].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يرد بعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسه وقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه)[٤].

قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل)[٥].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧ .

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٦٨).

(٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٢-٤٢٣ ط/ حلب، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧-٢٧٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٩-١٦٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٦١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإشارة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المسجد:

قد أشير إلى ذلك في الحديث في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا))، فإن المسجد يعد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض، وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض فيه، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة[1]، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2]، لذلك حرص النبي ﷺ أول ما نزل المدينة على بناء المسجد فأقام مسجد قباء، ولما نزل في بيت أبي أيوب اتجه تفكيره إلى إنشاء مسجده بالمدينة[3].

وذلك لما للمسجد من أهمية، إن المساجد هي مجامع الأمة وملتقى الأئمة، ومما لا شك فيه أن رسالة المسجد في الإسلام تشمل جميع جوانب الحياة، لذا ينبغي إعطاء المسجد رسالته في الحياة[4]؛ فالمسجد عندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له، يكون من أعظم المؤثرات في الإنسان، حيث إن له دورًا عظيمًا في تعميق المفاهيم الإسلامية، وغرس الفضائل الروحية والخلقية والعقلية، إذ في المسجد يسمع

---

(١) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص١١، ١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني، العهد المدني، محمد أبو زهرة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة وسنة النبي ﷺ، الدوحة: المحرم ١٤٠٠هـ ص ٦٤٢.

(٤) انظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير، ٨/١.

الإنسان الخطب والدروس العلمية، مما يساعده على وعي العقيدة الإسلامية، ومعرفة الغاية التي من أجلها خُلق، ويتعلم القرآن[١]، وبهذا ينغرس في نفس الإنسان إخلاص العبادة لله عز وجل، وينمو لديه الجانب الروحي والخلقي والعقلي، وتتوثق صلته بإخوانه المسلمين الذين يجتمع بهم في المسجد[٢].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

قد جاء في الحديث ذكر النساء، في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود)). لقد اهتم الإسلام بالنساء وجعلهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾[٣]، ولا بد من تكثيف النشاط لهداية النساء، فإن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها، ومنع لآية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه[٤].

لذا كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يذكر ويبين لهن أحكام الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: ((غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: «واثنين»))[٥]. والمرأة المسلمة لها مكانتها في الأسرة، ومن ثم في المجتمع الإسلامي بأسره، وبصلاحها يحصل الخير الكثير، لذا كان على القائمين على الدعوة مؤسسات وأفرادًا، أن يعتنوا بالمرأة تربيةً على أحكام الإسلام، وتوجيهًا إلى ما فيه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بناءها ورعايتها، د. ناصر التركي، ص٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣، ٧٤.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ١٠١، ومسلم ٢٦٣٤.

صلاحها وفلاح المجتمع المسلم.

لقد جاء في الحديث التصريح بتسليم النبي ﷺ "أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم" أي أشار بيده بالتسليم، وهذا محمول على أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة، وفيه دلالة على جواز التسليم على النساء، والمراد بجوازه أن يكون غير آمن الفتنة، وقال الحليمي: كان النبي ﷺ للعصمة مأمونًا من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم، وإلا فالصمت أسلم[(١)].

قال ابن عثيمين: (السلام على المحارم من النساء والزوجات سنة، وأما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم، أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق وهذا هو الصواب، ولكن لو أتيت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وسلمت فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة[(٢)].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإشارة:

ورد استخدام النبي ﷺ في الحديث للإشارة "فألوى بيده بالتسليم" فإن الإشارة من الأساليب البيانية لما في نفس المتكلم، قال الشيخ على محفوظة، وطبقه الصوت واللفظ، وهيئة الوجه، وحركات الجسم، كلها تتضافر على بيان ما في النفس، وتصوير ما بالخاطر، ولا بد في الأداء من أشياء، الذاكرة وحسن اللفظ والصوت والإشارة، لأن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الداعي للحال ما يريد بيانه من المعاني، وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقًا بها، ولا غنى له معهما عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحًا [(٣)].

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٥٢/٢.

(٣) فن الخطابة ص ٦٤، ٦٥

وقال الإمام ابن الجوزى: "فإن من العوام من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[(١)] لكن مما ينبغي لفت الداعية والخطيب إليه هو عدم إساءة استخدام الإشارة، فإن من العيوب التي تتعلق بالبيان عدم انتظام الإشارات[(٢)] وتوافقها مع الكلام المُلْقَى على المدعوين.

إن الدعوة لا تقتصر على القول فقط، بل قد يأتي القول مقرونًا بالإشارة، ولا شك أن الجمع بين القول والإشارة في الدعوة يجعل الدعوة أعمق تأثيرًا وأكثر رسوخًا من القول المجرد، ولقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقوم بالدعوة بهذه الصورة، ومن شواهد ذلك ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه))[(٣)] وفي رواية الترمذي: ((من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه))[(٤)].

قال المناوي: (وضم إصبعيه مشيرًا إلى قرب فاعل ذلك منه، أي دخل مصاحبًا لي قريبًا مني، يعني أن ذلك الفعل مما يقرب فاعله إلى درجات المصطفى ﷺ)[(٥)].

كما يتمكن المرء من القيام بالدعوة بالإشارة فقط، ومن دلائل ذلك ما جاء عن كعب بن مالك رضي الله عنه ((أنه تقاضى ابن أبي حدرد رضي الله عنه دينًا كان له عليه على عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى كعب بن مالك، فقال ياكعب، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر، فقال كعب رضي الله عنه قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ قم فاقضه))[(٦)]. وفي ذلك

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٣٩.

(٢) انظر: الخطابة، محمد أبو زهرة ص ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٣١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٣).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٧٧/٦.

(٦) أخرجه البخاري واللفظ له ٢٧١٠، ومسلم ٢٠ ١٥٥٨.

جواز الاعتماد على الإشارة وإقامتها مقام القول لقوله "فأشار بيده أن ضع الشطر" لـ "أن" في الحديث مفسرة لأن في الإشارة معنى القول[1].

فخلاصة القول إن الدعوة قد تكون بالإشارة وحدها كما يمكن الاستئناس باقترانها بالقول[2].

(١) شرح الطيبي على المشكاة، الطيبي، ١٧٥/٧.

(٢) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٠٩-٢١٦.

الحديث رقم (٨٥٦)

٨٥٦- وعن أَبي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ أولى النَّاسِ بالله مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلاَمِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ، ورواه الترمذيُّ[2] بنحوه وقال: (حديثٌ حسن). وَقَدْ ذُكر بعده.

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أولى الناس بالله: أي أحقهم بالقرب منه بالطاعة[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالولاية يوحي بمعاني المحبة، والرعاية، والحفظ، وولاية الله هي التقريب، والمحبة، والرضى، والرحمة، وكلها معانٍ حميمة إلى النفس المؤمنة، والتعبير بأفعل التفضيل يرتقي بها درج المراتب، وإضافة (أولى) للناس يعطيها عموماً؛ لأن اللام للجنس، والفعل (بدأ) يدل على تقدمه على غيره، والماضي دل على التحقق، والضمير (هم) المتصل به يشير إلى أنه عمهم بالسلام، وهو معنى قرَّره الرسول ﷺ في غير حديث لأهميته، وقوة تأثيره في نشر الأمن، والمحبة، وذكر الله، الذي يعطي المجتمع المسلم خصوصية، وتميزاً بهذا التحية.

---

(١) برقم ٥١٩٧. قال ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٣٢٧/٥: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٨٩.

(٢) برقم ٢٦٩٤، وسيذكر المؤلف لفظه برقم ٨٥٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٤.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن أولى الناس بالله" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إيقان الداعي بدعوته وحمل المدعو على الاستجابة لها ووقوعها في قلبه موقع القبول والتسليم.

فالتوكيد من أهم الأساليب الدعوية في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به(٢)، وقد شاع استخدام التوكيد في كثير من آيات القرآن والسنة النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾(٣). وقد استخدم النبي ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المؤكد وكذا المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتوكيد والتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالوصية لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم(٤).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بداهم بالسلام:

جاءت النصوص النبوية مبينة فضل البدء بالسلام وفي الحديث بيان لوجه من أوجه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٥٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٥٩).

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية : ٨٦ .

(٤) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ١٢٨.

فضل البدء بالسلام، فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" قال الإمام الطيبي: (أى أقرب الناس من المتلاقين إلى رحمة الله من بدأ بالسلام، وهو من أسباب اكتساب ود الناس ومحبتهم. قال عمر رضي الله عنه مما يصفى لك ود أخيك: أن توسع له في المجلس)[1]، أضف إلى ما في البدء بالسلام من استجلاب المودة ودفع النفرة وتآلف القلوب[2].

(فإن أحسن الناس بالثواب وأقربهم من الله تعالى والتعرض لرحماته ونعمائه مَنْ يبادر ببذل السلام سواء كان ذلك واجبًا عليه أو حقًا له، لما فيه من المبادرة إلى الطاعة وحمل المجيب على الرد بالتسبب فيه)[3]، ولقد أيقن السلف الصالح بذلك الفضل، وكانوا يحرصون كل الحرص على حوزه بل كان الواحد منهم يخرج من بيته لا لغرض إلا لإلقاء السلام على الناس ومبادئتهم به، ومن النماذج البارزة في ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فروى عن الطفيل بن أبي كعب أخبر: «أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه، قال الطفيل فجئت عبد الله بن عمر يومًا فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق قال: وأقول: اجلس بنا ها هنا نتحدث. قال: فقال لي عبد الله بن عمر: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقينا»[4]. قال الإمام ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[5]. فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ((أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٦/٩.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٧٠).

(٥) التمهيد والاستذكار، موسوعة شروح الموطأ ٢٩/٢٣.

وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[١] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ بالبدء بالسلام وبيانه ﷺ ذلك سبب من أسباب القرب من الله واستحقاق رحمته فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا لماله من أثر بالغ في نفوس المدعوين لما فيه من الحث على الخير والتذكير بالحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل[٣].

وقد استخدم الرسول ﷺ الترغيب كأسلوب من أساليب التربية والإعداد بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات الوجدانية والعواطف الربانية، لأنه ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح حياته[٤]، ومن أمثلة الترغيب ما روى عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ. طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً. لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ. فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[٥]. فالترغيب أسلوب ضاغط ودافع باتجاه الخير والسلوك الحسن وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء حرصًا منه على نيل المرغّب فيه وخشية من فواته لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ٧٢.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ٢٥٨.

(٥) أخره البخاري ١٨٢، ومسلم ٢١٨٢ واللفظ له.

(٦) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٣.

الحديث رقم (٨٥٧)

٨٥٧- وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ، فقلتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله. قَالَ: ((لاَ تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ المَوتَى)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح)، وَقَدْ سبق بطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٩٦).

الشرح الأدبي

قول الرجل: (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) التقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَوتىَ)، وإضافة التحية للموتى فيها تنفير من هذه الصيغة في السلام، أما التعبير الذي اعتمده الرسول ﷺ، وهو تحية الإسلام (السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدَّم إِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب، وَالسَّمْع ذِكْر إِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلافِ الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩ مختصرًا، وبرقم ٤٠٨٤ مطولاً، والترمذي ٢٧٢٢، وتقدم برقم ٧٩٦. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٧٩٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

عرف الناس قبل الإسلام وبعده وسائل شتى لإلقاء السلام، قد لا تنبئ عن مضمون السلام والأمن، فحث الرسول ﷺ على استخدام عبارات تحقق مدلول الأمن "السلام عليكم" كحد أدنى لإلقاء السلام ويزاد على ذلك "ورحمة الله وبركاته، ومما ورد في أحاديث الباب من المضامين التربوية ما يلي:

أولاً- من مهام المربي بيان تفاوت الجزاء بتفاوت العمل:

إن من ألزم المهام الرئيسة للمربي أن يبين الارتباط بين الجزاء والعمل، وأنه كلما زاد العمل وكان مستوفياً لشروطه، كلما تضاعف الأجر، ولاشك أن ذلك يُقوّي عنصر المنافسة في نفوس المتربين، ويُعدُّ بمثابة الدافع الإيجابي للاستزادة من الأعمال الصالحة، وقد بين النبي ﷺ ذلك عملياً من خلال ما حدث من الصحابة رضي الله عنهم في كيفية السلام وتفاوتهم فيه، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه عمران ابن الحصين رضي الله عنهما قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: عِشْرُونَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: ثَلاَثُونَ».

وأما بالنسبة لتفاوت الأجر بالنسبة للبدء بالسلام والرد عليه، فجاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ» مما يؤكد على أهمية بيان المربي لتفاوت الجزاء بناء على تفاوت العمل مما يؤثر إيجابياً في تنافس المتربين في السلوك الحسن"[1]، وتنافسهم في عمل الخير.

لذا ينبغي على المربين استخدام أسلوب التقويم ومراعاة التفاوت في المواهب والقدرات وتشجيع المتربين على المنافسة والتسابق في الخيرات، "إذ أن التنافس يحرك في الإنسان عامة الطاقات المكنونة، فتنشط نفسه ويرتفع مستوى همته ونشاطه وتنمو

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٩.

مواهبه فيشعر المتربي باللذة ونشوة السعادة ويسارع كل فرد أن يقدم كل طاقته"(١). ويبذل كل ما في وسعه لتحصيل عظيم الأجر.

ثانياً- من أساليب التربية: التكرار والتوكيد:

وقد ورد ذلك في حديث من أحاديث الباب في قول أنس ﷺ أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَىٰ عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا»، وفي ذلك "إشعار للمربين بتفاوت المتربين في مراتب الفهم ومراعاة حال الجميع، ودعوةٌ أيضاً للمعلمين والمربين إلى الصبر على الإفهام وسَوْق المعرفة"(٢).

لذا ينبغي على المربين مراعاة الفروق الفردية والقدرات والمواهب كالحفظ والفهم عند المتربين، خاصة مع صغار المتربين والأطفال، إذ أن "الطفل كأي كائن بشري ينسى ويغفل، وقد خصه الله تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة، وهي مرحلة غير تكليفية، وإنما هي تهيئ للتكليف وتمهد له.

فإذا أدركنا ذلك فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار أي تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر في نفس الطفل فينصاع للأمر ويستجيب للنداء.

وحتى يعتاد الطفل فلابد من تكرار المعلومة والملاحظة أكثر من مرة لأنه سيخطئ، فعندما يرى الطفل ويسمع وتكرر عليه المعلومة والامتثال بالخلق أكثر من مرة يتعلمه ويحفظه فما يلبث إلا أن يكون عادته"(٣).

وكذلك في التعليم والتلقين والتحفيظ كتحفيظ القرآن وغيره على الإعادة والتكرار، "فإذا أخطأ طالب في قراءة نص فإنه ينبغي على المعلم الانتظار عليه، وطلب الإعادة منه لقراءة النص مرة أخرى"(٤)، حتى يجيد قراءته ويفهمه.

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١٢، ١١٣.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٣.

(٣) انظر: المنهج التربوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ط/٢، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٥٣.

ثالثاً- من أساليب التربية: التقدير والاهتمام:

إن التقدير والاهتمام من الأساليب التي تؤثر في النفوس، وتعد من أهم مفاتيح الشخصيات، لأن الإنسان بطبعه يميل إلى حب من يقدره ويحترمه، لذا كان أسلوب التقدير والاهتمام من الأساليب التربوية المهمة في التعامل مع الناس، ولعل ذلك يستنبط من أحد أحاديث الباب التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "هذا جبريل يقرأ عليكِ السلام"، ولاشك أن ذلك يبين تلك المنزلة الكريمة التي أنزلها الله تعالى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فهي التي برأها الله تعالى، وهي أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولها منزلة كريمة في نفس رسول الله ﷺ، لذا كان إخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بسلام جبريل عليه السلام عليها يدل على تكريم الله تعالى لها، وتقدير جبريل عليه السلام لها؛ لأنها أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ وغير ذلك من الفضائل والمكارم.

ويستنبط من ذلك أهمية الإفادة من أسلوب التقدير والاهتمام في التعامل مع الناس -خاصة مَنْ يستحقون ذلك من أهل الفضل والصلاح وأصحاب المنزلة الرفيعة من ولاة الأمر والفقراء والمساكين وغيرهم ممن حسنت صلتهم بالله تعالى- إن هذا الأسلوب على درجة عالية من الأهمية في مجال التربية لأن الفرد يريد أن يحظى بحب الجماعة ويمنح محبته للجماعات التي ينتمي إليها، ولكن الفرد لا يكتفي بهذا القدر فهناك حاجة أساسية نفسية تلح عليه وهي أن يحوز على تقدير مَنْ حوله من أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، ففي إطار الأسرة نجده يسعى ليحظى بمحبة وتقدير الأبوين، وينافس إخوته ليحظى بهذا التقدير، وفي المدرسة تلاحظ أن التلميذ يبذل مزيداً من النشاط والجهد في دراسته حتى يحظى بتقدير واحترام أساتذته وزملائه.

إن الحاجة إلى التقدير غريزة أصيلة في خَلْق الإنسان، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى -وهو أعلم بمن خلق- قد عزز هذه الحاجة التي تعتمل في صدورنا بالدعوة للعمل الصالح وقرن ذلك بالإيمان، ووعد المؤمنين بالثواب والأجر والحسنى، إضافة لما يحققه الفرد لذاته من احترام وتقدير من أفراد الجماعة في الحياة الدنيا.

ولا بد أن نشير إلى أن على المربين أن يهتموا باستثمار هذه الحاجة في العملية التربوية، بحيث يثيبون التلميذ على كل فعل أو عمل طيب يأتيه حتى يُشْبعوا لديه هذه الحاجة، كما يحسن بهم أن يتفهموا اهتمامات التلاميذ في كل مرحلة عمرية.

إن تحقيق إشباع حاجة التقدير يحقق للمتربي أو الفرد بوجه عام الشعور بالطمأنينة والرضا عن النفس في حين أن عدم إشباعها يولد القلق والعدوان والانحراف في بعض الأحيان"[1].

رابعاً- تربية الذوق ورعاية شعور وأحوال الناس:

إن من الأخلاق التي ينبغي للمربي غرسها في نفوس المتربين والناشئة مراعاة شعور الآخرين وأحوالهم.

إن التربية الإسلامية تعمل على الارتقاء بالذوق العام للمسلم، وتنمي في نفسه عملية احترام الآخرين، والتي من جملتها احترام شعورهم، وعدم إزعاجهم أو التنغيص عليهم، لأن الإسلام يربي المسلم على الفضيلة.

لقد نهى الله عن إزعاج الناس في وقت راحتهم بارتفاع الصوت، وفي أحاديث الباب تأصيل عملي لهذه الأخلاق من خلال بيان كيفية إلقاء السلام على قوم فيهم نيام، فليس معنى أن يأتي الإنسان بسنة أن يزعج بها النيام والمرضى ومَنْ شاكلهم، ولنتأمل هذا الأدب الرفيع والسلوك الكريم النبيل في حديث المقداد ﵁ قال: «كنا نرفع للنبيّ نَصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلِّم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان، ...»، وذلك من حسن تصرفه ﷺ وكمال أدبه وحسن خلقه فهو قد أتى بالسنة بإلقاء السلام على اليقظان، وفي نفس الوقت لم يزعج النائمين.

وهذا ما يؤكد الحاجة الشديدة لتربية النفوس على هذا الأدب النبوي في التعامل مع الآخرين.

---

(١) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ط/٤، دار القلم، دبي: ١٤١٧هـ/١٩٦م، ص١٠٠، ١٠١.

إن هذا الأدب يلقي بالمسؤولية على المربين والقائمين على التربية في شتى الميادين أن يربوا الذوق، ويهذبوا السلوك ويقوِّموا الأخلاق عند المتربين فيعمدوا إلى أن "ينموا الحساسية الاجتماعية في حسن التعامل مع الآخرين وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة وكيفية التعامل مع أفراد المجتمع، كباره وصغاره.

ولا شك أن كل ذلك يُنمِّي الذوق السليم عند الطلاب ويجعل منهم أفراداً حساسين للآخرين ولعلاقاتهم معهم"[1].

خامساً: استخدام الوسائل التعليمية:

"إن استخدام الوسائل التعليمية والحركات المعبرة من المواضيع الهامة في الميدان التربوي لأنها تسهل عملية التعلم والتعليم، وتوضح المعاني وتشرح الأفكار لعلاقتها بإثارة الحواس"[2].

ويمكن أن نستنبط ذلك من إلواء الرسول ﷺ بالتسليم على النساء، فمن حسن تصرفه ﷺ أنه لما رأى صوته لا يصل إليهم لبُعْد أو ما شاكل ذلك ألقي عليهم السلام وشفعه بالإشارة، كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يوماً، وعُصبَة من النساء قُعود، فألوى بيده بالتسليم».

إن منهج التربية الإسلامية مليء بالوسائل الخاصة له، ويسهل الوسائل المفيدة لعملية التعلم، ويساعد على تنفيذ المنهج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[3].

إن التربية الإسلامية تدعو للاستفادة من الجديد في المجال التربوي ما دام يسهم في تحقيق أهدافها.



(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٣١٤.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري، ص١٢٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

١٣٣- باب آداب السلام

الحديث رقم (٨٥٨)

٨٥٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: (والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ).

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذه الصورة التركيبية للبناء التعبيري النبوي جاءت مفعمة بالحركة التي اكتسبتها من دلالة الألفاظ من ناحية، ومن دلالة التراكيب من ناحية، فدلالة الألفاظ تتسم بالحركة من ناحية الفعل الواحد المتعدد الفاعلين (يسلم) وفاعله الراكب، والماشي، والقليل، والصغير كما في رواية البخاري، وإذا علمنا أن هؤلاء تتقلب بهم الأحوال بين الركوب، والمشي، والقعود في حركة دائمة دائبة أدركنا أن الأمة كلها في اتصال دائم بسلام شامل يغمرها، ثم إننا إذا نظرنا لدلالة الأسماء في الحديث، ألفينا أكثرها يدل على الحركة بمعناه لا بصيغته، فالراكب متحرك بحركة مركوبه، ولفظ الماشي دال على حركة، وانتقال، وهكذا، وهذه الحركة التي يجسِّدها الحديث تصور حالة البشر المصاحبة للتحية، والتي لا تبقي أثراً للحقد، ولا للشحناء، وتميز المسلمين بخصوصيتهم، كما يفهم من التركيب استعلاء السلام على الجميع من خلال حرف الجر (على) بين كل جملتين ليوجد سلاماً بين كل مسلِمَيْن بالإضافة إلى أن وحدة الفعل، وتعدد الفاعلين ينادي بشيوع السلام، وعمومه الجميع.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٠ من رواية جابر، أخرجها البزار، وابن حبان.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يسلّم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والصغير على الكبير والقليل على الكثير، فلو ابتدأ الماشي بالسلام على الراكب أو القاعد على الماشي أو الكبير على الصغير، أو الكثير على القليل لم يكره، لكنه خلاف الأولى. صرّح بعدم كراهته المتولّي وآخرون، لأنه ترك حقه.

وهذا الاستحباب فيما إذا تلاقيا أو تلاقوا في طريق. فأمّا إذا ورد على قاعد أو قوم فإن الوارد يبدأ بالسلام سواء كان صغيرًا أو كبيرًا قليلاً أو كثيرًا. ودليل هذه المسألة حديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: "يسلّم الراكب على الماشي" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المؤثرة لما فيه من إظهار الخير وبيان أوجهه، وحمل المدعوين على الإتيان به. وكان استخدام القرآن لأسلوب الأمر بارزاً في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٥/٤، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٨-٢٨٩ . وانظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١٦/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٥/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

ثانياً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم:

إن من الواجبات التي ينبغي العمل بها اتباع الآداب التي وردت عن رسول الله ﷺ في التسليم، وجاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد والقليل على الصغير" قال ابن بطال عن المهلب: (تسليم الراكب على الماشي لئلا يتكبر بركوبه، فيرجع إلى التواضع، وتسليم القليل على الكثير، لأجل حق الكثير، لأن حقهم أعظم[1]، وقال المازري: أما أمر الراكب فلأن له مزية على الماشي، فعوض الماشي بأن يبدأه الراكب بالسلام، احتياطاً على الراكب من الزهو أن لو حاز الفضيلتين، وأما الماشي فلما يتوقع القاعد منه من الشر، ولا سيما إذا كان راكباً، فإذا ابتدأه بالسلام أمن منه ذلك وأنس إليه، أو لأن القاعد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم، فسقطت البداءة عنه للمشقة، وأما القليل فلفضيلة الجماعة، أو لأن الجماعة لو ابتدأوا لخيف على الواحد الزهو فاحتيط له[2] فما أجمل التأدب بتلك الآداب النبوية، لما فيها من حوز للفضل والثواب، ولما فيها من جلب للمحبة والمودة[3].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام:

إنَّ البيان والوضوح أدب من الآداب التي ينبغي للداعية الحرص عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4] لذا ينبغي على الداعية أن يلزم منهج الإيضاح والبيان في الجانب القولي والعملي[5] وفي الحديث يعطينا رسول الله ﷺ أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تبيين وإيضاح، فذكر كيفية السلام فقال "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد أمر

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٩.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٤) سورة القمر، آية: ٣٢.

(٥) انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ١/٢٢١.

الله تعالى الأنبياء وأتباعهم توضيح الشرائع للناس ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾[١] وقد كان ﷺ يوضح للناس ولأتباعه فكانت أحكام واضحة[٢]، وذلك أدعى ما يكون إلى فهمها والامتثال بها.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

وردت في الحديث الدلالة على الحث على إفشاء السلام مع بعض التوجيهات التنظيمية لإلقائه، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على إفشاء السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾[٣] وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾[٤]، وذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾[٥].

وبين ﷺ أن إفشاء السلام من دلائل كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا وَلاَ تُؤمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٦]، إضافة إلى ما في إفشاء السلام من فوائد منها: التحاب، وسبب لدخول الجنة وتأدية لحقوق الناس، وحسن معاملتهم، والتواضع، وهو تحية أهل الجنة، وسبب لغفران الذنوب[٧]، كما أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٦) أخرجه مسلم ٥٤.

(٧) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ٨٥/١.

عمرو رضي الله عنهما ((أنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرف))[1].

وذلك يدل دلالة واضحة على حرص الإسلام على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لابد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة[2] قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[3]. قال السعدي في تفسير الآية: (التحية هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداء وردا، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها، لفظًا وبشاشة أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أوردوها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة، الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

والثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن كما هو الأصل في ذلك.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعًا، فإنه مأمور بردها بالأحسن منها[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٣، ١٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٥.

الحديث رقم (٨٥٩)

٨٥٩- وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ الباهلي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ أوْلى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأهُمْ بالسَّلامِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

ورواه الترمذيُّ[2] عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدأُ بالسَّلاَمِ؟، قَالَ: ((أَوْلاهُمَا باللهِ تَعَالَى)) قَالَ الترمذيُّ: (هَذَا حديث حسن).

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تقدم شرحه قريباً، وزاد في هذا الموضع رواية الترمذي (قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدأُ بالسَّلاَمِ؟) وهو استفهام على حقيقته، ولذلك جاءت إجابة الرسول ﷺ مفصلة للحكم، ومرغبة في البدء بالسلام حيث أطلق بينهما سباق جائزته هي ولاية الله له التي تعني محبته، وقربه، وحفظه، ومعاني أخرى يدركها الأولياء، ثم إن التعبير بأفعل التفضيل (أولى) يعني أن أحدهما ولي لله، والثاني أولى منه، وفي هذا إشارة إلى أن تكوين المجتمع المسلم ينبغي أن يكون من ولي لله، أو أولى منه، فكلهم أولياء أتقياء، وليس فيهم ولي لغيره.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٥٦).

(٢) برقم ٢٦٩٤. تقدم برقم ٨٥٦.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص٣٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: إذا كان إفشاء السلام مدخلاً للأمان، فإن بعض القيم واجبة الاتباع حال إلقائه، وهذا ما نبه إليه رسول الله ﷺ من خلال أحاديث هذا الباب، حيث اشتملت على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التأدب بآداب السلام:

إن من مهام المربي أن يدرب ويربي المتربين على "حسن الأدب ورقة السلوك"[1]، وأن توشح حياتهم بالآداب الرفيعة، والأخلاق الكريمة والسلوكيات الحميدة، ومن ذلك التأدب بآداب تحية السلام، والتي وردت الإشارة إليها في أحاديث الباب كسلام الراكب على الماشي، ... كما في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»، وكالمبادأة بالسلام، كما في قوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». فكما هو واضح من الحديثين بعض آداب السلام كسلام الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير، وذلك رعاية لفضل الجماعة واحترام الكبير والبعد عن الكِبْر والزهو والتوشح والتخلق بالتواضع والاحترام، كما أن في المبادرة بالسلام مبادرة إلى الطاعة والثواب، وسبب في تحصيل الثواب للغير.

وتبدو أهمية التربية على إلقاء السلام وتداول التحية به والتأدب بآدابه من خلال "الأثر الفعال في توثيق العلاقات وإشاعة المودة والعطف والرحمة بين أفراد الأمة وفي صفاء القلوب وسلامتها، إذ أن تحية الإسلام -السلام- دعاء بالسلامة"[2].

إن تعويد الطلاب والمتربين على السلام والتأدب بآدابه سبب للتأليف بين قلوبهم وإيجاد الروابط فيما بينهم ومتانة ما بينهم من روابط وعلاقات، "ولذا فإن خير ما ينبغي

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٧٩.

(٢) انظر: التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر، ١٤٢٣هـ، ص٩٠.

أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" فيقولونها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم، ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه، ومن حياهم بها فليجيبوه بمثلها أو بخير منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[1][2].

ثانياً- دور المربي والمعلم في ترسيخ الآداب والقيم الاجتماعية الإسلامية:

إن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وآدابه الخاصة به والمميزة له، ومن الآداب الخاصة بالمجتمع الإسلامي ما جاء في أحاديث الباب من الإرشاد إلى تداول تحية الإسلام ألا وهي السلام مع مراعاة الآداب الخاصة بهذه التحية، كما جاء بعض منها في قوله ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد...".

ومن هنا يأتي دور المعلم في ترسيخ قيم المجتمع المستوحاة من الإسلام والعمل على تأصيلها في نفوس المتربين خاصة الناشئة منهم.

"إن المعلم المخلص عليه أن يكون واعياً بهذه القيم تماماً فاهماً لأبعادها وما تمثله، ثم إن عليه أن يعمل على ترسيخ هذه القيم في سلوك طلابه وتصرفاتهم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم أو الاستهزاء بها، ولن يكون ذلك مجدياً إلا إذا كان المعلم نفسه مضرب المثل لهم في التمسك بتلك القيم والحفاظ عليها.

إن المعلم... أي معلم... بغض النظر عن تخصصه، مطالب بأن يرعى هذه القيم لأن المجتمع قد جعله مؤتمناً عليها، وهي -من وجهة نظر المجتمع-أهم من أي تخصص مهما تكن خطورته، وغرس قيم المجتمع في مرحلة الدراسة جزء أساسي من بناء الشخصية عند المتربين، وإذا كانت بعض وسائط التربية الأخرى في المجتمع لا تراعي جانب القيم الإسلامية فإن المدرسة بمعلمها الجيد تستطيع أن تصلح هذا الخطأ، أو على الأقل تقف في وجه التيار المنحرف"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١.

ثالثاً- التربية بالتوجيه:

إن التربية الإسلامية تقوم على عدة مقومات من أهمها تقديم التوجيه والنصح والإرشاد، وذلك ما نستوحيه من مجموع أحاديث الباب حيث وجه النبي ﷺ فيها المسلم إلى إفشاء السلام والحرص والمبادأة به كما ذكر جانباً من آداب السلام وذوقياته، ومنها ما جاء في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ».

إن هذا المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في أحاديث الباب يفصح لنا عما يجب أن يقوم به المعلم من توجيه وإرشاد للمتربين والمتعلمين بغية إصلاحهم، وتعديل سلوكهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، إذ أن التوجيه، وتعديل السلوك هو المقياس الرئيس لنجاح العملية التربوية، لذا ينبغي "على المعلم أن يسعى بخطى حثيثة إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس مَنْ يتولى أمر تربيتهم وتعليمهم وتذكيرهم بالمبادئ الإسلامية، وتوجيههم نحو المكرمات، والفضائل وتقديم النصح لهم، وغرس المبادئ الجيدة والأفكار البناءة والعادات الحسنة، والاتجاهات المحببة التي تتمشى مع المجتمع ومعتقداته وعاداته وتقاليده وأعرافه وآماله وطموحاته ومثله العليا"[(١)].

لهذا ينبغي على المربين الاهتمام الدائم بتوجيه المتربين بصورة مستمرة لأنهم يحتاجون إلى تزويدهم بالخبرات والتوجيهات والإرشادات[(٢)].

إن المعلم القدير هو الذي يغرس الفضائل في نفوس المتربين ويقوم بدور التوجيه والإرشاد المنوط به دونما مبالغة أو مغالاة أو تعصب أو تزمت وأن يتم ذلك بروح سمحة وبأسلوب جذاب معبر مؤثر"، وأن يقرن ذلك بتأثر واضح يظهر في انفعالاته وتعبيرات وجهه ونبرات صوته وطبقاته خصوصاً في مواضع التقديس والإجلال والإكبار والاحترام[(٣)].

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر: أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن، ص٨١.

(٣) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان ص ١٦٧.

رابعاً- التنوع في طرق التدريس والعرض:

إن من يتدبر أحاديث الباب من الناحية التربوية يجد أنه ﷺ نوّع في أسلوب العرض، فمرة يرشد إلى آداب السلام عن طريق الإلقاء والعرض كما في حديثي أبي هريرة... "يسلم الراكب على الماشي..." وحديث أبي أمامة: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّه تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». ومرة يترك الفرصة والسعة للصحابة أن يسألوه فيجيبهم على ما سألوا، ويبين لهم ما أشكل عليهم، وذلك كما جاء في حديث أبي أمامة: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ! الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟ قَالَ: «أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تَعَالَى».

إن المعلم الجيد هو من لا يلزم طريقة واحدة ولا ينهج منهجاً بعينه للإلقاء والتدريس وإنما يجمع وينوّع بين الطرق التعليمية، "فإن الطريقة الحية للتعليم هي التي تعتمد على انتقال المعلم بين الطرق والأساليب والوسائل المتنوعة للتعليم حسب الظروف والملابسات في الموقف التعليمي، فعندما لا يجد المعلم مجالاً للاستجواب ينتقل إلى العرض والتلقين لقدح زناد أفكار الطلبة أو لَمِّ شتات الدرس، وكلما شعر المعلم بضجر الطلبة وسأمهم من الانضباط لجأ إلى الحوار للتشويق ولفت الانتباه، وكلما وجد أن الأمر يصعب التوصل إليه عن طريق الحوار لجأ إلى الالتقاء للتوصل للمعلومات بأقصر طريق وأقل وقت وأدنى جهد.

وعندما يشعر المعلم بصعوبة المعلومات والحقائق التي يعلمها وأن الطلبة لا يمكنهم اكتشافها لجأ إلى الإلقاء ثم عاد إلى الاستجواب، وبذلك يُكيف المعلم طريقته حسب قدرات الطلبة وما يعرفونه من معلومات ومدى استعدادهم للإصغاء والمتابعة[1]".



---

(١) المرجع السابق ١٦٥.

١٣٤- باب استحباب إعادة السلام

عَلَى من تكرر لقاؤه عَلَى قرب بأن دخل ثم خرج ثُمَّ دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوهما

الحديث رقم (٨٦٠)

٨٦٠- عن أَبي هريرة ﷺ في حديثِ المسيء صلاته: أنّه جَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)) فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

استخدام الرسول ﷺ أسلوب الأمر المباشر، والصريح في قوله: (ارجع فصل) مع فعل الأمر (صل) مرتبطاً به بالفاء في إشارة إلى أنها السبب في الأمر بالرجوع كما، استخدام أسلوب التوكيد (فإنك لم تصل) مرتبطاً بما قبله بفاء السببية في إشارة إلى أن من لم يؤد الصلاة حقها من الطمأنينة كمن لم يؤدها، ولغرابة الخبر حيث إن المصلى يرى أنه قد أدى الصلاة، فأكد النفى بـ (إن) مع اسمية الجملة حتى يقرر في نفس الرجل خطأه بترك ركن الطمأنينة كما أنه استخدم أسلوب التكرار لتقرير المعنى المراد في مجال التعليم، وتقرير الحقائق، وتقويم الخطأ، ولفته إليه بطريقة عملية، فقد كرر نفس الجملة (وعليك السلام، فارجع فصل ؛فإنك لم تصل) وكان من الممكن أن يوجهه إلى خطأه مباشرة لكنه بهذا الأسلوب حقق عدة فوائد: أنه ترك للرجل فرصة ليفتش في نفسه، ويراجع عمله، ويبحث عن سبب أمر الرسول ﷺ له بالإعادة، وذلك أدعى إلى ثبات الواقعة في نفسه على مر الأيام، ثم إن إعطاء المعلومة

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧، ومسلم ٤٥/٣٩٧.

للشخص إذا اهتم بمعرفتها، وسأل عنها، وتعلقت بها نفسه أوقع أثراً في حسه، وأحفظ في ذهنه من إعطائها ابتداء دون سؤال ولا تشوف كما أن في هذا التكرار إشارة إلى نفى كمال هذه الصلاة التي على هذه الكيفية مهما تكررت مما يؤكد أهمية ركن الطمأنينة الذي يوفر الخشوع الذي يعد وسيلة دخول العبد لحضرة الرب، وبلوغه منزلة الزلفى عند ربه حيث استجابة الدعاء ومغفرة الذنوب، وصفاء النفوس، وعطايا أخرى لا يحيط بها الوصف[١].

فقه الحديث

قال النووي: (إذا سلّم على إنسان ثم فارقه ثم لقيه على قرب أو حال بينهما شيء ثم اجتمعا فالسنة أن يسلّم عليه، وهكذا لو تكرر ذلك ثالثًا ورابعًا وأكثر، سلّم عند كل لقاء وإن قرب الزمان.اتفق عليه أصحابنا، وذلك لحديثي الباب، وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة فتفرقوا يمينًا وشمالاً ثم التقوا من ورائها سلّم بعضهم على بعض) رواه ابن السني[٢])[٣].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول.

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول:

لقد حرص الإسلام على بناء المجتمع على التعارف والتآلف، وإقامته على أسس من المودة والوئام. ومن تلك الأسس إفشاء السلام وتكراره، حتى ولو كان لفاصل بسيط،

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٢.

(٢) أخرجه ابن السني ٤٤٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٤-٣٢٥، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٠ .

في المجلس الواحد، فإنه (يسن تكرار السلام ورده وإن لم يخرج الإنسان من الموضع إذا وقعت صورة انفصال)[(١)] فجاء في الحديث الحث على إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال[(٢)]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته "أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام حتى فعل ذلك ثلاث مرار" قال النووي: (وفيه استحباب السلام عند اللقاء ووجوب رده، وأنه يستحب تكراره إذا تكرر اللقاء، وإن قرب العهد وأنه يجب رده في كل مرة)[(٣)].

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام:

إن مما يستفاد من هذا الحديث الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام "فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" فإن السلام وتكراره والاعتياد عليه، يزيد الألفة بين المسلمين، كما أنه سبب لإفشاء المحبة بين المسلمين، والتي لا يكتمل الإيمان بدونها، وكما جاء في الحديث ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا وَلاَ تُؤمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[(٤)] [(٥)].

فإفشاء السلام من أفضل الأعمال وخيرها في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ((أنَّ رَجُلاً سَأل رسولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ))[(٦)] فجمع النبي ﷺ في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان.

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٢/٢٨٥.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٢٤٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) منبر الإيمان، عادل بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، ط/١: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ٣٩.

وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام، ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس، كان خيرًا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل أيضًا.

وليس المراد: أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام وإفشاء السلام لا يكون من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقوله ﷺ: "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" هذا أفضل أنواع إفشاء السلام[1]. فمن حافظ على السلام وإفشائه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة، وفي المداومة على السلام تمييز للمسلمين وكيد لأعداء الدين، وهو أمان الله في الأرض وتحية المؤمنين في الجنة، كما أن للسلام آثاره الإيجابية التي لا تنكر، ففي إشاعته إفشاء للمودة والمحبة، وإشعار كل مسلم بالاطمئنان تجاه الآخرين، وإزالة العداوات وإنهاء الخصومات وسَلُّ سخيمة الصدور[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

إن ما جاء في الحديث من تكرار الرجل للسلام ورد النبي ﷺ بيان لما لإفشاء السلام من فضيلة، فلو لم يكن للسلام وتكراره وإفشائه فضيلة، لاستغنى عنه، أو اكتفى بمرة، أو علمه النبي ﷺ الصلاة مباشرة، "ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" وإن للسلام وإفشائه فضائل جمة، فهو تحية أهل الجنة يحيي بها بعضهم بعضاً ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[3] وتحييهم بها الملائكة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[4]، ﴿وَقَالَ

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٣٩/١، ٤٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤٦٦/٢.

(٣) سورة يونس، آية: ١٠.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٣، ٢٤.

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[(1)] وإفشاء السلام واجب على المسلم، سواء كان يعرف من يسلم عليه أم لا يعرف، حتى على المخالفين والجاهلين، ولعل في ذلك تأليفاً لقلوبهم، وحملاً على الارعواء عن غيِّهم، والرجوع إلى الحق[(2)]، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[(3)] وقال ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(4)].

وذلك من فضائل تحية السلام في الإسلام وكمالها على سائر تحيات الأمم، ولقد اختار الله لعباده المؤمنين السلام تحية بينهم في الدنيا وفي دار السلام، وأن ذلك من محاسن الإسلام وكماله، وتحية السلام قد جمعت أنواع الخير، قال ابن القيم: (لما كان الإنسان لا سبيل له إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

أ- سلامته من الشر ومن كل ما يضاد حياته وعيشه.

ب- حصول الخير له.

ج- دوامه وثباته له.

فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة، فشرعت التحية متضمنة للثلاثة:

فقوله "السلام عليكم" يتضمن السلامة من كل شر.

وقوله "ورحمة الله" يتضمن حصول الخير.

وقوله "وبركاته" يتضمن دوامه وثباته، كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره[(5)].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، يحيى بن عبدالله المعلمي ص ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٥.

(٥) بدائع الفوائد ١٧٨.

الحديث رقم (٨٦١)

٨٦١- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ)) رواه أبو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث يؤكد قيمة السلام في الحفاظ على قلوب المؤمنين نقية لا تنطوي على مشاعر تؤثر على سلامة الصدور، وأسلوب الحديث خبري بدأ بأسلوب الشرط بفعله الماضي (لقي) وقد أعطى الحكم صفة العموم عن طريق الفاعل (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع ليوجه الجميع إلى الفعل، ثم تتجلى براعة التأليف بين القلوب في التأليف بين الكلمات، وفي التعبير بلفظ (أخاه) الذي يذكّر بتلك الرابطة التي يجب أن تجمع المؤمنين، وقد جاء جواب الشرط في صورة المضارع الذي يصور اللحظة الطاهرة عند السلام، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تنادي بوقوع الشرط، وهو لقاء المسلم أخيه، وسلامه عليه بينما استخدم (إن) في الجملة التي تليها، وهي جملة التفريق إشارة إلى أن المؤمنين لا ينقطعون، وإن فرق بينهم مفرق، فقلوبهم متصلة على الدوام ثم يعودون سريعاً إلى اللقاء يجمعهم السلام، والتعبير بالشجر، والجدار، والحجر كمفرق مبالغة في نشر السلام، وإشارة إلى أن المؤمن طموح ذكي يتتبع أسباب الحسنات من كل سبيل.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب إذا دخل بيته أن يسلِّم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ... وكذا إذا دخل مسجدًا أو بيتًا لغيره ليس فيه أحد، يستحبّ أن يسلِّم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم

(١) برقم ٥٢٠٠. قال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٢١٨/٥: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

أهل البيت ورحمة الله وبركاته)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ.

رابعاً: من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم:

من أهم الآداب الاجتماعية التي حث عليها رسول الله ﷺ وأكد عليها، إشاعة السلام وإعادة السلام على من تكرر لقاؤه وإن قرُبَ، بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة تمنع من رؤية أحدهما الآخر لغلظ أصلها ونحوها كجدار وجبل وما شاكل ذلك[٢] فقال ﷺ: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه" قال الإمام الطيبي: (وفيه حث على إفشاء السلام، وأنه يكرر عند كل تغير حال، ولكل جاءٍ وغادٍ)[٣]. فإن تكرار السلام مطلوب من المؤمن على المؤمن، ولو قرب العهد بين السلامين، تدعيماً للأخوة بينهما، وحث أفراد المجتمع على تبادل تحية الإسلام لما في ذلك من توثيق عُرى التفاهم والتعارف والتآلف، وإقامة المجتمع على أسس من المودة والوئام[٤].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٨/٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٤/١٥-٢٥٦.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٢٤٨، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٥.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٨/٩، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢١١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٦.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث ترغيب النبي ﷺ وتأكيده على إشاعة السلام وتكراره بين المسلمين، فقال "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه..." والترغيب من أساليب الدعوة البالغة التأثير، إذ أن النفوس قد فطرت على الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة، أو ربحاً أو شيئاً مما تحبه وتهواه، والترغيب هو أحد ركني الموعظة الحسنة(١)، وهو أحد الدافعين الأساسيين إلى الاستقامة والرشاد، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٢). أي خائفين طامعين، أي خوفاً من غضبه وطمعاً في رضاه وثوابه(٣).

إن أسلوب الترغيب في الإسلام يُوجِد لدى المسلم وازعاً نفسياً، يسمو به إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية، التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون سبباً في اعتلاله ومرضه(٤).

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ:

إن من الآداب التي يجب على المدعو الحرص عليها، الاستجابة المطلقة لأوامر رسول الله ﷺ، وقد جاء في الحديث أمر من تلك الأوامر في قوله ﷺ "إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه" وذلك من نعم الله على المسلم، إن الإسلام سن السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، فالسلام عبادة وأجر، وكلما ازددنا منه ازددنا عبادة لله، وازداد أجرنا وثوابًا عند الله(٥) إضافة إلى ما في ذلك من تأدب المسلم، وتنفيذ أمر ربه بالاستجابة لأوامر

---

(١) انظر: فقه الدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٦٣٥/١.

(٢) سورة السجدة، آية:١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ط/٣، دار الفكر، بيروت: بدون تاريخ ص ١٥٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١١٥٠/٢.

رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾(١) ففي الاستجابة لأوامره ﷺ صلاح للإنسان، وفيها النجاة والتقاة والحياة(٢). فقد دعانا رسول الله ﷺ للدين الحق، وحثنا على مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾(٣) فلنأخذ ما آتانا الرسول ﷺ بقوة وعزم ونشاط وجد، فالخير فيه وسعادة الدارين معه(٤).

رابعاً- من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية إشاعة المودة والمحبة في المجتمع الإسلامي، وقد أثنى القرآن على المجتمع الإسلامي الذي تظهر فيه علامات المحبة والوئام فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾(٥).

إن النبي ﷺ ليعلق كمال الإيمان على محبة المسلم لأخيه المسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))(٦) فلما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، دلَّ على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفى إلا بانتفاء بعض واجباته، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا))(٧) فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره، أحب أن يكون لأخيه

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤/٤، ٣٥.
(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.
(٤) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٠/٩/١.
(٥) سورة الحشر، آية: ٩.
(٦) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.
(٧) اخرجه مسلم ١ (٥٢).

نظيرها من غير أن تزول عنه [١].

إن محبة الناس مع التودد إليهم، تحقق الكمال الإنساني لمن يسعى إليه، كما أنها دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام [٢] لذا حرص النبي ﷺ على الحث والتمسك بأسباب المحبة كالسلام كما جاء في الحديث "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه".

إن إفشاء السلام يحمل في طياته تدعيم أواصر بنيان الأمة، وازدهار الحضارة المعنوية والمادية في تلك الأمة. إن المنهاج الذي اتخذه الرسول ﷺ ليحقق السلام الاجتماعي في الأمة الإسلامية يعتبر منهاجاً فريداً ومتميزاً، لأنه يعتمد على تشكيل وجدان الإنسان المسلم، بحيث يشيع في هذا الوجدان الأمن والسلام، ويتحول المسلم إلى طاقة فعالة إيجابية في الحياة، يدفعها الحب الأكبر لله ولرسوله وللكائنات كلها، وتعرف أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام، وتحية المؤمنين في الدنيا والآخرة هي السلام [٣].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٤١/١، ٤٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٣٣٥٦/٨.

(٣) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، خديجة النبراوي ٥٠٤/١، ٥٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

سلام الأفراد بداية لسلام الأسرة وسلام الأسرة بداية لسلام المجتمع وسلام المجتمع بداية للسلام العالمي، ولهذا كان الإكثار من السلام محمدة ولو على فترة قصيرة ليكون الود والرباط القوي المحكم، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من طرق التربية: الملاحظة والمراقبة والمراجعة والتصحيح:

إن من طرق التربية الأصيلة اعتماد المعلم على طرق ووسائل متعددة ومتنوعة للتربية، ومنها ما جاء في أحد حديثي الباب، حيث لاحظ النبي ﷺ ذلك الرجل المسيء لصلاته غير المحسن لها وأمره له بإعادتها حتى إذا ما تبين له عن قدرته على الإتيان بها صحيحة، علّمه الكيفية الصحيحة لها، "كما أن النبي ﷺ تركه وأمره أن يصلي ثانياً وثالثاً مع إخلاله بها أولا ليتبين مدى معرفته بها، وهل إخلاله لجهل أو لتكاسل منه؟ وهذا أسلوب تعليمي يعتمد على التجربة والخطأ حتى لا ينسى ما يقال له" (١).

وذلك ما نراه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد السلام فقال: (ارجع فصل فإنك لم تصل) فرجع فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات».

ومن هنا يترائى لنا أهمية المراقبة والملاحظة من قِبَلِ المربين والمعلمين للمتربين والمتعلمين، حتى إذا ما رأوا ولاحظوا اعوجاجاً في السلوك أو خطأ في الأفعال تسنى لهم إقامة المعوج وتصحيح الخطأ.

إن دور المعلم لا ينحصر في زاوية ضيقة وهي "سرد معلومات محددة على الطلاب، بعد حفظه لها واستظهارها"(٢). وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى مراعاة وملاحظة سلوك المتربين وأفعالهم وتعديلها وتقويمها، وبذلك يترك المعلم بصمته في حياة المتعلمين وسلوكهم، "وبهذا يضيف المعلم إلى وظيفته -كناقل للمعرفة- دور الناصح الأمين والموجه المستتير" (٣).

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٢) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش، ص٧٥.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، محمد عبدالعليم مرسي، ص٣٨.

ثانياً- الإكثار من روافد المحبة والترابط الاجتماعي:

لقد جاء الإسلام آمراً بالتعاون والتآلف والترابط بين كافة شرائح المجتمع الإسلامي وأفراده، وجعل لذلك روافد عدة كالتحاب والتوادد وصلة الأرحام، والزيادة والتعارف وغير ذلك، ومما يعمل على تقوية الروابط في المجتمع: إشاعة السلام وتكراره، لدرجة أن المسلم يكرر إلقاء السلام على أخيه إن التقيا بعد فراق قد لا يتجاوز لحيظات معدودة كأن حال بينهما جدار أو شجرة أو ما شابه ذلك، كما في قوله ﷺ: « إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُم أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». أو ذهب لحاجة ثم رجع كما في الحديث الأول من سلام الرجل على النبي ﷺ ثم ذهابه إلى الصلاة وبعد الفراغ منها وعودته أعاد السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه "... أنه جاء رجل فصلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل ...".

من أجل ذلك ينبغي على المربي أن يغرس في نفوس الناشئة حب الآخرين وتقوية هذا الحب والتآخي بمظاهره ودلائله كإشاعة السلام وغيرها، والإكثار منها، وهذا لا يقتصر على مجرد السلام، وإنما ينبغي التعويد والمداومة على فعل الخير والمعروف والسلوكيات الطيبة والإكثار منها حتى تكون عادة للمتربي وممتزجة بشخصيته لا تنفك عنها.

هذا ما ينبغي غرسه في نفوس الناشئة وسلوكهم، أن يسلم المسلم على أخيه المسلم ويبادره بالسلام، ويداوم على السلام لفظاً ومعنى، معنىً بإشعاره بالسلام والأمان والاطمئنان، ولفظاً بأن يكثر منه ويعيده إذا فُرِّق بينهما ولو بجدار أو حجر.

إن هذا ما ينبغي، فماذا أصاب الناس في عالم اليوم!!.

"إن كثيراً من الناس اليوم يقابل بعضهم بعضاً في الأماكن العامة كالأسواق والطرقات فلا يسلم بعضهم على بعض بحجة أنه لا يعرف بعضهم بعضاً، وإذا سلم عليهم مسلِّم وهم لا يعرفونه لحظوه بأعينهم وأكثروا الالتفات والنظر إليه، ولسان حالهم وربما لسان مقالهم يردد: هل هذا يعرفنا؟ من هذا الذي سلم علينا؟ وإذا لقي أحد

الأشخاص من يعرفه فلم يسلم عليه وعاتبه في ذلك قال: لأني لم أعرفك، فيا سبحان الله"[١]. تُرى ماذا دهى الناس اليوم؟!.

رابعًا- التعلم عن طريق المحاولة والخطأ:

ورد في حديث المسيء صلاته ما يعرف الآن في التربية الحديثة بالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ، فقد قام النبي ﷺ بتعليم الصحابي الصلاة الصحيحة من خلال إعادة الصحابي نفسه للصلاة، فقد بيّن له النبي ﷺ أنه قد أساء الصلاة وأمره بالرجوع إلى الصلاة ثلاث مرات كانت كفيلة بتعلم الصحابي ومعرفته خطأه ومن ثم قيامه بإصلاحه وتأدية الصلاة على الوجه الصحيح.



(١) التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ص١٠١، مرجع سابق.

١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١].

الحديث رقم (٨٦٢)

٨٦٢- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ[1] بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أهْلِ بَيْتِكَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

نداء المحبة (يا بني) في بداية الحديث أسلوب تأليف لقلب المخاطب يأخذه بكل جوارحه نحو المتكلم حتى يتم ما يريد ثم تلاه أسلوب شرط يربط الدخول بالسلام، ، وإضافة الأهل لكاف المخاطب يشعره بمسؤوليته تجاههم ثم أتبعه بجملة ترغب في الفعل (يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أهْلِ بَيْتِكَ) ومن الملاحظ في الحديث أنه لم يستخدم من حروف الجر سوى (على) وقد تكرر ثلاث مرات وفي هذا دليل على استعلاء السلام، ونزوله من أعلى إلى أدنى ليكون عليهم كالظلة التي تظل الجميع، والسلام اسم الله تعالى ومن الله ينبعث كل سلام.

---

(١) لفظ الترمذي: (يكون).

(٢) برقم ٢٦٩٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر في النتائج ٦٨/١: كذا في كثير من النسخ المعتمدة منها بخط الحافظ أبي عليّ الصدفي، ووقع بخط الكروخيّ: حسنٌ صحيحٌ، وعليه اعتمد النووي في الأذكار. وفيه نظرٌ، فإن علي بن زيد وإن كان صدوقًا، لكنه سيّئ الحفظ، وأطلق عليه جماعة الضعف بسببها، وقال العقيلي في الضعفاء الكبير ١٠٦/٢: وهذا المتن لا يعرفُ له طريقٌ عن أنس يثبتُ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٩٥.

فقه الحديث

في الحديث: السلام إذا دخل بيته: يستحب إذا دخل بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذا إذا دخل مسجداً أو بيتاً لغيره، ليس فيه أحد[١] يستحب أن يسلم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت.

ثالثاً: من مهام الداعية: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من الأساليب التي يلفت بها انتباه المدعو من أجل إرشاده وتوجيهه إلى ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه "يابني".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت:

تعتبر الأسرة هي أول نواة المجتمع، عليها يقوم بنيانه وتماسكه، لذلك كان الاهتمام بعلاقة الإنسان داخل أسرته من أهم ما يميز المجتمع الإسلامي، لذلك سعى التشريع الإسلامي إلى تقوية هذه الروابط الأسرية بشتى الطرق، وكان من ذلك إلقاء السلام على الأهل والأقارب عند دخول البيت، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه: "إذا دخلت على أهلك، فسلم" وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[٣].

---

(١) كذا في المطبوع من الموسوعة الفقهية، والغالب على الظن أن العبارة صوابها: أو بيتاً لغيره ليس فيه أحد. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٢٥٤-٢٥٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٧١.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

قال ابن كثير: (قال ابن جريج: حدثنا أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: "إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة...، قال ابن جريج: قلت لعطاء: أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم؟ قال: لا، ولا أوثر وجوبه على أحد، ولكن هو أحب إلي، وما أدعه إلا ناسياً)"[١].

قال السعدي: (أي: "فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين، كأنهم شخص واحد، من توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق، بين بيت وبيت)[٢].

وقد بين النبي ﷺ عظم فضل من دخل بيته بسلام فقال: ((ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش كُفي وإن مات دخل الجنة: من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله))[٣].

ثالثاً- من آداب المدعو: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم:

إن قيام الداعية ببيان الحكمة من تسليم المدعو على أهله عند دخول بيته، يكون دافعاً وحافزاً للحفاظ والمداومة على السلام، وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث من قوله: "...، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك"، (أي: " أن هذا السلام يكون زيادة بركة وكثرة خير ورحمة)[٤]. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[٥].

قال القرطبي: (ووصفها بالبركة، لأن فيها الدعاء واستجلاب مودَّة المسلم عليه، ووصفها أيضاً بالطيب، لأن سامعها يستطيبها)[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٣٢).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٥٠.

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٣٥٦، ٣٥٧.

قال السعدي: (أي: سلامكم بقولكم "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"....، إذ تدخلون البيوت "تحية من عند الله" أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم مباركة، لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة، والبركة، والنماء، والزيادة "طيبة" لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، وصحبة، وجلب مودة)[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب لغة: "هو طلب الشيء، والحرص عليه، والطمع فيه"[2]. وفي الاصطلاح: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"[3]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ، في السلام على الأهل عند الدخول عليهم، وذلك في قوله ﷺ: ((إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك)).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١١٨٩/١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يظن بعض الناس أن إفشاء السلام يكون مع الغرباء لا الأقرباء، فإذا بالرسول ﷺ يأمر بإلقاء السلام على الأقرباء وأفراد الأسرة بخاصة لتقوية المودة والروابط وتوطيد العلاقة ومما يلحظ في الباب من آداب تربوية ما يلي:

أولاً- دور المربي وواجباته تجاه التربية الاجتماعية:

إن في وصية رسول الله ﷺ في حديث الباب لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ما يبرز لنا دور المربي وما يجب عليه تجاه التربية الاجتماعية وتوجيه المتربين والمتعلمين خاصة الناشئة منهم، فنجد الرسول ﷺ يوصي أنساً بأحد الآداب الاجتماعية وهو سلامه على أهل بيته إذا دخل عليهم، فقال له: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

"إنه من المعلوم أن المجتمع الإنساني يتكون من مجموع الأفراد وتكوين المجتمع الصحيح ينطلق من إعداد الفرد إعداداً سليماً، ومن هنا كان وجوب قيام المعلم بدوره بواجب التربية الاجتماعية تجاه الناشئ والتي تتمثل بتلقينه الآداب الاجتماعية العامة والخاصة وتنشئته على مبدأ احترام غيره ومراعاة حقوقهم وتهيئته للاندماج في مجتمعه ومعايشته على أساس سليم والأخذ بكل الأسباب المؤدية إلى تحقيق ذلك، ومن ذلك حثه على التزام الآداب الاجتماعية، ومن أهمها أدب الطعام والشراب وأدب المجلس، وأدب الحديث وأدب المزاح وأدب التهنئة وأدب عيادة المريض وأدب التعزية وأدب العطاس والتثاؤب"[1]، وكذلك أدب السلام والاستئذان الذي وردت الإشارة إليه في حديث الباب.

إن التربية الإسلامية لما وضعت هذه الآداب الاجتماعية، وأوجبت الالتزام بها لم يكن المراد من ذلك التضييق على الناس أو إلحاق العنت بهم، وإنما كان "المنهج الإسلامي في التربية في ذلك يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الحقوق والآداب الواجبة

---

(١) انظر: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٢١، ١٢٨.

للأفراد والأسر"[١]، هذه الحقوق والواجبات والآداب إذا ما طبقت عملياً فإن لها الآثار التربوية الحميدة والتي تحقق للمجتمع الترابط والاحترام والتآلف الاجتماعي.

ثانياً- تعليم الولد آداب الاستئذان والسلام:

إن للبيوت آداباً يجب على الآباء والمربين أن يعلموها لأبنائهم وطلابهم ويتابعوهم عند تنفيذها، ومن تلك الآداب أدب الاستئذان والسلام على أهل البيت، وكما جاء في حديث الباب من تأديب النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه بأدب السلام في قوله ﷺ: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك». فإن في ذلك الخير والبركة وإدخال الأنس والاطمئنان على البيت وأهله.

لذا ينبغي على المربين أن يعلموا الأولاد والناشئة آداب الاستئذان والسلام ويدربوهم عليها، وقد كان ذلك منهج النبي ﷺ في تأديب أصحابه وتدريبهم -خاصة الناشئة منهم- على التخلق بالأخلاق الكريمة والتجمُّل بالآداب النبيلة، ومن ذلك ما أخرجه أحمد بسنده أن كلدة بن الحنبل أخبر أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبيّ ﷺ بأعلى الوادي قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبيّ ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أأدْخل»[٢].

"لذا فإن خير ما ينبغي أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" فيقولوها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه"[٣]، وعند دخولهم منازلهم وغشيانهم مجالس العلماء وما شاكل ذلك.



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠.

(٢) أخرجه أحمد، ٤١٤/٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٥٤٢٥، ١٥٢/٢٤.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

١٣٦- باب السلام على الصبيان

الحديث رقم (٨٦٣)

٨٦٣- عن أنس رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ رسول الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يحكي صورة من صور التواصل مع النبي ﷺ بتتبع سننه وتنفيذ توجيهاته، فيما قل، وكثر، وهذا هو عنوان المحبة الحقيقة للرسول ﷺ وليس مجرد الدعوات، وأنس رضي الله عنه خدم الرسول طويلا، وكان من أكثر الصحابة ملازمة له، ورواية عنه، وهذا الموقف يدل على دقة متابعته للرسول ﷺ، وسلام الرسول ﷺ علي الصبيان تواضع منه، ثم إن له بُعد نفسي؛ لأنه يعطيهم ثقة بأنفسهم، ويغرس فيهم الإحساس بالرجولة المبكرة؛ لأنه كان يرى فيهم جيل الفتوحات، وحملة دعوته إلى ربوع الأرض، وأسلوب الحديث خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، والفاء تدل على تعقيب السلام للمرور دون مهلة تضيِّع الغرض، وقوله (يفعله) أي المرور، وإلقاء السلام على الصبيان.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨/١٤، وتقدم برقم ٦٠٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يغرس الإسلام مبدأ الثقة في النفس بطرق شتى، منها: إلقاء السلام على الصبية، لأن إلقاء السلام يشعر الصبي أنه صار رجلاً، ويربيه في نفس الوقت على هذا الخلق وينفي من صدره الخوف ويدرأ الرهبة ويبشره بالرجولة ولهذا وجب:

أولاً- بناء شخصية الطفل الاجتماعية:

إن التسليم على الأطفال له أثر تربوي عظيم في بناء شخصية الطفل وإنضاجها لدفعه للانخراط في المجتمع الذي يعيش فيه، إذ أن "الحياة الاجتماعية طبع وفطرة جعلها الله تعالى في خلقة الإنسان حتى تقوم الحياة، والطفل أحد أركان المجتمع فهو طفل اليوم ورجل المستقبل، فإذا لم يألف الناس ويعود على الآداب العامة، وإذا لم يحسن الحياة بين الناس فمستقبله ضياع"[1].

لذلك كان البناء الاجتماعي أحد الأركان التربوية المهمة في بناء شخصية الطفل واستواء عودها.

وإذا روعيت أساليب التربية الإسلامية "تمكن المجتمع من تكوين الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وحفظ النظام وتوفير السلامة والأمن للجميع.

إن التربية الإسلامية رفعت من شأن المسلم وربَّته على الحفاظ على كرامته وشرفه والاعتزاز بالنفس ومشاركته الإيجابية في المجتمع -حتى ولو كان طفلاً صغيراً- فإن المجتمع لا ينبغي له الاستهانة به.

وعلى العموم فكل ما فيه تحقيقه لآدمية الإنسان وعلو شأنه ونضج شخصيته واكتمالها حرصت التربية الإسلامية على تنميته وصقله، بغية إخراج جيل يعمل بما يعلم، وهذا ما يصبو إليه - أي منهج تربوي في الدنيا.

وإذا أردنا لتربيتنا أن تعود لفحولتها، فتنتج جيلاً مسلماً قادراً على مواجهة التحديات بأشكالها المختلفة، فيه فُتُوَّة وعزة وطهر واستقامة، علينا أن نعيد للقرآن

---

(١) انظر: بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٦٥.

والسنة مكانتهما في حياتنا"[١]، وأن نعين ناشئتنا وشبابنا على أن يطبق تعاليم الإسلام في حياته وأخلاقه ومعاملاته وجميع سلوكياته.

ثانياً- من أساليب التربية: القدوة:

ونرى ذلك واضحاً في اقتداء أنس بن مالك رضي الله عنه برسول الله ﷺ في التسليم على الصبيان، فعنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله ﷺ يفعله".

إن في استخدام المعلم أسلوب القدوة في تعليمه الأثر البالغ في نفوس الناشئة إذ أن "الطفل لابد له من قدوة حسنة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع.

والتلميذ في المدرسة لابد له من قدوة حسنة يراها في كل معلم من معلميه ليقتنع حقاً بما يتعلمه وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه"[٢].

إن القدوة تعتبر من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث تساهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل المسلم من جميع جوانب التربية الإسلامية مثل الجانب الإيماني والصحي والخلقي والاجتماعي والعقلي والنفسي، ولا تقتصر أهمية القدوة في التربية على جميع مراحل الطفولة فقط، بل تستمر في جميع مراحل النمو التي يمر بها الفرد المسلم"[٣].

إن المعلم لكي يكون قدوة لابد أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به حيث يربى على هديه وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، ولقد كان الرسول ﷺ في مجتمعه مربياً ومعلماً في كل سلوك وتصرف شخصي، فكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب الصبيان ويسلم عليهم، وصور الاقتداء بالرسول ﷺ عديدة مبثوثة في طيات السنة النبوية المشرفة وذلك ما يؤكد لنا قيمة القدوة في تكوين قيم الإنسان وتحقيق الأهداف المرجوة من التربية الإسلامية"[٤].

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٥٧.

(٣) انظر: أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب، ص١٣٥.

(٤) انظر: في التربية الإسلامية، د. عبدالغني عبود ص١٦٢.

ثالثاً- الممارسة العملية:

من أساليب التربية التدريب العملي والممارسة العملية وذلك له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية، يتضح ذلك من حديث الباب، حيث استخدمه النبي ﷺ مع تلميذه وخادمه أنس بن مالك، وسَارَ أنسٌ رضي الله عنه على منهج رسول الله ﷺ في نقل هذه السنة بالطريقة العملية، فلم يكتف بمجرد النقل أو الحكاية وإنما حرص على الممارسة العملية فعنه "أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله ﷺ يفعله".

"إن التربية الإسلامية" تهدف إلى بناء مهارات وقدرات عدة، ومن ثَمَّ فليس التناول النظري وحده كافياً، بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرصة المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي، إضافة إلى ذلك أن الممارسة العملية تزيد الإنسان شوقاً إلى الأعمال والقيم التي يراد غرسها في النفوس كما أن الممارسة العملية أيضاً تزيل الرهبة، والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، كما أنها تنمي لديهم المهارات والقدرات"[١]، إضافة إلى أن الممارسة والتجارب العملية تكسب المتربين خاصة الأطفال منهم معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه، ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة، وتتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله[٢].



(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

الحديث رقم (٨٦٤)

٨٦٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال: (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ)(١) - وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ- تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخاري(٢).

قوله: "تُكَرْكِرُ" أي: تَطْحَن.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

السلق: بقلة لها ورق طوال وأصل ذاهب في الأرض، ورقها غض طريٌّ يؤكل مطبوخاً(٣).

تكركر: تطحن(٤).

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) رجوع إلى الماضي يقضي المنطق العقلي بأن ما سيليه من أخبار محققة الوقوع سابقة لوقت الحديث، وليست مصاحبة، والتعبير في الرواية الأولى (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ) يشير إلى أنها لم تربطها بأحدهم قرابة، وأنها كانت تطعمهم على سبيل الإكرام، والهدية، والرواية الثانية (كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ) توحي بخصوصية أكثر يدل على ذلك تقديم الخبر (لنا) على الاسم (عجوز) والتعبير بالعجوز هنا يشير إلى

---

(١) هذه الرواية عند البخاري برقم ٩٣٨.

(٢) برقم ٦٢٤٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ق).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٩.

خصوصية في تحديد الزمن بعكس الرواية السابقة التي لم يحدد فيها لفظ (امرأة) سوى النوع، وقوله: (تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ) السلق نوع معروف من البقل، والعبارة كناية عن الطبخ، وقولها: (وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ) كناية عن الطحن، ويصور الفعل (تكركر) بوزنه، وصوته جزءاً من دلالته، وهي صوت الرحى في أثناء الطحن، وقوله (فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا) طوت الواو العاطفة أحداثاً معتادة بعد انتهاء الصلاة كالتسبيح دبر الصلوات، والسلام على الإخوان، وتفقد أحوالهم، والسؤال على من تخلف لمرض، أو لغيره حتى يعان إن كان في حاجة إلى ذلك، وهذه الأمور من فوائد الجماعة في الصلاة، وقد طوتها الواو، وقامت دليلاً عليها.

فقه الحديث

السلام على النساء: سلام المرأة على المرأة يسن كسلام الرجل على الرجل، وردّ السلام من المرأة على مثلها كالرد من الرجل على سلام الرجل.

وأما سلام الرجل على المرأة، فإن كانت تلك المرأة زوجه أو أمه أو من المحارم فسلامه عليها سنة، ورد السلام منها واجب، بل يسن أن يسلم الرجل على أهل بيته ومحارمه، وإن كانت تلك المرأة أجنبية فإن كانت عجوزاً أو امرأة لا تُشتهى فالسلام عليها سنة، وردّ السلام منها على من سلّم عليها لفظاً واجب.

وأما إن كانت تلك المرأة شابة يخشى الافتتان بها أو يخشى افتتانها هي أيضاً بمن سلّم عليها، فالسلام وجواب السلام منها، حكمه الكراهة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وذكر الحنفية أن الرجل يرد على سلام المرأة في نفسه إن سلمت هي عليه، وترد هي أيضاً في نفسها إن سلم هو عليها. وصرح الشافعية بحرمة ردها عليه.

وأما سلام الرجل على جماعة النساء فجائز، وكذا سلام الرجال على المرأة الواحدة عند أمن الفتنة(١).

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٦/٥، وروح المعاني ٩٩/٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٦/٦-٤٩، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١١٠/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٢٩/١٠-٢٣٠، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٧٤/١-٣٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٦/٢٥-١٦٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة.

ثانياً: من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها.

اولاً- من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة:

لقد سعى الإسلام إلى حماية المجتمع من كل فتنة تضر به، وعمل على منع وسد كل سبب يؤدي إلى ذلك، وفيما يتعلق بالسلام على النساء من غير المحارم، فقد وضع الإسلام الضوابط والحدود التي يجب مراعاتها، (فمن بعض أهل العلم من منع ذلك مطلقاً ومنهم من أجازه بقيد أمن الفتنة، وبعضهم فصَّل ذلك فقال: إن كانت شابة جميلة لم يجز، وإن كانت عجوزاً جاز...، قال صالح: سألت أبي: يسلم على المرأة؟ فقال: أما الكبيرة، فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق)[1]، وهذا ما صوبه ابن القيم في قوله: (إنه يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن)[2].

وقد بين ابن حجر: (في باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال، أن ذلك يجوز عند آمن الفتنة)[3].

وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول سهل بن سعد رضي الله عنه: كانت فينا امرأة - وفي رواية: كانت لنا عجوز- ...، نسلم عليها، وخير دليل على ذلك قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا))[4].

قال ابن حجر: (قال الحليمي: كان النبي ﷺ للعصمة مأموناً من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم وإلا فالصمت أسلم)[5].

---

(١) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٥١/١، ٣٥٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٢/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

(٤) أخرجه ابو داود ٥٢٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٣٦).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

لما ورد عن النبي ﷺ في تحذيره من فتنة النساء وذلك بقوله: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)[١].

ثانياً- من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام:

إن إفشاء السلام من آكد الواجبات التي بها تتوطد أوامر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، لذلك حرص الإسلام على ترسيخه بين أفراد الأمة بأسرها، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول: "...، نسلم عليها" وفي بيان الحرص على إفشاء السلام، قال ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ))[٢]. وقال ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها:

مما لا شك فيه (أن لصلاة الجمعة ومحافظة المسلمين عليها في الأمصار والأقطار فضلاً كبيرًا، في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه، وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين، فضلاً عن أن ذلك أدعى للائتلاف والاتحاد وجمع شمل المسلمين، والتعاون على البر والتقوى)[٤]. وقد أفاد الحديث على الحث على أدائها وذلك من قول الراوي: فإذا صلينا الجمعة، وانصرفنا" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك، قال ابن رجب الحنبلي: (المقصود من هذا الحديث ههنا: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يجلسون بعد صلاة الجمعة في المسجد إلى العصر، وإنما كانوا يخرجون من المسجد ينتشرون في الأرض فمنهم من كان ينصرف لتجارة، ومنهم من كان يزور أصحابه وإخوانه، وكانوا يجتمعون على ضيافة هذه المرأة، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأمر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم ٥٤.

(٤) انظر: الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) أبو الحسن الندوي، ص٦١.

بالانتشار بعد الصلاة للاستحباب، وأخذ البعض بظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أنه ليس بأمر حقيقة، وإنما هو إذن وإباحة، حيث كان بعد النهي عن البيع، فهو إطلاق من محظور، فيفيد الإباحة خاصة)[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: (أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها)[3] وقال في قوله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة" أي فرغ منها، "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين"[4].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي ٥/٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٢٠.

(٤) المرجع السابق ٨/١٢٢.

الحديث رقم (٨٦٥)

٨٦٥- وعن أُم هَانِئٍ فاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها ، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ[١] وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ... وَذَكَرَتِ الحديث. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

ام هانئ: هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمية، ابنة عم النبي ﷺ وشقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اختلف في اسمها فقيل: فاختة. وقيل: فاطمة. وقيل: هند. والأول أشهر.

تزوجت هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي.

تأخر إسلامها إلى فتح مكة، وقد هرب زوجها إلى نجران ففرق الإسلام بينهما، فخطبها النبي ﷺ ولكنها اعتذرت، فقبل النبي ﷺ اعتذارها وأثنى عليها وأبان فضلها، وكان سبب اعتذارها شفقتها على النبي ﷺ وخوفاً من أن تضيف إليه عبئاً إلى أعبائه الجسام.

قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال. فقال رسول الله ﷺ: خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده[٣] لماله المضاف إليه].

وفي رواية ابن سعد عن الشعبي أنها قالت: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج[٤].

---

(١) لفظ مسلم: (ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح).

(٢) برقم ٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠١ – ٢٥٢٧.

(٤) قال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيني: مرسل سنده صحيح.

وفي يوم فتح مكة دخل النبي ﷺ منزلها فصلى عندها ثماني ركعات ضحى[(١)].

وكان النبي ﷺ يهش لمقدمها ويرحب بمجيئها، فقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمتْ. فقال: من هذه؟ قالت: أنا أم هانئ. الحديث. وفيه ((زعم ابن أمي -تعني علياً- أنه قاتل رجلاً قد أجرته. فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ))[(٢)].

بلغ مسندها من الأحاديث ٤٦، متفق على واحدٍ منها وقد عاشت بعد أخيها عليٍّ مدة، عاشت إلى بعد سنة خمسين[(٣)].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رضي الله عنها (أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (يوم) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً، وهو فتح مكة، وقولها (وهو يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ) صورة من بر البنت بأبيها، وروح المحبة، والتعاون، كما يعكس ضيق المكان؛ لأنه لو كان فيه متسع ما اغتسل في هذا المكان، ولاستتر بغيره، وقولها: (فسلمت) خبر أريد بها لازم فائدته، وهو جواز التسليم على ما هو معلوم عند الفقهاء.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٨٠، ٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٧، ومسلم ٨٢-٣٣٦.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٧/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٦٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٢/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٤١، والسير ٣١١/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦٠٣/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٧٠٢/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٢٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٨٤/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على التستر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أم هانئ رضي الله عنها: ((أتيت النبي ﷺ يوم فتح))، وقد كان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[2].

قال ابن كثير: (والمراد بالفتح ها هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمضي سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر الإسلام ولله الحمد والمنة)[3]، أخرج البخاري من حديث طويل عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه ((وكانت العرب تلوَّمُ بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم...))[4] وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٢) سورة النصر.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٥١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

ما ذكره ابن إسحاق من قوله: (فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة)[١]، (يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله أنشده إياها)[٢].

(فقال رسول الله ﷺ: ((نصرت يا عمرو بن سالم))، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[٣]، (وخرج رسول الله ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، بعد أن استخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن عتبه بن خلف الغفاري)[٤]، فكان الفتح الأعظم، ودخل رسول الله ﷺ مكة، (حتى أقبل إلى الحجر، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ (بسية القوس)[٥]، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل))، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلى عليه، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو)[٦].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ:

ويستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قول أم هاني رضي الله عنها " أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وفي بيان عظم مكانتها رضي الله عنها، عند

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤/٤.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٩/٦.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٥/٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٤٠/٤.

(٥) السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة المنعطف من طرفي القوس، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥١.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٨٠، جزء من حديث مطول.

النبي ﷺ "قال المسور ابن مخرمة: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَلاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي. يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا))[1].

قال النووي: (أما "البضعة" فبفتح الباء لا يجوز غيره وهي: قطعة اللحم وكذلك المضغة بضم الميم، وأما "يريبني" بفتح الياء، قال إبراهيم الحربي: الريب ما رابك من شيء خفت عقباه ...، قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي، وهذا بخلاف غيره قالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ: لست أحرم حلالاً، ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين: أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة، والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة ... إلخ)[2].

ومن الشواهد على منزلة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت"[3]، وفي ذلك بيان على عظم مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على التستر:

إن الحرص على التستر من دلائل كمال الحياء، وحسن المروءة، وقد ظهر ذلك جلياً في الحديث من قول أم هاني رضي الله عنها: "...، أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وقد أمر النبي ﷺ بالحرص على التستر، ((فعن يعلي رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧١٤، ومسلم ٢٤٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

رسول الله ﷺ رَأى رَجُلاً يَغْتَسِلُ بِالبَرَازِ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»(١).

وعن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا. مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: ((احْفَظْ عَوْرَتَكَ. إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَنَّهَا أَحَداً، فَلاَ يُرِيَنَّهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قَالَ: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ))(٢). وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، قال: ((حَمَلْتُ حَجَراً ثَقِيلاً فَبَيْنَا أَمْشِي فَسَقَطَ عَنِّي ثَوْبِي، فقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «خُذْ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ وَلا تَمْشُوا عُرَاةً))(٣). فعلى الداعية أن يحرص على التستر.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد أكد الحديث على أهمية إفشاء السلام، وذلك من قول أم هانيء رضي الله عنها: "فسلمت"، وقد أمر النبي ﷺ بذلك وحث عليه، فقال ﷺ: ((لرجل سأله أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ فقَالَ لَه: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»(٤). قال أبو العباس القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية، كما قال ﷺ: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))(٥). وفيه دليل على أن السلام لا يُقْصَر على مَنْ يُعْرَف، بل على المسلمين كافة، لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «السلام شعار لملتنا وأمان لأهل ذمتنا»(٦))(٧). ثم بين ﷺ أنه -أي إفشاء السلام- سبب لدخول الجنة،

---

(١) أخرجه النسائي ٤٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٩٣).

(٢) أخرجه ابو داود ٤٠١٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٣٩١).

(٣) أخرجه ابو داود ٤٠١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٣٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٢/٨ رواه الطبراني من شيخه بكر بن سهل الدمياطي، ضعفه النسائي وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢١/١.

فقـال: ((يَـا أيُّهَـا النـاسُ، أفشوا السـلامَ وأطعِمـوا الطعـامَ، وصِلوا الأرحـامَ وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[1]. (وأفشوا السلام) أي: "أظهروه وأكثروه على من تعرفونه، وعلى من لا تعرفونه"[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٢/٢.

الحديث رقم (٨٦٦)

٨٦٦- وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها ، قالت: مَرّ عَلَيْنَا النَّبيُّ ﷺ في نِسوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أَبُو داود والترمذيُّ، وقال: (حديث حسن)، وهذا لفظ أَبي داود[1].

ولفظ الترمذيُّ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْماً، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاء قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتَّسْلِيمِ.

ترجمة الراوي:

اسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات، وغرض الخبر المسوق هو لازم فائدته، وهو جواز السلام على النسوة دون مصافحة على ما هو مفصل في الجانب الفقهي، والتعبير بـ (على) فيه إشارة إلى علو المكان المفهوم من استعلاء (على)، ومقام الرسول ﷺ، واتصال (نا) به يشير إلى أنهم جماعة، ويؤكد ذلك صراحة قولها: (في نسوة)، فالهاء التي في آخر نسوة ليست علامة تأنيث بل هي هاء فعلة جمع تكسير، مثل صبية، وغلمة.

المضامين الدعوية[3]

(١) برقم ٥٢٠٤.

(٢) برقم ٢٦٩٧.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٥٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حثّ الإسلام على تقوية أواصر المودة والمحبة بين الناس من خلال عدد من الأمور والتي من جملتها إفشاء السلام، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الجوانب الاجتماعية:

إن من أهداف التربية الإسلامية والرئيسة تقوية الجوانب الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين أفراد المجتمع والترابط الاجتماعي بين أفراده وسائر شرائحه، ومن مظاهره وأسبابه ما جاء في أحاديث الباب ومنها:

أ-إطعام الطعام وإكرام الناس: وذلك ما نستوحيه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وحكايته عن تلك العجوز التي كانت تقدم الطعام للناس بعد فراغهم من صلاة الجمعة، فعنه أنه قال كانت فينا امرأة، وفي رواية: «كانت لنا عجوز تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه لنا».

ب-إشاعة السلام: وذلك ما نستشفه من إلقاء السلام من قبل أم هانئ على رسول الله ﷺ ورده عليها، وكذلك سلامه ﷺ على تلك الجماعة من النساء، كما قالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: "مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا".

إن التربية على تنمية الجوانب الاجتماعية والإكثار من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية للمجتمع، على مستوى الجماعات وكذلك الأفراد.

إن من أهداف التربية الإسلامية "تربية المجتمع -الناشئة والأطفال منهم-" تربية اجتماعية على هدي السنة النبوية يقصد بها أن يكون الفرد والصغير متكيفاً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار أو مع الأصدقاء، ومَنْ هم في سنه، وليكون فعالاً إيجابياً بعيداً كل البعد عن الانطواء والخجل المقيت يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري ويخالط ويعاشر، وتعويده الالتزام والآداب الاجتماعية والإتيان بها كالسلام الذي هو التحية الإسلامية بين المسلمين، فإن المتربي خاصة الطفل يتعرض للقاء الناس

على اختلاف مستوياتهم فهو يحتاج ليتعرف على مفتاح الكلام معهم، فالسلام مفتاح الكلام"[1].

إن انخراط الإنسان في مجتمعه وقيامه بالدور الاجتماعي والإيجابي من سمات الإنسان الصالح وأهداف التربية الإسلامية، فالإنسان الصالح هو الذي يتسم بما يلي:

أ-أن يكون عبداً ربانياً تقياً دائم الصلة بالله في كل فكر أو عمل أو شعور.

ب-أن يكون نشاطه كله حركة موحدة الاتجاه إلى الله تعالى.

ج-أن يكون شمولياً متكاملاً حراً مسئولاً متوازناً.

د-أن يكون اجتماعياً، إيجابياً يتصف بالتوازن والواقعية[2].

إن رعاية الجوانب الاجتماعية والتمسك بآدابها وإبراز مظاهرها من "ضرورات الأمن والاستقرار والتعاون بين أفراد المجتمع بمختلف فئاته سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو القرية أو المدينة أو المجتمع ككل"[3].

ثانياً- دقة التعبير وتكامل الصورة:

إن مما ينبغي على المربين مراعاته تعويد المتربين وتنشئتهم على الدقة في التعبير ونقل الصورة كاملة حتى إذا ما نقلوا معلومة أو ساقوا خبراً أو كتبوا شيئاً ما، كانت الصورة كاملة غير منقوصة عند المتلقي، وذلك له أكبر الأثر في الارتفاع بالمستوى الثقافي والتعليمي والتربوي وسائر المجالات.

ويمكن لنا استخلاص مثل هذه الفوائد من نقل أم هانئ رضي الله عنها لحال النبي ﷺ حين ألقت عليه السلام، فلم تكتف ببيان إلقائها السلام ورده عليها، وإنما ذكرت كثيراً من الأحوال والملابسات التي تجعل الصورة متكاملة لدى المتلقي، كأنها ماثلة مجسدة نصب عينيه، فذكرت التاريخ "عام الفتح"، وذكرت الحال "فوجدته يغتسل"

---

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ص١٤٩-١٥٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية، عمر الشيباني ص٩٢، ٩٣.

(٣) انظر: عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ص١٦.

وذكرت من كان موجوداً عنده، "فاطمة ابنته" وما كانت تقوم به "تستره بثوب" وإلقاء أم هانئ السلام"فسلمت..." كل ذلك بألفاظ معدودة بسيطة لا تستعصي على الفهم ولا تورث الملل والسآمة.

لذا ينبغي على المعلم والمتربي اتباع عدة أمور في تعليمه وتوجيهه للمتعلمين ولمن يقوم على تربيتهم، ومن أبرزها ما يلي:

أ-أن يكون الكلام مفيداً ولا يكون مجرد ألفاظ وكلمات لا غرض لها ولا معنى، كما يجب أن يكون خالياً من الألفاظ غير المفهومة.

ب-أن تكون الفكرة المراد تبليغها واضحة ومفهومة عند المتربين حتى يصل إلى المطلوب، "فإن من الشطحات أن تكون الفكرة لها ظواهر رائعة، وفيها عبارات هائلة وليس ورائها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقلية أو تشويش في خيال، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على مقصده لقلة دربته أو لعدم معرفته بأحوال المتربين، فإن المربي إذا كان موصلاً جيداً كان ذلك فتحاً لتربيته وكسباً لفكرته وسراجاً منيراً لرسالته مؤيداً عمله بفاعلية ونجاح كما يجب"(١).

ثالثاً- خصائص التربية الإسلامية: التوازن والاعتدال:

إن من خصائص التربية الإسلامية أنها تقوم على التوازن والاعتدال بعيدة عن الغلو فلا إفراط فيها ولا تفريط، ومن دلائل ذلك في أحاديث الباب جواز التسليم على المرأة الأجنبية إن أمن الفتنة، وذكرت لنا الأحاديث دلائل عملية على ذلك منها ما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: "كانت فينا امرأة تأخذ من أصول السلق فإذا صلينا وانصرفنا نسلم عليها" وكذلك حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا»، فالإسلام يمنع التبرج والاختلاط ونحوهما، مما يؤدي إلى مساوئ الأخلاق وأراذل الأفعال، ولكن في نفس الوقت لا يمنع من مظاهر

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الأهداف، د. توفيق الواعي، ص٢٦٢-٢٦٤.

التعامل كالبيع والشراء والسلام ونحوها شريطة أمن الفتنة والانزلاق في مهاوي الرذيلة.

إن التربية الإسلامية تربية تنشد الاعتدال والتوازن، وذلك في كل شيء فهي: "تربية متوازنة في بنائها لجوانب شخصية الفرد والمجتمع، فأعطت التربية الإسلامية للفرد قيمة إنسانية وأعطته الحرية في ممارسة حقوقه الطبيعية، ولكن في إطار الأخلاق الفاضلة دون الإخلال بواجباته تجاه الآخرين في الأسرة، وفي المجتمع الذي يعيش فيه بل وتجاه الآخرين في الأمة الإسلامية، وفي المجتمع الإنساني بكامله"(١).

رابعاً- مراعاة المشاعر وجبر الخواطر:

إن مما ينبغي أن يحرص عليه القائمون على التربية مراعاة مشاعر الآخرين وتوقيرهم وجبر خواطرهم، وذلك من أسباب زيادة الألفة والمحبة، ونلاحظ ذلك في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي نقل لنا ما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم من أكل ما تقدمه إليهم تلك المرأة الكريمة من طعام جبراً لخاطرها دون النظر إلى حاجاتهم إلى هذا الطعام أولاً، فعنه أنه قال: "كانت فينا امرأة..تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا".

لذا فمما ينبغي على المتربي جبر خاطر من يُسْدي إليه معروفاً أو يقدم له هدية أن يقبلها، لكن إذا كان هناك ما يمنع قبولها فإن من حسن الخلق أن يبين له سبب الرد تطييباً لقلب مهديها وجبراً لخاطره.

إن التربية على رعاية المشاعر من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية والتي تتجه في أصلها، ومن خلال طرقها ووسائلها إلى "زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن وتقوية الصلات والروابط بين أفراد المجتمع وتنمية التحابب والمودة في النفوس، وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حب التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢٢٠.

أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن"[١].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-القصة: كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة -وفي رواية: كانت لنا عجوز-تأخذ من أصول السِّلْق فتطرحه في القدر، وتكركر من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا.

والقصة تستخدم لغرس القيم الفاضلة في نفوس المتعلمين ونزع القيم السلبية، فضلاً عن أنها تجذب المتعلمين وتشد انتباههم. ويمكن للمعلم أن يستخدمها تمهيدًا لدرسه ونحو ذلك.

ب-الممارسة العملية: كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: مرّ علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسلم علينا.

والممارسة العملية من الأساليب التي تتميز بطول بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.



(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. امين ابولاوي، ص٦١، ٦٢.

١٣٨- باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار

الحديث رقم (٨٦٧)

٨٦٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لاَ تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ، فَإذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينظم جانباً من علاقة المسلم بغير المسلمين، والخبر مؤكد في كلام الراوي استشعاراً لمقام من يحدث عنه، واستشعاراً لأهمية الخبر، وتنبيهاً على ذلك، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بأسلوب النهي العام، والذي اتخذ حكم العموم من اتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة، وعلى ذلك، فهو خطاب للصحابة، ومن بعدهم من الأمة، وتكرار حرف (لا) للتأكيد على استقلال كل طائفة بحكم النهي تأكيداً له، ، وأسلوب الشرط (فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ) يربط لقاءهم باضطرارهم إلى أضيقه يطرد في كل زمان، ومكان، وتلك إحدى ثمرات استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان، ولفظ (أحد) المضاف لضمير الجمع (هم) يعطي معنى العموم ليشمل كل واحد منهم، وتنكير (طريق) يفيد التعميم ليشمل كل طريق.

---

(١) برقم ٢١٦٧/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠١٩.

فقه الحديث

السلام على أهل الذمة وغيرهم من الكفار: ذهب الحنفية إلى أن السلام على أهل الذمة مكروه؛ لما فيه من تعظيمهم، ولا بأس أن يسلم على الذمي إن كانت له عنده حاجة، لأن السلام حينئذٍ لأجل الحاجة لا لتعظيمه. ويجوز أن يقول: السلام على من اتبع الهدى. وذهب المالكية أيضاً إلى أن ابتداء اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال بالسلام مكروه، لأن السلام تحية، والكافر ليس من أهلها.

ويحرم عند الشافعية بداءة الذمي بالسلام، وله أن يحييه بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، وأنعم الله صباحك إن كانت له عنده حاجة. وإلا فلا يبتدئه بشيء من الإكرام أصلاً، لأن ذلك بسط له وإيناس وإظهار ودّ.

وقال النووي في الأذكار: (اختلف أصحابنا في أهل الذمة، فقطع الأكثرون بأنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام، وقال آخرون ليس هو بحرام بل هو مكروه. وبداءة أهل الذمة بالسلام لا تجوز أيضاً عند الحنابلة، كما لا يجوز أن نحييهم بتحية أخرى غير السلام)[١].

وإذا مرّ واحد على جماعة فيهم - مسلمون ولو واحدًا - وكفار، فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم، لحديث أسامة بن زيد، حديث الباب[٢].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٦٨-١٦٩ ومراجعها ومصادرها.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥/٢٦٤-٢٦٥، والاختيار ٤/١٦٥، وروح المعاني ٥/١٠٠ ، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٥-٤٢٦ ط/٢، وحاشية العدوي على الخرشي ٣/١١٠ ط/ بولاق، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٨/٤٩ ، وتحفة المحتاج ٩/٢٢٦ ، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠/٢٣٠-٢٣١ ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨/٥٣٦ ، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣/١٢٩ ، والكافي ٤/٢٥٩ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٦٨-١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام.

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي:

والنهي من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على إرشاد وتوجيه المدعوين إلى اجتناب ما هو محظور عليهم، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من نهيه ﷺ عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام، وذلك في قوله ﷺ "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام" لما في ذلك من إظهار عزة الإسلام والمسلمين.

ثانياً- من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى:

(إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وترغيبهم في الدخول فيه، من أوجب الواجبات ومن أسباب خيرية هذه الأمة، ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2]، وقد شرع الإسلام لغير المسلمين الإقامة في بلاد الإسلام بعقد الذمة أو الأمان)[3]، وشمل ذلك اليهود والنصارى، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قوله ﷺ: "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام".

ومما لا شك فيه (أن استوطان اليهود والنصارى، ومجيئهم إلى البلاد الإسلامية، يتيح فرصة كبرى لدعوتهم إلى الإسلام، فيجب أن تتضافر الجهود في استثمارهم

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله اللحيدان، ص٥.

بعرض الإسلام عليهم، ودعوتهم إليه، على هدي من قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾(٢))(٣).

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تخاطب أهل الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾(٤).

قال ابن كثير: أي: "قل" يا "محمد": ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: من الدين "حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ"، أي حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر بإتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته"(٥).

ورغم أن أهل الكتاب أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ونسبوا إليه ما لا ينبغي لجلالته وعظمته، فنسبوا إليه الولد، وزعموا أن الله فقير، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ورغم نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، ومخالفتهم تعاليم الرسل، وابتداعهم في الدين، وتحريفهم وتبديلهم فيه، رغم ذلك كله، فإن القرآن الكريم جاء يدعو أهل الكتاب أحياناً بأسلوب سهل رقيق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾(٦).

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان، ٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٦٥ .

فبالرغم مما اقترفه أهل الكتاب من أفعال، وما افترته ألسنتهم من أقوال، مما ذكره القرآن الكريم، فإن الله تعالى فتح لهم أبواب التوبة، ويسر لهم التكفير عن سيئاتهم وخطاياهم، إن آمنوا بالله تعالى وأخلصوا له العبادة والتوحيد، بأن يدخلهم جنات النعيم.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قام على الترغيب والترهيب، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وإن رحمته وسعت كل شيء، وعفوه يشمل كل من تاب وأناب وآمن به سبحانه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

وقد توعد الله الكافرين بجهنم وبئس المصير، وإن الله تعالى لم يغلق في وجوههم أبواب رحمته إن تابوا وأنابوا إليه سبحانه، لأن الإسلام يجب ما قبله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3].

إننا لو نظرنا إلى خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب، فإننا نجد معالمه في تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم، وتحذيرهم من يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا

---

(١) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٢- ١٢٣.

(٢) سورة طه، آية: ٨٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٣٦-٣٨.

تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[١].

قال الشوكاني: "كرر ذلك سبحانه توكيداً للحجة عليهم - أي كرر قوله سبحانه: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" وتحذيراً لهم من ترك اتباع محمد ﷺ، ثم قرنه بالوعيد[٢]، وهو قوله: "واتقوا يوماً".

ثم إن في خطاب القرآن الكريم لهم بـ "يا بني إسرائيل" تهييجاً لهم وتذكيراً بنبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، قال الإمام ابن كثير: "وتقدير الكلام يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل نبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك"[٣].

وفي مقابل هذا الترغيب لأهل الكتاب، جاءت آيات عديدة تخاطبهم في سياق الترهيب... تؤنبهم على عدم إسلامهم، وتوبخهم كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥].

كما جاءت آيات عديدة تهددهم، وتنذرهم عقوبة الله إن هم أعرضوا عن الإيمان بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ[٦]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٤٧ - ٤٨.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١/٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٨٤.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٨ - ٩٩.

(٦) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ١٠٠ - ١٠١.

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[١].

إن المتأمل في خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، يدرك أنه اتسم -أي الخطاب- بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

حيث خاطب العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة.

لقد اشتمل خطاب القرآن الكريم على ألطف الأساليب في جداله مع المخالفين، واختار العبارات الرقيقة، لأن ذلك أدعى إلى الأنس بالخطاب، وعدم إثارة العصبية[٢].

إن من معالم المنهج القرآني الذي رسمه القرآن للدعوة إلى الله، الجدال بالتي هي أحسن، والأصل في الجدال أن يكون من المخالفين، ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون (حسنة) ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي (أحسن) لأن الموعظة -غالباً- تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون -عادة- مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن، على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وجيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود[٣].

ومن ذلك قوله تعالى في جدال المشركين: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٤].

قال ابن كثير: "هذا من باب اللّف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم، ونحن على الهدى، أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدلّ على بطلان ما أنتم عليه من الشرك

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٧.

(٢) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٤-١٢٥.

(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٠ - ٤١.

(٤) سورة سبأ، آية: ٢٤.

بالله، ولهذا قال: "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين، والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد"[1].

وقال السعدي: "أي إحدى الطائفتين منا ومنكم على الهدى مستعلية عليه، أو في ضلال مبين منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه. وقال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2] أي: كل منا ومنكم له عمله، أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق، وسلوك طريق الإنصاف ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعاً لكم من اتباع الحق.."[3].

وكان من مقتضى المقابلة أن يقول: "ولا نسأل عما تجرمون" ولكن لم يشأ أن يجابههم بنسبة الإجرام إليهم، إيناساً وتقريباً لهم، وتأليفاً لقلوبهم.

ومن الجدال بالتي هي أحسن: التركيز على نقاط الوفاق، لا نقاط الاختلاف لأن ذلك يؤدي إلى التلاقي النسبي في الأصول المشتركة، وإيجاد أرضية للحوار، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[4]، فهو هنا يركز على العقائد التي تقرب المسلمين منهم وهي: أن المسلمين يؤمنون بكل ما أنزل الله من كتاب، كما يؤمنون بكل من بعث الله من رسول، وكذلك يؤمن الجميع بإله واحد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨٦/١١.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

ومن هذه النقطة ينطلق اللقاء لمواجهة الملاحدة والجاحدين الذين لا يؤمنون إلا بالمادة وحدها، ولا يعتقدون أن للكون إلهاً، ولا أن في الإنسان روحاً، ولا أن وراء الدنيا آخرة.

إن القرآن الكريم علمنا ألا نخاطب الناس - وإن كانوا كفاراً - باسم الكفر، فخطاب الناس - غير المؤمنين - في القرآن، إما أن يكون بهذا النداء: "يا أيها الناس"، أو "يا بني آدم"، أو "يا عبادي" أو "يا أهل الكتاب" أو "يا بني إسرائيل".

ولم يأت في القرآن خطاب بعنوان الكفر، إلا في آيتين إحداهما: خطاب لهم يوم القيامة[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

والأخرى في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

فكان هذا خطاباً للمشركين الوثنيين الذين كانوا يساومون الرسول الكريم ﷺ على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة.

فأرادت السورة قطع هذه المحاولات بأسلوب صارم، وبخطاب حاسم، فأمر الرسول ﷺ أن يخاطبهم بهذه الصورة القوية، بما فيها من تكرار وتوكيد، ومع هذا ختمت السورة بهذه الآية التي تفتح باب السماحة مع الآخر، حين قالت: "لكم دينكم ولي دين".

إن الله تعالى أمر عباده بالقول الحسن مع من يخاطبونه، ومن القول الحسن ألا يجابه الكافر، بأن يقال: "أيها الكافر"، فقد أمر الله رسوله بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[4][5].

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٤ - ٤٥.

(٢) سورة التحريم، آية: ٧.

(٣) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٥) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي ٤٤ - ٤٥.

وقيل المعني: "قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم، وهم يعبدون الأصنام، يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد، والإقرار بالنبوة، وقيل المعنى: وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد، أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن، كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، وقال الحسن: هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله! يرحمك الله! وهذا قبل أن يؤمروا بالجهاد"[2].

إنه بالرغم من صلف وعناد المشركين، فإن القرآن الكريم قد خاطبهم باللين والحكمة والإرشاد إلى مناهج الصواب، وذكرهم بأخبار الأمم الماضية، وحذرهم من نتائج كفرهم، وعواقب استمرارهم على الشرك بالله، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام:

مما أكد عليه نص الحديث هو عدم ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وذلك في قوله ﷺ: ((لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ))، ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فهل يبذل لهم السلام؟، نجد أن العلماء قد اختلفوا في ذلك.

قال القاضي عياض: (وقوله: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ»: هذه سنة، بها أخذ عامة السلف والفقهاء ...، وذهب آخرون إلى جواز ذلك ابتداءً...، واحتج من قال هذا بقوله ﷺ: «أَفْشُوا السَّلَامَ»[4]، وذهب آخرون إلى جوازه ابتداءً للضرورة أو لحاجة تعن له إليه، أو لذمام - وهو الحق والحرمة والعهد- ، وقال الأوزاعي: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون)[5].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٧/١٠/٥.

(٣) راجع بتوسع، خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٦-١٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٢/٧.

قال النووي: (فمذهبنا تحريم ابتدائهم به، ووجوب رده عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط. ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلام» وفي الرد قوله ﷺ: «فقولوا وعليكم»[١])[٢].

وقال ابن حجر: قالت: طائفة يجوز ابتداؤهم بالسلام، فأخرج الطبري من طريق ابن عيينه قال: يجوز ابتداء الكافر بالسلام لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[٣]. وقول إبراهيم لأبيه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[٤].

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عون ابن عبدالله بن محمد بن كعب أنه سأل عمر بن عبدالعزيز عن ابتداء أهل الذمة بالسلام، فقال: نرد عليهم ولا نبدؤهم. قال عون فقلت له: فكيف تقول أنت ؟ قال: ما أرى بأساً أن نبدأهم. قلت لم؟ قال لقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾[٥].

وقال البيهقي بعد أن ساق حديث أبي أمامة، أنه كان يسلم على كل من لقيه، فسئل عن ذلك فقال: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا)[٦].. هذا رأى أبي أمامة، وحديث أبي هريرة في النهى عن ابتدائهم أولى، وأجاب عياض عن الآية وكذا عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه بأن القصد بذلك المتاركة والمباعدة وليس القصد فيهما التحية. وقد صرح بعض السلف بأن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٧.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣/٨، رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي ضعفه النسائي، وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

نسخت بآية القتال وقال الطبري: لا مخالفة بين حديث أسامة في سلام النبي ﷺ على الكفار حيث كانوا مع المسلمين - ويقصد بذلك قول أسامة رضي الله عنه "إن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج -وذلك قبل وقعة بدر- حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبدالله بن رواحة. فلما غَشَيت المجلسَ عَجَاجَةُ الدابة، خَمَّرَ عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن ... إلخ"[1].

وبين حديث أبي هريرة في النهى عن السلام على الكفار، لأن حديث أبي هريرة عام، وحديث أسامة خاص، فيختص من حديث أبي هريرة ما إذا كان الابتداء لغير سبب ولا حاجة من حق صحبة أو مجاورة أو مكافأة أو نحو ذلك، والمراد منع ابتدائهم بالسلام المشروع، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فهو جائز كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره "سلام على من اتبع الهدى"[2].

وعلى ذلك فيسلم على غير المسلم عند الحاجة، كما لو كان فيه تأليف له على الإسلام، قال ابن القيم: "فإن كان في كنيته، وتمكينه من اللباس وترك (الغيار)[3] والسلام عليه أيضاً، ونحو ذلك، تأليف له ورجاء إسلامه وإسلام غيره، كان فعله أولى كما يعطيه من مال الله لتألفه على الإسلام، فتألفه بذلك أولى ...، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق تبين له حقيقة الأمر، وعلم أن كثيراً من هذه الأحكام التي ذكرناها من الغيار وغيره، تختلف باختلاف

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٤، ومسلم ١٧٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

(٣) وهو علامة أهل الذمة، وهو كالزنار للمجوس، والزنار بضم الزاي وتشديد النون، ج زنابر؛ حزام خاص يشده النصراني على وسطه. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٠٩ - ٣٠٤.

الزمان والمكان، والعجز والقدرة، والمصلحة والمفسدة، ولهذا لم يغيرهم النبي ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه، وغيرهم عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ قال: لأسقف نجران: أسلم يا أبا الحارث، تأليفاً له واستدعاء لإسلامه، لا تعظيماً له وتوقيراً"[1].

فالأمر يدور مع المصلحة الراجحة، فتحيتهم لا تحرم عند الحاجة والمصلحة...، ولابد مع هذا أن يكون الترغيب في الإسلام، والدعوة إلى الدخول فيه، هو الباعث على تحيتهم[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "فإذا ألقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"، قال القاضي: (والمراد بذلك -والله أعلم- ألا يُظْهر برهم بالتنحي لهم عن منهج الطريق وسبيله ويؤثرهم به، وينضم هو إلى ضيقه وجوانبه، بل يسلكه المسلم حتى يضطر هو إلى حواشي الطريق وضيقه، ولم يرد عليه السلام - والله أعلم- إذا كان الطريق واسعاً لحملهم، أن يضيق عليهم ذلك فضلاً ويمنعهم منه حتى يضطروا إلى غيره)[3].

قال النووي: "أي: لا يترك للذمي صدر الطريق، بل يضطر إلى أضيقه إذا كان المسلمون يطرقون، فإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج، قالوا: وليكن التضييق بحيث لا يقع في وهده ولا يصدمه جدار" [4]. وقال ابن حجر: معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حافته حتى يضيق عليهم، لأن ذلك أذى لهم، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب"[5]. وقد قال تعالى:

---

(١) أحكام أهل الذمة، ابن القيم الجوزية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٨٨/٢.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلامي، عبدالله اللحيدان، ١٦٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٢/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(١).

قال ابن كثير: "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً عل خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾(٢)، وفي صفة النبي ﷺ أنه "الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه"(٣). فلا ينبغي للمسلم أن يعز الكافر، بل عليه أن يكون عزيزًا هو عليه، مظهرًا لعزة الإسلام، ومن يدين به، مشعرًا للكافر بذله وهوانه لديه، وأن عزته بالله ودين الله، وأن إسلامه سبب قوته وعزته.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/١٣٦.

الحديث رقم (٨٦٨)

٨٦٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على جملة واحدة صدرت في ثوب الشرط الذي يربط مقدمة بنتيجة، وهي تسليم أهل الكتاب، وقول المسلم، وعليكم من باب الحذر من كيدهم قولاً ينبهنا إلى الحذر من فعلهم من باب أولى، وتقديم الجار، والمجرور (عليكم) يفيد الاختصاص أي إذا اختصوكم بالسلام، و إضافة الأهل للكتاب إضافة اختصاص تشمل اليهود، والنصارى، وقوله: (وعليكم) مبني على الحذف تقديره، وعليكم مثل الذي قلتم، اتقاءً لشرهم، وفيه تنبيه بليغ ضمناً بضرورة التنبه من خداعهم، وكيدهم، فإذا كان الرسول ﷺ حذرنا من مكرهم في القول فيجب علينا أن نحتاط منهم قولاً، وفعلاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم أهل الكتاب.

رابعاً: من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨، ومسلم ٢١٦٣/٦ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٠.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

الشرط من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم لمعرفة جواب الشرط، وهذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لكيفية رد السلام على أهل الكتاب، وذلك في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم"، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط، وذلك في قوله ﷺ "إذا" وعلى فعل الشرط في قوله "سلم" وعلى جواب الشرط في قوله "فقولوا وعليكم".

ثانياً- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب:

(لقد شاء الله تعالى أن تكون رسالة نبينا محمد ﷺ للناس كافة، وتأكد ذلك بالكتاب والسنة والإجماع وغير ذلك من الأدلة، والتي من جملتها ما ورد في القرآن الكريم من خطابه لغير المسلمين الذين تعددت أصنافهم)[1].

وكان من أصنافهم، أهل الكتاب، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب"، وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب في آيات كثيرة باعتبارهم من أصناف المدعوين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ص٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(وقد بين لنا القرآن الكريم مبادئ التعامل وأساليب القول والدعوة إلى الله تعالى، وقد جاء المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى مُلخصاً ومُركزاً في قوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[2].

وجاء الخطاب القرآني لغير المسلمين جامعاً بين المنقول والمعقول والمحسوس، المنقول من خلال ما أخبر به القرآن الكريم عن أهل الكتاب، وموقفهم من الإسلام ونبي الإسلام، ومواقفهم السابقة مع أنبيائهم، وبيّن لهم كثيراً مما أخفوا وسجل عليهم المواقف، فأقام عليهم الحجة والبرهان، مما قطع بأحقية الإسلام بالإيمان به، ورسوله ﷺ بالاتباع، إلا أن الحسد والكبر كان من بواعث إنكارهم ونكوصهم.

لقد جاء خطاب القرآن جامعاً أيضاً بين المعقول والمحسوس، من خلال تلك الأدلة والبراهين العقلية، التي تستقيم في منطق العقلاء ذوي الفطرة النقية السليمة، وما يستشعرونه بحواسهم من آيات كونية وإنسانية، يستشعرون عظمتها في حياتهم، فلم يكن خطاب القرآن لغير المسلمين خطاباً تجريدياً فلسفياً عقيماً، بل كان مبنياً على حقائق في هذا الكون، وهذه الأنفس، لقد كان خطاب القرآن هادئاً هادفاً، موضوعياً جامعاً لا مفرقاً، مؤنساً لا موحشاً، جامعاً بين الترغيب والترهيب، فيه مقومات العالمية، يحترم الآخر أياً كانت عقيدته لا ينفره، يقربه ولا يبعده ومن سمات ذلك "يا أيها الناس" "يا بني آدم" "ياعبادي" "يا أهل الكتاب" إنه خطاب يريد أن يستل العداوات، ويختصر المسافات، ويصل إلى كلمة سواء، يبشر بالمغفرة إذا انتهى عما يخالف أصول الإسلام وفروعه.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، هو المعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الديني المعاصر، وليس على ما يملي البعض؟!!

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .

فما أحوج خطابنا المعاصر إلى استلهام المعالم والأسس من الخطاب القرآني، وذلك استشعره من خلال معايشتي لما يدور على الساحة اليوم من تضارب وتنافر وإفراط وتفريط، وتشديد وتشدد وغير ذلك من الأطياف المتعددة التي لا تنم عن منهجية علمية صحيحة مستمدة من القرآن الكريم، وإنما تعطى فيها مساحة للهوى.

وإن لغة الحماسة والعاطفة التي هي من لوازم خطابنا الموجه للمسلمين، لا تتناسب مطلقاً مع غير المسلمين، لأنه مازال كثير من الدعاة لديه إصرار أنه طالما يدعو إلى الله ويؤيد كلامه بالأدلة من الكتاب والسنة والآثار، فلابد للآخر - غير المسلم - أن يقتنع ويسلم، لأنه ليس له حجة في الإنكار أو عدم الانصياع لما يسمع أو يقرأ.

ونسي هؤلاء الدعاة أن هناك حلقات مفتقدة بينهم وبين هؤلاء من غير المسلمين، من حيث البيئة والثقافة واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والعقائد، وغير ذلك مما ينبغي الوقوف عليه قبل أن يوجه إليهم الخطاب، وإذا كان هؤلاء يعطون للعقل مساحة كبيرة في التفكير، فإن الإسلام قد سبقهم إلى ذلك، وأشاد بالعقل وجعله مناطاً للتكليف، وقد استخدم الخطاب القرآني عدداً من المناهج العقلية والحسية والعاطفية، وراعى في استعمالاته لتلك المناهج مناسبتها للمخاطبين)[1].

مما يستوجب على الداعية أن يراعي ذلك في دعوته لأهل الكتاب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم اهل الكتاب:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ " ... فقولوا: وعليكم".

(ورد السلام على غير المسلمين واجب، لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[2]،[3].

---

(١)خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ٤-٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

وقد فصل ابن القيم القول في هذه المسألة فقال: (إذا تحقق أنه قال السام عليكم أو شك فيما قال، يرد بـ "عليكم"، أما إذا تحقق أن الذي قال سلام عليكم لاشك فيه فهل له أن يقول وعليك السلام أو يقتصر على قوله وعليك؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة، أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، فقد قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1]. فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ أمر بالاقتصار على قول الراد وعليكم، بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وإذا زال هذا السبب، وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله، فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه)[2].

رابعاً- من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في رد السلام على غير المسلمين، (ولقد كان من الحكمة في بقاء غير المسلمين في ديار المسلمين، ترغيبهم في الإسلام بما يرونه من تعامل أهله وسلوكهم، والعامة لهم نصيب كبير في هذا المجال، كما يكون عليهم تبعات الالتزام بمبادئ الإسلام"[3].

"وقد كان الرفق واللين سمة بارزة في دعوة النبي ﷺ والرفق في موضعه قوة للداعية ولدعوته، وبه انجذب كثير من الناس إلى دين الله، وبالغلظة والعنف -في غير موضعها- انجفل كثير من الناس عن دين الله، وإذا كان المشركون يقفون من الدعوة مواقف متعددة، ينوعون فيها هجومهم على الدعوة، فإن النبي ﷺ لم يترك موقفاً من تلك المواقف إلا ويغرس في نفوس أصحابه ما يناسب ذلك الموقف، والرفق له نصيبه من

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) احكام أهل الذمة ١٥٧.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله إبراهيم اللحيدان، ط/١، الوطنية، الرياض: ١٤٢٠هـ، ص٦٩.

ذلك، "روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنَّ اليهودَ أتوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السامُ عليك. قال: وعليكم. فقالت عائشة: السامُ عليكم ولعنَكمُ اللّهُ وغَضِبَ عليكم. فقال رسولَ اللّه ﷺ: مَهلاً يا عائشة، عليكِ بالرفق، وإياكِ والعُنف والفُحش))[1]، لقد أثمرت سماحة النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين مما حمل المنصفين منهم على قبول الإسلام.

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠، ومسلم ٢١٦٥.

الحديث رقم (٨٦٩)

٨٦٩- وعن أُسَامَةَ ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فيهِ أخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكينَ -عَبَدَة الأَوْثَانِ- واليَهُودِ... فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

اسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٠).

غريب الألفاظ:

أخلاط: مجتمعون مختلطون[2].

الأوثان: الأصنام، ومفردها: وَثَن[3].

الشرح الأدبي

أورد أسامة ﷺ المعنى في ثوب الخبر المؤكد ب (إن) مع تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، لدفع ما يمكن أن يطرأ على الخبر من شك في خبر تسليم الرسول ﷺ على المختلطين بالمشركين، واليهود لوجود النهي عن بدء غير المسلمين بالسلام، وغرض خبر أسامة ﷺ إفادة لازم الخبر، وهو نقل فعل النبي ﷺ الذي يشير إلى جواز ذلك، وقوله مجلس، هو مكان جلوس القوم، والتعبير بأخلاط يشير إلى عدم التميز في المجلس حتى يخص المسلمين، ويترك غيرهم، وقوله (فسلم عليهم النبي ﷺ) تقديم الجار، والمجرور يفيد الاختصاص أي: سلم على من في المجلس كلهم دون مجلس غيرهم، وإعادة لفظ النبي مع إمكان التعبير بضميره فيه مزيد تقرير، وتوكيد على صدور الفعل منه ﷺ كما أكده استخدام الفعل في صورة الماضي المتحقق الوقوع.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٣، ومسلم واللفظ له ١١٦/١٧٩٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ط).

(٣) المرجع السابق في (و ث ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين:

من الملاحظ في نص الحديث، أن النبي ﷺ ألقى السلام على أهل المجلس جميعاً بمن فيهم المسلمون وغيرهم من المشركين عبدة الأوثان واليهود، ولم يخص ﷺ المسلمين بالسلام دون غيرهم، فكان في هذا دعوة لأهل المجلس جميعاً، فيزداد المسلم إسلاماً والمؤمن إيماناً، ويكون ذلك دافعاً لغير المسلم أن يفكر في الإسلام ومحاسنه، في أنه دين شعاره السلام والعمل على إفشائه، مما يسلم به المرء ويأمن فيه على نفسه وأهله وماله، وفي ذلك دعوة لغير المسلمين ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

وقد كان من أهم دعائم نجاح دعوة المسلمين وغيرهم إلى الإسلام هي: (أن يمعن الداعية بدعوته إلى صميم حياة الناس، إذ ليس كل من تكلم داعية، وليس كل من غدا وراح، وذهب وجاء، ناجحاً في دعوته؛ إن النجاح كل النجاح أن تدخل دعوتك في صميم حياة الناس، وان تسكبها في قلوبهم وأعصابهم، أما أن تبقى على هامش الحياة فلا؛ إن النجاح في الدعوة أن تجعلها مسألة حيوية حارة، يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم، مع أصدقائهم وأهليهم... تأمل هذا جيداً، فليس النجاح حفلة تقام أو خطبة تقال، أو رحلة تشق فيها كثيراً من القرى والأمصار... النجاح أن تكون الدعوة هي مسألة الساعة في حياة الناس: يلفي الرجل أخاه فلا يحدثه إلا عنها، ويزور الصديق

---

(١) سورة ق، آية: ٣٧.

صديقه، فتكون أقرب المسائل إلى حديثهما، ويسمر السامرون فيدور جدلهم حولها كما هو شأن الناس فيما يشغلهم من المسائل العامة كل وقت.

هذا معنى اشتغال العقول والقلوب بالدعوة، وليس ضرورياً أن يتناولها الجميع في استحسان وإعجاب وتأييد، وإنما المهم أن يتحدثوا عنها في اهتمام وكفى؛ فإذا رأيت منهم الخصوم والموالين، هؤلاء يعارضون ويحتدون في معارضتهم، والآخرون يؤيدون ويتحمسون في تأييدهم، فذلك من صميم النجاح.

وقد آمنت القلة من أهل مكة برسول الله ﷺ، وكفرت الكثرة العظمى، ولكن الدعوة كانت هي المسألة الحاضرة في المجتمع المكي كله، تشغل أذهان المؤمنين وغير المؤمنين على السواء؛ وكان الداعية الأكبر صلوات الله عليه لا يكف عن الدعوة ساعة من نهار، وكان المتحدثون لا يكفون عن الخوض في حديثها ساخطين أو راضين؛ وكان الأذى لا يفتأ ينصب على المؤمنين، أذى اللسان، واليد، والسوط، والنار، والحراب؛ وكان الإغراء يبذل بسخاء لمن يرتد منهم عن دينه: إغراء بالمال، أو السلطان أو زواج الجميلات الشريفات أو غير ذلك، وكان الآباء والأمهات يستعطفون أبناءهم، ويتوسلون إليهم بكل وسيلة ليرجعوا عن شأنهم الجديد، وكان الجدال والشقاق والخصام يدخل البيوت، فيفرق بين القلوب ويباعد بين الأحبة.

كان ذلك كله وكان هو النجاح بعينه؛ لقد جد الداعية صلوات الله عليه، وعمل ونصب، حتى أدخل دعوته في صميم الحياة، ولم يبقها خافتة على الهامش الخامل، وَحَسْبُ دعوة الحق نجاحاً أن تنفذ إلى "لب حياة الناس" حياتهم العاطفية والعقلية، نفوذ عداء أو نفوذ ولاء... ولا نقول هذا، لتقف من الآن للناس موقف العداء، لتحملهم على معارضتك فيكون هذا آية نجاحك، فلابد من الحكمة والموعظة الحسنة... لا تجعل أحداً يخاصمك لعيب في أسلوبك الخاص، وطريقة معاملتك، بل دع الذين يخاصمونك، يخاصمونك في جوهر الدعوة نفسها، فإنهم حينئذ لا يخاصمون إلا الحق، والحق لا يبغي أكثر من الدخول في قلوب أوليائه وأعدائه، فإن هؤلاء الأعداء لا يعادونه إلا بعد أن يعرفوه، ولا يرفضونه إلا لأنه يحرمهم جاهاً أو متعة استباحوها، أو لنحو ذلك من

الأهواء والاعتبارات الطارئة على الناس ... لا يرفضونه إلا لداع وقتي، فإذا تغيرت الظروف وزالت هذه الدواعي الوقتية، لم يبق في القلب إلا شيء واحد، هو الحق الساكن في منزلة العداء، فيتحول حينئذ في غير كلفة إلى منزلة الولاء)[١].

فعلى الداعية في دعوته للمسلمين وغيرهم، أن يلتمس أسباب نجاح دعوته على النحو السالف ذكره، لما في ذلك من عظيم الفائدة وكمال الأجر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين:

إن الإسلام لا يعرف العنصرية بجميع أشكالها، ولا يعرف التحزب والتشيع، فهو دين الرحمة، وتشريع الحكيم الخبير، الذي يوائم واقع الأمم والشعوب حتى قيام الساعة توافقاً مع عالمية الإسلام، لذلك فالشرع يحتم على المسلمين التعامل بسلام مع جميع الأديان، طالما أن هؤلاء الناس لم يقاتلونا في ديننا، ولم يخرجونا من أرضنا ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

ولذلك فقد حرص الرسول ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام للناس كافة، وهذا ما حققه الرسول ﷺ وظهر جلياً في نص الحديث من قول أسامة رضي الله عنه، إن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين -عبدة الأوثان واليهود- فسلم عليهم النبي ﷺ.

(وتسليم النبي ﷺ عليهم ووقوفه ثم نزوله كما جاء في أصل الحديث. ودعاؤهم إلى الله -سبحانه- وتلاوته عليهم القرآن كل ذلك استئلافاً لهم، وطمعاً في إسلامهم، وتبليغاً لما أمره الله تعالى به من ذلك)[٣].

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٢٥٤-٢٥٦.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ١٧٢/٦.

وفي ذلك عظيم الفائدة في (تحقيق السلام الاجتماعي، الذي هو وبحق القاعدة الأساسية لبناء الفكر الإسلامي، في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهو المناخ العام الذي يمكن أن تمارس في ظله السلطات السياسية وجودها أساساً، فبدون السلام الاجتماعي سيكون هناك جماعات إرهابية، وقلاقل سياسية، وتفرقة عنصرية، وتيارات معادية ... مما لا يسمح بالاستقرار السياسي والاقتصادي، ولا بقيام كيان الدولة ككيان له أهميته، أو له وزنه بين الدول الأخرى)[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الدعوة إلى الله تعالى، هي أكرم الأعمال، وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، وقد بين الحق تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢]، وقد أوجب الله تعالى تبليغها، وأرسل هذه الأمة المحمدية لبيانها والإخبار عنها، فقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]، وأسلوب الإخبار من أهم الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، وقد أفاد الإخبار في الحديث، استحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وغيرهم، لما في ذلك من استئلافهم وطمعاً في إسلامهم، (فضلاً عن تحقيق السلام الاجتماعي، الذي يساعد على قدرة الأمة الإسلامية على الانفتاح على العالمية بخطى رشيدة، وعقول مستنيرة بضوابط إيمانية)[٤].

(١) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ١/٤-٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤ .

(٤) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ١/٥٠٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: كان اليهود ولا يزالون ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء، واستحلوامنهم محارمهم، وذكر القرآن قولهم: "ليس علينا في الأميين سبيل" فلما جاء الإسلام وهاجر الرسول ﷺ، وأمر بإظهار العزة، نهى أصحابه عن بدء اليهود والنصارى بالسلام، وإذا سُلّم عليهم كان الرد عليهم لأن أهل الكتاب كانوا يلحنون في الكلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على العزة وقوة الشخصية:

إن مما ينبغي للمعلم غرسه في نفوس المتربين العزة وعدم الخضوع إلا لله تعالى، لأن النبي ﷺ أراد أن يربي المسلمين على الكرامة والعزة، واستشعار القوة التي لا تتأتى من فراغ، ولكن من خلال الإيمان القوي الراسخ الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ويجعل المسلم يشعر بالشموخ والعزة لإيمانه بالله، ولأخذه بأسباب التقدم من السعي في الحياة والتماس أسباب التفوق والرفعة، وليس الانزواء في دروب الحياة، والخنوع والتواكل والرضى بالعيش الدون قانعاً بالقليل، يعيش على هامش الحياة كحال كثير من المسلمين اليوم، مما جعلهم مغيبين مهمشين في هذه الحياة.

إن من مظاهر دعم التربية الإسلامية لعزة المسلم ما جاء في أحاديث الباب من عدم مبادأة اليهود والنصارى بالسلام، كما في قوله ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ. فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»، إذ أن للإسلام عزته وعلو شأنه وعلى الغير احترامها فإن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ومنه استمد المسلمون واستحقوا العزة وعلو المقام.

فينبغي للمربي أن يحرص على تأكيد هذه المعاني عند المتربين، فما ذلَّ من دخل الإسلام وخضع لرب العباد وما عَزَّ من تكبر وتجبر وأعرض عن العلى الكبير، فإن العزة للمؤمنين وهي عزة ثابتة راسخة لأنها مستمدة من عزة الله وعزة الرسول والإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

إن بث مثل هذه المبادئ وغرسها في نفوس المتربين تورثهم الشجاعة والثقة بالنفس وعلو الهمة والتطلع إلى كل ما هو أرقى وأسمى.

ثانياً- تعلم الأحكام الفقهية:

تعلم بعض الأحكام الفقهية يعد من الأمور التي تعني بها التربية الإسلامية نظراً للآثار المحمودة والإيجابية لهذا النوع من التربية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما جاء في مجال النهي عن مُبادأة اليهود والنصارى بالسلام في قوله ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ ...» وجواز التسليم على أهل مجلس فيه أخلاط من المسلمين وغيرهم كما في حديث أسامة أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ.

*ولتعلم الفقه وتدريسه أهداف عدة لعل من أهمها ما يلي:

أ-تزويد الطلاب بالمعلومات الصحيحة عن العبادات والمعاملات والأخلاق التي هي موضوعات الفقه، أي إكسابهم المعرفة الصحيحة عن هذه الموضوعات.

ب-تصحيح ما لا يكون صحيحاً من معرفة الطلاب حول عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم.

ج-العمل بناءً على تلك المعرفة الصحيحة، وتطبيقها في مواقف الحياة المناسبة، فليست المعرفة في حد ذاتها هدفاً يتوقف عنده الطالب وإنما الهدف تحول هذه المعرفة إلى عمل وسلوك.

د-أن يحقق الطالب الأهداف الثلاثة السابقة في غيره، أي أن يعمل هذا الطالب على تزويد غيره ممن يتصل بهم أو يتصلون به بالمعرفة الدينية الصحيحة، وعلى تصحيح ما قد يكون خاطئاً لديهم من ذلك، وعلى أن يساعدهم على أن يعملوا بمقتضى هذه المعرفة.

هـ-دراسة الطلاب للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوعات الدراسة الفقهية وفهمها، وهنا يتحقق الربط المنشود بين فرع الفقه والفروع الأخرى من فروع التربية الإسلامية كالعقيدة والتفسير والحديث.

و-أن يعاون المعلم طلابه في أن يدركوا أهداف التشريع الإسلامي والمصالح الفردية والاجتماعية الدنيوية والدينية التي يسعى هذا التشريع إلى تحقيقها وأن ينتقلوا من ذلك إلى إدراك أفضلية التشريع الإسلامي على غيره من التشريعات الوضعية[(١)].

ثالثاً- التربية على أخذ الحيطة والحذر:

إن من المضامين التربوية والتي جاءت في طيات أحاديث الباب تعويد المتربين على الحيطة وأخذ الحذر، وذلك في الأمور عامة، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[(٢)]، ومع المخالفين خاصة كما في حديث أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ». " ففي ذلك إرشاد إلى رد السلام على أهل الكتاب، وذلك بالقول «وعليكم» لما في تحيتهم من أذى للمسلمين فيرد عليهم، فإن أهل الكتاب منهم ماكرون يعبثون بالسلام كما فعل اليهود مع الرسول ﷺ ولذلك اكتفى الرسول ﷺ في الرد عليهم بقوله «وعليكم» ووجه المسلمين إلى ذلك"[(٣)].

إن من أهم ما ينبغي غرسه في النفوس وتُربى عليه أخذ الحيطة فإن "من سعادة العبد أخذ الحيطة واستعمال الأسباب"[(٤)].

رابعاً- الإيجابية، وعدم الانغلاق:

من أهداف التربية الإسلامية تكوين الشخصية المستقيمة الإيجابية المتوازنة التي تؤثر وتتأثر بما ينفعها ويزيد من نضجها وقربها من الكمال.

---

(١) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ص٢٥٧-٢٦١، وآداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٨. بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١٤٢/٢.

(٤) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ص٢٦٩.

ومما يعضد ذلك ما جاء في حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ: فتراءى لنا في الحديث، اجتماع المسلمين بغيرهم وسلام النبي ﷺ ولم يتراءى لنا أن النبي عزل المسلمين عن غيرهم ونهاهم عن مخالطة غيرهم أو لعن أو دعا إلى الانغلاق والانعزال والتقوقع.

إنه من المعلوم أن الإسلام نظم علاقة المسلمين بغيرهم وأن غير المسلمين ما داموا مسالمين للمسلمين لا يناصبوهم العداء ولا يعينون أحداً عليهم فلا مانع من معاملتهم والاستفادة منهم والتعايش السلمي معهم، لأن الرسول ﷺ أراد أن يتعايش مع اليهود في المدينة عند قدومه إليها وكتب ميثاقاً بذلك إلا أن اليهود كعادتهم نقضوا العهود والمواثيق، فكان ما كان من إجلائهم عن المدينة، وإن المسلمين تعايشوا مع النصارى على مر التاريخ، وكان منهم الوزراء والموظفون في الدواوين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

"إن من خصائص التربية الإسلامية الإيجابية، فلا ينطوي المتربي على نفسه ويعتزل المجتمع بل يتفاعل مع أفراده ويؤثر فيه ويصلح ويدعو للخير، وتأتي هذه الإيجابية للتربية الإسلامية من إيجابية الإسلام نفسه، فهو دين إيجابي مؤثر ليس من طبيعته الانكماش والسلبية، وهو يكره العزلة وحجر النفس عن دنيا البشر وعن واقع الحياة في حركتها وفعاليتها ومشكلاتها، بل يدعو للتفاعل مع المجتمع والإصلاح فيه"[2].



(١) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٢) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص١٦١، ١٦٢.

١٣٩- باب استحباب السلام إِذَا قام من المجلس وفارق جلساءه أوْ جليسه

الحديث رقم (٨٧٠)

٨٧٠- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أرَادَ أنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأحَقّ مِنَ الآخِرَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور نشر السلام الذي يوحي بعموم الأمن، وشيوع المحبة، والحديث قائم على أسلوب الشرط الذي يعطي الخبر عموماً مشروطاً بتحقق فعل الشرط كما دل على تعميم الخبر باتصال لفظ (أحد) بكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله: (انتهى..) أي: بلغ المجلس، وهو الفعل المستلزم للجواب، وهو التسليم، والجملة الثانية تضمنت شرطاً آخر يربط إرادة القيام بالتسليم، والتعبير بالإرادة يشير إلى أن يبادر بالتسليم قبل القيام، وجملة (فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأحَقّ مِنَ الآخِرَةِ) تعليلية تتضمن ترغيباً في الفعل، ونفي الأحقية بتسليط النفي على أفعل التفضيل يشير إلى لزوم التسليم في نهاية المجلس كلزومه في أوله، والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد هذا المعنى، وما أجمل أن يبدأ اللقاء بالسلام، ويختمه بالسلام، فيجعله الله سلاماً عليهم جميعاً في الدنيا، والآخرة.

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ٥٢٠٨، والترمذي ٢٧٠٦. وقال المؤلف في الأذكار ص ٢٩٠: سنده جيد. وقال الحافظ ابن حجر في هداية الرواة ١٣٤/٢: سنده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٣.

فقه الحديث

السلام عند مفارقة المجلس: إذا كان جالساً مع قوم ثم قام ليفارقهم فالسنة أن يسلم عليهم(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المجلس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه.

اولاً- من ميادين الدعوة: المجلس:

قد ورد ذكر المجلس في الحديث من قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس"، "والمجلس من الميادين الدعوية التي يكمن فيها الحوار والإقناع وتبادل الأفكار ودحض الحجج والبراهين، فضلاً عن الاتصال المباشر مع المدعوين، فهو من الميادين الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله"(٢). فحري بالدعاة أن يوجهوا الناس إلى استثمار مجالسهم في الدعوة إلى الله تعالى، وأن يحرصوا على الأسلوب الحسن، والرفق مع مراعاة ظروف الناس وأحوالهم.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام:

إن تعزيز علاقة المسلم بأخيه تعني تدعيم وتعزيز أواصر المجتمع الإسلامي، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام وإفشائه في مجالسهم، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم... إلخ".

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٢٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩.

(والسلام مبدأ إسلامي، بل هو من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوسنا فأصبحت جزءً من كياننا، وعقيدة من عقائدنا، وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السلم، ومحبو السلام)[1].

لقد عظم النبي ﷺ شأن السلام وإفشائه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[2].

وقال عمار رضي الله عنه: "ثلاثة من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار"[3].

قال ابن القيم: (وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد)[4].

(وقد ثبت في هدى النبي ﷺ في السلام وهو القدوة والأسوة، أنه كان يبدأ بالسلام من لقيه. وإذا سلم عليه أحد، رد عليه مثل تحيته أو أفضل منها على الفور من غير تأخر إلا لعذر مثل حالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة، وكان يسمع المسلم رده عليه)[5].

وكان من هديه ﷺ أن يسلم ثلاثاً كما في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً)[6].

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، ٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٠.

(٥) المرجع السابق ٢/٤١٩.

(٦) أخرجه البخاري ٩٤، ٩٥.

قال ابن القيم: (ولعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد، أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث، إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع)[١].

وكان هديه ﷺ في ابتداء السلام أن يقول: "السلام عليكم ورحمة الله"، وكان يكره أن يقول المبتدئ: عليك السلام، (قال أبو جُري الهجيمي: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يارسول الله، فقال: "لا تقل عليك السلام"، فإن عليك السلام تحية الموتى)[٢].

وكان ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيسر، فيقول: "السلام عليكم، السلام عليكم"[٣].

وكان ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويُحَمِّلُ السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه، (فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يارسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: "ائْتِ فلاناً، فإنه قد كان تجهز، فمرض، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، يقول أعطني الذي تجهزت به، قال: يافلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبس عنه شيئً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فَيُبَارَك لكِ فيه)[٤].

(وكان ﷺ يتحملّ السلام لمن يُبَلِّغُه إليه، كما تحمل السلام من الله عز وجل على صدِّيقة النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما قال له جبريل: "هذه خديجة قد أتتك بطعام، فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة"[٥])[٦].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٨/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤١).

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٩٧.

(٦) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٦/٢-٤٢٠.

وفي ذلك بيان عظيم على الهدي النبي ﷺ في إفشاء السلام في كل أحواله، مما يدل على أهمية بذل وإفشاء السلام، وضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه:

شرع الإسلام التحية عند اللقاء، وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المدنية الصحيحة؛ إذ أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب، وتقوي الصلات، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان[1].

وهذا ما نص عليه الحديث وحث على القيام به، حيث قال رسول الله ﷺ: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة" وفي بيان ذلك قال الطيبي: "كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى"[2]، وقال ابن عثيمين: "وهذا من كمال الشريعة أنها جعلت المبتدي والمنتهي على حد سواء...،

ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد -النبوي- سلم على النبي ﷺ وإذا خرج سلم عليه أيضاً، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج، بدأ بالطواف، وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف، لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتى بحج أو عمرة ثم سافر، فالشريعة - كما نعلم جميعاً - من لدن حكيم خبير، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]، فتجدها كلها متاسقة متصاحبة، ليس فيها تناقض ولا تفريط، حتى إن الرسول ﷺ نهى أن يمشي الرجل بنعل واحد - ولو لإصلاح الأخرى- لماذا لأنك إذا خصصت إحدى قدميك بالنعل؛

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٥٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩/٢٢.

(٣) سورة هود، آية: ١.

صار ذلك جوراً وعدم عدل، فهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]،[2].

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٥٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حرص الإسلام على توثيق عرى المودة والمحبة بين المسلمين من خلال التزامهم بعدد من الآداب الإسلامية، والتي من جملتها إفشاء السلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على رعاية آداب المجالس:

جاء في حديث الباب التوجيه إلى أدب من آداب المجالس، وهو إلقاء السلام عند حضورها، وكذلك القيام منها، كما جاء في صريح الحديث: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فلَيْسَتِ الأولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». فللمجالس آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها، وورود هذه الآداب في القرآن والسنة دليل على أهميتها، كما أنه لا ينبغي الاقتصار في تعليم آداب المجلس ونحوها على مجرد التلقين بل لابد أن يتعدى ذلك إلى الممارسة العملية، فمهما قام المربي بتوجيه مَنْ يربيه وتعليمه آداب المجالس، فإنه بحاجة إلى المشاركة الإيجابية، وتعلم آداب الاستماع والاستيعاب والكلام، إن وُجدَ له مُبررٌ وكان موضوعياً، ومن ثَمَّ فإن الفرد بحاجة إلى أن يُوضع أمام التجربة العملية، فلن يكفي البناء المعرفي المجرد.

لذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ﷺ بل ويقتربون منه، ولم يُعد ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يُعينُ على التربية على آداب المجالس تدارسها والتعرف عليها والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الطالب ولو مع زملائه وأقرانه، فتراعي فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكاً وسمتاً لهم لا يحتاجون إلى تَكَلُّفِهِ.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب، فلابد حينئذ من تصحيح ذلك، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك[1].

---

(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٦١، ١٦٢.

ثانياً- التربية بالإقناع العقلي:

من الأساليب التربوية والتعليمية الرئيسة التربية بالإقناع العقلي، وقد استخدمه النبي ﷺ في حديث الباب في بيان أهمية السلام عند القيام من المجلس وأنه لا يقل عن السلام عند الدخول، فقال ﷺ: "فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة"، إذ أن التسليمة الأولى عند ابتداء اللقاء إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند الحضور، وكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند غيبته عنهم، ولعل سلامتهم منه، وهو معهم أهون من سلامتهم منه وهو بعيد عنهم، فالثانية أَوْلَى من الأولى"[1]، ولعل الإنسان إذا رأى ذلك وعرضه على عقله يتبين له أهمية السلام عند المفارقة كأهميته عند اللقاء.

إن الإقناع هو أسلوب من أساليب التربية الإسلامية بل والتربية بصفة عامة، ويقصد به استخدام المنطق العقلي، وتقديم الأدلة والبراهين على الدعوة وعدم اللجوء إلى المغالطة، وعدم الاعتماد على الهوى أو ما شابه ذلك.

فما أحرى بالآباء والمعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات، وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها، وأن يوجهونهم للتفكير السليم، ومن الملاحظ أن البعض لا يقيمون وزناً لتفكير أبنائهم أو مَنْ يعلمونهم وكأنهم لا عقول لهم أو كأن تفكيرهم دائماً عاجزٌ قاصرٌ ضعيفٌ، فيجب الاهتمام بتنمية عقول الأبناء وتعويدهم على التفكير السليم"[2].



---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩، وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم الهلالي ٢/١٤٣.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٦، ١٢٧.

١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُم الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[النور: ٥٩].

الحديث رقم (٨٧١)

٨٧١- عن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإنْ أُذِنَ لَكَ وَإلاَّ فَارْجِعْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول تقرير بعض الآداب الاجتماعية التي تشير إلى رعاية الإسلام لجميع جوانب الحياة الإنسانية، وهو أدب الاستئذان الذي يحترم خصوصيات الناس، وعدم هتك سترهم، لأنه يوغر الصدور، ويشعل العدواة، والبغضاء بين الناس، والحديث يقرر ضرورة الاستئذان، ويبيِّن كيفيته في إيجاز شديد، ووضوح تام، وقوله (الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ)، فيه إيجاز أي ثلاث مرات وقوله: (فَإنْ أُذِنَ لَكَ وَإلاَّ فَارْجِعْ) أسلوب شرط يعطي الحق لصاحب الدار في الإذن، أو عدمه، وهذه الجملة تضمنت أسلوبي شرط، الأول حذف منه الجواب: فَإنْ أُذِنَ لك فأدخل، والثاني: حذف منه فعل الشرط لدلالة السابق عليه تقديره وَإن لم يؤذن لك فَارْجِعْ) حيث رتب في الأولى الدخول على الإذن، وفي الثانية رتب الرجوع على عدم الإذن، والمتذوق لعبارة الرسول ﷺ في إيجازها، وكثافة معانيها يجد أن بناءها يقوم على تضمين هذه الكلمات القليلة معاني كثيرة تصل إلى كل العقول، وتؤدي المعنى في سلاسة، ويسر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٥٣/٣٤.

فقه الحديث

١-الاستئذان لدخول البيوت:

أ-المكان المراد دخوله: إن من يريد دخول بيت من البيوت، فإن ذلك البيت لا يخلو من أن يكون بيته أو بيت غيره، فإن كان بيته فإنه لا يخلو من أن يكون خالياً لا ساكن فيه غيره. أو تكون فيه زوجته وليس معها غيرها، أو معها بعض محارمه كأخته وبنته وأمه ونحو ذلك.

فإن كان البيت بيته ولا ساكن فيه غيره، فإنه يدخل بغير استئذان أحد، لأن الإذن له، واستئذان الشخص نفسه ضرب من العبث الذي تتنزه عنه الشريعة.

أما إذا كان في بيته زوجته، وليس معها غيرها، فإنه لا يجب عليه الاستئذان للدخول، لأنه يحلّ له أن ينظر إلى سائر جسدها، ولكنه يندب له الإذن بدخوله بنحو التنحنح وطرق النعل ونحو ذلك، لأنها ربما كانت على حالة لا تريد أن يراها زوجها عليها.

وإن كان في بيته أحد محارمه كأمه أو أخته أو نحو ذلك ممن لا يصلح له أن يراه عرياناً من رجل أو امرأة، فلا يحلّ له أن يدخل عليه بغير استئذان عند الحنفية والمالكية، ويكون الاستئذان عندهم في هذه الحالة واجباً لا يجوز تركه.

وأجاز الشافعية للرجل أن يدخل على محارمه الذين يسكنون معه بغير استئذان، ولكن عليه أن يشعرهم بدخوله بنحو تنحنح وطرق نعل ونحو ذلك ليستتر العريان. وإن كان البيت غير بيته وأراد الدخول إليه، فعليه الاستئذان، ولا يحل له الدخول قبل الإذن بالاتفاق، سواء أكان باب البيت مفتوحًا أو مغلقًا، وسواء أكان فيه ساكن أم لم يكن.

ب-الشخص المستأذن: إن من يريد الدخول إما أن يكون صغيراً غير مميز أو صغيراً أو كبيراً، والمراد بالتمييز هنا: القدرة على وصف العورات.

أما الكبير فإنه لا يحلّ له الدخول بغير استئذان وإذن. وأما الصغير المميز فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب أمره بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي

هي مظنة كشف العورات، لأن العادة جرت بتخفف الناس فيها من الثياب، ولا حرج عليه في ترك الاستئذان في غير هذه الأوقات الثلاثة.

ج-صيغة الاستئذان: يكون الاستئذان -في الأصل- باللفظ، وقد ينوب عنه غيره، والصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن: "السلام عليكم أأدخل؟" مقدماً السلام. وقال بعض المالكية ومنهم ابن رشد يبدأ بالاستئذان لا بالسلام ثم يسلم. ويقوم قرع الباب مقام الاستئذان باللفظ، سواء أكان الباب مغلقاً أم مفتوحاً. كما يقوم مقامه التنحنح. ويقوم مقام اللفظ المأثور كل ما تعارفه الناس من ألفاظ الاستئذان، غير أن المالكية نصُّوا على كراهة الاستئذان بالذكر لما فيه من جعل اسم الله آلة(١).

٢-الاستئذان ثلاثاً: إذا استأذن على إنسان متحقق أنه لم يسمع الاستئذان، فله أن يكرر الاستئذان حتى يسمعه. أما إذا استأذن عليه فظن أنه لم يسمع، فقد ذهب الجمهور إلى أن السنة ألا يكرر الاستئذان أكثر من ثلاث مرات. وقال مالك: له أن يزيد على الثلاث حتى يتحقق سماعه. وحكى النووي قولاً ثالثاً وهو أنه إن كان بلفظ السلام المشروع لم يعده، وإن كان بغيره أعاده(٢).

---

(١) لمزيد من التفصيل: انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/١٤٥-١٥٠ ومصادرها، مثل: حاشة ابن عابدين ٢/٥٣١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/١٢٥، وأحكام القرآن، الجصاص ٢/٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/١٨٦ وما بعدها، والشرح الصغير ٤/٧٦٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/١٩٩، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧/٢٧٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٤/١٣٨، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢/٢٤١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/١٥٩، وغذاء الألباب ١/٣٠٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/١٥٠ ومصادرها ومراجعها.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان.

ثانياً: من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان:

(إن الاستئذان من آداب الإسلام التي يكون بها حفظ الحرمات، وستر العورات، ورفع الحرج عن المستأذن والمستأذنِ عليه، فضلاً عن شيوع جو الأمان في المجتمع، فيأمن كلٌّ عدم اقتحام بيته إلا بإذنه)[٢]، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ وأمر به في نص الحديثين في قوله "الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع" وفي قوله "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

والاستئذان: (يعني طلب الإذن، والإذن: من أذن بالشيء إذناً بمعنى أباحه، وعلى هذا فإن الاستئذان هو طلب الإباحة، والفقهاء يستعملون الاستئذان بهذا المعنى، فيقولون: "الاستئذان لدخول البيوت" ويعنون به طلب إباحة دخولها للمستأذن)[٣].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستئذان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[٤]. قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدّب الله بها عباده

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٢).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٩٥/٢.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ١١٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٤/٣.

(٤) سورة النور، آية: ٢٧-٢٨.

المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده)[١].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾[٢] أي تستعلموا وتستكشفوا الحال. هل يراد دخولكم أم لا؟ من "الاستئناس" وهو الاستعلام. من "آنس الشيء" إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً. أو المعنى: حتى يؤذن لكم فتستأنسوا. من "الاستئناس" الذي هو خلاف الاستيحاش. لما أن المستأذن مستوحش من خفاء الحال عليه. فيكون عبر بالشيء عما هو لازم له، مجازاً أو استعارة. وجوّز أن يكون من "الإنس" والمعنى: حتى تعلموا هل فيها إنسان؟ "وتسلموا على أهلها" أي ليؤمنهم عما يوحشهم "ذلكم" أي الاستئذان والتسليم"خير لكم" أي من الدخول بغتة "لعلكم تذكرون" أي فتتعظوا وتعملوا بموجبه "فإن لم تجدوا فيها أحداً" أي من الآذنين "فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم" أي واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم. ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها، ولكم فيها حاجة، فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها.

قال الزمخشري: وذلك لأن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها. ولأنه تصرف في ملك غيرك. فلابد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب)[٣].

ومن أجل ذلك أكد النبي ﷺ على أهمية مراعاة آداب الاستئذان، فعن عطاء بن يسار ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٥/١٢/٧.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا. أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا))[١]. وقد ورد في آثار الصحابة رضوان الله عليهم ما يؤكد على أهمية الاستئذان.

فعن علقمة قال: ((جاء رجل إلى عبد الله قال أستأذن على أمي فقال ما على كل أحيانها تحب أن تراها))[٢] وعن مسلم بن نذير قال: ((سأل رجل حذيفة فقال أستأذن على أمي فقال إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره))، وفي رواية: ما يسوؤك[٣].

وعن عطاء قال: ((سألت ابن عباس فقلت أستأذن على أختي فقال: نعم فأعدت فقلت أختان في حجري وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما قال نعم أتحب أن تراهما عريانتين، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾[٤] قال فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٥] قال ابن عباس: فالإذن واجب على الناس كلهم))[٦].

ثانياً- من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان:

من الملاحظ في نص الحديث الأول أن للاستئذان آداباً يجب مراعاتها وهي على النحو التالي:

أن يستأذن المرء ثلاثاً، وذلك لقوله ﷺ "الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع".

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٤٠٦٢. قال ابن عبدالبر: وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجهٍ صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه، التمهيد ٣٦/٢٣، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١٠).

(٤) سورة النور، آية: ٥٨.

(٥) سورة النور، آية: ٥٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١١).

وفي هذا الحديث قصة ذكرها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: ((كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثاً فلم يُؤْذَنَ لي فرَجَعت، وقال رسولُ الله ﷺ: إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فليَرْجع. فقال: والله لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيُّ بن كعب: واللّهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك))[1].

قال ابن حجر: (واختلف في حكمة الثلاث، فروى ابن أبي شيبة من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأولى إعلام، والثانية مؤامرة، والثالثة عزمة، إما أن يؤذن له وإما أن يرد. قلت: ويؤخذ من صنيع أبي موسى حيث ذكر اسمه أولاً وكنيته ثانياً ونسبته ثالثاً، أن الأولى هي الأصل، والثانية إذا جوز أن يكون التبس على من استأذن عليه والثالثة إذا غلب على ظنه أنه عرفه)[2].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ الثلاث بالذكر، لأن الغالب أن الكلام إذا كُرِّر ثلاثاً سُمِع وفُهم (ولذلك كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثاً)[3]. وإذا كان الغالبُ هذا، فإذا لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عذر لا يمكنه قطعه. فينبغي للمستأذن أن ينصرف، لأن الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل، وربما يضرُّه الإلحاح حتى ينقطع عما كان مشتغلاً به، كما قال النبي ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه حين استأذن عليه، فخرج مستعجلاً فقال: ((لعلَّنا أعجلناك))[4])[5].

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٠، ومسلم ٣٤٥، ٨٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤٧٤-٤٧٥.

ومن آداب الاستئذان الواردة في نص الحديث، الرجوع عند عدم الإذن، ولذلك لقوله ﷺ "فإن أذن لك وإلا فارجع" وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[(١)] قال ابن كثير: (أي إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده، "فارجعوا هو أزكى لكم" أي: رجوعكم أزكى لكم وأطهر، "والله بما تعملون عليم" وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذنَ على بعض إخواني، فيقول لي: "ارجع"، فأرجع وأنا مغتبط لقوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[(٢)])[(٣)].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: "وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا"[(٤)] أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع، سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أو لا، كالنساء والولدان، فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان. لأن هذا مما يجلب الكراهة في قلوب الناس. ولذا قال تعالى: "هو" أي الرجوع "أزكى لكم" أي أطهر مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب، من دنس الدناءة، وأنمى لمحبتكم.

قال الزمخشري: وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة، وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس)[(٥)].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات:

(لقد خصص الله تعالى الناس بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) سورة النور، آية: ٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١/٦.

(٤) سورة النور، آية: ٢٨.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٦/١٢/٧.

يلجوها بغير إذن أربابها، لئلا يهتكوا أستارهم، ويبلوا في أخبارهم)[١]، وما ذلك إلا لحفظ الحرمات وستر العورات، وهذا ما يستفاد من الحديث الأول في الالتزام بالاستئذان، ومن قوله ﷺ في الحديث الثاني "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

وقد روى سهل بن سعد الساعدي هذا الحديث، حيث اطّلع رجل في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مِدْرى[٢] يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْتَظِرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))[٣]، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في ((أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ بَعْض حُجَرِ النَّبِي ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ[٤]، أَوْ مَشَاقِصَ وَجَعَلَ يَخْتِلُهُ لِيَطْعَنَهُ))[٥].

قال محمد تقي العثماني: (يعني أن الاستئذان إنما شرع لوقاية صاحب البيت عن نظر الأجانب فلو استأذن الرجل صاحب البيت، وهو يشاهد ما في بيوتهن فإن الاستئذان لا معنى له حينئذٍ)[٦].

(فالاستئذان لابدّ منه، لأن دخول منزل الغير تصرُّف في ملكه، ولا يجوز بغير إذنه؛ لأنه يطلع منه على ما لا يجوز الاطلاع عليه من عورات البيوت، فكانت هذه المصلحة في أعلى رتبة المصالح الحاجيَّة)[٧].

وقد أخرج أبو داود عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاء وَجْهِهِ وَلَكِن مِنْ رُكْنِهِ الأيْمَنِ أَوْ الأيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلاَمُ

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٣٥٨/٣.

(٢) مِدْرى: سنان من حديد. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٤/١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦ واللفظ لمسلم.

(٤) المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً. و"يختل" أي يطعنه وهو غافل. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٢٤٢، ومسلم ٢١٥٧.

(٦) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٢٠٦/١٠.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٧٤/٥.

عَلَيْكُم، السَّلَامُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمِئِذٍ سُتُورٌ))[1].

وعن هذيل قال: ((جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن، فقام على الباب، فقال النبي ﷺ: هَكَذَا عَنْكَ هنا -أَوْ هَكَذَا-، فَإِنَّمَا الاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ))[2].

وفي ذلك بيان على أهمية الاستئذان من أجل ستر العورات وحفظ الحرمات، وهذا ما أكده السلف الصالح. فعن عكرمة، أن نفراً من أهل العراق قالوا: ((يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هذِهِ الآيَةِ الَّتي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللّه تَعَالَى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾. قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ إلى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]. قال: إِنَّ اللّه حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ، وكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ وَلا حِجَالٌ فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُم اللّه بِالاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُم اللّه بِالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ))[4].

---

(١) أخرجه ابو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٣١٨).

(٢) أخرجه ابو داود ٥١٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٣١٠).

(٣) سورة النور، آية: ٥٨.

(٤) أخرجه ابو داود ٥١٩٢، وقال الألباني حديث حسن الإسناد موقوف (صحيح سنن ابي داود ٤٣٢٤).

الحديث رقم (٨٧٢)

٨٧٢- وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أجْلِ البَصَرِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

حرص الإسلام على صيانة الإنسان في دينه، وعرضه ومال، ودمه، كما حرص على صيانته من الكلمة، والنظرة، وغيرها، وهذا الحديث يبين العلة التي من أجلها شرع الاستئذان حتى يعلم المسلم غرضه، ولا يتعداه، حتى لا يطلق بصره، في بيوت الناس فهو اعتداء على الخصوصيات، وكشف للعورات، وهو ما لا يرضاه الله لعباده فشرع الاستئذان في الدخول، لأجل أن لا يقع النظر على عورة أهل البيت، ولئلا يطلع على أحوالهم، وقد صاغ المعنى في جملة القصر الخاطفة، لقصر شرع الاستئذان على غرض منع النظر، وقد جاء القصر ب (إنما) التي تأتي في المعنى الذي لا ينكره المخاطب، ولا يجهله كأنه يقول إنه من الوضوح بحيث لا يجهله أحد كأنه تعريض بالمخاطب لتجاوزه ما لا ينبغي تجاوزه عند طلب الاستئذان بالنظر إلى من في البيت.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦/٤٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٧٣)

٨٧٣- وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بيتٍ، فَقَالَ: أَأَلِج؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ لِخَادِمِهِ: ((اُخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمهُ الاسْتِئذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟)) فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فدخلَ. رواه أَبُو داود[(١)] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

الصحابي الذي روى هذا الحديث لم نعثر له على ترجمة في مظانها، فلم نجده في المبهمين من الصحابة في أسد الغابة والإصابة. ولم نعثر عليه كذلك في المبهمين من الصحابة الذين روى عنهم رِبْعي بن حراش، ولم يذكره المزي فيمن روى عنه ربعي بن حراش عندما ترجم له في تهذيب الكمال (٢/٤٥٥)، وكذلك الحافظ في تهذيب التهذيب (١/٥٨٨).

وربعي بن حراش تابعي ثقة، وهو: ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبدالله بن بجاد العبسيُّ، أبو مريم، الكوفيُّ، قدم الشام، وسمع خطبة عمر بالجابية.

روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وهو تابعي ثقة، من خيار الناس ومن عباد الكوفة، لم يكذب كذبة قط، كان له ابنان عاصيان على الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. قال: قدعفونا عنهما بصدقك.

واختلف في سنة وفاته فقيل: مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقيل: مات سنة ١٠٠ وقيل سنة ١٠١، وقيل: سنة ١٠٤[(٢)].

---

(١) برقم ٥١٧٧. قال البوصيري في مختصر إتحاف السادة ٧/٢٦٣: رواه مسدد، وأبوبكر بن أبي شيبة، والنسائي في عمل اليوم والليلة بسند رواته ثقات، وأبو داود في سننه عن مسدد، فذكره دون قوله: أدخل فدخلتُ، إلى آخره.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢/٤٥٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١/٥٨٨-٥٨٩.

وقد أخرج الإمام أحمد هذا الحديث الذي بصدده مطولاً[(١)]، وفيه بعد قصة الاستئذان: ((فقلت: بم أتيتنا به؟ قال ﷺ: لم آتكم إلا بخير، أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تدعوا اللات والعزى وأن تُصلُّوا بالليل والنهار خمس صلوات. وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من أموال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم ...)) الحديث.

ملحوظة: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦١/٢) الحديث (٨١٩) إنه [أي الصحابي راوي هذا الحديث] يحتمل أن يكون كلدة بن الحنبل راوي الحديث المتقدم [٨١٨][(٢)].

قلنا: وهذا بعيد جدًا، فإن راوي هذا الحديث من بني عامر، وكلدة جُمحي، كما أن كتب التراجم لم تذكر أن ربعي بن حراش من الرواة عن كلدة.

غريب الألفاظ:

أألج: أأدخل[(٣)].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول موقفاً عملياً تعليمياً في أدب الاستئذان يقوم على الحوار يحكيه أحد طرفي الحوار مما يجعله أكثر دقة في بيان تفاصيله، وقوله: (أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ) أي طلب الإذن، وهذا إجمال للحدث قصَّ تفاصيله بعده، بقوله: (أألج؟) والتعبير بالولوج فيه تعمق في المدخول فيه كما أن في مصدره دلالة على إدخال شيء فيما ليس منه، ففي التعبير به شيء من جفاء، وقول الرسول ﷺ (أخرج إلى هذا) يشير إلى أنه لم يأذن له بالدخول، وقوله: (فعلمه) يشير إلى عدم رضاه عن طريقته في الاستئذان، وقوله: (فقل

---

(١) المسند ٢٣١٢٧/٢٨.

(٢) في الأصل المطبوع: صفوان بن أمية، وهذا خطأ، فإن راوي الحديث هو كلدة بن الحنبل، لا صفوان، وهو الحديث المذكور في الرياض بعد هذا الحديث رقم ٨٧٤.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢٠٣.

له) أمر إرشاد، وتوجيه إلى ما ينبغي عند طلب الإذن من البدء بالسلام ثم طلب الدخول، ومن الملاحظ أنه استخدم (أأدخل؟) ومادة الدخول فيها ترفق، وهوادة في التقدم نحو الشيء، وقوله فسمعه الرجل فقال، يشير إلى سرعة استجابته لرسول الله ﷺ، وتتابع الفاءات في الجملة بعده دليل على أنه سار إلى الصواب الذي وجّه إليه مع دلتها على سرعة استجابة الرسول ﷺ بإدخاله، والحديث تطبيق عملي لمبدأ الاستئذان الصحيح مع ما يشير إليه من دروس تربوية، وأخلاقية.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة لمن أراد الاستئذان أن يسلِّم ثم يستأذن، فيقوم عند باب البيت بحيث لا ينظر إلى من في داخله، ثم يقول السلام عليكم أأدخل؟ أو نحو هذا فإن لم يجبه أحد قال ذلك ثانيًا وثالثًا، فإن لم يجبه أحد انصرف، وذلك لحديثي الباب. وهذا الذي ذكرناه من تقديم السلام على الاستئذان هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان.

ثالثاً: من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

إن التعليم من أعظم الوسائل التي يكون بها ارتقاء الأمة الإسلامية وعلو شأنها، وقد أعلن الإسلام منذ فجر دعوته عن أهمية التعليم وعظم شأنه، فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٩/٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٤).

بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لرفع الجهل عنهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وهذا ما ورد في الحديثين من تعليم النبي ﷺ كيفية الاستئذان، وذلك في قوله ﷺ لخادمه: ((اخْرُجْ إِلَى هذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُم أَأَدْخُلُ؟)). وهذا يدل على حرصه ﷺ على تعليم الجاهل وانتهاز الفرص لذلك[3]، وهذا ما حدث مع كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حينما قال: أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

قال أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيَ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ. ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله ذهبَ الرجالُ بحديثكَ، فاجعلْ لنا من نفسكَ يوماً نأتيكَ فيه تُعلمنا مما علمكَ الله. فقال: اجتمعنَ في يومِ كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن؛ فأتاهنَّ رسولُ الله ﷺ فعلمهنَّ مما علمه الله... إلخ))[5].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ،

---

(١) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٠.

(٤) اخرجه مسلم ٨٧٦.

(٥) اخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٢٦٣٣.

التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَلَمَّا قُبِضَ، قُلْنَا: السَّلاَمُ، يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ))[1].

(فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في تعليم الناس أحكام دينهم، وأن يعرفهم بحدود ربهم ولا يكتفي منهم بالعاطفة الطيبة. كما لا يكتفي بإلقاء البذرة في الأرض دون تعهدها بالتقشيب والسقي وغير ذلك، ويختلف أسلوب التربية باختلاف حال المدعو. فقد يكون كافراً يدعى إلى الإسلام أول مرة، وهذا يبدأ به من العقيدة، مع بيان فساد عقيدته السابقة، ومن ثم التدرج به في الدعوة...، وإن كان مسلماً غير مستقيم السيرة، يذكر ويوعظ وتعالج نقطة الضعف فيه)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان:

لقد أكد الحديثان على أهمية إفشاء السلام والاستئذان كآداب إسلامية عالية عظيمة، (فالإنسان بطبيعته يألف غيره من الناس، ويحرص على مخالطتهم، وعن طريق هذه الألفة، وهذه المخالطة، يتم التعاون بين الناس على قضاء المصالح في أقرب وقت وبأقل جهد. وقد شرع الإسلام لتنظيم هذه العلاقات مناهج من شأنها أن تقوي هذه الروابط، وتشد من أزرها، وتبعد عنها، ما من شأنه أن يضعف منها، ومن هذه المناهج التي رسمها الإسلام)[3] أدب إفشاء السلام والاستئذان ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له، قل السلام عليكم أأدخل، وأيضاً من قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل".

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥، ٧٦.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٣.

وقد عظم الإسلام شأن إفشاء السلام لما فيه من تأليف القلوب، وتقوية الصلات، فقال النبي ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[١].

(فقد أقسم النبي ﷺ في هذا الحديث بمن نفسه بيده وهو: الله سبحانه على أن إفشاء السلام سبيل التحاب، وإيثار هذه الصيغة في القسم، زيادة تأكيد لصدقه ﷺ فيما أقسم عليه، وبيان لعظمة المقسَم به وسلطانه على المقسم)[٢].

أما الاستئذان فهو من أخلاق الإسلام الفاضلة، التي اهتم بها النبي ﷺ في بيانها اهتماماً عظيماً، لما فيه من ستر العورات وحماية الحرمات، وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الأمر وتربوا عليه، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول الراوي: "فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((استأذن عمر على النبي ﷺ فقال: السلام على رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر))[٣].

وفي ذلك بيان على الصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن "السلام عليكم، أأدخل؟" وهذا ما ورد في نص الحديث.

ثالثاً- من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله:

إن مما أكّد عليه نص الحديث، أهمية قيام الداعية بتصحيح تصرفات المدعو، وعلاج ما بها من أخطاء، مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ، وهذا ما ظهر جلياً في الحديثين من تصحيحه ﷺ لفعل الرجل الذي استأذن عليه - وهو من بني عامر- وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٥، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٧).

السلام عليكم، أأدخل؟" وتصحيحه ﷺ لفعل كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حين دخل عليه دون أن يسلم ويستأذن، وذلك في قوله ﷺ "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، فعلى الداعية أن يتعهد المدعوين بذلك متمثلاً بالنبي ﷺ في تصحيحه لأخطاء المدعوين وتعليمهم ما جهلوا، وفي بيان ذلك، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ المسجدَ، فدخلَ رجُلٌ فصلَّى، فسلَّم عَلَى النبيِّ ﷺ فردَّ وقال: ارجعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ، فرَجَعَ يُصلِّي كما صلَّى، ثم جاءَ فسلَّم عَلَى النبيِّ ﷺ، فقال: ارجعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ (ثلاثاً). فقال: والذي بَعثكَ بالحقِّ ما أُحسِنُ غيرَه، فعلِّمني: فقال: إِذا قُمتَ إلى الصلاةِ فكبِّرْ، ثمَّ اقرأْ ما تَيسَّرَ معَك منَ القرآنِ، ثمَّ اركعْ حتى تطمئنَّ راكعاً، ثمَّ ارفعْ حتى تَعدلَ قائماً، ثمَّ اسجُدْ حتى تطمئنَّ ساجداً، ثمَّ ارفعْ حتى تطمئنَّ جالساً، وافعلْ ذٰلكَ في صَلاتِكَ كلِّها))[1]، قال ابن حجر: (وفي الحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن التعليم بغير تعنيف، وإيضاح المسألة)[2]. وفي ذلك بيان على ضرورة أن يقتدي الداعية بالنبي ﷺ في تصحيحه لتصرفات المدعوين وتعليمهم ما خفي عليهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على توجيه المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما استعمله النبي ﷺ في قوله لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم ..." في توجيه وحمل من دخل عليه ﷺ دون أن يسلم ويستئذن في قوله "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟".

وأسلوب الأمر أسلوب دعوي كثير الاستخدام في القرآن والسنة، فعلى الداعية أن يستخدمه مما يفيد دعوته، ويجعل المدعوين يقبلون أمره، ولا يعرضون عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٢٧-٣٢٨.

الحديث رقم (٨٧٤)

٨٧٤- عن كِلْدَةَ بن الحَنْبل ﷺ، قَالَ: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أأدْخُل؟)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

كِلْدَةَ بن الحنبل: هو كِلْدةُ بن الحنبل الجمحي ويقال: كلَدة بن عبدالله بن الحنبل، وهو وأخوه عبدالرحمن بن حنبل صحابيان. جاء أبوهما من اليمن إلى مكة وعاش بها.

له اتصال شديد بصفوان بن أمية فقيل: إنه أخوه لأمه. وقيل إنه ابن أخيه لأمه. وقيل غير ذلك.

كان يلازم صفوان في حلّه وترحاله، لا يفارقه في سفر ولا حضر. شهد وهو مشرك مع صفوان غزوة حنين، وحين وقعت الهزيمة بالمسلمين أول المعركة قال: بطل السحر. فزجره صفوان.

وهو الذي بعثه صفوان إلى النبي ﷺ بهدايا يوم فتح مكة، فبعثه بِلِبأ وجَدابة وضغابيس[٢]، فدخل على النبي ﷺ ولم يستأذن ولم يسلم، فأمره النبي ﷺ بالرجوع والاستئذان كما في الحديث المشروح.

وقد أسلم بإسلام صفوان بن أمية وظلّ بمكة إلى أن توفي بها. وليس له إلا هذا الحديث الواحد[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٧٦، والترمذي ٢٧١٠ ولفظهما سواء، إلا أنَّ عند الترمذي زيادة: (ولم أستأذن) وليست عند أبي داود، كما أن قوله: (أأدخل) لا يوجد كذلك عند أبي داود.

(٢) اللِّبأ - بوزن عنب - اللبن أول ما يحلب عند الولادة. وجدابة -بفتح الجيم وكسرها- ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر من أولاد الظباء ذكراً كان أو أنثى. والضغابيس: صغار القثاء. انظر: حاشية السندي على مسند أحمد ١٥٣/٢٤.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٦٨/٤-٤٦٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٣٢-١١٣٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٣/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٣/٣-٤٧٤.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث كونه تطبيقاً عملياً، وترسيخاً لمبدأ الاستئذان، ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا في الجاهلية على خلافه يقتحمون المجالس، ويتعدون علي الحريات، فقوَّم الإسلام هذا الخطأ، ووجههم قولاً، وعملاً إلى هذا الأدب العالي، وقول الرجل (أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ) يشير إلى موطن الخطأ من ناحية عدم الاستئذان التي تشير إليها الفاء التي عطف بها الدخول على الإتيان، ومن ناحية عدم التسليم التي دلت عليها أداة النفي الداخلة على الفعل المضارع في قوله (ولم أسلم)، وقول النبي ﷺ: له (ارجع) أمر تنبيه وتعليم للوقوف على موضع الخطأ تمهيداً لتصحيحه، وقوله (فقل السلام عليكم) بيان لصواب المسألة وقوله (أأدخل) تقرير لسبق السلام لطلب الإذن، وحرص الرسول ﷺ على الاستئذان، وعدم السماح بتخطيه يشير إلى أهميته في الحفاظ على أسرار بيوت المسلمين، وحفظ صدورهم مما يمكن أن يغيِّرها على إخوانهم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: سبق الإسلام الحضارات الحديثة في مراعاته لحرمة البيوت وساكنيها، فلا دخول إلا بإذن مع التأكد من الأنس، والانصراف حال الاعتذار، مع النص على خيرية الرجوع في هذه الحالة، ومن الآداب التربية ما يلي:

أولاً- التربية على تعلم آداب الاستئذان:

إن أول أدب ينبغي أن يتربى عليه ويفعله الإنسان أدب دخول البيوت وأماكن الدراسة، وغير ذلك من الأماكن الخاصة بالآخرين مما يستوجب حسن الاستئذان واللطف فيه وعدم الإلحاح في الدخول.

وقد حفلت أحاديث الباب بباقة من آداب الاستئذان منها:

أ-الاستئذان ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف "وهذا تنظيم يحفظ للبيوت حرمتها، وللإنسان كرامته"[(١)]. كما في حديث أبي موسى الأشعري: "الاستئذان ثلاث: فإن أذن لك وإلا فارجع".

ب-السلام مع الاستئذان كما في قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، ففي ذلك بيان للاستئذان المسنون والمحافظة على الآداب وتذكير الناس بها والحفاظ على حرمات الناس من أن تُكشف، وعلى شعورهم من أن يجرح.

إن التربية الإسلامية لم تغفل الآداب التي يجب أن يسير عليها المسلمون، وجميعها آداب تَنُمُّ عن كمالٍ في الذوق وسمو في الشعور والتي منها الاستئذان والسلام، وهما اليوم من الخلال التي تعد من مميزات أهل المدينة فتراهم يحرصون عليها ولا يتسامحون فيهما، والإسلام قد سنهما لأهله منذ أجيال كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(٢)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

وفي ذلك تربية على حفظ حرمات البيوت وعدم دخولها إلا بعلم من أهلها وإذن، لذا ينبغي تربية المتعلمين والناشئة على ألا يدخلوا بيوتاً ليست لهم إلا بعد أن يطلبوا الإذن من ساكنيها ويُسمح لهم بالدخول، وبعد أن يلقوا تحية السلام على ساكنيها، فإن لم يجدوا في هذه البيوت أحداً فلا يدخلوها حتى يجيء مَنْ يُسْمح لهم به، وإن لم يسمح لهم وطُلِب منهم الرجوع فليرجعوا فإن ذلك أطهر لنفوسهم والله مُطلع على أحوالهم.

هذا أحد آداب التربية الإسلامية وأهم معالمها، وهذه من الأدلة على أن التربية الإسلامية لم تغفل أية ناحية ترقي الأمة وتهذب من أخلاقها إلا وحَضَّت عليها"[1].

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل في تلاميذه:

إن المعلم الناجح والمربي الحاذق هو الذي "يطبع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك، وهي جميعها مستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة"[2].

ومن تلك الفضائل ما تضمنته أحاديث الباب واحتوته من الإرشاد والتربية على مظاهر احترام الآخرين والحفاظ على حرماتهم وتقدير مشاعرها، ومن هذه المظاهر الاستئذان والتحية كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

إن من أهداف التربية الإسلامية، ومن مهام المربي الفاضل، والبيت المسلم أن يغرس في نفوس المتربين والناشئة منذ طفولتهم الباكرة الإيمان الصحيح والسلوك الإسلامي الرشيد ويربيهم على حب الفضائل وبغض الرذائل، ويرشدهم إلى الخير ويباعد بينهم وبين الشر وهو الذي يمدهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها ويعملون على هداها"[3].

ولن يكتب للمربي النجاح في مهمته العظيمة هذه إلا من كان سليم التصور الإسلامي صحيح العقيدة رفيع التربية أُشْرِب أصولها وفروعها من القرآن العزيز

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٢٢٤، ٢٢٥، آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢-٧٦.

(٢) انظر: التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، ط/٢، دار المعارف، مصر: ١٩٧٥م، ص١٣.

(٣) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٦م، ص١٨.

والسنة المطهرة"[1].

ثالثاً- الاستجابة للنقد البنّاء والتوجيه:

"من الأمور التي يجب أن يتحلى بها المتعلم أن يتقبل من معلمه النقد والتوجيه برضا ورحابة صدر، وألا يكون من النوع الذي يصر على أخطائه أو أن تأخذه العزة بالإثم"[2].

وتلك أهم سمات طالب العلم، وقد جاء في الحديث أنموذج مضيء لأحد الصحابة رضي الله عنهم الذين أمرهم النبي ﷺ بإحسان الاستئذان والسلام فاستجاب استجابة مطلقة لتوجيه سيد المربين ﷺ، ونرى ذلك واضحًا جلياً في حديث ربعي بن حراش قال حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل"، وكذلك في استجابة كلدة بن الحنبل عندما دخل بغير تسليم فقال له النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

إن الاستجابة العملية والمطلقة لتوجيه المعلم دليل على رغبة جادة في التعلم وتغيير السلوكيات الخاطئة والتطلع إلى السمو والارتقاء الأخلاقي، ودليل على اصطباغ المتربي بالتواضع للمعلمين والمربين، وقد ساق لنا الإمام الغزالي هذه المعاني في بيان وظائف المتعلم فقال: "أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، فلا يُنَال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]. ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعمل فاهماً ثم لا تعينه القدرة على

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٤.

(٢) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص٥٥.

(٣) سورة ق، آية: ٣٧.

الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة، وليكن المتعلم لمعلمه كأرض دَمِثَة نالت مطراً غزيراً فشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله"(١).

رابعاً- التربية عن طريق تصحيح الأخطاء بالتدريب العملي:

إن التدريب العملي والتجارب العملية في تدريب المتربين وتهذيب أخلاقهم وتصحيح أخطائهم له أكبر الأثر في العملية التربوية والتعليمية، فبه يمكن للمتربي أن تتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب الذي شمل التربية عن طريق التلقين والتلقي المعرفي كما اشتمل أيضاً على التربية بتصحيح الأخطاء والتدريب على ذلك عملياً كما في حديث ربعي بن حراش رضي الله عنه وكذلك حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أأدخل". فإن التدريب العملي أدعى للعلم الصحيح والعمل البناء الموجه والطريقة السليمة في العملية التربوية.

إنه كثيراً ما يطلب من المتربين، خاصة الصغير منهم، القيام بأعمال لم يسبق له عملها أو شاهد مَنْ عملها، لذلك يبقى في جهل، فإذا طلب منه العمل، وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح، فإذا عوقب على خطئه هذا كان ظلماً وحيفاً.

وإن رسول الله ﷺ عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد -كما نرى في أحاديث الباب- لا يلبث أن يفهم المتربي بالطريقة العملية، ويُريه كيف يحسن العمل، وفي هذا تعليم للوالدين والمربين، وأي تعليم، وسار الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك يعلمون الكبار والصغار والرجال والنساء بالتدريب العملي الواقعي والمشاهدة الحسية.

فليكن هذا شعار المربين والوالدين في تعاملهم مع أطفالهم(٢).

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١/٨٤-٨٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤، وص١٦٧، ١٦٨.

"إن المعلم الناجح هو الذي لا يهتم بإنهاء المقرر فحسب، وإنما يتأكد من مدى استفادة الطلبة من المعلومات عملياً، ويغرس في نفوس طلبته في كل درس خُلُقاً جديداً ومهارة وخبرة وعلماً، فلا ينتقل من درس إلى آخر حتى يرى أثر درسه الأول واضحاً في نفوس طلبته، وذلك يكشف مدى نجاح المعلم في عمله كما أنه يهدف إلى تثبيت المعلومات في نفوس الطلبة بشكل جيد ويعمق مدى فهمهم لها، وذلك ما يثبتها في عقولهم ويزيد من أهميتها في نظرهم"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجال التربويّ والتعليمي، ما يلي:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"، ولا شك أن تعليل الأفعال -إن اقتضى الأمر ذلك-يدفع المتعلم إلى مزيد من الامتثال ومزيد من الاستجابة، فهو قد عرف المصلحة من وراء الفعل المأمور به والمرغب فيه، وكذلك المفسدة من وراء الفعل المنهي عنه والمرهب منه. فيجعله هذا يزداد اقتناعًا ويزداد فهمًا ووعيًا لما يفعل ويعمل.

ب-التلقين: كما في حديث الصحابي من بني عامر أنّه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيتٍ فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان. فقل: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فَأذِن له النبي ﷺ فَدخَل.

وكما في حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: ارجع فقل السلام عليكم أأدخل؟

ولا شكّ أن التلقين قد يستخدمه المعلم في بيان الصحيح من الأقوال والأفعال كما يستخدمه في تلقين المعارف التي تعتمد على الحفظ.



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي خان، ص٢٣٧، ٢٣٨.

١٤١- باب بيان أنَّ السنة إِذَا قيل للمستأذن: من أنت؟

أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: (أنا) ونحوها

الحديث رقم (٨٧٥)

٨٧٥- وعن أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ثُمَّ صَعَدَ بي جبْريلُ إلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْريلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، ثُمَّ صَعَدَ إلَى السَّمَاء الثَّانيَةِ فاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْريل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابعَةِ وَسَائِرِهنَّ وَيُقَالُ في بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث مقتضب من حديث الإسراء فيه بيان عملي لكيفية رد المستأذن بذكر اسمه الصريح دون الضمير (أنا) الذي لا يكشف عن ماهية المستأذن، وإضافة السماء للدنيا إضافة بيان، وتخصيص، وهي الأقرب إلينا، وقوله (فاستفتح) الهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب، فكل فعل اتصلت به هذه الحروف دلت على طلبه فمعناه: طلب الفتح، وقوله: (فقِيلَ: مَنْ هذَا؟) عدم ذكر الفاعل للعلم به، وهم ملائكة هذه السماء، و(من) يستفهم بها عن العاقل، واسم الإشارة يعود على المستفتح (فقال جبريل) عبر باسمه الظاهر دون الضمير (أنا) أو (نحن) وقولهم (، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ،) الاستفهام هنا عن المصاحب؛ لأنهم لا يفتحون إلا لمن أمرهم الله أن يفتحوا له (قال محمد) باسمه الظاهر أيضاً، وقوله (ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاء) التعبير ب (ثم) يشير إلى فترة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٠٧، ومسلم ١٦٢/٢٥٩.

زمنية قضاها الرسول ﷺ، وصاحبه في هذه السماء طواها في الحديث، ودل عليها باستخدام هذا الحرف، ثم حكى الموقف بالتفاصيل نفسها عند كل سماء يجيب باسمه الصريح، حتى يستطيع المستأذن أن يتعرف عليه وهو بيان عملي لكيفية رد المستأذن.

فقه الحديث

ذكر المستأذن اسمه إذا قيل له: من أنت؟ أو من بالباب؟: إذا استأذن فقال له صاحب البيت: من بالباب؟ أو نحو ذلك فعليه أن يذكر اسمه فيقول: فلان أو يقول أيدخل فلان؟ أو نحو ذلك، ويكره له أن يقول: أنا، لأنه لم يحصل بقوله "أنا" فائدة ولا زيادة إيضاح بل الإبهام باق[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج:

إن الإسراء هي الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، وقد كان (في تفضيله ﷺ بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة، والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى، وما رأى من آيات ربه الكبرى: ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، مما نبه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض، والشرح الصغير ٧٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٩٤/١٥، وغذاء الألباب ٢١٥/١، ٢١٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٢/٣.

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٢] فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواصٌ نبينا محمد ﷺ فيه أحاديث كثيرة منتشرة)[٣]، منها ما ورد في نص الحديث قول أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء: قال رسول الله ﷺ "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا... إلخ".

وفي بيان ما كان من الإسراء، قال ابن كثير في قوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤] (إنه تعالى يمجد نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره "الذي أسرى بعبده" يعني محمداً، صلوات الله وسلامه عليه "ليلاً" أي في جنح الليل "من المسجد الحرام" وهو مسجد مكة "إلى المسجد الأقصى" وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمّهم في محلهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)[٥].

(وقد أراد الله عز وجل في معجزة الإسراء والمعراج، أن يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستناداً عليه، إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة، ويهاجمون سلطانه القديم)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة النجم، آية: ١٨.

(٣) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٢٣/١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٥.

(٦) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٣٣.

(فلقد عانى رسول الله ﷺ ألواناً كثيرة من المحن التي لاقاها من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف. ولقد ظهر في دعائه الذي ناجى به ربّه بعد أن جلس يستريح في بستان ابني ربيعة، ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وذلك هو مظهر عبودية الإنسان لله تعالى. وظهر في التجائه ذلك شيء من معنى الشكاة إليه سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته، ولعله خشي أن يكون الذي يلاقيه إنما هو بسبب غضب من الله عليه لأمر ما. ولذلك كان من جملة دعائه قوله: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أُبالي)[1].

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريماً من الله تعالى له، وتجديداً لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقيه عليه الصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلّى عنه، أو أنه قد غضب عليه، وإنما هي سنّة الله مع محبيه ومحبوبيه. وهي سنّة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن.

وقد كان في الاقتران الزمني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضاً على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله عليهما الصلاة والسلام، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي ابتعثهم الله عز وجل به.

وفيه دلالة على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت، من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة، وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمي هذا العصر أن لا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة، وأن يطهروها من رجسهم، ويعيدوها إلى أصحابها المؤمنين[2].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٦٨/٢.

(٢) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ١٦٦-١٦٧.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى:

لقد فضل الله بعض النبيين على بعض، وفضل جبريل على الملائكة، فهو أمين الوحي تنزّل به على رسل الله عليهم السلام ولقد ورد ذكر جبريل عليه السلام ومكانته في هذا الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم "ثم صعد بي جبريل إلى السماء" وفي بيان فضل جبريل ومكانته عند الله، قال ابن حجر: (فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس وبأنه الروح الأمين وبأنه الرسول الكريم ذي قوة مكين مطاع أمين)[1]، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[2].

قال ابن كثير: (يعني: إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي:ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام...، وفي قوله "عند ذي العرش مكين" أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، ...، وفي قوله "مطاع ثم" أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وقوله "أمين": صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[3])[4]، وفي ذلك بيان لفضل جبريل عليه السلام ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ظهر أسلوب السؤال والجواب في الحديث من سؤال أهل السماء لجبريل عندما استفتح عليهم فقالوا له: من هذا؟ فقال:جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد... إلخ" حيث أفاد السؤال والجواب أن يسمي المستأذن نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية حتى يتسنى للمستأذن عليه معرفة شخصه. والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٤/٦.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩-٢١.

(٣) سورة التكوير، آية: ٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٨/٨-٢٣٩.

المهمة، مما يحسن تطبيقه في التعليم، أو التأليف، أو الخطابة، أو المحاضرات والندوات، لأنه أدعى إلى شد انتباه الحاضرين، وترسيخ المعلومات وعدم نسيانها. فضلاً عن (وضع المدعوين في حالة استعداد فكريّ ونفسيٍّ لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1].

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

الحديث رقم (٨٧٦)

٨٧٦- وعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإذَا رسول الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أمْشِي فِي ظلِّ القمرِ، فَالْتَفَتَ فَرآني، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فقلتُ: أَبُو ذَرٍّ. الحديث متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ظلّ القمر: في المكان الذي ليس للقمر فيه ضوء ليخفي شخصه[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر طريقة رد المستأذن يرويه أبو ذر رضي الله عنه صاحب الموقف، وقوله (خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي) فيه جناس بين ليلة، وليالي يؤكد ظرف الحدث، وقوله (من اليالي) إبهام لليلة، وقوله (فَإذَا رسول الله ﷺ) يشير إلى أنه لم يتوقع رؤيته، وأنها كانت مفاجأة له، وقوله: (يَمْشِي وَحْدَهُ) يشير إلى أنه ظن أن الرسول ﷺ يريد أن يبقى منفرداً، وقوله (فَجَعَلْتُ أمْشِي) يوحي بالتخفي، ويؤكده قوله: (فِي ظلِّ القمرِ) أي المكان الذي ليس فيه ضوء القمر ليخفي شخصه، واستمر يمشى لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه قوله (فالتفت فرآني) الفاء تشير إلى سرعة تتابع الحدثين الالتفات، والرؤية، والفعل التفت يوحي بالمفاجأة (فَقَالَ: (مَنْ هَذَا؟) استفهام قد يكون على حقيقته كأنه رأى شخصه، ولم يتميز له، وقد يكون للإيناس والتلطف، وذكر أبي ذر رضي الله عنه لاسمه الظاهر يرجح الأول، ويبين كيفية الرد على المستفهم عن الاسم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٣، ومسلم ٩٤/٣٣ بعد الحديث رقم ٩٩١ ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله.

ثالثاً: من صفات الداعية: اليقظة والحذر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه:

لقد نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين شرف لقاء النبي ﷺ فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه، وكان من ذلك حرصهم رضي الله عنهم على متابعته ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من فعل أبي ذر رضي الله عنه عندما رأى النبي ﷺ يمشي وحده فقال: فجعلت أمشي في ظل القمر، قال ابن حجر: (وإنما استمر يمشي لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه)[1]، وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في متابعة النبي ﷺ والخوف عليه من أن يصيبه مكروه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي... إلخ))[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ٣١.

قال النووي: (وقوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر، وإما بغيره)[١].

وعندما (سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك- زيد بن الدَّثِنة ﵁ حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه، وقد كان أسيراً عندهم: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي!

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)[٢].

(وقال سعد بن معاذ ﵁ للنبي ﷺ يوم بدر: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولوظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير)[٣].

وقال ابن هشام: (قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك. فقالت: خرجت أول النهار وأن أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي. قالت: فرأيت على

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٥٠٥-٥٠٦.

(٣) المرجع السابق ٥/٨٣.

عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناسٌ ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان)[1].

(وقد تترس أبو دجانة رضي الله عنه يوم أحد دون رسول الله ﷺ بنفسه، يقع النبل على ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل)[2].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والذب عنه والخوف من أن يصيبه مكروه، فعلى الأمة الإسلامية أن تقتدي بصحابة رسول الله ﷺ في نصرته (وذلك بنصرة سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم وإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق، ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير سوادهم وإعانتهم على أمورهم، وقمع أعدائهم. ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق إلا برفع علم الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، فضلاً عن الجهاد في سبيل الله، وتطبيق شرعه المحكم في دق الأمور وجلها)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله:

إن مما يشحذ الإيمان في القلوب، ويدعم الوجدان الديني لدى المؤمن، هو التدبر في آيات الله والتفكر في سننه وآلائه الكونية، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي ذر رضي الله عنه: "فجعلت أمشي في ظل القمر".

(والقمر هو آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، وقد حث القرآن

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٣/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٩/٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٢/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤١٠/٥.

(٣) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ٨٢-٨٣.

الكريم على أن يعمل الإنسان عقله وفكره، وكل ما وهب الله له عز وجل من حواس بغية الوصول إلى كمال الإيمان به جل وعلا)[١].

فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[٣].

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤].

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[٥].

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[٦].

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٧].

وقد شبه الحق تبارك وتعالى كل من لا يستخدم عقله وحواسه في التدبر والتفكر في آياته وآلائه، بالأنعام بل وأضل منهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

(١) انظر: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين ص ٦٦.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠١.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) سورة ق، آية: ٦.

(٦) سورة سبأ، آية: ٩.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[(١)].

ولقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في التفكر في آيات الله والتدبر في سننه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٢)] ثم قام فتوضَّأ واستَنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أَذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[(٣)].

فعلى المرء أن يمعن التدبر والتأمل في آيات الله وسننه، فيزداد إيمانه ويتأكد يقينه بربه، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من صفات الداعية: اليقظة والحذر:

ويستفاد ذلك جلياً من قوله ﷺ "من هذا؟" فقلت: أبو ذر. وقد أمر الحق تبارك وتعالى باليقظة واتحاذ الحذر فقال: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[(٤)] (فينبغي للداعية أن يكون حذراً فطناً، لا سيما إذا كان في مجتمع لا يأمن كيده أو بعض أفراده، فربما يكون الحذر في مثل هذه الحال واجباً، ولا يليق به التغافل والتساهل في مجتمع لا يأمن كيده لأن ذلك إلقاء بالنفس إلى التهلكة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٥)]...، فعلى الداعية أن يكون حذراً متوقياً لما قد يحاك ضده من المكائد، وذلك دليل الكياسة والنباهة والفطنة)[(٦)].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٦٩، ومسلم ٧٦٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٦) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، دار القاسم، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ص ٦٠.

الحديث رقم (٨٧٧)

٨٧٧- وعن أُمِّ هانىءٍ رضي الله عنها ، قالت: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: ((مَنْ هذِهِ؟)) فقلتُ: أنا أُمُّ هَانِىءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ام هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات القصد منه هو لازم هذا الخبر، وهو تقرير طريقة رد المستأذن على من سأله عن شخصه وقوله (من هذه؟) يشير السؤال إلى أنه تبين كونها امرأة، والسؤال ب (من) سؤال عن العاقل، والاستفهام عن ماهيتها، وقولها (أم هانيء) ذكرت الاسم الظاهر الذي يميزها أكمل تمييز، وهذا أحرى أن لا يوقع المخاطب في حيرة فالأمر يستلزم الوضوح حتى لا يفاجأ بمن لا يرغب فيه، وهو احترام للحرية الشخصية.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠ ، ومسلم ٨٢/٣٣٦، كتاب صلاة المسافرين، باب ٣.

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٦٥).

الحديث رقم (٨٧٨)

٨٧٨- وعن جابر ﷺ، قَالَ: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فَقُلْتُ: أنَا، فَقَالَ: ((أنَا، أنَا!)) كَأنَّهُ كَرِهَهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقّوم خطأ الرد على المستفهم، ويرشد إلى الرد السديد وراوي الحديث هوي بطل الحدث، وهو صاحب الخطأ، وقد نقل الموقف بداية بالتعبير ب (أتيت) الدال على التحقق ثم الفعل المتصل بفاء التعقيب (دققت) المضعف الذي يحكي بتضعيفه قوة القبضة، وصوت الدق، وتعريف الباب بلام العهد للإشارة إلى الباب المعهود للرسول ﷺ لأحد بيوته، وقول الرسول ﷺ (من هذا) سؤال محدد المقصود بيِّن المراد قول الراوي (فقلت أنا) عرَّف نفسه بالضمير غير معروف المرجع، لأنه مجهول بالنسبة لمن في الدار، فلا يفي بغرض التعريف، ولا يجيب عن السؤال لذلك جاء قوله (أنا أنا !) كررها للإنكار عليه - كما قال الطيبي - أي قولك أنا مكروه فلا تعد، والثاني تأكيد كأنه كرهها أي كلمة أنا؛ فإنه لم يستأذن بالسلام، بل بالدق، أو لأن قوله (من هذا؟) استكشاف للإبهام، وقوله (أنا) لم يزل به الإشكال، والإبهام؛ لأنه بيان عند المشاهدة لا عند الغيبة، وكان حق الجواب أن يقول: جابر، أو أنا جابر.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٥٠، ومسلم ٢١٥٥/٣٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الإتيان إلى النبي ﷺ كي يعينهم على نوائب الدهر، ويزيدهم من فضله، وهذا ما ورد في نص الحديث من قول جابر ﷺ "أتيت النبي ﷺ"، (وقد بين أبو داود في روايته أنه ﷺ ذهب إلى النبي ﷺ في دين أبيه)[1]، وهذا ما بينه البخاري من حديث عامر قال: ((حدثني جابر ﷺ أنَّ أباهُ تُوفِّي وعليهِ دَينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنَّ أبي تَرَكَ عليه ديناً، وليس عندي إلاّ ما يُخرِجُ نَخلهُ ولا يَبلُغُ ما يُخرجُ سنينَ ما عليه، فانطلقْ معي لكَيْ لا يُفحِشَ عليَّ الغُرماء. فمشى حولَ بيدرٍ من بَيادرِ التمرِ فدَعا، ثمَّ آخَرَ، ثمَّ جلسَ عليهِ فقال: انزِعوهُ، فأوفاهم الذي لهم، وبَقيَ مثلُ ما أعطاهم))[2].

قال ابن حجر: (وقوله "وليس عندي إلا ما يخرج نخله" يعني أنه لم يترك مالاً إلا البستان المذكور، والبيدر بفتح الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب...، وفي الحديث علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل، إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٨٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨٦-٦٨٨.

وفي تأكيد حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان للنبي ﷺ والاستزادة من فضله وخيره، قال عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ أبا عُبيدةَ بن الجرّاح إلى البحرَين يأتي بجِزْيتها، فقَدِمَ أبو عبيدةَ بمالٍ منَ البحرَين، فسمِعَتِ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة فوافقَت صلاةَ الفجرَ معَ النبيِّ ﷺ، فلما صلى بهم الفَجرَ انصرفَ، فتعرَّضوا لهُ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ رآهم وقال: أظنُّكم قد سمعتم أنَّ أبا عبيدةَ قد جاء بشيء من البحرين، قالوا: أجل يا رسولَ اللهِ، قال: فأبشِروا وأمِّلوا ما يسرُّكم))[1].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس:

إن مما يؤكد عليه نص الحديث هو تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، تحقيقاً للألفة ودفعاً لما يكون سبباً للفرقة والتنافر والتعدي على حقوق الآخرين، وهذا ما أكده نص الحديث في أهمية الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت الغير، وظهر ذلك من استئذان جابر رضي الله عنه على النبي ﷺ في الدخول، وذلك من قوله "فدققت الباب" فعلى المدعو أن يمتثل في ذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2] قال ابن العربي: (مد الله سبحانه وتعالى التحريم في دخول بيت ليس هو بيتك إلى غاية هي الاستئناس، وهو الاستئذان، قال ابن وهب: قال مالك: الاستئناس فيما نرى والله أعلم: الاستئذان، وكذا في قراءة أبي وابن عباس وسعيد بن جبير: "حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها")[3] وقال السعدي: في قوله تعالى "ذلكم خير لكم" (أي الاستئذان المذكور "خير لكم لعلكم تذكرون" لاشتماله على عدة مصالح وهو من مكارم الأخلاق

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١٢٥٨/٣-١٢٥٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٨/١٥.

الواجبة، فإن أذن دخل المستأذن)[1].

وفي بيان آداب الاستئذان قال عبدالله بن بسر: ((كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِن مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوْ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم، السَّلاَمُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ))[2]، وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فليَرْجع))[3] ومن آداب الاستئذان ألا يدق المستأذن الباب بعنف، لما في ذلك من سوء الأدب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر))[4] قال ابن حجر: (وهذا محمول منهم على المبالغة في الأدب، وهو حسن لمن قرب محله من بابه، أما من بعد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر، فيستحب أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه)[5]. فعلى المدعو أن يتأدب بآداب الاستئذان استجابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد هذ الأسلوب في الحديث من سؤال النبي ﷺ لمن يستأذن عليه في قوله ﷺ "من هذا؟"، ومن إجابة المستأذن بقوله "أنا" حيث أفاد الأسلوب أهمية أن يعرف المستأذن نفسه بما يزيل الإبهام، حتى يعلم به المستأذن عليه.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان:

إن من آداب الاستئذان التي أشار إليها الحديث، أن يعرف المستأذن نفسه للمستأذن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥١٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٤).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/١١.

عليه بما يزيل الإبهام عن شخصه، وهذا ما أكد عليه الحديث من كراهة النبي ﷺ لقول جابر "أنا" عند قول النبي ﷺ "من هذا"، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال الخطابي: قوله "أنا" لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعمله، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه)[1]، وقال النووي: (قال العلماء: إذا استأذن فقيل له: من أنت أو من هذا كره أن يقول أنا، لهذا الحديث، ولانه لم يحصل بقوله أنا فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول فلان باسمه...، ولا بأس بقوله: أنا أبو فلان أو الشيخ فلان إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه)[2]، فينبغي أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند استئذانه على الغير.

---

(١) المرجع السابق ١١/٣٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يهدف الاستئذان في الإسلام إلى غايات شتى منها: العلم بالقادم، استعداد أو عدم استعداد من استأذن عليهم، الشعور بالإذن وعدم الإذن، فإذا سئل المستأذن عن اسمه أو أجاب بما هو غير محدد له فقد خالف المراد من مشروعية الاستئذان، ولهذا وردت أمور تربوية في أحاديث هذا الباب نذكر منها:

أولاً- القدوة:

من أظهر أساليب التربية: التربية بالقدوة، وهي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها "ولها أكبر الأثر في بناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي، فالقدوة الصالحة هي من أنجح أساليب التربية ووسائلها في بناء الشخصية الإسلامية خصوصاً في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدى بها أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسِّيَر الصالحة التي يسمعها"(١).

وقد ورد أسلوب القدوة مبثوثاً في أحاديث الباب وطياته، كما في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، وذكر استئذان جبريل، كما في قوله ﷺ: "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك..." وكذلك في حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: "أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ".

"وإذا كان للقدوة الدور الأكبر في التربية والتوجيه لمختلف فئات المجتمع، فإن هذا الدور يزداد أهمية في تربيته الناشئة وتوجيههم وتكمن الأهمية في أسباب أهمها:

أ-أن مستوى الفهم عند الأطفال قليل، ولذلك تكون رؤيتهم لما يُفْعَل أوقع في نفوسهم.

ب-أن القدوة الحسنة تقرب البعيد، وتوحي بأن المستحيل والصعب -في نظر

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٧٧.

الأطفال- قد يكون ممكناً بدليل أن غيرهم قد فعله وشاهد الأطفال ذلك بأعينهم.

ج-أن الطفل بحكم ضعفه يلجأ إلى الكبار مثل والديه وإخوته ومعلميه لحمايته، فيقلدهم من منطلق العادة، فالضعيف غالباً ما يقلد القوي في أفعاله.

د-أن الطفل يحب تقليد الأشياء التي يستحسنها.

هـ-أن الطفل يحب تقليد من يعجب بهم من الناس، سواء أكانوا أقارب أم جيران أم غير ذلك[1].

"ومن هنا كانت التوصية دائماً بأن يكون المعلم مثالاً طيباً أمام تلاميذه في هندامه، وفي حديثه، وفي حركته وفي سكناته، وفي وقوفه، وجلوسه، فهم يتشربون منه كل تصرفاته ولو بدون شعور، وكذلك الحال بالنسبة للآباء والأمهات إذ أنهم أول قدوة أمام الإنسان منذ طفولته، يتعلم منهم العادات والسلوكيات، ويقوم بتقليدهم في كثير من الأمور، فبصفة عامة يجب على المربي أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به حيث يربي على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وفعله وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسوا به في كل سلوكياته وأخلاقه"[2].

ثانياً- الوضوح والابتعاد عن الإبهام والغموض:

إن من خصائص التربية الإسلامية وسماتها التي لا تنفك عنها، الوضوح والبعد عن أساليب الغموض واللبس والإبهام، وذلك في كل شيء كان في التلقين والبناء المعرفي أم كان ذلك في السلوك والتطبيق العملي، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من سلوك جبريل عليه السلام بذكر اسمه والإفصاح عن شخصيته لما استأذن وطُلِب منه التعريف بنفسه "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد"، وكذلك في تعريف أبي ذر رضي الله عنه بنفسه وكذلك أم هانئ رضي الله عنها، كما نرى إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على جابر ابن عبدالله رضي الله عنه عندما تلفظ بكلمة عامة لا تفصح عن شخصية صاحبها، فعنه رضي الله عنه قال

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٤٨/٢.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٥.

أتيت النبي ﷺ، فدَقَقت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت أنا، فقال أنا أنا. كأنه كرهها"، إذ أنه "لم يحصل بجوابه "أنا" سوى زيادة الإبهام"(١).

لذا ينبغي أن يكون الوضوح منحاه وسمته الملازمة له في التربية والتعليم، إذ أن التربية إذا لم تتضح معالمها ولم تبرز مضامينها شق على المتربي التواصل مع معلمه ومربيه وباءت العملية التربوية بالفشل.

إن التربية الإسلامية تميزت عن غيرها بالوضوح والظهور، وإنما استمدت التربية هذا الوضوح من رسالة الإسلام المتميزة "بوضوحها في أصولها وقواعدها ومصادرها وأهدافها ومناهجها ووسائلها، كما يتمثل هذا الوضوح في كل أوامرها وأحكامها"(٢).

ثالثاً- الحيطة والحذر:

إن مما ينبغي مراعاته في التربية بل في جميع مناحي الحياة أخذ الحيطة والحذر خاصة إذا ما خشي الإنسان من التهلكة أو الانجرار إلى مفسدة.

ويمكن لنا أن يترائى ذلك المضمون في أثناء أحاديث الباب حيث أرشدت إلى الاستئذان والتعريف الصريح والإفصاح عن شخصية المستأذن والإجابة إذا سُئِل عن ذلك كما هو واضح في حديث الإسراء "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل..."، وكذلك حديث أم هانئ رضي الله عنها "فقال من هذه؟ فقالت: أنا أم هانئ" وتظهر صورة أخذ الحذر بصورة أشد في حديث أبي ذر رضي الله عنه، فقال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتَفَتَ فرآني فقال من هذا؟ فقلت: أبو ذر..." حيث كان أبو ذر رضي الله عنه يمشي في ظل القمر، وذلك مما "يجعل للإنسان تبين شخصية هذا السائر في ظل القمر فالتفت النبي ﷺ فرآه فسأله عن نفسه، وفي ذلك الإرشاد إلى التعرف على السائر والمتواجد في الأماكن المظلمة أو النائية خوفاً من أن يكون من

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار، ص١٩٤.

الأعداء والاحتراز من الأعداء ما أمكن"[1].

واتخاذ الحيطة والحذر إنما هو ناشئ عن حاجة الإنسان وتطلعه للأمن، فهو حاجة كل كائن إنساني، إذ أن كل إنسان يسعى إلى الطمأنينة والأمن والشعور بعدم التهديد.

إن الإحساس والشعور بالأمن له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية والتعليمية، إذ أن افتقاد المتربي لإشباع حاجته من الأمن يثير عنده بعض الاضطرابات والقلق"[2].



(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ص٩٥-٩٧.

١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إِذَا حمد الله تَعَالَى وكراهة تشميته إذا لَمْ يحمد الله تَعَالَى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

الحديث رقم (٨٧٩)

٨٧٩- عن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإنَّ أحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التشويق المفضي إلى ترسيخ المعاني، حيث تقدمته لافتة قصيرة تخبر بمحبة الله لشيء، وكرهه لشيء، وهما من الأفعال التي يأتيها الإنسان، وتعلق الفعل بالله يجعل المؤمن في قمة اليقظة، وقد تصدره التوكيد بأكثر من مؤكد تبيهاً إلى أهمية الخبر، أو لكون الخبر فيه غرابة من بعض الوجوه التي لم يعرفها المخاطبون، وبين قوله يحب، ويكره طباق يقرر المرضي عند الله، ويوضح المكروه ترغيباً للمؤمن في محبة ما يحب، ورد ما يكره، وبين العطاس، والتثاؤب ما يشبه التضاد من حيث أن أحدهما محبوب، والآخر مكروه، وأسلوب الشرط بعدها يقرر ما يجب على المؤمن تجاه هذا التصرف الفطري، عن طريق فعل الشرط، وما عطف عليه: (فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى) وجواب الشرط الذي يمثل تجاوب المؤمن مع أخيه في كل ما يعرض له، في صورة من صور الإنسانية الرقيقة (كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ

---

(١) برقم ٦٢٢٦.

مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ) بل إنه جعله حقاً لازماً أن يدعو له بهذا الدعاء الحنون بل العجب أنه جعله حقاً عاماً شاملاً على كل من سمعه، وجملة: (يرحمك الله) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية، وقوله (وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ) أما تفصيلية، والمعنى في العبارة مبني على أسلوب القصر الذي يقصر التثاؤب على كونه من الشيطان، مما يقتضي الحذر عنده، ولذلك وضع له الحل عن طريق الشرط (فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ) وقوله (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ) جملة تعليلية تحذر من تلاعب الشيطان بالإنسان، وقوله: (ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ) كناية عن رضاه بما حدث لأنه نال منه ما يريد، ويحتمل أن يكون الضحك على الحقيقة، وهي صورة تجعل الإنسان يفكر ملياً عند إتيان فعل يجعل عدوه ضاحكاً بملأ فيه.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكمين هما حكم العطاس وحكم التثاؤب، فالعطاس من الله عز وجل، وأما التثاؤب فهو من الشيطان، والله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب.

أولاً: حكم تشميت العاطس: اختلف الفقهاء في حكم تشميت العاطس، فذهب الأحناف إلى أن تشميت العاطس واجب إن حمد الله تعالى، ويجب التشميت لمرة واحدة وما زاد على ذلك فمندوب، وقيل يشمت العاطس ثلاث مرات وبعد ذلك هو بالخيار[1].

وذهب المالكية، وهو المذهب عند الحنابلة، إلى أن تشميت العاطس واجب على الكفاية، بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذلك بعد سماع حمده، أما عند الشافعية فإن التشميت سنة[2]. وإذا لم يسمع حمد العاطس فلا يشمته إلا أن يرى

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢/٢٦٩، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٥/٣٢٦.

(٢) الشرح الصغير ٤/٧٦٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/١٢٨، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٣٢٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢/٢٦-٢٧.

تشميت الناس له فيشمته، ويسقط طلب تشميت العاطس بعد ثلاث مرات، ويقول له بعد ذلك عافاك الله إنك لمضنوك. ولا يسقط طلب الحمد عن العاطس ولو بعد ثلاث[١].

أما عن تشميت العاطس وقت الخطبة فقد اختلف الفقهاء في حكمه: فقد ذهب الأحناف إلى كراهة تشميت العاطس، لأن التشميت ليس بفرض فلا يترك الفرض لأجله[٢]. وذهب الشافعية في الوجه الصحيح إلى تحريم تشميت العاطس وقت الخطبة، والوجه الثاني استحباب التشميت، والوجه الثالث يجوز ولايستحب. وحكى الرافعي وجهاً أنه يرد السلام ولا يشمت، لأنه سنة فلا يترك الإنصات الواجب[٣]. وذهب الحنابلة في الرواية الأولى إلى وجوب التشميت فقد فعله غير واحد، ورخص في ذلك: الحسن والشعبي والنخعي والحكم وقتادة والثوري وإسحاق، لأنه واجب فوجب الإتيان به حال الخطبة. والرواية الثانية: إذا سمع الخطبة فلا يشمت وإذا لم يسمع شمت[٤]. وذهب الظاهرية إلى أن تشميت العاطس بعد الحمد وأثناء الخطبة فرض، لأنه الله افترض على المسلم تشميت العاطس[٥].

ومن آداب العاطس: أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك[٦].

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٩٩/٢. وذكر ابن دقيق العيد عن بعض الشافعية أنه قال: يكرر التشميت إذا تكرر العطاس، إلا أن يعرف أنه مزكوم فيدعو له بالشفاء، عند هذا يسقط الأمر بالتشميت عند العلم بالزكام. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٩٢/١.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٤/٤.

(٤) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٦/٢.

(٥) المحلى بالآثار، ابن حزم ٢٦٨/٣.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/١٢-٢٨.

ثانياً: حكم التثاؤب: صرّح العلماء بكراهة التثاؤب، فمن اعتراه ذلك فليكظمه، وليرده قدر الطاقة لقوله ﷺ: "فليردّه ما استطاع"، كأن يطبق شفتيه أو نحو ذلك. فإذا لم يستطع وضع يده على فمه لقوله ﷺ "إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل" ويقوم مقام اليد كل ما يستر الفم كخرقة أو ثوب مما يحصل به المقصود، ثم يخفض صوته ولا يعوي، ويمسك عن التمطي والتلوي الذي يصاحب بعض الناس(1).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعدالعطاس وتشميت الناس للعاطس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في تأكيده ﷺ على حب الله للعطاس، وكرهه تعالى للتثاؤب لكونه من الشيطان، وذلك في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب"، وأيضاً في قوله "فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية للتأكيد على أهمية وتقوية الأمر المدعو إليه لترسيخه في أذهان المدعوين، وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس" لأنه سبب خفة الدماغ وصفاء القوى الإدراكية، فيحمل صاحبه على الطاعة

---

(1) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٣٣/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٥٦/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٤٥/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤١/١٠.

"ويكره التثاؤب" لأنه يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان، وهو المعنى في ضحكه...، وقال القاضي: التثاؤب بالهمز، التنفس الذي يفتح عنه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم، ولذا كرهه الله، وأحبه الشيطان وضحك منه)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه. لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب، وقال ابن العربي: قد بينا أن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته، وأن كل فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك لأنه واسطته، قال: والتثاؤب من الامتلاء، وينشأ عنه التكاسل، وذلك بواسطة الشيطان، والعطاس من تقليل الغذاء وينشأ عنه النشاط وذلك بواسطة الملك. وقال النووي: أضيف التثاؤب إلى الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المآكل)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعد العطاس وتشميت الناس للعاطس:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وفي بيان ذلك قال ابن هبيرة: (إن العطاس يستدعي حمد الله سبحانه وتعالى، والحمد على أثره مشروع، ولأنه دليل على ظهور القوى ونهوضها، وعلى دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)[3].

قال ابن حجر: (نقل ابن بطال عن الطبراني أن العاطس يتخير أن يقول الحمد لله، أو يزيد رب العالمين، أو على كل حال، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزي،

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦٢٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/٢٢٣.

لكنه ما كان أكثر ثناء، أفضل بشرط أن يكون مأثوراً)[١].

وقال النووي: (في كتابه "الأذكار" اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه الحمد لله، ولو قال الحمد رب العالمين لكان أحسن، فلو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل)[٢].

وقال ابن عثيمين: (والعطس يدل على الخفة والنشاط، لهذا كان محبوباً إلى الله، وكان مشروعاً للإنسان إذا عطس أن يقول الحمد لله؛ لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، فيقول: الحمد لله إذا عطس، سواء أكان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكان كان، إلا أن العلماء يقولون: إذا عطس -وهو في الخلاء- فلا يقول بلسانه "الحمد لله"، ولكن يحمد بقلبه؛ لأنهم يقولون -يرحمك الله- إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقاً على كل من سمعه أن يقول له: "يرحمك الله" فيدعو له بالرحمة جزاء له على حمده لله عز وجل، فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانه يدعون له بالرحمة)[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك:

يظهر ذلك جلياً في الحديث من قوله ﷺ "فإذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان"، قال ابن هبيرة: (لأن التثاؤب يوسع على الشيطان طريق ولوجه، فإنه على ما ذكر الشيخ محمد بن يحيى: أنه يدخل الشيطان إلى باطن الآدمي من مجاري النفس؛ لأنه قال: هو جسم لطيف يناسب الجو، فإذا فتح التثاؤب فكي العبد، أوسع طريق دخوله، ويصدق ذلك ما ذكر في الحديث، فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٧/١٠.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٤/٧.

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ "فليرده" ما استطاع" أي يأخذ في أسباب رده)[١] وقال المباركفوري في بيان الحكمة من ذلك: (لأن التثاؤب يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان وهو معنى ضحكه)[٢]. وقال ابن عثيمين ذلك: (...، والشيطان يحب من بني آدم أن يكون كسولاً فتوراً، أعاذنا الله وإياكم منه - ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائماً في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب، فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل وإن لم تقدر فضع يدك على فمك)[٣]، وفي ذلك بيان على ضرورة الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٧/١٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٨/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

الحديث رقم (٨٨٠)

٨٨٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إذَا عَطَسَ احَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ اخُوهُ اَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله. فإذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه قام على أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى؛ لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وأسلوب الحديث يعوِّل على خصيصة نفسية تقوم على التجاوب الحي الفعال بين المسلمين في تبادل للذكر، والكلام الطيب كتبادل أطايب الثمر، فقوله (إذا عطس أحدكم) ولفظ أحد المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يشمل الجميع بالحكم، وجواب الشرط (فليقل الحمد لله)، وهذا الجزء متعلق بالعاطس، والأمر الثاني يتعلق بالسامع (وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله) وتقديم الجار والمجرور للاختصاص، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير بهذه الصلة التي يجب أن تجمع المؤمنين، وما أجمل المفردات التي انطوى عليها الحديث! (الرحمة - الهداية - الصلاح) أمور تحقق السعادة في الدنيا، والآخرة والتعبير بصلاح البال؛ لأنه يعم صلاح حال الإنسان، وصلاح قلبه، فهو يتضمن صلاح الظاهر، والباطن.

---

(١) برقم ٦٢٢٤.

المضامين الدعوية(١)

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانياً: من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامساً: من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه.

سادساً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس.

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

قد ورد أسلوب الشرط في الحديثين من قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تستحضر أذهان المدعوين لمعرفة فعل الشرط وجوابه الوارد في قوله ﷺ "فليقل: الحمد لله" وأيضاً قوله فحمد الله "فشمتوه"، أما الأمر فقد ورد في الحديثين من قوله ﷺ "فليقل" وأيضاً في قوله "فشمتوه" وهو من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على حمل وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه.

ثانياً- من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس:

(إن حمد الله إثر العطاس مشروع، لما فيه من ظهور القوة ونهوضها، فضلاً عن دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)(٢)، وهذا ما أكد نص الأحاديث الثلاثة في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله" وأيضاً في قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه". وفي حديث أنس: تشميته ﷺ لِمَنْ حمد الله، وقال عنه: هذا حمد الله.

قال ابن حجر: (ظاهر الحديث - إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله - يقتضي وجوبه لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه، وأما لفظه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨١، ٨٨٢).

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٣/٧.

فنقل ابن بطال وغيره عن طائفة أنه لا يزيد على الحمد لله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد شرحه، وعن طائفة يقول الحمد الله على كل حال)[(١)] وذلك استناداً لقوله ﷺ ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ الْحَمدُ لله عَلَى كلِّ حَالٍ))[(٢)]، وقال القاضي عياض رضي الله عنه: (اختلف العلماء في كيفية الحمد والرد، واختلفت في ذلك الآثار، فقيل: يقول الحمد لله، وقيل: الحمد لله رب العالمين، وقيل الحمد الله على كل حامل. وخيّره الطبري فيما شاء من ذلك، ولا خلاف أنه مأمور بالحمد)[(٣)].

وقد بيّن الحليمي: (أن الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس، أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لمافيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع)[(٤)].

وهذا ما أكدته الحقائق الطبية في بيان (أن العطاس هو زفير قوي مفاجيء، يخرج مع الهواء بقوة من الرئتين عن طريق الأنف والفم، فيجرف معه في طريقه الغبار والهوام والجراثيم، التي تسربت سابقاً إلى جهاز التنفس... فحق على المرء أن يحمد الله على العطاس)[(٥)].

وقال ابن جمرة: (وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس، يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه، حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٥/١٠.

(٢) اخرجه الترمذي ٢٧٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٠٢).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦١٨/١٠.

(٥) الحقائق الطبية في الإسلام، د. عبدالرزاق الكيلاني ص ١٥٥.

عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله...)[(١)] فيأتي حمد العاطس إقراراً منه على عظيم فضل الله وكرمه له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى:

إن مما أكد عليه نص الأحاديث، "واجتمع عليه العلماء، هو تشميت العاطس إذا حمد الله"[(٢)]، وذلك في الأحاديث من قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله" وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه" وتشميته ﷺ في الحديث الثالث لمن حمد الله وتركه لمن لم يحمد الله وعندما سأله من لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتني فقال: "هذا حمد الله فشمته، وإنك لم تحمد الله" و(التشميتُ -بالشين والسين-: الدعاء بالخير والبركة - والمعجمة أعلاهما- يقال شمت فلاناً، وشمت عليه تشميتاً، فهو مُشَمِّت، واشتقاقُه من الشوامِت وهي القوائم؛ كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى، وقيل: معناه: "أبعدك الله عن الشماتة، وجنبك ما يشمت به عليك")[(٣)].

وقال ابن علان: (شمته: أي دعا له أن يجمع شمله، وقيل من الشماتة وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه، فكأنه إذا حمدالله أدخل على الشيطان ما يسوءه، فشمت هو بالشيطان، وقال أبوبكر بن العربي: تكلم أهل اللغة في اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه وهو بديع؛ وذلك أن العاطس ينحل كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه، فكأنه إذا قيل له: يرحمك الله، كان معناه أعطاك رحمة يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس، ويقيم على حاله من غير تغيير، فإن كان التشميت بالمهملة فمعناه: أرجع كل عضو إلى سمته، الذي كان عليه، وإن كان بالمعجمة فمعناه: صان الله شوامته؛ أي: قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال)[(٤)].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤١/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٥/١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٩١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٠٥-١١٠٦.

وقد بين القاضي عياض: (أن لفظ التشميت يكون بقول: يرحمك الله، وقيل: يقول الحمد لله، يرحمك الله. وقيل: يقول يرحمنا الله وإياكم)[1] وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال ((كان حَقاً على كل مسلمٍ سمعه أنْ يقولَ له يَرحمك الله))[2] وقال ﷺ ((حقُّ المسلم على المسلم خَمسٌ: ثم ذكر ﷺ من ذلك: وتشميتُ العاطِسِ))[3]، وقد بين ابن دقيق العيد حكمة مشروعية التشميت في قوله: (من فوائد التشميت تحصيل المودة، والتأليف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النفس عند الكبر، والحمل على التواضع، لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب، الذي لا يعرى عنه أكثر المكلفين)[4].

وقد أشار الحديث إلى عدم تشميت العاطس إن لم يحمد الله في قوله ﷺ فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه وأيضاً من قول أنس رضي الله عنه "عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، ... إلخ".

قال ابن حجر: (قال النووي: مقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت. قلت: هو منطوقه، لكن هل النهي فيه للتحريم أو للتنزيه؟ الجمهور على الثاني، قال: وأقلُّ الحمد والتشميت أن يُسمع صاحبه، ويؤخذ منه أنه إذا أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت)[5].

وقال النووي: (...، وكذا لو حمد الله تعالى ولم يسمعه الإنسان لا يشمِّته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أن يُشمته من سمعه دون غيره، وحكى ابن العربي خلافاً في تشميت الذين لم يسمعوا الحمد إذا سمعوا تشميت صاحبهم، فقيل يشمته لأنه عرف عطاسه وحمده بتشميت غيره، وقيل لا يشمته لأنه لم

(١) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٢) اخرجه البخاري ٦٢٢٦، ومسلم ٢٩٩٤.

(٣) اخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٦١٨/١٠.

(٥) المرجع السابق ٦٢٦/١٠.

يسمعه)[١]، وقال ابن عثيمين: (وفي هذه الأحاديث دليل على أن من عطس ولم يقل: الحمد لله فإنه لا يقال له: يرحمك الله، لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان: أحدهما قال له النبي ﷺ "يرحمك الله" والثاني لم يقل له ذلك، فقال الثاني: يا رسول الله عطس فلان: فقلت له "يرحمك الله، وعطست فلم تقل لي ذلك؟ قال -أي الرسول الكريم ﷺ: "هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله". وعلى هذا إذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله)[٢]، وقال النووي: (واعلم أنه إذا لم يحمد الله أصلاً يُستحب لمن عنده أن يذكره الحمد، هذا هو المختار، وقد روينا في معالم السنن للخطابي نحوه عن الإمام الجليل إبراهيم النخعي، وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف، والتعاون على البر والتقوى، وقال ابن العربي: لا يفعل هذا وزعم أنه جهل من فاعله. وأخطأ في زعمه، بل الصواب استحبابه لما ذكرناه)[٣].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

(يعد التعليم وبحق من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم)[٤]، وهذا ما ظهر جلياً في الأحاديث الثلاثة من تعليمه ﷺ للصحابة حول ما يقوله المرء إذا عطس، وما يقال له عند تشميته، (ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء)[٥].

والدعاة إلى الله لهم في رسول الله القدوة والأسوة الحسنة، فينبغي عليهم أن يحرصوا على تعليم المدعوين، وخاصة أنهم علموا حقيقته وانشرح صدرهم له.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٦٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٤) وسائل الدعوة مفهومها، مشروعيتها، أنواعها، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٤.

(٥) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥.

والاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء.

ذلك ما يفرضه الحق على أصحابه، ألا يجعلوه حكرًا، وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدًا عن هداه.

ليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار، وإيضاح الخفي، وشرح المبهم، فالعلم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها، لتمتلئ صدروهم بأنفاس الحقيقة الرحبة[١].

خامساً- من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "فقال الذي لم يُشمِّته: عطس فلان فشمَّتَّهُ، وعطست فلم تشمتني؟ ... إلخ" قال ابن حجر: (فيه جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل، ولا سيما إذا كان له في ذلك منفعة)[٢].

وقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على سؤال النبي ﷺ عن كل ما أشكل عليهم، وقد جاءت السنة مستفيضة بذلك، وكان منها، قول عائشة رضي الله عنها: ((سُئل رسولُ الله ﷺ عن البتع فقال: كلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرام))[٣]، (والبتع هو نبيذ العسل وهو شراب أهل اليمن)[٤].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالسؤال والاستفسار عما أشكل على المرء، فقال ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥] قال السعدي: (فهذه الآية وإن كان سببها

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦٠٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٢، ومسلم ٢٠٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنه عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعليم، والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم، والإجابة عما علموا، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[1]، وقد حض النبي ﷺ على ذلك فقال ((ألاَ سَألُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[2] فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح ما أشكل عليه، حتى يكون على بينة من أمر دينه.

سادساً- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس:

هذا ما يجب على المدعو القيام به، لأن الحق تبارك وتعالى أمر بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3] وقال السعدي في ذلك: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه)[4]، فعلى المدعو أن يستجيب لتوجيهات النبي ﷺ في تشميت العاطس.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٨١)

٨٨١- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقولُ: ((إِذَا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فشمتوه: من التشميت: وهو الدعاء للعاطس بالخير كأن يقول له: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

المعنى في هذا الحديث متصل بسابقه مؤكد لجزء كبير من معناه، ويضيف مع الأمر بتشميت العاطس شرط حمد الله، وفعل الشرط هنا في الماضي الدال على التحقق مع قيده (عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ) وجواب الشرط فعل الأمر (فشمتوه) الذي يقتضي الفور، واللزوم، كما أن فعل الشرط للمفرد، وجوابه للجماعة، وفي هذا إشارة إلى تجاوب الجماعة مع الفرد تجاوباً في الصغيرة يشير إلى تمام الاستعداد للتجاوب في الكبيرة مما يحقق التماسك، والتكافل للأمة، ثم عرض الصورة المقابلة لصورة الاحتشاد، والالتفاف حول هذا المؤمن الذي أدى ما عليه من حق لله بذكره، وإتباع لسنة نبيه ﷺ وهي صورة المقصر الذي ترك ذكر الله، وأهمل سنة رسوله عند العطس فأهملته الأمة بنهي الرسول ﷺ (فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ) نهياً عاماً يجعله في الحدث وحده.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٩٩٢/٥٤.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٢)

٨٨٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: ((هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَمَّتَ: دعا له بالخير والبركة بقوله: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث بيان عملي لمعنى الحمد عند العطس، وتشميت العاطس إذا حمد الله يقوم على الحوار الذي يقرر المعنى بطريقة عملية تعطيه وضوحاً في الذهن، وثباتاً مع الزمن، وقد بدأ الحوار إثر حدث اشترك فيه رجلان، وافترق تصرف الرسول ﷺ في التجاوب معهما، وهو موقف يثير علامة استفهام في نفس الرجل فخرجت استفهامة تبحث عما يذهب قلقها، وحيرتها (عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟) وهو استفهام يحمل تعجباً، وحيرة عن سبب إهماله، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتشفي نفسه من الحيرة التي تشتعل فيها، وتبين تقصيره، والسبب الذي حرمه تشميت الرسول ﷺ له، ودعاء الرسول ﷺ له بالرحمة، وهو لا محالة مستجاب، (هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ) واستخدام الإشارة للمدح بتمييزه بفعل الحمد، وذكر لفظ الجلالة في الجملتين لتربية المهابة في وجدان المخاطب.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٥، ومسلم ٢٩٩١/٥٣.

(٢) النهاية والوسيط في (ش م ت).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٠، ٨٨١).

الحديث رقم (٨٨٣)

٨٨٣- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ -أَوْ غَضَّ- بِهَا صَوْتَهُ. شك الراوي. رواه أَبُو داود والترمذي[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الكينونة الماضي رجوع إلى الزمن الجميل عند الجيل الراشد مع معلم الزمان ﷺ ليصور مشهداً من حياته، وصورة من تصرفاته تقتدي بها الأمة في القليل، والكثير في كل زمان، ومكان، وفعله عند العطس صورة من الأدب العالي الذي يراعي مشاعر من حوله، وقد صدر المعنى في صورة الشرط المرتبط بالجواب الذي يدل على أنها صارت عادة عنده، ومن ثم أصبحت سنة لأمته، وتردد الراوي بين اليد أو الثوب، وبين الخفض، أو الغض يشير إلى تحريهم، ودقتهم في إثبات ما تيقن لديهم، ونقل الشك فيما ترددوا فيه خوفاً من أن يقعوا في الكذب على رسول الله بنسبة ما لم يقل إليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس والاقتداء به في ذلك.

ثانياً: من اساليب الدعوة: الإخبار.

اولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس:

لقد بيّن نص الحديث هدي النبي ﷺ في العطاس وذلك من قول الراوي: (كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض - أو غض - بها صوته)،

---

(١) اخرجه أبو داود واللفظ له ٥٠٢٩، والترمذي ٢٧٤٥ والراوي الذي شكّ، هو يحيى. قال ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٢/١٠: إسناده جيدٌ.

وفي بيان ذلك قال المباركفوري: (كان ﷺ إذا عطس "غض" أي خفض "بها" أي: العطسة "صوته" والمعنى لم يرفعه بصيحة)[١]، وقال ابن حجر: "ومن آداب العاطس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه - يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك - قال ابن العربي: الحكمة من خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجاً للأعضاء، وفي تغطية الوجه أن لو بدر منه شيء آذى جليسه، ولو لوى عنقه صيانة لجليسه لم يأمن من الالتواء، وقد شاهدنا من وقع له ذلك"[٢].

وقال ابن عثيمين مؤكداً وموضحاً لذلك: "إنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه على وجهه، قال أهل العلم: وفي ذلك حكمتان: الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع العطاس أمراض تنتشر على من حوله، والحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقذر منه النفوس، فإذا غطى وجهه صار ذلك خيراً، ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك على أنفك، فهذا خطأ؛ لأن هذا يحد من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك"[٣].

ثانياً- من اساليب الدعوة: الإخبار:

هذا ما يظهر جلياً في الحديث من إخبار الراوي بهديه ﷺ في العطاس، حيث أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث أهمية التأسي بالنبي ﷺ في مراعاة آداب العطاس، من وضع اليد أو الثوب على الفم، فضلاً عن خفض الصوت في ذلك، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، بما يحقق عظيم الأثر في تربية النفوس وتهذيبها.

وقد رغّب الحق تعالى في الدعوة إليه والتبليغ عنه فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦١٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٦٢ - ١١٦٣.

﴿إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١]، قال ابن كثير: "أي: دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدٍ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير، وهو في نفسه مهتدٍ"[٢].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/١٧٩.

الحديث رقم (٨٨٤)

٨٨٤- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ ، يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله، فَيَقُولُ: ((يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ(١) ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يتعاطسون: يظهرون العطاس بالإتيان بصوت يشبهه أو يتسببون له بنحو كشف الرأس(٢).

الشرح الأدبي

اليهود أهل مكر ن وخداع يتوارثونه جيلاً بعد جيل يخادعون الله، ورسوله، وهو خادعهم، لا يتخلون عن المكر، والخداع حتى مع أنبياء الله الذي لا يشكُون في نبوتهم، وينزل عليهم الوحي، فهم جهلاء قساة القلوب إذا استطاعوا، وأهل جبن، وخور، واستكانة إذا مُلكوا، وهم أهل بخل، وحرص إذا َملكوا، وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويدل عليه تعبير الراوي بقوله (يَتَعَاطَسُونَ) أي يدعون العطس، وليس بهم، ووزن الفعل على (التفاعل) الذي يدل على التكلف، والتعمل لإتيان فعل العطس خداعاً للرسول ليدعوا لهم إيماناً منهم في قرارة أنفسهم انه رسول مستجاب الدعوة يدل على ذلك قول الراوي (يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله)، ومع ذلك لا يؤمنون بهم كبراً، وعناداً بل ويحاولون خداعه، وهم يعلمون أن الوحي ينزل عليهم فتأمل ذلك التناقض تدرك جانباً من شخصية اليهودي المضطربة المتقلبة في ألوان الشر،

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٢٨ ، والترمذي واللفظ له ٢٧٣٩. وقال الحاكم ٢٦٨/٤ : هذا حديثٌ متصل الإسناد.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

والرسول ﷺ يعلم ما تنطوي عليهم نفوسهم المريضة فيعاملهم بأدبه العالي، وبما يعكس مرادهم فيقول (يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ) دعوة بصلاح عقائدهم من الضلال، والغي، وقلوبهم من النفاق، والحقد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

لقد اتسمت الدعوة الإسلامية بالعالمية، وشملت الرسالة المحمدية الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٣)، فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وقد كان ممن شملتهم هذه الدعوة العالمية، اليهود، وهذا ما أكد عليه الحديث من أن اليهود كانوا يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: (يرحمكم الله)، فكان ﷺ يقول لهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، "واليهود ممن أطلق عليهم القرآن الكريم عبارة: أهل الكتاب)، وهي لغة لا تعنى أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة" (٤).

"والتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، وكان في الأصل دين التوحيد الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك

---

(١) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٩.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٩.

والحيوان، وكان يأمر بالإحسان إلى الناس ومحاربة التفرقة العنصرية، فضلاً عن دعوته إلى تهذيب الأخلاق ولزوم الطهارة، إلا أن اليهود غيروا شرع الله، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخفوا كثيراً من أحكام الله، فصوروا الله في جسم، ووصفوه بصفات النقص والضعف والكذب، وكفروا بأنبيائهم، يكذبون فريقاً منهم ويقتلون فريقاً، يهتمون بالفتوحات، لما فيها من الغنائم واستغلال خيرات الأرض، واستعباد الشعوب وتسخيرهم، وقد اعتبروا أنفسهم شعب الله في الأرض، واعتبروا أموال غير اليهودي حلالاً لليهود، واستحلوا بذلك الربا، واحتكروا التجارة وخدمات الأرض لأنفسهم، واعتقدوا أنه يستحيل على الله أن ينزل وحياً على غيرهم، وأن دينهم هذا هو الجدير بالخلود، وأن الأديان الأخرى جميعاً اتخذها أهلها وسيلة لنيل الرئاسة، فعاثوا في الأرض فساداً"[1].

لذا شملهم الخطاب القرآني في الدعوة إلى الله إيقافاً لهم عن غيهم، وراحة للعباد من طغيانهم، ونجاة لهم من ظلمهم فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[4].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، آدم عبدالله الألوري، دون رقم طبعة، مكتبة الحياة، بيروت ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٥.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[(١)].

"وقد كان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكم المناهج وأقوى الحجج في حوار أهل الكتاب، ولم يكتفي هذا المنهج بنقد معتقدات أهل الكتاب من اليهود، بل أعطى الحجج والبرهان على دعواه، بدلائل عقلية منطقية، لا يجد العقل مناصاً دون التسليم بها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[(٤)]"[(٥)].

وليس أدل على ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أنَّ عبدَ اللّهِ بن سَلامٍ بَلغهُ مَقْدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فأتاهُ يَسألهُ عن أشياءَ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعلمهنَّ إلاَّ نبيّ: ما أولُ أشراطِ الساعة، وما أولُ طعام يأكلهُ أهلُ الجنةِ، وما بالُ الولدِ يَنزِعُ إلى أبيهِ أو إلى أُمهِ؟ قال: ((أخبرَني به جبريلُ آنفاً)). قال ابنُ سَلام: ذاك عدوُّ اليهود منَ الملائكة. قال: ((أما أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرقِ إلى المغربِ. وأما أولُ طعامٍ يأكلهُ أهل الجنةِ فزيادةُ كبدِ الحوت. وأما الوَلدُ فإذا سبقَ ماءُ الرجُل ماءَ المرأة نزعَ الولدَ، وإذا سَبقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعتِ الولد)). قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه وأنكَ رسولُ اللّه. قال: يا رسولَ اللّه، إنَّ اليهودَ قوم بُهت، فاسألهم عنّي قبلَ أن يَعلموا

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٩.

(٢) سورة الصف، آية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٥) انظر: الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد عبدالله القاسم ص ١٨٣، وانظر: اليهود في القرآن، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٦٤، وانظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي ص ١٨ - ٢٠.

بإسلامي. فجاءتِ اليهودُ؛ فقال النبيُّ ﷺ: ((أيُّ رجُلٍ عبدُ اللّهِ بن سلامٍ فيكم؟)) قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وأفضَلُنا وابن أفضَلِنا. فقال النبيُّ ﷺ: ((أرأيتم إن أسلم عبدُ اللّهِ بن سلام؟)) قالوا: أعاذَهُ اللّهِ من ذلك، فأعادَ عليهم فقالوا مثل ذلك. فخرجَ إليهم عبدُ اللّهِ فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّه وأن محمداً رسولُ اللّه. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقَّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يا رسولَ اللّه[(١)].

فعلى الداعية إلى الله أن يدعو على بصيرة بمنهج الدعوة الإسلامية في دعوة أهل الكتاب من اليهود إلى دين الحق.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول النبي ﷺ لليهود عند عطاسهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، أي: ولا يقول لهم يرحمكم الله؛ لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان"[(٢)]، "والدعاء لغير المسلمين من صور البر لهم لا سيما إذا فعلوا بالمسلم معروفاً.. ومكافأتهم على المعروف بالدعاء أو بغيره. إذا خلت من المحاذير الشرعية، وقد ذكر البخاري في كتابه الجهاد باباً: في الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، وساق فيه حديث الطفيل بن عمر عندما سأل النبي ﷺ أن يدعو على قبيلة دوس فقال ﷺ: ((اللهمَّ اهدِ دَوساً وأْتِ بهم))[(٣)][(٤)].

وقال ابن حجر: "قوله يتألفهم من فقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين، وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم.. والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم[(٥)]، وفي ذلك بيان

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ص ٢١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٣٧.

(٤) دعوة غير المسلمين للإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/٦.

لأهمية الدعاء لغير المسلمين كوسيلة من وسائل الدعوة وذلك على النحو الذي فصلناه.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام:

"إن الحرص على هداية الناس إلى الإسلام من أجلّ العبادات، وأعظم القربات إلى إرضاء رب العباد، وكيف لا!! وهو هدف الدعوة السامي، الذي من أجله بعث الله هذه الأمة، وذلك لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(١)"(٢)، وقد أشار الحديث إلى حرص النبي ﷺ على هداية غير المسلمين إلى الإسلام، وذلك في قوله ﷺ لليهود الذين كانوا يتعاطسون عنده: (يهديكم الله ويصلح بالكم). "وهداية غير المسلمين إلى الإسلام لن تكون إلا بتأليفهم على الإسلام وذلك بالإحسان إليهم، وإن من أعظم جوانب الإحسان إليهم دعوتهم إلى هذا الدين، وتعريفهم به، ومن حقهم على المسلمين، أن يروا الإسلام في واقع المسلمن أفراداً وجماعات في المعاملة والسلوك وفي الأقوال والأفعال..."(٣).

"هذا وقد بيّن القرآن الكريم منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، الموجهة لعموم المدعوين في ثلاث آيات تحدد الخطوط الرئيسة للمنهج النبوي وهي كما يلي(٤):

١/ الدعوة بمكارم الأخلاق: قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٥).

٢/ الدعوة على بصيرة: قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) انظر: إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ١١.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٨.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية من بين الأمس إلى اليوم، آدم الآلوري ص ١٤٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

٣/ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[١].

"وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى دينه بصورة ما، وبطريقة ما...، كل ما في الأمر أن صورة الدعوة تختلف من شخص إلى آخر، حسب الاستطاعة والإمكان، فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب أو كتب، أو إلقاء محاضرة في جامعة أو مركز ثقافي أو غير ذلك، أو القاء خطبة جمعة، أو درس ديني، أو يدعو إلى الله بكلمة طيبة، أو صحبة جميلة أو أسوة حسنة، أو شفاعة حسنة، أو قضاء دين أو حاجة أو غير ذلك، مما يبعث على تأليف القلب وترغيب الناس في الإسلام"[٢].

---

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي ص ١١٣ - ١١٤.

الحديث رقم (٨٨٥)

٨٨٥- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعله كالعادة للمؤمن يلتزمه أبداً والحديث يربط التثؤب بمسك اليد على الفم، والتعبير بالمسك يوحي بالقوة في رد التثؤب، ومنع الصوت المصاحب له، تؤكد ذلك باء الاستعانة في قوله (بيده) واستخدام حرف الجر الدال على الاستعلاء الدال على القوة في قوله: (على فيه) وقوله (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ) جملة تعليلية تحمل ترهيباً من ترك هذه السنة التي تغلق منفذ الشيطان إلى الإنسان، والفعل المضارع (يدخل) يصور الشيطان حال فتح الإنسان فمه يحاول أن يندس فيه، وهذه صورة منفرة من ترك هذه الخصلة التي تحميه من الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب.

ثانياً: من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي.

ثالثا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به.

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب:

هذا ما أشار إليه الحديث من وضع المتثائب يده على فيه عند التثاؤب، وفي ذلك قال القاضي عياض: "أمر النبي ﷺ بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان العدو أمله في المسلم بكل ما يسوءه ويكره منه، من تشويه صورته،

(١) برقم (٢٩٩٥/٥٧).

ودخوله في فمه، وضحكه منه، وتفله فيه. ولهذا - والله أعلم - أمر المتثائب بالتفل لطرح ما عسى أن يكون ألقاه الشيطان في فيه، أو لما لمسه من ريقه إن كان دخل"(١)،

وقال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (فإن الشيطان يدخل)، فيحتمل أن يراد به الدخول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكراً لله تعالى، والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن من شأن من دخل في شيء أن يكون متمكناً منه. وأما الأمر بوضع اليد على الفم فيتناول ما إذا انفتح بالتثاؤب فيغطى بالكف ونحوه، وما إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلك. وفي معنى وضع اليد على الفم، وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره، بل يتأكد في حال الصلاة.. ويستثنى ذلك من النهي عن وضع المصلي يده على فمه. ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمسك عن القراءة حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته"(٢).

وقد أكد ابن عثيمين ذلك فقال: "فإذا جاءك التثاؤب فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل، وذلك لقوله ﷺ: ((فإذا تثاءبَ أحدُكم فليردَّهُ ما استطاع))(٣)، وإن لم تقدر فضع يدك على فمك"(٤).

ثانياً- من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من الحديث هي: تعليم العلم الشرعي، ومما لا شك فيه أن تعليم العلم الشرعي ومعرفته "من أفضل العلوم وأهمها، لأن الناس بمعرفته يُرشَدون، وبجهله يضلُّون، إذ لا يصح أداء عبادةٍ جهل فاعلها صفات أدائها، ولم يعلم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٥٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٢٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١١٦٢.

شروط أجزائها[١]، فالمسلم - بغض النظر عن موقعه في سلم الثقافة - يحتاج إلى قدر ضروري من العلوم الشرعية، يعرف بها ما يستقيم به دينه، ويسلم فيه اعتقاده، وتصح به عبادته[٢].

فشرائع الإسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، وذلك لا يكون إلا بتعليم العلم الشرعي والتفقه في دين الله [٣]، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الاجتهاد في ذلك، بل وأثنى على أهله، فعن حميد بن عبدالرحمن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أَنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائمةً على أمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خالَفَهُم حتىٰ يأتيَ أمرُ اللّه))[٤].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمثَلِ الغَيثِ الكثِيرِ أصابَ أرضاً، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[٥].

فتعليم العلم الشرعي الصحيح هو سبيل العمل والاستقامة، والجهل عدو الإسلام الأكبر.. وإن أي انحراف في السلوك عن صراط الله المستقيم وراءه الجهل بدين الله تعالى، أو الأمية الفكرية أو التربوية، وهي أشد وأخطر من أمية القراءة والكتابة، لأنها خفية لا يكتشفها أكثر الناس ولا يحسون بها، بل قد تقترن مع دعوى العلم

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٤.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨٠.

(٣) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن القيم ص ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

والمعرفة، والتبجح وادعاء السبق والنبوغ[١].

(ولما كانت الدول المعاصرة اليوم تضع حداً أدنى للتعليم الإلزامي لا بد أن يصل إليه كافة مواطنيها، وهو السبيل لتوحيد الأطر المرجعية، وتكوين قدر مشترك من الثقافة لأبناء هذه الدول، فنحن أولى وأحرى أن نقدم لأبنائنا الحد الأدنى من العلم الشرعي والثقافة الشرعية، ليكون قدراً مشتركاً بين جيل الصحوة، وهذا القدر الضروري لن يُحوِّل جيل الصحوة إلى طلبة علم متخصصين، بل هو يسعى إلى محو الأمية الشرعية بينهم)[٢].

ولذا يجدر بالداعية أن يعمل على نشر تعليم العلم الشرعي بين الناس، ومن صور ذلك بيان الآداب الشرعية التي من جملتها ما يفعله المتثائب عند التثاؤب.

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به:

هذا ما يستفاد من نص الحديث لأن اتباعه ﷺ ينبغي أن يكون شاملاً، لا يقتصر على جانب دون جانب[٣]، وفي ذلك قال ابن القيم: "ندينُ الله بكل ما صحّ عن رسول الله ﷺ، ولا نجعل بعضه علينا، فنقرّ ما لنا على ظاهره، ونتأول ما علينا على خلاف ظاهره، بل الكلُّ لنا لا نفرق بين شيء من سننه، بل نتلقاها كلها بالقبول، ونتقابلها بالسمع والطاعة، ونتبعها أين توجهت ركائبها وننزل معها أين نزلت مضاربها، فليس الشأن في الأخذ ببعض سنن رسول الله ﷺ وترك بعضها، بل الشأن في الأخذ بجملتها وتنزيل كل شيء منها منزلته، ووضعه بموضعه، والله المستعان وعليه التكلان"[٤]. فعلى المدعو الاستجابة لأوامر النبي ﷺ جلها ودقها لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٥٢.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨١.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٩١.

(٤) نقلاً عن: دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بتعليم الآداب الإسلامية والسلوكيات الحسنة:

إن غرس الآداب في نفوس المتربين وتعويدهم عليها له "أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، ولقد اهتمت التربية الإسلامية بغرس الآداب وتعليمها الناشئة حتى تصبح طبيعة وسجية من سجاياهم.

إن البعض قد يغفل عن أهمية الآداب ويعدها من الأمور البسيطة يمكن التساهل فيها أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على والده، كواجب حق الطعام والشراب"[1]. والمجالس والعوارض التي تعرض للإنسان من عطاس وتثاؤب التي تحدثت عنها أحاديث الباب مبينة الآداب والألفاظ التي ينبغي أن تُراعى وتُقال ممن عَرَض له هذا الأمر من عطاس وتثاؤب، وكذلك مَنْ حضره وسمعه والتي منها:

أ-إذا تثاءب الإنسان فليرده ما استطاع وليمسك بيده على فيه، كما دل على ذلك قوله ﷺ: "فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان.

ب-إذا عطس المسلم ينبغي عليه أن يحمد الله "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله...".

ج-إذا عطس المسلم فحمد الله فينبغي على مَنْ سمعه أن يُشَمِّته كما في قوله: "وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله"، فيرد عليه العاطس داعياً له بالهداية تقديراً لمشاعره الطيبة الكريمة، وبذلك تكون تحيات متداولة وجزاءً من جنس العمل، دعوة بالرحمة يقابلها ويكافأ عليه بالدعوة بالهداية وإصلاح البال "فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم".

د-مراعاة مشاعر الآخرين والعمل على عدم إيذائهم بآثار العطاس من إزعاج صوت

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٢٥٣، ٢٥٤.

أو خروج بصاق أو ما شاكل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض -أو غض- بها صوته".

إن تشميت العاطس وتبادل الدعوات بين العاطس والمشمت له "أدب تربوي نبوي اجتماعي يَنُمُّ عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة" [(١)].

ثانياً- التنوع في أساليب التربية:

إن من العوامل التي تساعد في إنجاح العملية التربوية والتعليمية وتجنبها الملل والسآمة التنوع في استخدام الأساليب التربوية، مما يجري في عروقها التجدد والنشاط، إذ الرتابة والثبات يورث السآمة والنفور، وإذا ما نظرنا إلى مجموع أحاديث الباب وهي جميعها وردت في بيان آداب العطاس والتثاؤب نجد أن النبي ﷺ نوّع في أساليب التربية وجدد فيها ومن أبرزها:

١-التلقين والتوجيه المباشر: وذلك ما نلحظه في أحاديث أبي هريرة وأبي موسى الأشعري وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم -على اختلاف رواياتها- فقال ﷺ: إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان".

وهذا الأسلوب التلقائي الذي يعتمد على المباشرة وعلى التلقين، وهذا الخطاب المباشر والتلقين للمعرفة، له أكبر الأثر عند المتربين خاصة الناشئة منهم والأطفال، فهو يعتمد على مخاطبة العقل وتبيين الحقائق وترتيب المعلومات، وذلك ما يجعل المتربي أشد قبولاً وأكثر استعداداً للتلقي"[(٢)].

---

(١) انظر: الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي، مكتبة أبها، بدون ذكر للطبعة وتاريخها، ص٥٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٩٧.

ب-التدريب والممارسة العملية: ونلحظ ذلك في حديثي أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ففي حديث أنس تشميت النبي ﷺ العملي لمن عطس في حضرته فحمد، وإحجامه وامتناعه عن تشميت العاطس الآخر الذي لم يحمد الله تعالى، فعنه قال عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلاَنٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ: «إِنَّ هَـذَا حَمِدَ اللّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللّهَ». وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ينقل لنا فيه حالَ النبي ﷺ: "إذا عطس، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض - أو غض- بها صوته".

ففي هذين الحديثين نجد مطابقةَ فعل النبي ﷺ لقوله، وهو في ذاته أسلوب تربوي رفيع يعتمد على التدريب والممارسة العملية، " وهذا الأسلوب العملي يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، لذا ينبغي الالتفات لهذا الأسلوب بأن نتعلم ونمارس ما نتعلم، وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي [(١)] التطبيقي.

ومما سبق يتبين لنا تنويع النبي ﷺ وانتقاله بين الأساليب التربوية من أسلوب توجيهي مباشر وأسلوب عملي تدريبي، وفي ذلك سبب لإنجاح العملية التربوية وعموم نفعها فمن لم يُجْدِ معه أسلوب انتفع بالآخر.

ثالثاً- من صفات المربي والمعلم: الذكاء وسرعة البديهة والفراسة والكياسة:

إن العملية التربوية والتعليمية عملية عقلية أولاً وأخيراً لذا يجب أن تتوفر في المعلم السمات العقلية والكفاءات الذهنية ليتمكن من القيام بعمله خير قيام[(٢)]، ومن أرفع تلك الصفات: التميز بالذكاء، وقوة الإدراك، وسرعة البديهة، والفراسة، والكياسة،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

(٢) انظر: المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٤٠.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب خاصة فيما كان يجيب به النبي ﷺ اليهود حينما كانوا يتعاطسون عنده رجاء الانتفاع بالدعاء لهم بالرحمة، لكن لذكائه ﷺ ولعلمه ولتفطنه لما يريدون كان لا يشبع رغبتهم ولا يحقق رجاءهم، وإنما كان يدعو لهم بالهداية، وذلك من دلائل فطنته ﷺ مع ما كان يتمتع به من ذوق عالٍ وأدب رفيع، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقال لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم".

"إن المعلم القدير هو الذي يتمتع بحضور البديهة، وصحة القريحة، وسرعة الخاطر والتفكير اللماح، وأن يحسن التصرف في كل الأمور مما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب في المآزق والمشكلات الطارئة والمواقف المفاجئة والأمور الآنية.

إن تمتع المعلم بالفراسة وقوة الملاحظة يجعله يتوسم قدرات الطلبة وطاقاتهم العقلية، ويعرف أحوالهم ويقرأ أفكارهم ويسبر أغوارهم ويعرف مكنون أسرارهم فيعرف الصادقين من الكاذبين ويعرف الذين فهموا الدرس من أولئك الذين لم يفهموه ويفرق بين المؤدبين والمشاغبين، ويفرق بين الحق والباطل ويميز بين الغث والسمين.

كما يجب على المعلم أن يكون ذا حدس جيد يمكنه من تَوسُّم ما فيه مصلحة الطلبة وتعليمهم ما يناسب حالهم وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم"[1].

رابعاً- التربية بالحرمان:

إن التربية بالحرمان لها فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"[2]، ويمكن للقارئ أن يلاحظ أن النبي ﷺ استخدمه في حرمان ذلك الرجل الذي عطس فلم يحمد الله من الدعاء له، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلاَنٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ:

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥١-٥٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

«إِنَّ هَـٰذَا حَمِدَ اللَّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ». فنجد عقاب رسول الله ﷺ لذلك الذي ترك حمد الله بحرمانه من الدعاء له بالرحمة، "ولما سأله ذلك المحروم من دعائه فبين له ﷺ أن السبب تركه الحمد على نعمة العطاس"(١).

لذا ينبغي على المربي ألا يغفل أسلوب العقاب بالحرمان إذ استلزم واقتضه الظروف، فاتباع هذا الأسلوب في العملية التربوية والتعليمية له أثره الذي لا ينكر، إذ الهدف منه "حذف السلوك غير المرغوب فيه وتعزيز السلوك المرغوب فيه.

وبما أن العقاب كالحرمان وغيره، أداة واقعية في حياتنا، ويلجأ إلى استخدامه الكثير من الآباء والمعلمين في أوضاع تعليمية وسياقات سلوكية مختلفة، لذا يجب مراعاة شروط استخدام الإجراء العقابي في الأوضاع التي يكون فيها استخدامه أمراً لا مفر منه والتي منها:

أ-أنه يجب إيقاع العقاب بعد حدوث الاستجابة غير المرغوب فيها مباشرة، فقد تبين أن العقاب الفوري أكثر نجاعة من العقاب المؤجل، فكلما قصرت الفترة الزمنية الفاصلة بين الاستجابة والعقاب كان العقاب أكثر فعالية ونجاعة"(٢).

ب-بيان السبب الذي من أجله استحق المتربي هذا الجزاء، وذلك له أكبر الأثر في تعديل سلوكه، لعلمه بخطئه وعدم تعرضه لظلم مادي أو أدبي.



---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٩٢.

(٢) انظر: علم النفس التربوي، د. عبدالمجيد نشواتي، ص٢٩٢-٣٠٠.

١٤٣- باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

الحديث رقم (٨٨٦)

٨٨٦- عن أَبي الخطاب قتادة، قَالَ: قُلْتُ لأَنسٍ: أكَانتِ المُصَافَحَةُ في أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات في بدايته يقوم على جملتين سؤال، وجواب، بين أبي الخطاب قتادة، وبين أنس ﷺ حول المصافحة في أصحاب الرسول ﷺ، ولذلك قدم المصافحة، وأدخل حرف النفي على فعل الكينونة الماضي بمعنى أوجدت المصافحة..؟، والمصافحة مفاعلة من الصفح فعل مشترك بين اثنين وقوله (في أصْحَابِ رسول الله ﷺ) لأنه الجيل القدوة ليوم القيامة، وقد جاءت الإجابة بإثبات المصافحة بقوله (نعم) أي نعم كانت حاصلة فيهم، موجودة بينهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى أحكام السلام بين المسلمين، ومن ذلك المصافحة والمعانقة.

أولاً: حكم المصافحة: يسن مصافحة المسلم لأخيه المسلم مع البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها[٢].

---

(١) برقم ٦٢٦٣.

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٨٧/٤، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لمصطفى الخادمي ٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٩٤٢/١.

والمصافحة هي: وضع أحد المتلاقين يده على باطن كف الآخر إلى الفراغ من السلام[١].

وتكون المصافحة من الرجل للرجل، وكذلك مصافحة المرأة للمرأة، أمّا المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة فيختلف حكمها بحسب كونهما من المحارم أو من غيرهم.

فأما مصافحة المحارم فذهب الجمهور إلى جوازها، ويشملها حكم الاستحباب المستفاد من هذه الأحاديث.

وأما المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة من غير المحارم فقد اختلف قول الفقهاء في حكمها، وفرّقوا بين مصافحة العجائز ومصافحة غيرهم:

فمصافحة الرجل للمرأة العجوز التي لا تَشْتَهي ولا تُشْتَهى، وكذلك مصافحة المرأة للرجل العجوز الذي لا يشتهي ولا يشتهى، ومصافحة الرجل العجوز للمرأة العجوز جائز عند الحنفية والحنابلة، ما دامت الشهوة مأمونة من كلا الطرفين.

ونص المالكية على تحريم مصافحة المرأة الأجنبية وإن كانت متجالّة، وهي العجوز الفانية التي لا أرب للرجال فيها، أخذاً بعموم الأدلة المثبتة للتحريم.

وعمم الشافعية القول بتحريم لمس المرأة الأجنبية ولم يستثنوا العجوز، فدلّ ذلك على اعتبارهم التحريم في حقّ مصافحتها، وعدم التفرقة بينها وبين الشابة في ذلك.

وأما مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية الشابة، فقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الرواية المختارة وابن تيمية إلى تحريمها، وقيد الحنفية التحريم بأن تكون الشابة مشتهاة، وقال الحنابلة: وسواء أكانت من وراء حائل كثوب ونحوه أم لا[٢].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٣٢٥.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧/٣٥٨-٣٥٩ ومصادرها ومراجعها ومنها: (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/١٢٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٦/١٨، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٥/٣٢٩، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٧/٣٠٨، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١/٢١٥، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٦٩، وغذاء الألباب ١/٣٢٩).

ثانياً: حكم التقبيل: للتقبيل أقسام منه:

١-التقبيل الممنوع: ومنه:

أ-تقبيل الأجنبية: اتفق الفقهاء على عدم جواز لمس وتقبيل المرأة الأجنبية ولو للخطبة.

ب-تقبيل الرجل للرجل والمرأة للمرأة: لا يجوز للرجل تقبيل فم الرجل أو يده أو شيء منه، وكذا تقبيل المرأة للمرأة والمعانقة ومماسة الأبدان ونحوها، وذلك كله إذا كان على وجه الشهوة، وهذا بلا خلاف بين الفقهاء. أما إذا كان ذلك على غير الفم، وعلى وجه البر والكرامة. أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع عند اللقاء فلا بأس به.

٢-التقبيل المباح، ومنه:

تقبيل المبرة والإكرام وتقبيل المودة والشفقة: يجوز تقبيل يد العالم الورع، والسلطان العادل، وتقبيل يد الوالدين والأستاذ، وكل من يستحق التعظيم والإكرام، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين، ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام، أو الشفقة عند اللقاء والوداع، وتديناً واحتراماً مع أمن الشهوة.

قال ابن بطال: أنكر مالك تقبيل اليد وأنكر ما روي فيه، قال الأبهري: وإنما كرهه مالك إذا كان على وجه التعظيم والتكبر، وأما إذا كان على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز.

كذلك يجوز بل يسن تقبيل الولد للمودة على الرأس والجبهة والخد[1].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٣٠-١٣٢ ومصادرها ومراجعها، ومنها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٣٣/٥، والزرقاني ١٦٧/١، وجواهر الإكليل ٢٠/١، ٢٧٥، و، سلمان بن عمر بن منصور العجيلي ١٢٦/٤، وحاشية القليوبي ٢١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢/٥-١٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٣-٢١٣.

ثالثاً: حكم المعانقة:

أ-معانقة الرجل للرجل: ذهب الحنفية في الصحيح إلى أنه يجوز معانقة الرجل للرجل، إذا كان على كل واحد منهما قميص أو جبّة ثم اختلفوا في المعانقة في إزار واحد، والمذهب كراهة المعانقة في إزار واحد، وقال أبو يوسف: لا بأس بالمعانقة في إزار واحد.

قال الخادمي: وقد وردت أحاديث في النهي عن المعانقة وأحاديث في تجويزها، ووفق أبو منصور الماتريدي بينهما فقال: المكروه منها ما كان على وجه الشهوة، وأما على وجه البرّ والكرامة فجائز.

وكره مالك المعانقة كراهة تنزيهية لأنها من فعل الأعاجم. قال العدوي: لا يخفى أن مفاد النقل عن مالك كراهة المعانقة ولو مع الأهل ونحوهم.

وذهب الشافعية إلى أن المعانقة مكروهة إلا لقادم من سفر أو تباعد لقاء فسنة للاتباع.

وقال الحنابلة: تباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وإكراماً واحتراماً مع أمن الشهوة. قال ابن مفلح: ظاهر هذا عدم إباحته لأمر الدنيا.

ب-معانقة الصائم: ذهب الحنفية في المشهور إلى كراهة معانقة الزوجة في حالة الصوم إن لم يأمن المفسد، وهو الإنزال أو الجماع، لما فيه من تعريض الصوم للفساد بعاقبة الفعل. وأما إذا أمن على نفسه المفسد فلا بأس بالمعانقة.

وذهب الشافعية إلى أنه تكره المعانقة بين الرجل والمرأة لمن تحرك شهوته والكراهة هي كراهة تحريم في الأصح، وحكى الرافعي عن التتمة وجهين: التحريم والتنزيه[1].

(١) لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/١٨٤-١٨٦ ومراجعها ومصادرها، ومنها: الدر المختار ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض٥/٢٤٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/١٣٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١/٩٤٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة لما له من أثر في استحضار وإيقاظ ذهن المدعو، وترسيخ الفهم عن الداعية فيما يقول، وقد جاء هذا الأسلوب في الحديث من سؤال أبي الخطاب قتادة لأنس بن مالك رضي الله عنه عن المصافحة أكانت في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فأجابه بنعم، وقد أفاد السؤال والجواب أهمية المصافحة عند اللقاء للاقتداء بهم رضي الله عنهم.

ثانياً- من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ:

إن الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ الكرام رضي الله عنهم للاقتداء بهم، لمن أصول التربية الإسلامية الناجحة في بناء الفرد والمجتمع، وقد ظهر هذا الحرص جلياً في الحديث من حرص أبي الخطاب على معرفة ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ في المصافحة.

والصحابة رضي الله عنهم هم الرعيل الأول الذي لم تشهد البشرية جيلاً كمثلهم، فقد تربوا على يد أعظم معلم شهدته الإنسانية (محمد ﷺ) فكان كل فرد منهم نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرةً وشرفاً للنوع الإنساني، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي الواسع، بل في الكون كله، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إنّ إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الساذجة، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم، وتذوقهم للعبادة وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في

زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال فيه للشك(١).

وفي ذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: (إنَّ الله نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ، فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، فابْتَعَثَهُ بِرِسَالتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قلب محمد، فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ على دِينِهِ، فما رَأى المسلمونَ حَسَناً، فهو عِنْدَ الله حَسَنٌ، وما رأوا المسلِمَونَ سَيِّئاً، فهوَ عِنْدَ الله سيِّءٌ)(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يتحدث عن أصحاب محمد ﷺ: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شُعثاً غُبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكَبَ المِعْزَى(٣) من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب)(٤).

وقال أيضاً رضي الله عنه: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح(٥) إلى أولادها، وسلبوا السيوف

---

(١) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٨٤/٦.

(٣) ركب المعزى: ركب جمع ركبه: موصل الساق من الرجل بالفخذ. انظر: نهج البلاغة ١٩٠/٢ الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

(٤) نهج البلاغة، الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق: د. صبحي الصالح، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت: ص ١٤٣.

(٥) اللقاح: جمع لقوح وهي الناقة. وولها إلى أولادهما فزعها إليها. انظر: نهج البلاغة ٢٣٤/١.

أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفا صفاً، بَعْض هلك وبعضٌ نجا، لا يُبَشَّرون بالأحياء ولا يُعَزَّون بالموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمْصُ البطون من الصيام، ذُبُلُ الشفاه من الدعاء، صُفْرُ الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون! فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم)[1].

(فهم رضوان الله عليهم ممثلين صادقين لتراث رسول الله ﷺ الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله ﷺ وحبهم الخالص له إلى عالم من الفكر والعواطف، لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً، والواقع أن هؤلاء الصحابة قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بُذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله ﷺ من كلام وأوامر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام، الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين)[2].

فعلى المدعو أن يحرص على اقتفاء آثارهم والاقتداء بنهجهم، لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد بيّن ابن علان ذلك فقال في باب استحباب المصافحة: "قال السيوطي: هي مفاعلة من الصفحة والمراد بها الإفضاء بصفحة اليد إلى

---

(١) المرجع السابق ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) سنن الإسلام، للكاتب الألماني كاتاني ص ٤٢٩.

- Caetani (Annali dell Islam) Vol. ١١. p ٤٢٩. T.W Arnold, preaching of Islam, London.

- نقلاً عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية أبو الحسن الندوي ص ٣٢.

صفحة اليد، قال الكرماني: وهو ما يؤكد المحبة"[١]، "ومصافحة الرجل للرجل مستحبة عند العلماء"[٢]، قال النووي: "اعلم أنها سنة مجمع عليها عند التلاقي"[٣]، وقد بيّن النبي ﷺ ما في ذلك من خير عميم من إظهار ود المسلمين وإذهاب الغلّ فيما بينهم فقال ﷺ: ((تَصَافَحُوا؛ يَذْهَبُ الغِلُّ، وَتَهَادَوْا؛ تَحَابُّوا، وَتَذْهَب الشَّحْنَاءُ))[٤].

وفي ذلك بيان على أهمية المصافحة في إذهاب الغِلّ وحدوث الود بين المسلمين، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في ذلك فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لاَ يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الذي يَنْزِعُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عن وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيْسٍ لَهُ))[٥].

قال المباركفوري: "قال الطيبي: وفي قوله: كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه، تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٦/٣٧.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦١.

(٤) الموطأ، مالك ٣٨٨٠، قال ابن عبدالبر في التمهيد: وهذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبدالبر، ضمن موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مع مركز هجر للبحوث والدراسات، ط/١ مركز هجر: ١٤١٥هـ/٢٠٠٥م، ١١٤/٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٠، وقال الألباني: ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ضعيف سنن الترمذي ٤٤٤).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٥/٢.

الحديث رقم (٨٨٧)

٨٨٧- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا جَاءَ أهْلُ اليَمَنِ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((قَدْ جَاءكُمْ أهْلُ اليَمَنِ)) (وَهُمْ أوَّلُ مَنْ جَاءَ بالمُصَافَحَةِ)[1]. رواه أبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصار ذات الدلالة الشرعية، والدلالة النفسية بدأه أنس رضي الله عنه بربط الحديث بسببه، وهو قدوم أهل اليمن ثم ساق قول الرسول ﷺ (قَدْ جَاءكُمْ أهْلُ اليَمَنِ) وهو خبر أريد به لازم فائدته وهي الإشادة بهم، والبشارة، وهو عامل نفسي يدفع نحو الكمال، وقد حقق الفعل بقد بالإضافة إلى ثباته المفهوم من زمنه الماضي، وقوله (وهم أول من جاء بالمصافحة) تقديم الضمير يفيد الاختصاص بأولوية السلام، وفي الحديث إثبات المصافحة في وجود النبي مما يشير إلى إقراره.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه.

---

(١) هذه الزيادة في آخر الحديث من قول أنس، وقد جاء مصرحًا به في رواية عفّان، عن حماد عند أحمد في المسند ١٣٦٢٣ وقد نبهنا عليه حتى لا يتوهم القارئ أنه من ضمن الحديث.

(٢) برقم ٥٢١٣. وقال الحافظ في الفتح ١١/٥٤: إسناده صحيح.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٨).

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة)، فامتدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، وفي ذلك بيان لفضلهم، وقد بيّن النبي ﷺ فضل أهل اليمن فقال: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً. الإِيمَانُ يَمَانٍ. وَالْفِقْهُ يَمَانٍ. وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ)) وفي رواية: قال ﷺ: ((أتاكم أهلُ اليمنِ أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً. الفقهُ يمان، والحكمةَ يَمانية))، وفي رواية: قال ﷺ: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبا))[١].

قال القاضي عياض: "ومعنى: (أرق أفئدة وقلوباً وألين وأضعف)، متقارب، وكلها راجع إلى ضد القسوة والغلظ، وذلك أنّ من رق قلبه ولان قبل المواعظ، وخضع للزواجر، وسارع إلى الخير، وصفى للإيمان والفقه والحكمة، بخلاف من قسا قلبه وغلظ وكثفت حجب الكبر والفخر والعجب عليه.

وقد يكون ذكر القلوب والأفئدة ها هنا بمعنى واحد، تكررت باختلاف لفظ كما اختلف اللفظ الذي قبلها، وقد يكون بينهما فرق إذ قيل: إن الفؤاد داخل القلب، فوصف القلب باللين والضعف والفؤاد بالرقة، أي أن قلوبهم أسرع انعطافاً وتقلباً للإيمان من غيرها؛ إذ أفئدتها أرق وأصفى لقبول الإيمان والحكمة، وأقل حجباً وأغشية من غيرها، وقد يكون الإشارة بلين القلب إلى خفض الجناح، ولين الجانب، والانقياد والاستسلام وترك الغلو، وهذه صفة الظاهر، والإشارة برقة الأفئدة إلى الشفقة على الخلق والعطف عليهم والنصح لهم، وهذه صفة الباطن، وكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقاً ظاهراً وباطناً، وقد يكون الإشارة بلين القلوب ورقة الأفئدة، إلى كثرة الخوف والانزعاج للمواعظ والأذكار"[٢].

وقال النووي: (وأما ما ذكر من الفقه والحكمة، فالفقه هنا عبارة عن الفهم في الدين، واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها، أما الحكمة ففيها أقوال كثيرة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٨٩، ومسلم ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٠١ - ٣٠٢.

مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك..."[١]، وقد اختلفت أقوال العلماء في بيان المقصود من قوله ﷺ: (الإيمان يمان).

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "وقد ذكر ابن الصلاح قول أبي عبيدة وغيره: إن معنى قوله: (الإيمان يمان) أن مبدأ الإيمان من مكة، لأن مكة من تهامة وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة، لأن هذا الكلام صدر وهو ﷺ بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية، والثالث واختاره أبو عبيد أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، وقال ابن الصلاح: ولو تأملوا ألفاظ الحديث لما احتاجوا إلى هذا التأويل، لأن قوله: (أتاكم أهل اليمن) خطاب للناس ومنهم الأنصار، فيتعين أن الذين جاءوا غيرهم، قال: ومعنى الحديث وصف الذين جاءوا بقوة الإيمان وكماله ولا مفهوم له، قال: ثم المراد الموجودون حينئذ منهم، لا كل أهل اليمن في كل زمان انتهى، ولا مانع أن يكون المراد بقوله: (الإيمان يمان) ما هو أعم مما ذكره أبو عبيد وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله (يمان) يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر، بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين:

إن من آداب الإسلام التي أكد وحثّ عليها في نص الحديث، هي المصافحة بين المسلمين عند التلاقي، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديثين[٣] من قوله ﷺ: (وهم أول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٢/٧.

(٣) حديث رقم (٨٨٦)، (٨٨٧).

من جاء بالمصافحة)، وأيضاً في قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا).

"والمصافحة عند الملاقاة هي للتأنيس وتوكيد التسليم القولي، فإن التسليم إيذان بالأمن قولاً والتصافح نحو بيعة وتلقين عن ذلك، وتوكيد لما تلفظاه بالتسليم، ليكون كل من المتلاقيين على أمن من صاحبه"[1].

وقد رغّب النبي ﷺ في المصافحة، وعمل بها صحابته رضي الله عنهم، فعن قتادة قال: (قلتُ لأنس: أكانتِ المصافحة في أصحاب النبيِّ ﷺ؟ قال: نعم)[2]، وعن سلمة بن وردان قال: (رأيت أنس بن مالك يصافح الناس فسألني من أنت فقلت مولى لبني ليث فمسح على رأسي ثلاثا وقال بارك الله فيك)[3].

وفي قصة توبة الله تعالى على كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (دخلت المسجد، فإذا رسول اللّهِ ﷺ جالسٌ حولَهُ الناس، فقامَ إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ اللّه يُهَرْوِلُ حتى صافحني وهنَّاني)[4].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (من تمام التحية أن تصافح أخاك)[5].

وقد روي عن مالك رضي الله عنه أنه كره المصافحة، لكن المشهور عنه استحباب المصافحة، ويؤيد ذلك ما روي عنه أنه دخل عليه سفيان بن عيينة فصافحه، وقال: لولا أنها بدعة لعانقتك، فقال سفيان: عانق من هو خير مني ومنك النبي ﷺ لجعفر حين قدم من أرض الحبشة، قال مالك: ذلك خاص، قال سفيان: بل هو عام، ما يخص جعفراً يخصنا، وما يعمه يعمنا إذا كنا صالحين[6].

---

(١) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري ٤١٢/٤، نقلاً عن: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٦، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٣).

(٤) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٨، وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً، (صحيح الأدب المفرد ٧٤٥).

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٧/٣٧.

فينبغي على الداعية الحرص والحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم:

لقد حثّ الإسلام على كل ما يكون سبباً في زيادة المودة والمحبة بين المسلمين، فرغّب في استحباب المصافحة عند اللقاء، وذلك ما ظهر جلياً في الحديثين من مدحه ﷺ لأهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة قال: "قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة" ومن قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)، وقد بيّن النبي ﷺ فضل مصافحة الإخوان عند اللقاء فقال: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْضُرَ دُعَاءَهُمَا وَلاَ يُفَرِّقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا))[1].

وفي ذلك قال ابن عثيمين: "وإذا حصل ذلك - أي المصافحة- فإنه يُغفر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل على فضيلة المصافحة إذا لاقاه"[2]، وبيّن صاحب عون المعبود معنى قوله ﷺ: "قبل أن يفترقا، أي: بالأبدان وبالفراغ عن المصافحة"[3]، ومن فضائل المصافحة ما ذكره ابن مفلح المقدسي: "عن ابن عبدالبر قال: قال أبو مجلز: المصافحة تجلب المودة"[4]، وفي ذلك بيان عظيم لفضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[5]، "وإن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[6][7]، وقد استخدم النبي ﷺ في حديث البراء رضي الله عنه الترغيب المتمثل في

---

(١) أخرجه أحمد ١٤٢/٣ رقم ١٢٤٥١، قال محققو المسند: حديث صحيح لغيره وإسناده حسن ٤٣٦/١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٦٤/٢.

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٢٢١٥.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٥٤/٢.

(٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

زوال الذنب وغفرانه، وذلك لحمل وحث المدعوين على الالتزام بالمصافحة عند اللقاء، لما في ذلك من تأكيد لأواصر المحبة والأخوة في الله.

خامساً- من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه:

هذا ما يستفاد من الحديثين، حيث مدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، لما في المصافحة من إظهار المودة والمحبة بين الإخوان وكذلك في الحديث الثاني رغب رسول الله ﷺ في المصافحة بغفران الذنوب لمن يتصافحان من المسلمين، ومن المعلوم أن المصافحة دليل على عدم وجود شحناء أو كراهية بين المتصافحين، وفيها إظهار للمودة والحب، وقد حثّ النبي ﷺ على إظهار المودة والمحبة فقال: ((إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ))[1]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لأُحِبُّ هذَا، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَعْلَمْتَهُ؟ قالَ: لاَ. قالَ: أَعْلِمْهُ)). قالَ: فَلَحِقَهُ فقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ، فقَالَ: أَحَبَّكَ الذي أَحْبَبْتَنِي لَهُ[2].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (فليخبره أنه يحبه): "لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة"[3]، وقال الخطابي: "معناه الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له وواد له، قبل نصيحته، ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به عن نفسه أو سقطة إن كانت منه، وإذا لم يعلم ذلك منه لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل منه قوله، ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن.. والله أعلم"[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٢٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٤).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ٢١٨٧.

(٤) معالم السنن ٢١/٨ - ٢٢.

الحديث رقم (٨٨٨)

٨٨٨- وعن البراء رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أنْ يَفْتَرِقَا)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الظاهرة البارزة للجمال التعبيري في هذا الحديث هي التصوير بالفعل المضارع حيث صور الفعل الأول (يلتقيان) صورة إقبال المسلم على أخيه بالبشر، تعلوه طلاقة وجه، وابتسامة ثغر، وتصور الفاء في الفعل الثاني (فيتصافحان) السرعة التي توحي بالحفاوة المنبعثة من القلوب العامرة بمحبة في الله، والفعل يتصافحان يصور تلامس الأيدي، ويلوح في العقل مشهد تساقط الذنوب كغبار كان في أيديهما نفضاه من إثر المصافحة، ثم يصور الفعل الثالث (يفترقان) مشهد الفراق، وقد قصد كل واحد منهما جهته، ولكن بعد ثبات مغفرة دل عليها الفعل الماضي الوحيد في الحديث (غفر) ليعطي الحكم بصيغته صفة التحقق، ويؤكده أسلوب القصر الذي انتظم هذا المعنى حيث قصر اللقاء على الصفة المذكورة على المغفرة لا يتعداها إلى العقاب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٥٢١٢. قال الترمذي ٧٥/٥: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من حديث إبي إسحاق عن البراء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٠٥ وأعله بالاضطراب في إسناده.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٩)

٨٨٩- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟ قَالَ: ((لاَ)). قَالَ: أفيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: ((لاَ)) قَالَ: فَيَأخُذُ[1] بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلتزمه: يعتنقه ويضمه إلى نفسه[3].

الشرح الأدبي

الحديث حوار تعليمي يتكون من سؤال، وجواب يصحح بعض الخطاء الاجتماعية، وقد بدأه الرجل بسؤال للرسول ﷺ (الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟) وهو استفهام على حقيقته، وانحناء المسلم لا يكون إلا لله وحده مصدر عزته فكان رد الرسول ﷺ نفياً قاطعاً قائماً على الإيجاز، (لا) أي لا ينحني له ثم كرر السؤال مع تغيير المسؤل عنه (: أفيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟) أي يضمه إليه، والإجابة كالسابقة أسلوباً، ومعنى، والسؤال الثالث: (فَيَأخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟) فكانت الإجابة بإقرار المصافحة.

(١) لفظ الترمذي: (أفيأخذ) بلفظ الاستفهام.

(٢) برقم ٢٧٢٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على سؤال النبى ﷺ عما أشكل عليهم من الأمور.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على سؤال النبى ﷺ عما اشكل عليهم من الأمور:

يظهر ذلك في الحديث من سؤال الصحابة ﵃ للنبي ﷺ في الانحناء عند الملاقاة والمعانقة والالتزام، والسؤال عما أشكل له أهمية كبيرة في رفع الجهل، وتحصيل العلم، وقد كان ذلك ديدن الصحابة ﵃ فكانوا حريصين على سؤاله ﷺ عما أشكل عليهم، ومن أمثلة حرصهم ﵃ على ذلك ما رواه ابو هريرة ﵁ عن أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إدواةً لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها قال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة. فقال: ((ابغِني أحجاراً استنفِض بها، ولا تأتني بعظمٍ ولا برَوثةٍ)). فأَتيته بأحجار أحملِها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إِلى جَنبهِ، ثم انصرَفت، حتى إِذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثةِ؟ قال: ((هُما مِن طَعامِ الجنّ، وإِنه أتاني وَفدُ جنِّ نَصيبينَ - ونِعمَ الجنُّ - فسألوني الزادَ، فدعَوتُ اللَّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً))[1].

فأبو هريرة ﵁ في الحديث لما جهل سبب طلب رسول الله ﷺ الأحجار فقط، وتجنيبه العظم والروثة ليستنجي بها، سأله فقال: ما بال العظم والروثة؟ فترتب على هذا السؤال بيان الحكمة ورفع ما أشكل عليه، وفي ذلك بيان على حرص الصحابة ﵃ على سؤاله ﷺ فيما أشكل عليهم من الأمور.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٦٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان:

هذا ما بيّنه النبي ﷺ في الحديث عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان بعد سؤال الصحابة رضي الله عنهم لذلك، وقد بيّن ابن عثيمين ذلك فقال: "وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام: فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك: أننحني، قال: لا، قال السائل: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا. فإذا لاقاه؛ إنه لا يلتزمه - أي: لا يضمه إليه - ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن فيه نوعاً من الخضوع لغير الله عز وجل بمثل ما يفعل لله في الركوع، فهو منهي عنه، ولكنه يصافحه وهذا كاف، إلا إذا كان هناك سبب، فإن المعانقة أو التقبيل لا باس به، كأن كان قادماً من سفر أو نحو ذلك"[1]، وقال ابن علان: "ومن البدع المحرمة الانحناء عند اللقاء بهيئة الركوع، قال ابن الصلاح: يحرم السجود بين يدي المخلوق على وجه التعظيم، وإن قصد بسجوده الله تعالى، وما ذكره الله تعالى من قوله في أخوة يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[2]، فذلك شرع من قبلنا وهو ليس بشرع لنا"[3]، وفي ذلك بيان لهديه ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان:

الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ معناه: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين[4]، وإن الله تعالى قد أرشدنا وأمرنا أن نقتدي برسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، قال ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[6]، ويقول ابن حزم: "فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٤/٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٢.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدي بمحمد ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه[1]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ ويتأسى به في كل شأنه. ومن ذلك هديه ﷺ عند ملاقاة أصحابه رضي الله عنهم.

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٣٤.

الحديث رقم (٨٩٠)

٨٩٠- وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيث إِلَى قَوْلِهِ: فقَبَّلا[١] يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أنَّكَ نَبيٌّ. رواه الترمذيُّ[٢] وغيره بأسانيد صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

صفوان بن عسال: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩).

غريب الألفاظ:

آيات: جمع آية: العلامة والأمارة[٣].

بيِّنات: جمع بيِّنة: واضحة[٤].

الشرح الأدبي

قوله (اذهب بنا) كناية عن اتفاقهما على ما نوياه، وقوله (إلى هذا النبي) يوحي بميلهما إلى الإسلام، وببوادر الإيمان يفهم ذلك من إشارة القريب، ومن ذكرهم صفة النبوة، والتي تشير إلى اعتراف ضمني بنبوته، ولو كانا شاكين لقالا: اذهب بنا إلى من يدعي النبوة مثلاً، ثم سرعة ذهابهما إليه التي تدل عليها الفاء التي ربطت فعل الإتيان بما قبله، ثم إن سؤالهما عن آيات معينة يشير إلى أنهما سمعا خبر ما جاء به فوافق علمها دون ما يدفع لإنكاره من كبر، أو خوف فأرادا الإسلام، ثم إن فعلهما مع الرسول ﷺ بتقبيل يده، ورجله، والشهادة بنبوته يشير إلى ذلك.

---

(١) لفظ الترمذي: (فقبلوا) بلفظ الجمع.

(٢) برقم ٢٧٣٣ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/: هذا حديث صحيحٌ لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ي).

(٤) الصحاح في (ب ي ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

(إن طبيعة الدعوة الإسلامية أنها دعوة عامة تشمل الناس كافة، على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وثقافتهم وأديانهم)[1]، فشملت في ذلك اليهود، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من أن رجلاً يهودياً قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بيِّنات وذكر لهم النبي ﷺ تسع آيات فقبلا يده ورجله وقالا: "نشهد أنك نبي".

(واليهود هم أهل علم وكتاب سماوي، ورثوه منذ قرون. ولكنهم ورثوا نصوصه، ولم يرثوا روحه؛ فاستقرت نصوصه في أدمغتهم، وأفقرت نفوسهم من روحه ومثله العليا. وطال بهم الأمد فقست قلوبهم وفسق أكثرهم عن أمر ربه. ودخلهم حب الدنيا وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه، فهم يأخذون عرض هذا الأدنى باطلاً وسحتاً ويقولون: سيغفر لنا، وأن يأتيهم عرض مثله يأخذوه في غير تورع ولا استحياء، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، فلن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ... وهكذا أخضعوا دينهم لدنياهم. واشتروا بكتابهم ثمناً قليلاً ... ذلك موجز أمرهم وأمر آبائهم من قبل.

فلما جاء رسول الله ﷺ المدينة، حدد علاقته بهم بمحالفة مرضية، تكفل لهم الأمن والنظام والحرية، والعيش الحسن، لو أرادوا. لكنهم لما رأوا قوته تزداد، وسلطانه يعظم، ودينه يهيمن، وزمام الأمور الاقتصادية والسياسية ينتقل إليه، أكلت

---

(١) انظر: كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ص٢١.

قلوبهم الغيرة، وزاد بهم الحقد والغيظ. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١). وقد سجل القرآن غيرتهم وحقدهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(٣). ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٤).

وإلى جانب غيرتهم وحقدهم، كانوا تشككون ويستهزئون بآيات الله وشعائره، وهذا ما أثبته القرآن في عديد من آياته، وعلى الرغم من ذلك كان موقف النبي ﷺ في الدعوة إليهم على النحو التالي:

١- الجدال بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٥).

والنفس القوية المؤمنة لا يعقل أبداً أن تتازل الأدنياء بسلاحهم... ولقد ظل رسول الله ﷺ صابراً على ما ذكرنا من أمرهم أخذاً بالتي هي أحسن، ولو شاء لانتقم منهم لدين الله، وفي يده من السلطان والقوة المسلحة ما يعينه على هذا، لكنه ترك أمرهم لله، وظل على جدالهم بالحسنى والمنطق القوي.

حقاً لقد أجلى رسول الله ﷺ بعضهم عن المدينة وقتل الآخرين، ولكن لم يكن هذا انتقاماً لما حرفوا في الكتاب أو نحوه، إنما كان لأنهم نقضوا محالفتهم معه،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٩.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

وحاول بنو النضير أن يقتلوه غدراً في إحدى زياراته لهم، وهموا -فعلاً- بما حفظ الله منه نبيه، وذكر قصتهم في سورة الحشر.... وغدر بنو قريظة في غزوة الخندق، ودبروا من الخيانة ما لو تم أمره لما بقي مسلم واحد على ظهر الأرض، ولتغير مجرى التاريخ، وكانت الدنيا على غير ما نراها الآن. وقصتهم مفصلة في كتب السيرة، وقد أورد القرآن طرفاً منها في سورة الأحزاب.

فرسول الله ﷺ، ما كان يأخذهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، والصفح عما يأتون من جرائم الذلة والدس والحسد ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٢- دعوتهم إلى الإيمان بالرسل جميعاً، وبالكتب المنزلة كلها، لأن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب والرسل، ومادام الجميع يدعون إلى الله، وغايتهم واحدة، وكتبهم متفقة في القواعد والأصول، فالإيمان بهم جميعاً واجب، ونصرة من يجيء من هؤلاء الأنبياء واجبة، لأنها نصرة لله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

وهذه دعوة خالصة، إذا وجهت إلى من يدعو إلى الله فرح بها، ولا يضيق بأهلها، فالدعاة إلى الله مجاهدون لغاية واحدة، يفرح بعضهم ببعض وينتصر بعضهم بنصر بعض، وكلما نزلت إلى الميدان طائفة جديدة، تعمل بعملنا وتدعو بدعوتنا، ولها شاهد في كتبنا، وجب أن نفرح بها، لأنها تعزيز لقوتنا ... أما مناوأتها والتفرغ لخذلانها، فهو شان من يعمل لنفسه لا لله.. ولهذا رأينا اليهود يضيقون ذرعاً برسول الله ﷺ، لقد

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨١.

دعاهم إلى الإيمان بالكتب كلها لا بكتابه فقط، فأي حرج في هذا؟ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾[1].

٣- تذكيرهم نعم الله عليهم، وما خصهم به من فضل: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ... وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ... وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[2]... إلخ، وهو أسلوب إذا تقربت به لأعدى أعدائك، لان وأسلس، ولكن الأناني الحاقد الذليل، لا يرضيه إلا أن يخلو له وحده وجه الأرض.

وكان لابد من الحملة عليهم، وتعقب مخازيهم، وهتك أستارهم وأسرارهم ولكنها حملة هي غاية في العدل، فلم تتجاوز تقرير الحقائق، وقد استمر الرسول ﷺ على هذه الدعوة العامة يقررها، ويثبتها في إنسانية سمحة فسيحة، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ... وهو موقف لا تعلق به ذرة من غبار، موقف القوي بإيمانه، الواثق من وعد ربه)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم... الخ" وفي بيان قال ذلك الطيبي: (والمراد بالآيات ههنا. إما المعجزات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات، وعلى

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٤٧-٥٧.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١١-٣٢١.

هذا فقوله: لا تشركوا كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب، ولم يذكر الراوي الجواب استغناء بما في القرآن أو بغيره)[١]، (ويقصد الطيبي: بما في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾[٢].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات، وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهى: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. آيات مفصلات. قاله ابن عباس)[٣].

وقال الطيبي: "والأظهر أن اليهود سألوا عما عندهم من الآيات المنصوصة بالعشر، وكانت تسع منها متفقاً عليها بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصة بهم، فسألوا عن المتفق عليها وأضمروا ما كانت مختصاً بهم، فأجابهم ﷺ عما سألوه، وعما أضمروا، ليكون أدل على معجزته، ولذلك قبل يده"[٤].

وقد ورد عن الترمذي في سننه تفصيل ذكر الآيات البينات التي سئل عنها النبي ﷺ فقال ﷺ: " لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلاَ تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلاَ تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ"[٥]، ثم قال ﷺ "وعليكم خاصة" أي: "مخصوصين بهذه العاشرة، وهى "ألا تعتدوا في السبت"، أى لا تتجاوزوا أمر الله في تعظيم السبت بأن لا يصيدوا السمك فيه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١/١٩٢-١٩٤. وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٢٤.

(٤) شرح الطيبي ١/١٩٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٧٣٣، ضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥١٧).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

وقد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات، ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1]، [2]، وكان من ذلك إخباره ﷺ عن القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلم ذلك، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه تعنتاً وتعجيزاً عن أخبار تلك القرون السالفة. فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً.

بالإضافة إلى ما جاءت به السنة المطهرة من تفصيل ودقائق عن أخبار تلك الأمم السابقة والأنبياء السابقين مع أقوامهم. وأشباه ذلك مما صدّقه فيه علماؤهم ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك فمن مُوَفّق آمن بما سبق له من خير ومن شقيٍّ معاند حاسد[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ:

لقد أتى اليهودي وصاحبه إلى رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، وأجابهم المصطفى ﷺ، فلما علما أنه رسول الله حقًا أقبلا عليه يقبلان يده ورجله وهذا واضح في قول صفوان بن عسال رضي الله عنه "فقبلا يده ورجله".

قال المباركفوري: (والحديث يدل على جواز تقبيل اليد والرجل)[4]، وقال ابن عثيمين: (إن هذين الرجلين قبلا يد النبي ﷺ ورجله، فأقرهما النبي ﷺ على ذلك، وفي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير الشرف والعلم، كذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك، لأن لهما حقًا، وهذا من التواضع)[5].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٥٢٠.

(٣) المرجع السابق ٥٤٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٩/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

ومما يدل على جواز تقبيل اليد والرجل حديث زارع، وكان في وفد عبد القيس عند قدومهم على النبي ﷺ حيث قال: ((لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله "ورجليه"))[1].

رابعاً- من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها:

هذا ما يظهر في الحديث من قول الراوي "فقبلا يده ورجله"، وقالا: نشهد أنك نبي، "فمن الواجبات التي أنيطت بالمدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار وغضب الله تعالى، لأنها دعوة له فيها خير، محتاج إليها، فيها حياته، فيها عزه ومنعته، فيها خير الدنيا والآخرة. وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز شأن عباده الذين سمعوا نداء الحق والإيمان فآمنوا، وعلى أي مدعو في هذا الزمان أن يكون مثلهم، فيقبل دعوة الإسلام، وينقاد للحق، وينقذ نفسه من الهلاك، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[2]"[3].

(وبناء على ذلك فعلى غير المسلمين أن يستمعوا إلى دعوة الإسلام، وأن ينبذوا التقاليد ولا يعطلوا عقولهم، وأن يفهموا طبيعة هذا الدين وما يدعو إليه)[4]، ثم (ينهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك)[5]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

(١) أخرجه ابو داود ٥٢٢٥، وحسنه الألباني دون ذكر الرجلين (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥٣).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٣.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٤٢٤.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ١٨٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[١]، (فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوا فكرهم، وتدبروا أحوال الرسول ﷺ وماجاء به، وتجردوا من العصبية والهوى، لتبين صدقه ولآمنوا بما جاء به)[٢].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٤٦ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

الحديث رقم (٨٩١)

٨٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قِصَّةً[1]، قَالَ فِيهَا: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَهُ. رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري جاء في صورة مركزة علي شاهد تشريعي مقتضب من قصة شملت سبب الحديث، وبداية خبر الراوي خالية من المؤكدات، ولعله قابل بها خالي الذهن من الخبر، وقوله (فدنونا) التعبير بالدنو في هذا المقام فيه تواضع هذا موضعه وتقدير، وإجلال للرسول ﷺ هو أهله، وعرفانا بالجميل من صحابته هم أوفى الناس به، مع ما ينبيء به من محبة، ومودة، ثم إن إسناد الدنو، والتقبيل لناء الفاعلين يشير إلى أنه شعور جماعي، كما يشير من طرف آخر إلى توكيد الفعل؛ لأنه أشبه المجمع عليه بخلاف فعل الواحد، وإن ثبت به الفعل لكن فعل الجماعة أوكد، وقوله (فقبلنا يده) الفاء توحي بسرعة تدلل على الحفاوة، والإجلال، والتقبيل في هذا المقام فيه من ما فيه من معاني الإقبال، والقبول، والرضي، والإجلال بتقبيل يد حُقَّ على كل مسلم تقبيلها في كل زمان، ومكان، إن لم يكن بمس البنان فبمتابعة السنة، وتمام الإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ.

---

(١) وهذه القصة أخرجها أيضًا أبو داود برقم ٢٦٤٧ بنفس الإسناد.

(٢) برقم ٥٢٢٣. عدّه الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٧/١١: من جيد ما ورد في الباب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن قصة لم يذكرها النووي، وذكرها أبو داود في سننه قال فيها فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

فأفاد الإخبار تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ دون أن ينكر عليهم، فأخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك وهذا ما ينبغي على جميع الدعاة، إذ أن من علم الحق وعرفه واهتدى إليه، فينبغي عليه أن يخبر به غيره من المدعوين، حتى يستجيبوا له، ويهتدوا إليه، فأسلوب الإخبار أسلوب دعوي مفيد في تبليغ الدعوة للمدعوين ونشرها بين فئات المسلمين وغيرهم، ممن طلب الحق وأراد الهداية والتسليم ومن لم يرد، لإقامة الحجة عليه بتبليغه وإخباره بما ورد من أصول الدين وفروعه، الشامل لكل صغير وكبير في حقيقة الدنيا والدين.

ثانياً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك من الحديث في قوله الراوي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة وقد ذكرها أبو داود في سننه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حدثه: "أنه كان في سرية من سرايا رسول الله ﷺ قال: فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فلما برزنا "فزعنا" قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤْنا بالغضب، فقلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها "لنذهب" ولا "فلا" يرانا أحد. قال: فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا. قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون "الفارون" فأقبل إلينا فقال: "لا بل أنتم العَكَّارون"[1]، قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: "أنا فئة المسلمين"[2] والقصة من وسائل الدعوة المهمة؛ إذ (تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم، وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم،

---

(١) العَكَّارون: العَكَّارُ الذي يولي في الحرب ثم يكر راجعاً مشتاقاً للجهاد. انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ع ك ر).

(٢) سنن ابي داود ٢٦٤٧.

وبيئتهم الطبيعية والزمنية. تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ومضيت مع الحوار والنقاش - عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم، وضقت ذراعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتعاشرهم وتحيي بينهم.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصصي البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان. وترفع نبض المشاعر.. وهي بالميزة الثانية: ميزة التنبه والتقبل، تجعل النفوس أوعية مفتوحة، يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار.

فعلى الداعية أن يستمسك بالقصة كوسيلة دعوية، وليعلم أنها من سنة الله تعالى، والله عز شانه قد سنها في القرآن الكريم، فقص على رسوله أحسن القصص، وضمنه خير التعاليم والمواعظ تثبيتاً له ولأمته على الحق: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وخير القصص كله، قصص القرآن الكريم... فلقد أحكمت به عروة العقيدة، واكتمل نظام الأخلاق، واشتدت به أركان الحضارة الإسلامية، فكانت أوفى وأكمل الحضارات ...)(٢).

فينبغي أن يستعين الداعية بقصص القرآن الكريم في تبيلغ الدعوة، فإنه يسعف الداعية بما لا يسعفه به قصص أخرى.

ومن القصص التي يجب أن يستعين بها الداعية قصص رسول الله ﷺ وهذا

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٤٤-٤٥.

القصص يأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم [(١)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ:

يظهر ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

قال ابن عثيمين: (وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، وتقبيل اليد كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن عجبًا أن الناس الآن يستنكرون تقبيل اليد أكثر من استنكارهم تقبيل الرأس، وهو لا فرق بينهما، لكن الذي يُنْتَقَد من بعض الناس أنه إذا سلَّم عليه أحد مَدَّ يده إليه وكأنه يقول: قبّل يدي، فهذا هو الذي يستنكر، ويقال للإنسان عندئذ لا تفعل، أما من يقبل اليد تكريمًا وتعظيمًا أو الرأس أو الجبهة فلا بأس به[(٢)].

وقد فصل القول في ذلك العظيم آباد فقال: وتقبيل اليد وردت فيه أحاديث ... وآثار صحيحة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وذكر بعضهم أن مالكًا أنكر ماروى فيه وأجازه آخرون.

قال الأبهري: إنما كرهها مالك على وجه التكبر والتعظيم لمن فُعل ذلك به، فأما إذا قبل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئًا من بدنه ما لم يكن عورة على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز، وتقبيل يد النبي ﷺ يقرب إلى الله وما كان من ذلك تعظيمًا لدنيا أو لسلطان أو لشبهة من وجوه التكبر فلا يجوز[(٣)].

وقال المباركفوري: قال النووي: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو عمله أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة، وقال أبو سعيد المتولي: لا يجوز[(٤)].

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢/٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٩/٢.

الحديث رقم (٨٩٢)

٨٩٢- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتِي، فَأتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ [1] يَجُرُّ ثَوْبَهُ [2]، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذيُّ [3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقف بين الرسول ﷺ وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه وكيفية استقبال الرسول ﷺ له، وقولها (في بيتي) يشير إلى خصوصية البيت، وقولها: (فأتاه فقرع) تتابع الفاء في العطف يوحي بشدة شوق زيد بن حارثة رضي الله عنه و (ال) في الباب للعهد، وهو باب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقولها (فقام النبي ﷺ إليه) يوحي بالحفاوة، والسرور، يؤكد ذلك قولها (يجر ثوبه)، وهو كناية عن السرعة شأن الحبيب إذا رأى حبيبه مقبلاً عليه، وقولها (فاعتنقه، وقبله) الفاء تدل على مزيد حفاوة ضرورة أنها تدل على الإسراع، والتعبير بالاعتناق يدل على تمكن المحبة، وتقبيله دليل عليها، مع ما يوحي به الفعلان من تقدير واحترام وزيادة خصوصية لحبه زيد بن حارثة، فهنيئاً له محبة رسول الله ﷺ، وأعظم بها من محبة ا حري بكل مسلم أن يسعى إليها بإحياء سنته النبي ﷺ.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (عريانًا).

(٢) عند الترمذي زيادة: (والله ما رأيته عريانًا قبله ولا بعده).

(٣) برقم ٢٧٣٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستئذان.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستئذان:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في استئذان زيد بن حارثة رضي الله عنه، عندما قدم المدينة على رسول الله ﷺ، وذلك من قول عائشة رضي الله عنها فأتاه فقرع الباب، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، (والاستئذان من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين وأمرهم بألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن لم يؤذن له، وإلا انصرف)[2]، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بذلك فقال: "ربعى بن حراش، حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ، وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه. أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخل"[3].

قال ابن عثيمين: (والاستئذان: يعني طلب الإذن أن تطلب من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول، فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل، حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦..

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٢).

لَكُمْ﴾[١])[٢] . قال ابن كثير: أي (رجوعكم أزكى لكم وأطهر)[٣] .

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع:

هذا ما يستفاد في الحديث من تواضعه ﷺ في قيامه لاعتاق وتقبيل مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، (والتواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وبين أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]،[٦] والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزّة في نفس وإباء للضيم)[٧]، فعلى الداعية أن يقتدي في ذلك بالنبي ﷺ فالتواضع بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيراً ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أجدى"[٨].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل:

قد ورد ذلك في الحديث من معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، عند قدومه إلى المدينة.

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٥٧/٢-١١٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١/٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٦.

(٧) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٥٧.

(٨) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على بن صالح المرشد، ٢١٦.

وقد بين ابن عثيمين ذلك فقال: ("سئل النبي ﷺ عن ذلك إذا لاقى الرجل أخاه أينحني له؟ قال: لا، قال: أيقبله ويعانقه؟ قال: لا، قال: أيصافحه، قال: نعم"[١]. فالحديث صريح في النهي عن الانحناء والتقبيل والمعانقة عند اللقاء المعتاد، لكن إذا كان هناك سبب كالغائب فلا بأس)[٢]. وقال المباركفوري: (وفي حديث معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة لدليل على مشروعية المعانقة للقادم من السفر وهو الحق والصواب)[٣]، وخير دليل على ذلك فعل جابر بن عبدالله، (فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه انه بلغه حديث «عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا، حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما، قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال كما يسمعه من قرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهما قال بالحسنات والسيئات»[٤].

"والتقبيل عند اللقاء لم يكن من عادة السلف"[٥]، (ولكن إن كان على وجه البر والكرامة، أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع، فلا بأس)[٦]، وهذا ما أكده نص الحديث في تقبيل النبي ﷺ لزيد بن حارثة عند قدومه المدينة، وفي تأكيد جواز

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨١٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٦٤).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٧٠، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٦).

(٥) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٨٠.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٠/١٣.

التقبيل من أجل الشفقة والكرامة، قال البراء رضي الله عنه: ((دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمَّى، فأتاها أبو بكر فقال لها، كيف أنت يا بنيه؟ وقبل خدها))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ:

زيد بن حارثة رضي الله عنه هو حِبّ رسول الله ﷺ وأبو حبّه، وكانت له مكانة عظيمة عند النبي ﷺ.

وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها: "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه، فاعتنقه وقبله".

وزيد بن حارثة رضي الله عنه هو الصحابي الجليل، الذي قال فيه ابن عمر، رضي الله عنهما: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3])[4]. وما ذلك إلا لعظيم منزلته عند النبي ﷺ وما يؤكد ذلك، قول عائشة رضي الله عنها: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي بعده استخلفه)[5]، (وعن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: "لاتلومونا على حب

---

(١) أخرجه ابو داود ٥٢٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٣٥١).

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٤٣٤٧).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٨٢، ومسلم ٢٤٢٥ واللفظ له.

(٥) أخرجه أحمد ٢٢٧/٦ رقم ٢٥٨٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٧٤/٤٣.

زيد"، يعني ابن حارثة، قال إسماعيل: وسمعت الشعبي يقول: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا أمره عليهم)(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمرته، فقال النبي ﷺ، إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده"(٢).

(وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: اجتمع جعفر وعلي وزيد بن حارثة فقال جعفر: أنا أَحَبُّكُم إلى رسول الله ﷺ، وقال علي: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، وقال زيد: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، قال: فخرجت ثم رجعت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد بن حارثة يستأذنون، فقال رسول الله ﷺ: «ائْذنْ لَهُمْ» فدخلوا فقالوا: يا رسول الله جئناك نسألك من أحبّ الناس إليك قال: «فاطِمَة» قالوا: نسألك عن الرجال قال: أَمّا أَنْتَ يا جَعْفَرُ فَيُشْبِهُ خَلْقُكَ خَلْقي وَيُشْبِهُ خُلُقُكَ خُلُقي وأَنْتَ إِلَيَّ وَمِنْ شَجَرَتي وأَمّا أَنْتَ يا عَلِيُّ فَأَخي وأَبو وَلَدي وَمِنّي وَإِلَيَّ وأَمّا أَنْتَ يا زَيْدُ فَمَوْلايَ وَمِنّي وَإِلَيَّ وأَحَبُّ الْقَوْمِ إِلَيَّ)(٣).

وفي ذلك بيان على عظم مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٠٧، وقال محقق المستدرك: حديث مرسل صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٣٠.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٤/٥ رقم ٢١٧٧٧، وقال محققو المسند: إسناد ضعيف ١١٠/٣٦-١١١.

الحديث رقم (٨٩٣)

٨٩٣- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لا تَحقِرَنَّ مِنَ الْمَعرُوف شَيئاً، وَلَوْ انْ تَلْقَى اخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[٢].

طلق: منبسط مستبشر[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلق الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٢٦٢٦/١٤٤، وتقدم برقم ١٢١، و٦٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ل ق).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (١٢١).

الحديث رقم (٨٩٤)

٨٩٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما[1] ، فَقَالَ الأقْرَعُ بن حَابِسٍ: إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا[2]... فَقَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ!)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة إنسانية تنم عن رقة، وحنان، ورحمة مع الصغار من أكثر القلوب رحمة قلب الرسول ﷺ ، والموقف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان بين الأقْرَعُ بن حَابِسٍ، وبين الرسول ﷺ حين رآه يقبِّل الحسن فقال الأقرع رضي الله عنه : (إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَداً) وبناء عبارة الأقرع يدل على قسوته، لأنه بناها مؤكدة بأكثر من مؤكد مع تقديم الجار والمجرور (لى) الذي يفيد الاختصاص يعني أنهم أبنائي، وليسوا أبناء غيري، ثم أسلوب النفي الداخل على الماضي المحقق مع الاستغراق بـ (من) المتصلة بضمير الجمع، والنكرة الواقعة في سياق النفي الدال على العموم (أحد)، ولذلك جاءت عبارة الرسول ﷺ مدوية في سمعه تقرر أن الجزاء من جنس العمل (مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ !) في جناس يقرر هذا المعنى، ويرسخ العبارة في الأسماع، والعقول رحمة للراحمين، وحرماناً للقساة الجافين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عند البخاري زيادة: (وعنده الأقرع بن حابس التميميّ جالسًا).

(٢) عند البخاري زيادة: (فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثمّ).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٩٩٧ ، ومسلم ٢٣١٨/٦٥ ، وتقدم برقم ٢٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٤٢.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٢٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعليم الآداب والأحكام الشرعية في الحياة الاجتماعية:

إن من مقتضيات التربية الإسلامية، أن يقوم المعلم بتعليم من يقوم بتربيتهم خاصة الناشئة منهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية كآداب الكلام والطعام والشراب وآداب المشي والجلوس والنوم وآداب التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم، وآداب الاستئذان وآداب المساجد وآداب الطريق والسيارة وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي التي ينبغي على المسلم الوقوف عليها"(١).

وقد تضمنت أحاديث الباب عدة آداب اجتماعية كإشاعة المودة وتقوية ما بين الناس من صلات وأواصر، كالمصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه، وتقبيل أيدي أصحاب الفضل لا تكلف الناس شيئاً، ومع كون هذه الأمور بسيطة لأنها لا تكلف الناس شيئاً، إلا أن الله يعطي عليها الكثير ويغفر بسببها الخطايا والذنوب، كما جاء في صريح قوله ﷺ: "ما من مُسلِمَين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا".

لذا ينبغي على المربي أن يغرس في المتربين التأدب بالآداب الحميدة والخلال الكريمة، والتي منها الآداب الاجتماعية لاحترام ذوي الفضل وتلمس أسباب المودة والوئام بين أفراد المجتمع من طلاقة وجه ومصافحة ونحوهما، وبذلك يشب المتربون على القيم الحميدة والخلال الكريمة والتدريب عليها، "فإذا تدرب الولد على الآداب والأخلاق المستحسنة منذ الصغر ألفها، وأصبحت سَجيَّة له، فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه ويشب على ما عُوِّد عليه كما قيل:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ، مِنّا ... على ما كانَ عَوَّدَهُ أبُوه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٦٣، تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٧٢، ١٧٣.

وكما قيل أيضاً:

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولا يلين إذا قوّمته الخشب[1]

ثانياً- التربية على الأدب مع الأكابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التنشئة على الأدب مع الأكابر وأصحاب الفضل، ونرى ذلك جلياً واضحاً في حديث صفوان الذي ينقل لنا صورة من صور احترام الصحابة للرسول ﷺ، فذانك رجلان يهوديان هداهما الله على يد رسوله ﷺ وشهدوا له بالنبوة وقبلوا يده ورجله، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ... فقبلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي" كذلك ينقل لنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما صورة مشابهة من تبجيل الصحابة للنبي ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها "فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده" وفي ذلك الدعوة إلى التنشئة إلى احترام أهل الفضل وتبجيلهم، وحفظ أقدارهم، فإن "من محاسن الأخلاق رعاية الأكابر وإنزال الناس منازلهم.

إن ارتباط الطالب مع معلمه وطول لقائه معه يقود إلى التبسط ورفع الكلفة مما يدفع بعضهم إلى إساءة التعامل مع الأكابر والجفاء بحقهم.

ونحن بحاجة إلى أن يحضر المتربون خاصة الشباب، مجالس الكبار ويشاركونهم أحاديثهم، وفي الوقت نفسه يراعى الأدب معهم وينزل الناس منازلهم.

ومما يسهم في تحقيق هذا الجانب -بالإضافة إلى التأكيد عليه والتناول المعرفي- عدة أمور منها:

أ-تنبيه المتربي بصورة مناسبة حين يتجاوز حدود الأدب مع غيره، مع مراعاة الا يُوَلِّد ذلك لديه النفرة من مجالسة الكبار ومشاركتهم أحاديثهم.

ب-احتفاظ المربي بقدر من الاتزان في التعامل مع من يربيه بحيث تبقى الصلة صلة بين معلم وطالب وبين أب وابنه، ولا تتحول إلى صلة زمالة وصداقة، فلا يُفْرط في المزاح

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٦.

ولا يتعامل معه بما ينافي وقار الكبار.

ج-عند وقوع بعض التجاوزات من الطالب ينبغي على معلمه أن يتعامل معها بطريقة مناسبة، فتقبلها يعزز هذا التصرف لديه ويشعره بأنه تصرف مقبول والإغلاظ معه يولد آثاراً غير حميدة، ومن ثمَّ فتجاهل التصرف بطريقة لبقة تشعره بأن هذه الكلمة، وهذا الموقف غير مناسب وتغني عن التصريح، هذه الطريقة في التعامل مع هذه المواقف -التي كثيراً ما تقع- تسهم في وضوح الصورة بين ما ينبغي فعله مع الأكابر وما لا ينبغي.

د-أن يلمس ممن يربيه رعايته لهذا الجانب، بتوقير معلميه واحترامهم والاعتراف لهم بالفضل والسابقة، ولو صار الآن زميلاً لهم، بل لو فاقهم في بعض المجالات، وهذا دَأْبُ أهل العلم الذين تربوا عليه، نراهم يقدرون شيوخهم ويلهجون بالثناء عليهم والدعاء لهم، مع أن بعضهم قد يكون ممن فاق شيخه علماً وشهرة، وأن يلمس التلميذ من معلمه الأدب مع الكبار وأهل العلم والرأي ولو خالفهم في بعض آرائهم، فحين يرى الطالب ذلك كله من معلمه، يترك فيه أثره بإذن الله عز وجل"[1].

ثالثاً- الرحمة في معاملة الأولاد والتلاميذ:

إنه "بقدر حرص المربين على غرس الروح الإسلامي في الناشئة والحفاظ على صفائه فإنهم مدعوون إلى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملاً بهدي الرسول ﷺ، وأسوة بسلوكه الرحيم إزاء صحابته ومجتمعه". الكبار منهم والصغار، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من إظهار محبته وفرحه بأصحابه، وذلك كهشه وفرحه بمقدم زيد بن حارثة، وإسراعه في مقابلته واعتناقه وتقبيله، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة رضي الله عنه المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله"، وكذلك في رحمته بالصغار كما في تقبيله للحسن رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي...."، إذ أن الرحمة مطلوبة خاصة

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٧.

بالأهل والأبناء والتلاميذ.

إن الرحمة إذا كانت محببة ومطلوبة في معاملة الناس بعضهم البعض، فإنها في التربية واجبة أكيدة لا تجوز الغفلة عنها.

إن الهدي النبوي يجعل من الرحمة والرفق زينة وجمالاً يحلي سلوك الناس، كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحاً يشين أعمالهم، ويزيل ما فيها من رواء وبهاء، وفي ذلك نصح للأمة كلها سيما أولئك الذين يقعدون مقاعد التربية والإرشاد[1].

رابعاً- إدخال السرور والفرح في نفس الطفل والمتربي:

إن السرور والفرح يلعب في نفس المتربي -خاصة الطفل- شيئاً عجباً، ويؤثر في نفسه تأثيراً قوياً، فالأطفال وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح، بل هم أداة الفرح للكبار، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار.

وبالتالي فإن تنمية هذا الشعور المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقي أي أمر أو ملاحظة أو إرشاد.

وقد جاء الإرشاد في أحاديث الباب إلى إدخال السرور والفرح على الجميع -ومنهم الأبناء والمتربون- جاء ذلك على سبيل التوجيه والتلقي المعرفي كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" أم بصورة عملية كما في تقبيله لحفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما، كما جاء في صريح حديث أبي هريرة "قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس...".

فلقد كان ﷺ يدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ويتبع في ذلك شتى الأساليب، فمن ذلك:

-الاستقبال الجيد لهم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها الذي ذكر لنا حسن استقبال رسول الله ﷺ وحفاوته بمقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٥٨.

-تقبيلهم وممازحتهم، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتقبيله ﷺ لابن ابنته الحسن بن علي رضي الله عنهما.

-مسح رءوسهم.

-حملهم ووضعهم في حجْره الشريف.

-تقديم الأطعمة الطيبة لهم، والأكل معهم.

كل ذلك يفعله النبي ﷺ لتأسيس البناء العاطفي وتقويته، وذلك لما للفرح من قوة في التأثير ولما للسرور من براعة في إسعاد الطفل"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يَلْقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبِّله قال: لا. قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم.

والحوار والمناقشة يفيدان في تفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية.

ب-الممارسة العملية كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل النبي ﷺ الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما.

والممارسة العملية تتميز بقوة بقاء أثر التعلم وتيسر وصول المعلومة للمتعلم.

ج-استثمار المواقف والفرص: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق، لما رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل الحسن رضي الله عنه قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فقال رسول الله ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم". فقد استثمر النبي ﷺ ما وقع، وبيّن للأقرع بن حابس عدم صواب ما كان يفعله من عدم تقبيل أولاده، وذلك من خلال الترهيب فقال ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم".

ومما لا يخفى أن المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يُستثمر المعلم

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١١، ١١٢.

هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة قد تستعصي على النسيان، فعلى المعلم اللبيب والمربي الحكيم أن يفيد من المواقف والأحداث في توجيه التعليم وتأكيد التربية، وخاصة أن الأحداث والمواقف لا تنقطع، فكل يوم تطلع فيه الشمس تتجدد أحداث وتمر مواقف وتحين فرص.



٦- كتاب عيَادة المريض وَتشييع الميّت
والصّلاة عليه وَحضور دَفنهِ وَالمكث عِنْدَ قبرهِ بَعدَ دَفنه

١٤٤- باب عيادة المريض

الحديث رقم (٨٩٥)

٨٩٥- عن البَرَاء بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإبْرَارِ المُقْسِمِ[١]، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإجَابَةِ الدَّاعِي، وَإفْشَاء السَّلاَمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[٣].

إبرار المقسم: تصديق قسمه وإنفاذه[٤].

الشرح الأدبي[٥]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث الشريفة إلى الأحكام الفقهية الآتية:

١-عيادة المريض.   ٢-اتباع الجنائز.

---

(١) (أو: القسم) كما عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٥، ومسلم واللفظ له ٢٠٦٦، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ر).

(٥) انظر: الشرح الأدبي للحديث رقم (٢٣٩، ٨٦١، ٨٨٠).

٣-تشميت العاطس٤-إبرار القسم.

٥-نصر المظلوم ٦-إجابة الداعي. ٧-إفشاء السلام.

وقد سبق ذلك عند الأحاديث ٦، ٢٣٨، ٢٣٩.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩).

الحديث رقم (٨٩٦)

٨٩٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الإجمال، والتفصيل الذي يحقق التشويق، والذي يحقق بدوره الانتباه، واليقظة لبقية الخبر، وهو من الأمور التي يحرص عليها كل متكلم عامة، والرسول ﷺ خاصة، كما يؤكد هذا الأسلوب المعنى؛ لأنه يذكر مرتين مرة إجمالاً، ومرة تفصيلاً، وقد أجمله في قوله (حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ) والحق هو الحتم اللازم، وذكر العدد يؤكد المعدود؛ لأنه يرتبط بالرقم، وتعريف المسلم للجنس فيشمل الجميع، وينفيه عن غيرهم ثم بدأ بتفصيله بقوله (رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ) وبين هذه العبارات مراعاة النظير، وهي ذكر الشيء، وما يناسبه، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومن الملاحظ في الحقوق المذكورة أنها مفردة إلا لفظ الجنائز؛ لأن المستحب فيها كثرة الناس؛ فإنه خير لهم، وللميت، والتعبير بالاتباع فيما يتعلق بالجنائز يشير إلى اتباعها في مختلف المواقف

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢/٤، وتقدم برقم ٢٣٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٨٦، و٣٩٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

من الخروج بها من المنزل؛ إلى الصلاة عليها ودفنها، والتعبير بالعيادة في زيارة المريض توحي بتفقده من حين إلى حين تطيباً لنفسه، وشداً من أزره، كما أن لفظ العيادة ينافي التطويل، لأنه يعني التكرار، والتطويل لا يستقيم مع التكرار لأنه يؤذي المريض الذي يحتاج إلى الراحة فيفهم منه تقصير وقت الزيارة مع تكرارها، بما يطيب نفسه، ولا يشق عليه.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٨).

الحديث رقم (٨٩٧)

٨٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَومَ القِيامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدني ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (إنَّ اللهَ – عز وجل- يَقُولُ يَومَ القِيامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدني !) ارتقاء من مستوى الكلام البشر إلى مستوى الكلام الإلهي وهي نقلة عظمى في الأساليب، والمعاني و هي جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) مع اسمية الجملة لتمهيد نفس المخاطب مع ما يوحي به التوكيد من أهمية الخبر، وعناية الرسول ﷺ به، وهو نوع من إعداد النفوس لاستقبال نوعية الأخبار التي تتسم بالطرافة، وتحمل نوعاً من الغرابة، وتتميز بأهمية خاصة في نفس المتكلم، ويريد أن يبثها في نفس السامع، ولما كانت أكثر أخبار الرسول ﷺ تتسم بهذه الصفات أو بعضها. تجد أكثر أحاديثه يسبقها، أو يحدوها نوع من تمهيد النفوس بنوع، أو أكثر من المؤكدات، بيد أنها تختلف كماً، وكيفياً بحسبة طبيعة المعاني، وأحوال المخاطبين وقوله - تعالى - (يَا ابْنَ آدَمَ) نداء عام لكل من بلغه وقوله: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدني !) أراد به مرض عبده وإنما

(١) برقم ٢٥٦٩/٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٩٢.

أضاف إلى نفسه تشريفا لذلك العبد فنزله منزلة ذاته والحاصل أن من عاد مريضا لله فكأنه زار الله وتشير فيه هذه الفقرة إلى عظم المنة من الله على المريض، وعلى زائره قال النووي في شرح مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى فالمراد العبد تشريفاً للعبد، وتقريباً له قالوا ومعنى وجدني عنده أي وجد ثوابي وكرامتى ويدل عليه قوله في تمام الحديث (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي......) أي ثوابه والله أعلم)[1] وهذه الكرامة للعبد والتشريف له محبة من الله ورفقاً به ودعوة من الله للعباد بالتواصل، والمودة حتى أنه أضاف مرض عبده إليه - سبحانه وتعالى - مما جعل العبد الموقوف بين يدي الله - تعالى - يسأل، ويتعجب (....كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟) واستفهامه يحمل مع التعجب من الخبر استبعاد واستعظام لعبد ضعيف أن يعود ربه، وهل يمرض الرب؟ ولكن هذه الإضافة وهذا التكريم إشعار بمنزلة العبد، وعظم ثواب زيارة المريض، وهو تصوير وحكاية لموقف من مواقف الآخرة كدعوة من الله لعباده بالتواصل بينهم، ورعاية كل منهم لحال إخوانه لا سيما أهل الحاجة منهم، والمرضي؛ ولذلك نجد الأسلوب يتكرر عتاباً من الله لعبده في تقصيره في إطعام أخيه الذي استطعمه؛ والذي استسقاه، وفي كل مرة يرد العبد متعجباً مستبعداً (كيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟....) (كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟...) وجملة الحديث تشير إلى ضرورة الترابط الروحي، والتكافل الاجتماعي بين المؤمنين، ووجوب إعانة المؤمن لكل ما يحتاج إلى إعانة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك.

---

(١) الأحاديث القدسية ١/٢٦٣.

أولاً- من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة". "والحديث القدسي لغة: هو الحديث المنسوب إلى الذات القدسية وهو الله سبحانه وتعالى، واصطلاحاً، هو ما نقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل والفرق بينه وبين القرآن، هو أن القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ولفظه من عند النبي ﷺ، والقرآن يتعبد بتلاوته والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، ولا يشترط في ثبوته التواتر على عكس القرآن الكريم"[1]. والحديث القدسي من المصادر الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد ورد السؤال والجواب كأسلوب دعوي في الحديث في ثلاثة مواضع، الأول هو سؤال الله تعالى للعبد عن عدم عيادته للمريض، والثاني هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم إطعام الجائع، والثالث هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم سقيا من استسقاه، وقد بين الحق تبارك وتعالى في الإجابة على سؤاله: "أن العبد لو قام بذلك لوجد ثواب الله وكرامته، وأن الإحسان إلى الخلق هو إحسان إلى الخالق"[2]، وقد أفاد السؤال والجواب الوارد في نص الحديث عظم هذه المطلوبات وشدة امتثالها في حياة المدعوين، كما أفاد عظم جرم من فرط في إهمالها وعدم الاعتناء بها، ويتضح هذا جلياً في مدى ما يحسه العبد من حسرة وندامة وخسران بعد كلام الله له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك:

لقد أشار الحديث القدسي إلى ذلك من قوله ﷺ عن رب العزة "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ...، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ...".

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ١٢٦.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥٥١، وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٨/٣٩.

قال القرطبي: وقوله تعالى: «يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني»: (تَنَزُّلٌ في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، ومقتضاه التعريف بعظيم فضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. ويستفاد منه أن الإحسان للعبيد إحسان للسادة، فينبغي لهم أن يعرفوا ذلك، وأن يقوموا بحقه)[1].

وقال القاضي عياض: (قال الإمام: قد فسر في هذا الحديث معنى المرض، وأن المراد به مرض العبد المخلوق، وإضافة الباري -سبحانه- ذلك إلى نفسه تشريفاً للعبد، وتقريباً له. والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلته محلها، وعبرت عنه كما تعبر عن نفسها، وأما قوله: "لو عدته لوجدتني عنده" فإنه يريد ثوابي وكرامتي، وعبر عن ذلك بوجوده على جهة التجويز والاستعارة، وكلاهما سائغ شائع في لسان العرب...، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[2]، يعني مجازاة الله تعالى، ومثل هذا كثير. قال القاضي: وقد جاء في آخر الحديث في الإطعام: "لو أطعمته لوجدت ذلك عندي" أي ثواب ذلك وجزاؤه، وهذا تفسير: "لوجدتني عنده")[3].

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في عيادة المريض وإطعام الطعام، وهذا ما بينه عثمان بن عفان رضي الله عنه "في خطبة له قال: إن والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير"[4]. وقد أمر ﷺ بذلك فقال: "أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني"[5].

وقال ابن عثيمين: (إن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥١/٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٩/٨.

(٤) أخرجه أحمد ٦٩/١ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند إسناده حسن ٥٣٢/١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذه قطيعة وأى قطيعة!)[1]، أما إطعام الطعام: (فيجب علينا كفائياً إطعام الجائع إنقاذاً له من ألم الجوع، ومحافظة على صحته بل على حياته، إن كان يودي بها فقد الطعام، وليكن إطعامه من خير ما نطعم به، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾[2]، [3].

وقد حث النبي ﷺ على عيادة المريض وإطعام الطعام، فقال ﷺ: "من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من شهد منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت في رجل إلا دخل الجنة"[4].

قال النووي: في قوله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة". قال القاضي: معناه: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى"[5].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ عن رب العزة: "يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني!... "قال ابن عثيمين "وفي ذلك دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا، وأنك تجد ذلك عند الله مدخراً"[6]، وبين ﷺ عظم فضل سقيا الماء. فقال: ((بَيْنَمَا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧ .

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٦٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١١٧٢/٢.

رَجُلٌ يَمْشي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ. فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ. ثُمَّ خَرَجَ. فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرىٰ مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً. ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ. فَسَقَى الْكَلْبَ. فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ. فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي هذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

قال النووي: (في قوله: "فشكر الله له فغفر له" معناه: قبل عمله وأثابه وغفر له)[2].

(١) أخرجه البخاري ١٧٣، ومسلم ٢٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٩٨.

الحديث رقم (٨٩٨)

٨٩٨- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((عُودُوا المَرِيضَ، وَأطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي)) رواه البخاري[1].

"العَانِي": الأسير.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث القصار التي تتناول تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين وقد قام على الأسلوب الإنشائي الذي يمثل جانب الحركة في تجاذب الحوار، وتمثل في أسلوب الأمر في ثلاث جمل اختلف فيها المأمور به، وقد اتصلت أفعال الأمر الثلاثة بواو الجماعة تعميماً للخطاب، وهو خطاب للصحابة ومن بعدهم يطرد باطراد الزمان لهذه الأمة قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[2] وقد صدرت أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم (عُودُوا المَرِيضَ، وَأطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي) بغرض التوجيه، والإرشاد ترغيباً في خصال الخير التي تنشر المحبة بين المسلمين، والتعاون حتى لا يجد المسلم نفسه يوماً في محنة وحده لا يجد من يعينه.

فقه الحديث

١-إطعام الجائع: قال ابن حجر: (قال الكرماني: الأمر هنا "أطعموا الجائع" للندب، وقد يكون واجبًا في بعض الأحوال أ هـ. ويؤخذ من الأمر بإطعام الجائع جواز

---

(١) برقم ٥٦٤٩، ولفظه: (أطعموا الجائع وعودوا المريض، وفكوا العاني)، وأخرجه أيضًا في: ٣٠٤٦، و٥٣٧٣ وليس في واحد منها تقديم: (عودوا المريض)، وقدمه المؤلف لمناسبة الباب، وبهذا الترتيب الذي أورده المؤلف، أخرجه أبو يعلى المسند ١٣/ ٢١٠ رقم ٧٣٢٥/١٠٥.

(٢) التباين في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي صـ ٢٩٢.

الشبع، لأنه ما دام قبل الشبع فصفة الجوع قائمة به، والأمر بإطعامه مستمر)(١).

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش ومنعه مانع، فله أن يقاتل؛ ليحصل على ما يحفظ حياته)(٢).

٢-فك الأسير: قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور. وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال. وروى عن مالك أيضًا. وقال أحمد: يفادى بالرؤوس، وأما بالمال فلا أعرفه. ولو كان عند المسلمين أسارى وعند المشركين أسارى واتفقوا على المفاداة تعينت. ولم تجز مفاداة أسارى المشركين بالمال)(٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "عودوا المريض وأطعموا الجائع، وفكوا العاني"حيث أمر ﷺ بعيادة المريض وإطعام الجائع وفك الأسير، والأمر من الأساليب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٩/٩ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/٦ . وانظر للمزيد من التفصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٣/٤، ٢١٤-٢١٥ ومراجعها ومصادرها.

الدعوية التي تعين الداعية على توجيه وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك الأمر من الخير والفائدة التي تعود على المدعو والمجتمع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

على المؤمن أن يرعى حق أخيه بزيارته في مرضه، وإطعامه إذا جاع، والعمل على فكه من الأسر، وهذا ما يقتضيه الحث على البر والتعاون على التقوى، وتدعيم أخوة المسلمين[1]. وهذا يستفاد مما ورد في الحديث من حثه ﷺ على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني، تأكيداً لقوله ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[2]. وقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[3]. أي: (دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك)[4].

فعيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني من حقوق المسلم على المسلم، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال في عيادة المريض: ((إن من عاد مريضاً خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقر فيها))[5]. وقال: ((من أتى أخاه المسلم عائداً، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح))[6].

أما إطعام الطعام، (فقد بين النبي ﷺ أنه من أفضل خصال المسلمين المتعدية النفع إلى الغير)[7]، (فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٠٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٨٣).

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[١].

قال القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية)[٢].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل إطعام الطعام وفك العاني، فقال في سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: و"العقبة قيل هى جبل في جهنم"[٤].

وقد أخبر تعالى عن كيفية اقتحامها فقال "فك رقبة"، قال السعدي: (أى: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار، أو إطعام في يوم ذي مسغبة" أى مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة، أشد الناس حاجة، "يتيماً ذا مقربة" أى جامعاً بين كونه يتيماً، وفقيراً ذا قرابة، أو مسكيناً ذا متربة، " أى: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة)[٥].

فينبغي على المسلم أن يحرص على عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك الأسير، لما لهذه الأشياء من أجر عظيم، وأثر جليل، في تحقيق المودة والألفة بين المسلمين.

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

قد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) اخرجه البخاري، ومسلم ٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/ ٤٠٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٥٥.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهى عنه، ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فإياكم أن تردوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه)[2]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ في عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك العاني، لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٩٩)

٨٩٩- وعن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((إنَّ المُسْلِمَ إذَا عَادَ أخَاهُ المُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)).

قِيلَ: يَا رَسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: ((جَنَاهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُد: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

جناها: كل ما يجتنى من الثمر[2].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الترغيب في زيارة المريض يتقدمه من التوكيد ما يكفل له قسطا مناسباً من العناية، والاهتمام ثم جاء أسلوب الشرط الذي يربط عيادة المسلم أخيه بالكون في خرفة الجنة أي ثمارها، وهو أسلوب ترغيب يأخذ الإنسان الحريص على الخير من جانب ما يحب، والتعبير بلم يزل يفيد الاستمرارية، والتعبير بخرفة الجنة يستحضر في عقل المخاطب لحظة جمع الثمار ينتقي أطيبها، وإضافتها للجنة تعطيها بعداً إيحائياً لمدد لا ينقطع، وثمر لا يعطب، ولا تشوبه شائبة، وقوله حتى يرجع بيان للغاية، يدفعه إلى البقاء أطول فترة ممكنة، لأنه يعلم أنه بها في الجنة.

---

(١) برقم ٢٥٦٨/٤١ بدون الشطر الأخير، وأما الشطر الأخير فبرقم ٢٥٦٨/٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٠.
تنبيه: جمع المنذري بين لفظي الحديث في حديث واحد، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على بيان أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على عظم فضل وأجر من عاد مريضاً بأنه لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة".

قال القاضي عياض: (وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر. وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لاسيما المرضى من الغرباء ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معونتهم، وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق. من حضرها لزمته، فمتى لم يعادوا لم يعلم حالهم في ذلك.

ولفظة "العيادة" تقتضي التكرار والعود والرجوع إليه مرة بعد أخرى لافتقاد حاله. والعودة: الرجوع، ومنه: العود أحمد. وجاء: عوداً بعد بدء، أي رجع. ويقال: عدت المريض عوداً وعيادة، والياء عندهم منقلبة عن واو)[1].

وقوله ﷺ "لم يزل في خرفة الجنة"، قال القاضي: قال الإمام: قال أبو عبيد: قال

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٧/٨.

الأصمعي: واحد المخارف مخرف. وهو جناء النخل، سمي بذلك لأنه يخترف، أي يجني. قال شمر: المخرفة: سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء. وقال غيره: المخرفة: الطريق، فمعنى الحديث: أنه على طريق تؤديه إلى الجنة، أ.هـ.

وقال القاضي: وقد قيل: المخرف: البستان الذي فيه الفاكهة تخترف. وقيل: القطعة من النخل. وقال الخطابي: المخرف بالفتح: الفاكهة نفسها. والمخرف بالكسر: وعاء يجمع فيه ذلك. ومنهم من يفتح الميم فيجله كالمسجد، والمسجد لموضع السجود ومنهم من يكسرها فيجعله كالمريد)(١).

وقال النووي: (أي: يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها) (٢)، وقال ابن عثيمين: (أي أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض...)(٣)، وقال ابن علان: (قال التوربشتي: المعنى أنه بسعيه إلى عيادة المريض يستوجب الجنة ومخارفها، والعيادة لما كانت مفضية إلى مخارف الجنة سميت بها) (٤)، وبين ابن الأثير أن: ("المخارف" جمع مخرف بالفتح وهو الحائط من النخل؛ أى: أن العائد فيها يحوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترف ثمارها، وقيل: المخارف جمع: مخرفة، وهى سكة بين صفين من نخل تخترف من أيهما يشاء؛ أى: يجتني، وقيل: المخرفة الطريق؛ أى أنه على طريق تؤديه إلى طريق الجنة)(٥).

(ومعنى هذا الحديث، أن عائد المريض بما يناله من أجر العيادة وثوابها الموصل إلى الجنة كأنه يجتني ثمرات الجنة، أوكأنه في مخرف الجنة، أي: في طريقها الموصل إلى الاخترافِ. وسُمي الخريفُ بذلك؛ لأنه فصل تخترف فيه الثمار)(٦).

---

(١) المرجع السابق ٣٧/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٩

(٣) شرح رياض الصالحين ٢ /١١٧٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٠.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥٥٠.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وورد الترغيب في الحديث من قوله ﷺ: "لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"، "ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جداً، والعبد يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب في هذه الأنواع"(١)، "فالترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"(٢).

"ومما لا شك فيه أن لكل أجير أجره، ولكل عامل أجره على عمله، ورب العزة والجلال أعطي عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه ﷺ"(٣)، فقال عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٤)، وبناء على ذلك فقد كان الترغيب هو الأسلوب النبوي في الحث على عيادة المريض، والترغيب في ذلك، بذكر أن العائد للمريض يكون في خرفة الجنة يجني من ثمارها حتى يرجع.

رابعاً- من آداب الداعي: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته:

"لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً"(٥)، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٦)، قال السعدي: "وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتاب، وعلمه العلم

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل[١]. فعلى الداعية أن يمتثل لقول الله تعالى في ذلك ويبين أهمية مواساة المسلم وعيادته.

وقد بين ابن القيم أن لمواساة المؤمنين أنواعًا: (منها: "مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكن هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

الحديث رقم (٩٠٠)

٩٠٠- وعن عليّ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ ، يَقُولُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَة إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)) رواه الترمذيُّ[١] ، وقال: (حديث حسن).

"الخَرِيفُ" : الثَّمر المَخْرُوفُ، أي: المُجْتَنَى.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

غدوة: الغدوة هي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال[٢].

عشية: من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة[٣].

الخريف: الثمر المخروف، أي: المجتنى[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر لمن عاد مسلماً غدوة على صلاة سبعين ألف ملك عليه، وكذلك يقصر من عاد مسلماً عشية على صلاة سبعين ألف ملك له حتى يصبح، وهذا القصر مع إثباته هذا المعنى، فإنه ينفي عنه ضده، وهو الحرمان من استغفار هذا

---

(١) برقم ٣٠٩٨ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٢٩٥٨، وقال الحاكم ٣٤١/١: هذا حديث إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ش ي)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٤) رياض الصالحين ٣٥٧.

العدد من الملائكة له، ومعنى صلاة الملائكة استغفارهم للعبد، والتعبير عن الاستغفار بالصلاة، لأن التعبير بالصلاة مع دلالته على الاستغفار يستصحب معنى الصلة، والدعاء، والطهر، وفي الحديث طباق بين غدوة، وعشية، وبين يصبح، ويمسي يؤكد الفترة الزمنية التي يظل فيها هذا العدد من الملائكة يستغفرون له، وإن كان الله تعالى قد جعل كل هذا العدد يستغفر على هذا العبد ألا يستجيب لهم، وهل جعلهم يستغفرون لكي لا يغفر، المعنى دليل على عظمة فضل الله، ورحمته على عباده، لأنه رحم المريض بجمع إخوانه من حوله، يخففون عنه، ورحم إخوانه بما أعد لهم من مغفرة، ورحمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض.

ثالثاً: من مهام الداعية: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها:

(العيادة: لغة: الزيارة، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد، وقد اشتهرت العيادة في زيارة المريض حتى صارت كأنها مختصة به)[1]، وقد حث النبي ﷺ عليها، وهذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ...إلخ".

قال المباركفوري: في قوله ﷺ: "إن ما من مسلم يعود مريضاً غدوة" أى: ما بين صلاة الغدوة وطلوع الشمس ...، والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال. "إلا صلى عليه" أى دعا له بالمغفرة سبعون ألف ملك، "حتى يمسى" من الإمساء (وإن عاد عشية) أى: ما بعد الزوال أو أول الليل ...، (وكان له) "أى للعائد (خريف) أى بستان وهو في الأصل الثمر المجتني أو مخروف من ثمر الجنة"[2]، وفي ذلك حث من النبي ﷺ للمسلمين على عيادة المريض والمداومة عليها وقد كان رسول الله ﷺ يحث على

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

عيادة المريض، وكان ﷺ يعود من مرض من أصحابه، وعاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب[١]، وعاد عمه وهو مشرك[٢]. وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسلم عمه.

وكان يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله، فيقول كيف تجدُك؟[٣].

وكان يمسح بيده اليمنى على المريض، ويقول: ((اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا))[٤] وكان يدعو للمريض ثلاثًا كما قاله لسعد: ((اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا))[٥].

وكان إذا دخل على المريض يقول له: ((لا بأس طهور إن شاء الله))[٦].

وكان يرقي من به قرحة، أو جرح أو شكوى، ولم يكن يخص ﷺ يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات، بل شرع لأمته عيادة المريض ليلاً ونهارًا، وفي سائر الأوقات كما في الحديث الذي معنا: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة... وإن عاده عشية... إلخ"[٧].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إلا صلى عليه سبعون ألف ملك" وأيضاً في قوله ﷺ: "وكان له خريف في الجنة"، فهذا ثواب عظيم إذا يصلي عليه سبعون ألف ملك، ويظل يجني من ثمار الجنة. وقد بين النبي ﷺ عظم فضل عيادة المريض،

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري ١٣٥٦.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري مطولاً ١٣٦٠، ومسلم ٢٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٧٥، ومسلم ٢١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم واللفظ له ١٦٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦١٦.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٩٤-٤٩٧.

فقال: "من عاد مريضاً نادى منادٍ من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً"[(١)]، قال الطيبي: "في قوله ﷺ: "طبت"، "وأصل الطيب ما يستلذه الحواس، وما تستلذه النفس. والطيب من الإنسان من تزكى عن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال. أقول: قوله: "طبت" دعاء له بأن تطيب عيشه في الدنيا. "وطاب ممشاك" كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق، والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها "وتبوأت" دعاء بطيب العيش في الآخرة"[(٢)]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأجر عيادة المريض.

ثالثاً- من آداب الداعي: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك:

فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في فعل كل ما يحصل لهم به الخير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك الخير العظيم، عيادة المريض لما فيه من أجر عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ: "أيما رجل يعود مريضاً فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة"[(٣)]، قال الطيبي: "يخوض في الرحمة" شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة، أو في الشيوع والشمول"[(٤)]، "هذا فضلاً عن أن عيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة، فهي تذكر الإنسان بنعم الله تعالى، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها، فينطق بشكر مسديها، وهي تزرع المحبة بين المريض وعواده، بل بينهم وبين قرابته، وهي نافعة للمريض تروح عنه وتسليه، وربما وصف العائد دواء ذهب بالداء؛ أو أرشد إلى طبيب ماهر"[(٥)]، فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في عيادة المريض، وأن يبين لهم فضل وثواب ذلك عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٢١٥ - ٢١٦.

(٣) أخرجه أحمد ٣/١٧٤ رقم ١٢٧٨٢، قال محققو المسند حديث صحيح لغيره ٢٠/١٧٩-١٨٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٢١٧.

(٥) الأدب النبوي، محمد الخولي، ١٠٧.

الحديث رقم (٩٠١)

٩٠١- وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((أسْلِمْ)) فَنَظَرَ إِلَى أبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الرسول المعلم ﷺ يعلمنا معالي الأخلاق بالفعل قبل القول كما تبين قصة هذا الحديث حيث قصد بالزيارة غلاماً وأي غلام؟!، غلام يخدمه، وأي خادم؟! خادم يهودي، وهو خير خلق الله، وهل صار خير خلق الله إلا بهذا القلب الكبير الذي وهبه الله- تعالى- إياه فوسع الناس جميعاً؟!، وتأمل البناء التركيبي للحديث الذي ينبيء بعظيم أخلاق النبي ﷺ حيث أنبأت فاء العطف بسرعة التحرك لزيارته في قوله: (فَمَرِضَ، فَأتَاهُ)، ثم قوله: (فَقَعَدَ عِنْدَ رَأسِهِ) الذي يدل على التقريب والرحمة به ثم دعوته إلى الإسلام التي تدل على منتهى الرحمة، ومن يستشعر عظمة رحمة الرسول ﷺ يشعر أنه كان يدعوه إلى الإسلام بلسانه، وقلبه يدعو الله تبارك وتعالى أن يهديه إلى الإسلام، ونظرة الولد إلى أبيه كناية عن استئذانه، فألان الله قلب والده، فقال له أطع أبا القاسم فلما أسلم خرج رسول ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) وهو يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من رحمة الرسول به ورغبته في إسلامه.

(١) برقم ١٣٥٦.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (وفي الحديث:

١- جواز استخدام المشرك.

٢- عيادة المشرك إذا مرض[١].

٣- وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته ما عرضه عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

ووردت الإشارة إلى ذلك في دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه ﷺ، "واليهود من أهل الكتاب: هم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ وسموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة"[٣]، "وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية دعوة أهل الكتاب لتكون المجادلة بالحسنى وبالقول اللين الجميل، لأنه أقرب طريق إلى قبولهم للحق كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨٦/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتوح البيانوني، ١٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦ .

(٥) الدعوة، د. حمد العمار، ١٧٨.

وقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(١).

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمد ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله "بالحكمة")(٢)، والدعوة بالحكمة (هي إصابة الحق بالعلم والعقل)(٣)، وهي منحة الله لأنبيائه، ولمن يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾(٥).

(وكما أن الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه، فهي أيضاً تعني العقل والوعي وتقدير الموقف، ثم التفاعل مع الحدث تفاعلاً مثمراً لا يخرج عن نهج الحق الصواب، الذي اتضحت معالمه بنور القرآن وسير الأنبياء، والحكمة ليست هي اللين والضعف كما يظن البعض، بل هي أكبر من ذلك، والحكمة إذا أفردت بالذكر، دخلت فيها الموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، والمجادلة بغير الحسنى لمن يستحق ذلك)(٦).

(ولما كان الناس مختلفين في طبائعهم ومدركاتهم، في العلم والذكاء، وفي الأمزجة والمشاعر، وفي الميول والاتجاهات)(٧)، (فقد سلك النبي ﷺ: "الطرق الكفيلة معهم لنجاح دعوته، فأورد لكل مقام مقالاً يليق به، وخاطب كل طبقة بما يناسبها)(٨). فعلى الداعية أن ينتهج نهجه ﷺ في دعوته لغير المسلمين، بما في ذلك من الدعوة بمكارم الأخلاق.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦١١٣/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ١٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٤ .

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٦٩ .

(٦) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، د. زيد بن عبدالكريم الزيدص ٣٨.

(٧) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان، ٢٣٢.

(٨) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ٢١.

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول أنس رضي الله عنه : "فأتاه النبي ﷺ يعوده"، فمن أهم صفات الداعية التي يستطيع من خلالها أن يصل بدعوته إلى المدعوين هي صفة التواضع، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١]، وقال ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[٢]، "وكان أبو بكر رضي الله عنه "إذا مُدح قال: "اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[٣]، فعلى الداعية أن يجعل التواضع صفة لازمة له.

(أما حسن اتصال الداعية بالمدعوين فبه يكون نجاح الداعية في تحقيق أهدافه، ونشر رسالته، فالدعوة إلى الله تعالى تفاعل تبادلي بين الداعية والمدعوين)[٤]، ومن حسن الاتصال بين الداعية والمدعو، حرص الداعية على عيادة المرضى من المدعوين لما في ذلك من تقوية لأواصر المحبة، وحدوث الألفة، مما يساعد الداعية على تبليغ ونشر دعوته للمدعوين، فإن عيادة المريض أمر له فائدة عظيمة، وإن كان غير مسلم، وهي دعوته للإسلام وتذكيره بالله تعالى، وإيناسه بما يخفف ألمه ويذهب أوجاعه ... وعلى الداعية الطمع في هداية العاصين وعدم اليأس منهم[٥].

قال ابن عثيمين: (وعلى ذلك فإذا مرض إنسان كافر فلك أن تعوده إذا رجوت في عيادته خيرًا، بأن تعرض عليه الإسلام لعله يُسلم، فهؤلاء العمال الذين عندنا الآن من الكفار - وهم كثيرون- لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأن نجعلهم في منزلة البهائم

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٥.

(٤) المنتدى في البناء الدعوي، أحمد عبدالرحمن الصويان.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ٤٩٩.

يعملون لنا دون أن ندلهم على الحق، فهم لهم حق علينا واجب أن ندعهم للإسلام، ونبين لهم الحق، ونرغبهم فيه، حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من النصارى والبوذيين وغيرهم، ثم لا نجد من يُسلم منهم إلا واحدًا بعد واحدٍ بعد عدة أيام؛ فهو دليل على ضعف الدعوة عندنا، وأننا لم نحاول أن ندعوهم للإسلام، وهذا -لا شك- تقصير منَّا، وإلا فإن العامل جاء يتكفف الناس في الواقع يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللين ورغبناه لحصَّلنا خيرًا كثيرًا، واهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكننا في غفلة عن هذه الدعوة إلى الحق، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في هذه الأمور[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس:

إن مما يستفاد من الحديث حرصه ﷺ على دعوة الغلام اليهودي إلى الإسلام قبل موته، ويظهر ذلك من قول الراوي "فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" ...، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول "الحمد لله الذي أنقذه من النار"، وليس أدل على حرصه ﷺ على هداية الناس من قوله ﷺ: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها"[٢].

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "قوله ﷺ: "مثلي" أى في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار، ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل (كمثل رجل... إلخ)[٣].

وقال النووي: "مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٣٤ - ٥٣٥.

إياهم"(١)، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على هداية الناس واجتهاده ﷺ في ذلك، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على هداية الناس من الضلال، وأن يكون طالباً للأجر في ذلك من الله، وقد بين ﷺ عظم الأجر في ذلك فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"(٢).

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(٣).

قال النووي: في قوله ﷺ: (حمر النعم هي: الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه)(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٣) أخرجه مسلم٢٤٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم العلاقات الإنسانية الطيبة:

جاءت أحاديث الباب داعية إلى إيجاد العلاقات الطيبة بين فئات المجتمع، ودعمها بما يضمن بقاءها واستمرارها، كالقيام بالواجبات الاجتماعية، كعيادة المريض واتباع الجنائز ونصر المظلوم ونحوها، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أَمَرَنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

وإذا كانت مثل هذه الأعمال الطيبة مرغب بها في جميع أوساط وشرائح المجتمع فمن أولى الشرائح بالالتزام بها العاملون في المجال التربوي والتعليمي، وذلك ارتكازاً على: "أن المعلم والتعليم من الأعمال الاجتماعية الخاصة بالبشر، ولذا تستهدف التربية الإسلامية دعم العلاقات الإنسانية الطيبة بين القوى البشرية المؤثرة في العمل التربوي لما لها من عائد تربوي مثمر"[(١)].

"إن من حق أي مسلم في المجتمع الإسلامي -خاصة القائمين على التربية- أن يشعر بأن أخاه المسلم ظَهْر له في السراء والضراء، وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى إخوانه تساندها وتشد أزرها، ومن ثمَّ كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي والحسي كذلك"[(٢)]، فإن المجتمع الإسلامي كلُحْمَة واحدة وجسد واحد، كما يصور لنا ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٣)].

ثانياً- التفاعل والمشاركة الاجتماعية:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية إيجاد التفاعل والمشاركة الاجتماعية، وقيام كل فرد من أفراد الجماعة بمسؤولياته الاجتماعية.

---

(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

وقد جاء في أحاديث الباب التوجيه إلى عدة أمور تدعم المحبة والإخاء وترفع لواء التكافل الاجتماعي منها عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم بتحقيق المحلوف عليه شريطة ألا يكون فيه معصية ولا يؤدي إلى شر ولا معصية، وإعانة المظلوم وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، وإطعام الجائع، وفكاك الأسير، وغير ذلك من أعمال البر.

"إن الإسلام دين شامل ينتظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من العمل الرفيع والتعاون البديع"[1]، وما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى الإتيان بأفعال الخير سواء كانت مادية، كإطعام الجائع وفك الأسير أو معنوية، كعيادة المريض وإفشاء السلام ونحوهما يدل على "مسئولية المسلم الاجتماعية تجاه المجتمع وأفراده، وهذا كفيل ببناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على التكافل والتعاون والحب والمودة والتآلف والرحمة"[2].

إن أحد أهم أهداف التربية الإسلامية هو إقرار التكافل الاجتماعي وتفعيله بين أفراد المجتمع، إذ أن التكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو "نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي، ومعنى التكافل الاجتماعي أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيبتها وسيطرتها فتعيش الأفراد في كفالة الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم"[3].

ثالثاً- من القيم التربوية لأعمال البر والخير:

لقد جاءت أحاديث الباب آمرة بكثير من ضروب فعل الخير والبر كإطعام الطعام وفك العاني ونصر المظلوم وإبرار المقسم وعيادة المريض، وغير ذلك من أعمال الخير التي تشيع روح الإخاء والمحبة، وتربط بين المسلمين بروابط هي أشد وأوثق من روابط الدم

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٤٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٣) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبدالعزيز خياط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٧٢م، ص٧٢.

والنسب، وهذه الأعمال تحمل قيماً تربوية تتمثل فيما يلي:

أ-نمو شخصية القادر الغني وكيانه المعنوي، فمثلاً قال الله عن الزكاة وإعانة الفقراء والمساكين: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. فَعَطْفُ التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعنى، فالطهارة نمو وسمو وارتقاء بكيان الغني وارتقاء لشخصيته إلى الفضيلة، وبعداً عن الرذيلة، ويدرك الغني أنه شخص له قيمة وهو مسئول عن إخوانه من المسلمين فتنشأ رابطة الحب فيحتاج الفقير إلى الغني، ويحتاج الغني إلى الفقير لأن الفقير يكون سبباً في فلاح وصلاح وارتقاء وسمو شخصية الغني وكيانه في الدنيا والآخرة[2].

ب-إن أعمال الخير والتي ورد منها في أحاديث الباب من إطعام الجائع وفك العاني ونصرة المظلوم وإبرار المقسم ونحوها وسيلة من وسائل الضمان والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام.

"إن الإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يزينه ويواريه والسكن الذي يؤويه، فهذه ضروريات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضروريات، وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه ولا يدعه فريسة الجوع والعرى والمسكنة، فهكذا علَّم الإسلام المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى"[3].

إن البر -والقيام بمفرداته من نشر الخير وإسعاف المحتاج وغير ذلك- يُعد قيمة خلقية عظيمة من أكثر القيم الإسلامية جمعاً للخير ووجوه الإحسان، وهو منتهى طريق الخصال الحميدة وجامع لخيري الدنيا والآخرة، وهو كذلك وصف الله به تعالى أهل الخير فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[4]، ولهذا حث عليه ديننا الحنيف وشجع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: جوانب تربوية في الفقه الإسلامي، د. مصطفى رجب، ص٢١٥.

(٣) انظر: العبادات في الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص٢٧٦.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

الناس على تطبيقه في واقع حياتهم، وقد كان من ثمرات ذلك انتشار جمعياته ومؤسساته ورجاله، سواء في العمل الخيري الإغاثي أو في تقديم يد العون والمساعدة بأوسع معانيها، ولذلك عاش المسلمون في ظل الإسلام يكفل بعضهم بعضاً، وانتشر الخير والبر والإحسان في كافة المجتمعات الإسلامية، بل تعدى هذا الخير والبر إلى غير المسلمين، فهي بحق من أَجَلّ وأعظم القيم، والتي يحق للمسلم أن يفخر بها لأنها أثمرت ثماراً عظيمة وصارت من محاسن هذا الدين العظيم"(١).

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية، يستفاد منها تربويًا وتعليميًا من ذلك:

أ-التلقين والنصيحة: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

ويمكن للمعلم أن يستخدم التلقين مع المتعلمين الكبار من أجل توضيح بعض الحقائق والمفاهيم المختلفة.

ب-الترغيب: كما في حديث علي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة" والترغيب يستخدمه المعلم لجذب المتعلمين لفعل الخير والمسارعة إليه.

ج-الحوار والمناقشة: كما في حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع، قيل: يا رسول الله وما خُرفة الجنة؟ قال: جناها".

ومما لا شك فيه أن الحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعل دور المتعلم وتجعله إيجابيًا ومشاركًا في العملية التعليمية.

د-الممارسة العملية: كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص٤٥.

النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" الحديث.

والممارسة العملية تتميز بشدة بقاء أثر التعليم في نفوس المتعلمين.



١٤٥- باب مَا يُدعى به للمريض

الحديث رقم (٩٠٢)

٩٠٢- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، كَانَ إذَا اشْتَكى الإنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ بأُصْبُعِهِ هكَذا - ووَضَعَ سُفْيَانُ (بْنُ عُيَيْنَة الرَّاوِيُّ)[1] سَبَّابَتَهُ بالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا - وقال: ((بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بإذْنِ رَبِّنَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

القرحة: البَثْرةُ (الرُّمَّلُ) إذا دبَّ بها الفساد[3].

قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا: فيه إطلاق القول على الفعل[4].

بريقة: أقلّ من الريق وهو اللعاب[5].

سقيمنا: مريضنا[6].

الشرح الأدبي

قوله: (كَانَ إذَا اشْتَكى الإنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ) كناية عن العضو المصاب بالمرض، والتعبير ب (اشتكى) يدل على اشتداد المرض، وإشارة النبي بأُصْبُعِهِ التي حكاها الراوي بقوله (وضع سَبَّابَتَهُ بالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا) تدل على اجتماع الفعل مع القول في هذه

---

(١) هذه الزيادة من النووي.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٩٤/٥٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ح).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٠.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ق)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

الرقية، والتضاد بين وضع، ورفع يصور أصبع الرسول ﷺ منخفضاً إلى الأرض ثم مرتفعاً والإشارة تعين على فهم المعنى، وثباته لارتباطه بحدث فعلي، ، وقول الرسول ﷺ (بسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا) واتصال الأسماء في العبارة ب (نا) الجمع يشير روح الجماعة المسلمة التي تحيط بالمريض حتى تخفف عنه كما أن الجمع في الدعاء مستحب، وفي العبارة سجع بين الجمل الأربع الأخيرة أعطى العبارة عذوبة، وجمالاً، مع تسهيل الحفظ، وسرعة الانتشار.

فقه الحديث

١-استحباب الدعاء للمريض:

قال النووي في المجموع: (يستحب للعائد إذا طمع في حياة المريض أن يدعو له، سواء رجا حياته أو كانت محتملة، وجاء في الدعاء للمريض أحاديث كثيرة جمعتها في كتاب الأذكار)[١].

قلت: وهذه الأحاديث هي أحاديث الباب.

٢-جواز الرقى:

قال النووي: (معنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح، والله أعلم)[٢].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[٣].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥ . وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٩-١٦٢، وانظر: كذلك: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦١/٣-٣٦٢ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٩/٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٣/١٤/٧ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/١٠، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا... إلخ". قال ابن القيم: (ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام؛ لما فيه: من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، فينضم أحدُ العلاجين إلى الآخر، فيقوى التأثير)[1]، وقال النووي: (قال جمهور العلماء المراد بأرضنا هنا جملة الأرض. وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح، أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح والله أعلم)[2].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه إذا كان في الإنسان المريض جُرح أو قرحة أو نحو ذلك؛ كان النبي ﷺ يبل إصبعه ثم يمسح بها الأرض فيأخذ من التراب بهذا البلل، ثم يمسح

---

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١٠.

به الجرح ويقول: "تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به مريضنا بإذن ربنا" وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوى الجرح بمثل ذلك"(١).

وقال القرطبي: (ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض، ورُقاهُ بها يدل: على استحباب ذلك عند الرُّقي. "وزعم بَعْضُ علمائنا"(٢) أن ذلك معلّ: بأن تراب الأرض لبرودته، ويبسه يقوي الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه بيبسه وتجفيفه، مع منفعته في تجفيف الجراح وإدمالها. وقال في الرِّيق: إنه يختص بالتحليل، والإنضاج، والإدمال، وإبراء الجراحات، والأورام، والثآليل، لاسيما من الصائم والجائع. قلت: وهذا إنما يكون عند المعالجة، والشروع فيها على قوانينها، من مراعاة مقدار التراب والريق، وملازمة ذلك في أوقاته)(٣).

وقال ابن القيم: (هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب، وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية. إذا كانت موجودة بكل أرض. وقد عُلِم: أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة، مجففةٌ لرطوبات القروح والجراحات، التي تمنع الطبيعةُ من جودة فعلها، وسرعة اندمالها؛ لاسيما في البلاد الحارة، وأصحاب الأمزجة الحارة. فإن القروح والجراحات يتبعها - في أكثر الأمر - سوء مزاج حار، فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح، وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة؛ فَتُقَابلُ برودة التراب حرارة المرض، لا سيما إن كان التراب قد غُسل وجُفف. ويتبعها أيضًا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان؛ والتراب مجفف لها، مزيل: - لشدة يبسه وتجفيفه - للرطوبة الرديئة المانعة من بُرئها. ويحصل به - مع ذلك - تعديل مزاج العضو العليل. ومتى اعتدل مزاج العضو: قويت قواه المدبرة، ودفعت عنه الألم بإذن الله)(٤).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٧٥/٢ - ١١٧٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٩٥/٧ - ٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٩/٥ - ٥٨٠.

(٤) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

وقال ابن حجر نقلاً عن البيضاوي: (قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلاً في النضج وتعديل المزاج، وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر، فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئًا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك. ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة، تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها)[(١)].

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله: (ولا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية، ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة. ويشفى بها أسقامًا رديئة. قال جالينوس: "رأيت بالإسكندرية مطحولين ومستسقين، كثيرًا يستعملون طين مصر، ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم، فينتفعون به منفعة بينة. قال: وعلى هذا النحو، قد ينفع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهّلة الرخوة. قال: وإني لأعرف قومًا - ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل - انتفعوا بهذا الطين نفعًا بينًا؛ وقومًا آخرين شفوا به أوجاعًا مزمنة، كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنًا شديدًا، فبرأت وذهبت أصلاً". وقال صاحب الكتاب المسيحي: "قوة الطين المجلوب من كنوس - وهي جزيرة المصطكي- قوة تجلو أو تغسل، وتنبت اللحم في القروح، وتختم القروح". انتهى.

وإذا كان هذا في هذه التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها: وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ، وقارنت رقيته باسم ربه وتفويض الأمر إليه؟ وأن قوى الرقية وتأثيرها: بحسب الراقي وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم؛ فإن انتفى أحد الأوصاف، فليقل ما شاء)[(٢)].

قال ابن علان نقلاً عن التوربشتي في ذلك معنىً بديعًا، قال فيه: (والذي يسبق إلى الفهم من صنعة ذلك، ومن قوله "تربة أرضنا" إشارة إلى فطرة آدم "وريقة بعضنا" إشارة إلى النطفة التي خلق الله منها الإنسان، وكأنه يتضرع بلسان الحال ويتعرض لفحوى المقال أنك اخترعت الأصل الأول من طين، ثم ابتدعت نسله من سلالة من ماء مهين،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

فَهَيِّنٌ عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته، وتمن بالعافية على من استوى في ملكك موته وحياته)[(١)]، وقال ابن عثيمين: (ووجه ذلك: أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ ((جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا))[(٢)] وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل والثقة به، فيشفى بها المريض)[(٣)].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى:

قدأشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "...، بإذن ربنا"، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[(٤)] قال ابن كثير: (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[(٥)].

وقال القاسمي: (وإنمانسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى، مع أنهما منه، لمراعاة حسن الأدب معه تعالى، بتخصيصه بنسبه الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى كما قال الخضر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[(٦)] وقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[(٧)] وكقول الجن في آية ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[(٨)] ولأن كثيرًا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغيره ذلك)[(٩)]؛ فعلى الداعية أن يبين ويوضح أن الشفاء لا يكون إلا بإذن الله وقدرته، ولكن ينبغي الأخذ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢١.

(٢) اخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٧٦/٢.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٧/٦.

(٦) سورة الكهف، آية: ٧٩.

(٧) سورة الكهف، آية: ٨٢.

(٨) سورة الجن، آية: ١٠.

(٩) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢/١٣/٨.

بالأسباب المؤدية إلى الشفاء بإذن الله من الرقي الشرعية، والذهاب للطبيب، وأخذ الدواء، ثم بعد ذلك وقبل، نعلم أن الأمر بيد الله.

الحديث رقم (٩٠٣)

٩٠٣- وعنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أهْلِهِ يَمْسَحُ بِيدِهِ اليُمْنَى، ويقولُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أذْهِب البَأسَ، اشْفِ[1] أنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

البأس: الشدة[3].

سقمًا: مرضًا[4].

الشرح الأدبي

البداية في الدعاء بلفظ (اللهم) يدخل بالقلب قلب الخشوع بطبيعة تكوينه، ودلالته، ولفظ (رب) يدل على الرعاية، والتربية، والعناية، والحفظ، وإضافته للناس فيه تمهيد لما يقصد إليه من طلب الشفاء، وقوله (أذْهِب البَأسَ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي) الأمر فيه للدعاء، وقوله (أنت الشافي) تخصيص له بالشفاء، وقد أكده بأسلوب القصر، (لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ،) لقصر صفة الشفاء على شفاء الله، ونفيها عن كل من سواه، وهذا الشعور إذا تيقنه العبد لا يخطئه الشفاء، وهو سر نجاح الرقية في تحقيق الغرض من راق إلى راق، وقوله (شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقماً) تكميل بلاغي أضاف معنى جديداً وهو أن هذا الشفاء يختص بكونه لا يبقي سقماً، وبين قوله (الناس، الباس)

---

(١) لفظ البخاري: (اشفه) وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٤٣، ومسلم ٢١٩١/٤٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

جناس يعطي جرساً عذباً يجذب السمع، ويحقق اليقظة لما يقال، وبين، (اشف، الشافي) جناس أكد المعنى الحبيب الذي ينشده الداعي.

فقه الحديث

١- استحباب مسح المريض باليمين: قال النووي: (فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له)[1].

٢- جواز السجع في الدعاء والرقى: قال القرطبي: (قوله: "اللهم رب الناس أذهب الباس" فيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى، إذا لم يكن مقصودًا ولا متكلفًا)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض.

خامسًا: من أساليب الدعوة الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله:

أشار الحديث الأول إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان يُعَوِّدُ بعض أهله، وفي بيان عيادته ﷺ لأهله، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ((أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٧/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٤).

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفسُهُ تَتَقَعْقَعُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هذَا؟ قَالَ: هذَا رَحْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[1].

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم، ... وعيادة المريض، ولو كان مفضولاً أو صبيًا صغيرًا)[2].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - وهو الذي قال فيه النبي ﷺ ((هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ))[3]- ((تَشكيتُ بمكة شكوَى شديدة، فجائني النبيُّ ﷺ يَعودُني، فقلتُ: يانبيَّ الله، إني أترُكُ مالاً، وإني لم أترُك إلا ابنة واحدة، فأُوصي بثُلثَي مالي وأترُكُ الثلثَ؟ فقال: لا. قلتُ: فأُوصي بالنصفِ وأتركُ النصفَ؟ قال: لا. قلتُ: فأُوصي بالثلثِ وأترُكَ لها الثلثين؟ قال: الثلثُ، والثلثُ كثير. ثم وضعَ يدَهُ على جبهتهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني ،ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، وأتممْ له هِجرَتَه. فما زِلتُ أجدُ بَردَهُ على كَبدي فيما يُخالُ إليَّ حتى الساعة))[4]، وفي ذلك بيان على عيادته ﷺ لأهله رضي الله عنهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية:

إن مما نص عليه الحديثان، هو الرقية الشرعية، والرقية (هي كلام يستشفى به من كل عارض)[5]، وهي كما بينها ابن الأثير (العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات)[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝٢٧ ﴾[7]

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١٩/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٠/٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٢.

(٧) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

قال السعدي: (أي: من يرقيه، من الرقية فيحميه)[(١)]، (وقد ذهب الجمهور إلى جواز الرُّقي من كل داء يصيب الإنسان بشروط ثلاثة: أولها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ثانيها: أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[(٢)])[(٣)].

وقد حث النبي ﷺ على رقية المريض، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: ((لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ. وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرْقِي؟ قَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ))[(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذٰلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِين نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللّهِ إِنِّي لأَرْقِي، وَلٰكِنْ وَاللّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لاَ تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٣٣.

(٢) اخرجه مسلم ٢٢٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٤٦/٣.

(٤) اخرجه مسلم ٢١٩٩.

اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية:

هذا ما يستفاد من الحديثين، ومما لاشك فيه أن العلاج بالرُّقَي الشرعية سواء بالقرآن الكريم، وبما ثبت عن النبي ﷺ من الرُّقى، هو علاج نافع وشفاء تام (ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة؛ فما الظن بكلام رب العالمين: الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه؛ الذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة؛ الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته)[3].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[4] وقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] قال القرطبي: (اختلف العلماء في كونه شفاءً على قولين: أحدهما - أنه شفاءٌ للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثاني - شفاءٌ من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه)[6].

وقال السعدي: (أي: يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ومسلم ٢٢٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٤.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٤.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٦/١٣.

القلبية)[1]، وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[2]، قال النووي: (وفيه استحباب الرقية بالقرآن والأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً)[3].

وكذلك العلاج بالرقى النبوية الثابتة من أنفع الأدوية. ويؤكد ذلك ما ورد عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: ((إِنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ عُثْمَانُ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ))[4].

وكذلك ما ورد في الحديثين اللذين نحن بصددهما من قول عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس... إلخ الحديث"، وقول أنس رضي الله عنه لثابت رضي الله عنه: "ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ.. إلخ الحديث"، وكذلك باقي أحاديث الباب التي تؤكد رقية النبي ﷺ لكثير من المرضى وحثه عليها.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قول عائشة ﷺ "كان يُعَوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول "اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا" ومن قول أنس رضي الله عنه لثابت: "ألا أرقيك برقية رسول

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٨، ومسلم ٢١٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩٣).

الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: "اللهم رب الناس، مذهب البأس... إلخ".

قال القرطبي: (قوله: "أذهب البأس ربَّ الناس!" البأس: الضرر. وفيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى؛ إذا لم يكن مقصودًا، ولا متكلفًا، وقوله: "شفاءً لا يغادر سقمًا" شفاءً على المصدر، والشافي: اسم فاعل من ذلك، والألف واللام فيه بمعنى: الذي، وليس باسم علم لله تعالى، إذ لم يكثر ذلك، ولم يتكرر... و"لا يغادر"؛ أي: لا يترك. و"السقم": المرض. و"مسحه ﷺ بيمينه عند الرُّقي" دليل على جواز ذلك. وحكمته: التبرك باليمين، وأن ذلك غاية تمكُّن الرَّاقي، فكأنّه مدَّ يده لأخذ المرض وإزالته. ومن حكمته: إظهار عجز الرَّاقي عن الشفاء، وصحة تفويضه ذلك إلى الله تعالى، ولذلك قال عند ذلك: "لا شفاء إلا شفاؤك")[1].

قال ابن هبيرة: (فأما قوله: رب الناس، فإن المعنى يا رب الناس، فحذف منه حرف النداء لاستشعار قرب المنادى؛ وكذلك قوله: مُذهب البأس، فحذف منه حرف النداء لذلك. وقوله: مذهب نكرة عرفها الإضافة، والمعنى أن الله تعالى معروف بإذهاب البأس، فدعاه باسم يناسب المسألة التي يريد السائل أن يسألها، وهي قوله: اشف أنت الشافي، يعني إن أشفيت بسبب فأنت الشافي بغير سبب.

وقوله: لا شفاء إلا شفاؤك، يعني أن الشفاء من كل طريق، وعلى كل وجه، فإنه منك.

وقوله: شفاء لا يغادر سقمًا، شفا مصدر لقوله اشف، يعني اشف شفاء لا يغادر سقمًا أي لا يخلف سقمًا، وسقمًا هاهنا مصدر نكرة، فهو في هذاالموضع أبلغ من المعرف، أي لا يغادر سقمًا من الأسقام)[2].

وقد بين ابن القيم: (أن في هذه الرقية، توسل إلى الله: بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء؛ وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه:

---

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٧٧ - ٥٧٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٢٢١.

بتوحيده وإحسانه وربوبيته)[١].

وقال ابن عثيمين - مبينًا هديه ﷺ في رقية المريض - (فإنه كان إذا عاد بعض أهله "يمسح بيده اليمنى" أي: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: "اللهم رب الناس" فيتوسل إلى الله عز وجل بربوبيته العامة، فهو الرب سبحانه وتعالى الخالق المالك المدبر لجميع الأمور...، "أذهب البأس" يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض، "اشف أنت الشافي" والشفاء: إزالةالمرض وبُرء المريض، فيقال: اشفِ، ولا يقال: أَشفِ لأن الثانية - أشف - بمعنى أهلك، وأما الأولى - اشف- فمعناها البرء من السقم...، و"الشافي" هو الله عز وجل لأنه الذي يشفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يقرأ من الرُّقى، فما هو إلا سبب قد ينفع وقد لا ينفع، فالله هو المسبب عز وجل وقوله: "لا شفاء إلا شفاؤك" صدق رسول الله ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله...، فالشافي هو الله، فليس الطبيب وليس الدواء هما اللذان يشفيان، بل الطبيب سبب والدواء سبب، وإنما الشافي هو الله، وقوله "شفاء لا يغادر سقمًا" أي شفاءً كاملاً لا يبقي مرضًا)[٢].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يقصد بها حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بعد تشويقه إليه وقبوله، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته... وهو من الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب)[٣]، والترغيب في هذين الحديثين يكون بحصول الشفاء من الله، وذلك باتباع هدي النبي ﷺ في الأخذ بالرقية الشرعية، على النحو الوارد عنه ﷺ في الحديث.

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٧٦/٢ - ١١٧٧.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٠٤)

٩٠٤- وعن أنسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ لِثابتٍ: ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلاَّ أنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الرقية: العوذة التي يُرقي بها صاحب الآفة[2].

البأس: الشدة[3].

الشرح الأدبي

صحابة الرسول ﷺ، ورضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على تنفيذ توجيهاته، وأسرعهم إليها، وهذا الحديث يعرض صورة عملية لتنفيذ أوامر النبي ﷺ بين أنس رضي الله عنه وثابت بدأه أنس باستفهام قصد به العرض، والتشويق: (ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟) ثم ذكر دعاء الرقية السابقة لا يختلف إلا في جزئيات بسيطة منها قوله (مُذْهِبَ) في هذه الرواية، ويدل على ثبات الصفة، ودوامها، وفي الرواية السابقة عبر بالفعل (أذهب) وهو أمر بمعنى الدعاء، ومنها: قوله: (لاَ شَافِيَ إِلاَّ أنْتَ) حيث قصر صفة الشفاء عليه على الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، وفي الحديث السابق قصر الشفاء على الشفاء المضاف لله، ونفى أن يكون هناك شفاء حقيقي إلا شفاء الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، أبلغ في الدلالة على

---

(١) برقم ٥٧٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ي).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

اختصاصه بالشفاء لأن الأولى (لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ) تنفي الصفة المماثلة، والثانية (لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ) تنفي الموصوف المماثل.

المضامين الدعوية[(١)]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٥)

٩٠٥- وعن سعد بن أبي وقاص ﵁، قال: (عادني رسول الله ﷺ)[١]، فقال: ((اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث لمسة حنونة تعكس محبة الرسول ﷺ لسعد بن أبي، وقاص ﵁ خاصة، ودليل على محبته لأصحابه عامة يحكيها سعد بنفسه، وقوله: (عادني رسول الله ﷺ) أي زارني في أثناء مرضي لاختصاص العيادة بزيارة المريض، وفيها دلالة على التكرار كما يفهم منها، وقوله (اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً) هذا الدعاء بهذا التركيب يشير إلى محبته لسعد، ويؤكده هذا التكرار لجملة الدعاء ثلاث مرات مما يعكس حرصه على شفائه، وتكرار الاسم الظاهر (سعد) دون ضميره فيه حفاوة، وتكريم له ﵁ يشرح صدره، ويطيب نفسه، ويعجل بشفائه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول سعد بن أبي وقاص ﵁ "عادني رسول الله ﷺ"، والعيادة في الاصطلاح: (هي الزيارة والافتقاد "أي التفقد"، أما المريض:

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ١٦٢٨/٥.

(٢) برقم ١٦٢٨/٨.

فهو من اتصف بالمرض)[١]، أما المرض اصطلاحًا فقد وردت فيه أقوال عديدة منها ما قاله الجرجاني: (بأنه ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص)[٢].

وقد عظَّم النبي ﷺ الحث على عيادة المريض والأمر بها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((أمَرَنا النبيُ ﷺ بسَبعٍ، ونهانا عن سَبعٍ: أمرَنا باتِّباع الجَنائزِ، وعَيادةِ المريضِ، وإجابةِ الداعي، ونَصرِ المظلومِ، وإبرارِ القَسَمِ، وردِّ السلامِ، وتَشميتِ العاطِس. ونهانا عن آنيةِ الفِضةِ، وخاتَمِ الذهب، والحَريرِ، والدِّيباجِ، والقَسِّيِّ، والإستَبْرَق))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ)) وفي رواية أخرى ستًا، فيها: ((وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ))[٤].

وقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لأمر النبي ﷺ بعيادة المريض، فعن نافع: ((أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما ذُكرَ له: أن سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نفَيل - وكان بَدريًا - مَرِض في يوم جمعة، فرَكبَ إليهِ بعدَ أن تعالى النهارُ واقترَبتِ الجمعة، وترك الجمعةَ))[٥].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن من له نسيب مريض فإنه يجوز له ترك الجمعة اشتغالاً بالقيام على مريضه)[٦]. وما ذلك إلا لعظيم أمر عيادة المريض وأهمية القيام بها.

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم:

يظهر ذلك في الحديث من عيادته ﷺ لسعد ودعائه ﷺ له بقوله "اللهم اشف

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٢/٣.

(٢) التعريفات ٢٦٤.

(٣) اخرجه البخاري ١٢٣٩، ومسلم ٢٠٦٦.

(٤) اخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) اخرجه البخاري ٣٩٩٠.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٢٥.

سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا"، فعلى الداعية أن يحرص - لكي تنجح دعوته - على تأليف القلوب، وجمع الشمل حول دعوته، وللتواضع دور بارز في هذا المجال، فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس، ويحبونه ويقبلون عليه، وبذا يكثر أتباع الدعوة، وينال الداعية من الله تعالى عظيم الأجر، ولكن إذا تعالى الداعية وتكبر على من حوله، نفر الناس منه وابتعدوا عنه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

أما الدعاء للمدعوين ففيه خير عظيم، فبه تكمن هدايتهم، وتحصل محبتهم للداعية، مما يساعده ذلك على إبلاغ ونشر دعوته للمدعوين، هذا فضلاً عن اقتدائه في ذلك بالنبي ﷺ في دعائه للمدعوين، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا))[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ الطُّفَيلُ بنُ عمرو الدَّوسِيُّ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ دَوسًا عَصَتْ وأبَتْ، فادْعُ اللهَ عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: اللهمَّ اهدِ دَوسًا وائْتِ بهم))[3]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل ما يساعده على نجاح دعوته وتبليغها للمدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض:

يستنبط هذا من عيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل زيارة المريض فقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَاهَا))[4]، وقال ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إلاَّ صَلَّى عليهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمسِيَ، وإنْ عَادَهُ عَشيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٥١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٧، ومسلم ٢٥٢٤.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٥٦٨.

يُصْبِحَ وكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ))[١]، وقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٢]، (وبعد ذكر هذه الأحاديث الصحيحة في بيان فضل عيادة المريض، والثواب الذي يناله العائد من عيادته، فلا ينبغي التفريط فيها، بل تلزم المبادرة إليها، والمداومة عليها، حتى تنال رحمة الرحمن الرحيم وفي عيادة المريض غير ما ذكر. تطييب قلبه [أي المريض]، واستعراض حوائجه، والاتعاظ بمصرعه)[٣].

(١) أخرجه الترمذي ٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ٢٤٨.

الحديث رقم (٩٠٦)

٩٠٦- وعن أَبي عبد الله عثمان بنِ أَبي العاصِ ﷺ: أنّه شَكَا إلَى رسول الله ﷺ وَجَعًا، يَجِدُهُ في جَسَدِهِ[1]، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَألَم مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بسم اللهِ ثَلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: اعُوذُ بِعِزَّةِ الله[2] وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا اجِدُ وَأُحَاذِرُ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عثمان بن أبي العاص: هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي الطائفي، كنيته: أبو عبدالله، له ولأخيه الحكم صحبة.

قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ في سنة تسع وكان أصغرهم، فأسلموا وأمره النبي ﷺ عليهم لما رأى من رجاحة عقله، وحرصه على الخير وتعلم أمور الدين. وقال له ﷺ ((أنت أمامهم))[4].

وظل على الطائف حتى توفي النبي ﷺ فلما ارتد كثير من العرب قام في ثقيف خطيبًا، فمنعهم عن الردة وثبّتهم على الإسلام، فقال: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا.

وأقره أبوبكر على الطائف، ثم عمر حتى ولاه البحرين وعمان، فلما عُزِل نزل البصرة واختط دارًا بها.

وظلّ قابضًا على راية الجهاد، فقد غزا عدة غزوات بفارس والهند، ففتح "توج" – بلدة بفارس– ومصّرها سنة ٢١هـ.

---

(١) عند مسلم زيادة: (منذ أسلم).

(٢) لفظ مسلم: (أعوذ بالله)، والمثبت لفظ أبي داود ٣٨٩١، والترمذي ٢٠٨٠.

(٣) برقم ٢٢٠٢/٦٧. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٦١.

(٤) أخرجه أحمد ٢١/٤، رقم١٦٢٧١، ١٦٧٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم أهـ. وأصله في صحيح مسلم ٤٦٨ (أُمَّ قومك).

وكان رجلاً يهاب محارم الله ويقف عند حدوده، بعث غلمانًا له تجارًا فلما جاءوا قال: ما جئتم به؟ قالوا: جئنا بتجارة تربح الدرهم عشرة. قال: وما هي؟ قالوا: خمر. قال: خمر! وقد نهينا عن شربها وبيعها، فجعل يفتح أفواه الزِّقاق ويصبها(١).

وكان صاحب حكمة فهو القائل: الناكح مُغترس فلينظر أين يضع غرسه، فإن عرق السوء لابد أن ينزع ولو بعد حين.

قال عنه الحسن البصري: ما رأيت أحدًا أفضل منه.

مات سنة ٥١هـ بالبصرة، حيث هناك موضع يقال له: شط عثمان منسوب إليه(٢).

الشرح الأدبي

قوله (يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها توكيداً معنوياً؛ لأنه من المعلوم أن من شكا من وجع، فهو في جزء من جسده، والفعل الماضي (يجده) يعطي الألم صورة حاضرة متجددة مستمرة في جسده، وإضافة الفعل (يَألَم) إلى العضو المصاب من نسبة الشيء لموضعه على سبيل المجاز مبالغة في شدة الألم حتى كأن العضو هو الذي يتألم، ، والأمر (قل) في الحديث على سبيل النصح، والإرشاد إلى ما يحقق الرضي القلبي، ويشعره بالقرب الإلهي الذي يحقق الطمأنينة التي لا تلبث أن تكون سبباً من أسباب شفائه يتلوها فيض من الرحمة لعبد ذكر الله في شدته، ورخائه، والعوذ بالعزة تعال على الأمراض، والعوذ بالقدرة تعال على الأسباب، وإنما ينطلق بقدرة الله الذي لا يعجزه داء، ولا يبعد عنه دواء، وكل شيء بقدرته، والمرض جند من جنده يسلطه على

(١) قال محققو السير: إسناده حسن.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٠٨/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٥٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٩، والسير ٣٧٤/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١١٨/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠٧/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣١٥/٢.

من يشاء، ويصرفه عن من يشاء بسبب، أو من دون سبب، وقوله (ما أجد) هو عوذ من الهم بالمرض الحاضر (وأحاذر) مبالغة من أحذر أي: ما أخافه من الآتي.

فقه الحديث

استحباب وضع اليد على موضع الألم مع الدعاء:

قال النووي: (فيه حديث عثمان بن العاص، ومقصوده: أنه يستحبّ وضع يده على موضع الألم ويأتي بالدعاء المذكور، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله - ثلاثًا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" قال ابن القيم: (ففي هذا العلاج - من ذكر اسم الله، والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم - ما يذهب به. وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة. وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها)[2].

قال القاضي عياض: (وفي قوله ﷺ: "قل: بسم الله ثلاثًا" وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر"، فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء والمعافاة والنشر، ودفع السحر وأمر الشيطان والسم، كقوله: ((صُبُّوا عَلَيّ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٨٩/٥-٥٩٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ))[١]، و((مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ لم يَضُرَّهُ سُمٌّ))[٢])[٣].

وقال ابن عثيمين: (أن النبي ﷺ سأله عثمان أنه يشكو من مرض في جسد فأمره أن يقول: "بسم الله ثلاثًا" ويضع يده على موضع الألم، ثم يقول: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"، يقولها سبع مرات، فهذا من أسباب الشفاء، فينبغي للإنسان إذ أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: "بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به، وأنه سوف يستفيد من هذا؛ فإنه يذهب الألم بإذن الله عز وجل، وهذا أبلغ من الدواء الحسي كالأقراص، والشراب والحقن؛ لأنك تستعين بمن بيده ملكوت السماوات والأرض، الذي أنزل هذا المرض، وهو الذي يجيرك منه) [٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه:

هذا ما أشار إليه الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص، وقد بين ابن علان ذلك فقال: (إنه شكا إلى رسول الله ﷺ مرضًا يجده "أي: يحسه في جسده، فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك أي اجعلها موضوعة "على الذي يألم" أي يوجع "من جسدك" "وقل" أي: مع وضعها، أو عقبه مصاحبًا له، كما يومئ إليه السياق، أي بحضور القلب مع الرب ونسيان ما سواه "باسم الله" أي: أستشفى باسمه "ثلاثًا"... "وقل سبع مرات" أي: تارات "أعوذ" أي: أعتصم وأتحصن "بعزة الله" أي بغلبته "وقدرته" أي: صفته الأزلية القادر بها على كل ممكن "من شر ما أجد" أي: من الألم "وأحاذر" أي: أحذر، والمغالبة للمبالغة، والإتيان بالذكر المذكور ليسري أثره في الأعضاء السبعة)[٥]، قال الطيبي: (تعوذ من وجع ومكروه هو فيه، ومما يتوقع حصوله في

---

(١) أخرجه احمد ١٥١/٦ رقم ٢٥١٧٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٧/٤٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٠/٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٧٨/٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٣ - ١١٢٤.

المستقبل من حزن وخوف؛ فإن الحذر هو الاحتراز عن الخوف)[١] ، فينبغي على من يعلم الرقية الشرعية أن يعلمها لغيره؛ حتى يرقي بها نفسه عند الحاجة إليها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه كيفية الرقى، وقد أمر النبي ﷺ بذلك، فعن الشفاء بنت عبدالله رضي الله عنها قالت: ((دخل علينا النبيّ ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تُعلِّمِينَ هذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كما علَّمْتِيها الكِتابَةَ؟))[٢].

قال القاضي: (قال الإمام: "... والنملة قروح تخرج في الجنب)[٣]، وقال ابن القيم: (النملة : قُروح تخرج في الجنبين ، وهو داء معروف، وسمي نملةً، لأن صاحبَه يُحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضُّه)[٤]، فيتضح من ذلك أهمية تعليم الرقية الشرعية بصفة خاصة، وتعليم العلم، بصفة عامة، وقد حث الإسلام على العلم، وحفل بالتعليم فكانت أول آية نزلت على الرسول ﷺ تدعوه إلى القراءة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥] وتوالى نزول الآيات في كتاب الله المنزل، تدعو إلى العلم و السعي في طلبه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[٦])[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٥/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٨٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٠٢/٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨٤/٤.

(٥) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٧) تعليم المتعلم طرق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي ص ٣٤.

(ولقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، وحث عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجلّ العبادات)[١] وفي جملة كثيرة من أحاديث النبي ﷺ دعوة صريحة إلى التعليم وبيان لفضل العلم وأصحابه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاّ في اثنتينِ: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسلّطَ على هَلَكتِهِ في الحقّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلّمُها))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فيه عِلْمًا سَهّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣] قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "سهل الله له طريقا" أي في الآخرة، أو في الدنيا، بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية تعلم العلم ونشره كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

---

(١) كتاب العلم، محمد بن صالح بن عثيمين ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٩٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٣/١.

الحديث رقم (٩٠٧)

٩٠٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ[1]: أسْأَلُ اللهَ العَظيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، أنْ يَشْفِيَكَ، إلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن)، وقال الحاكم[3]: (حديث صحيح عَلَى شرط البخاري).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لم يحضره أجَلُهُ: أي لم تتم مدة عمره[4].

الشرح الأدبي

ذكر الله عند المريض يفتح قلبه على الأمل في الخلاص مما هو فيه من البلاء، ولذلك نجد الرسول ﷺ لا يعود مريضاً حتى يفيض عليه قبساً من هذا الذكر يكون في كالمقوى له على مرضه وما أجمل أن يدخل الزائر للمريض، ومعه الشفاء، وهو ما يهفو إليه قلب المريض، وهذا الحديث يعلمنا كيف ندخل على المريض بالشفاء، وقد صاغه في جملة شرط طويلة ضمنها الدعاء المرغب فيه حتى يكون حافزاً للحرص عليه، وقوله: (لم يحضره أجله) احتراس عن ما انتهى عمره فإن اجل الله لا يؤخر أما من كان في عمره بقية فإن هذا الدعاء يعجل بشفائه، وقوله: (أسأل الله العظيم) توسل إلى الله ببعض أسمائه الحسنى وذكر العرش العظيم يوحي بالإحاطة، والعظمة التي

---

(١) لفظ أبي داود: (مرار)، والمثبت لفظ الترمذي.

(٢) اخرجه أبو داود واللفظ له ٣١٠٦، والترمذي ٢٠٨٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ايضًا ابن حبان، الإحسان ٢٩٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٣) المستدرك ٣٤٢/١. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

تقتض الاستعانة به وحده، والالتفات بالخطاب إلى المريض بعد التوجه إلى الله بالدعاء في قوله: (أَنْ يَشْفِيَكَ) فيه إيناس له، وملاقاة له بما يحب، وقوله (إلاَّ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ) حصر لمن دعا هذا الدعاء في المعافاة لمريضه لا تتخلف عنه، وهو توكيد للمعنى المراد، وبين قوله: (مريضاً) في أول الحديث، وبين (عافاه) في نهاية الحديث طباق يلوح بالعافية لمن أصابه المرض إذا اغتنم ما ذكر بينهما من دعاء.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم.

ثالثًا: من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة تكفير المرض للذنوب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له:

مما لاشك فيه أن عيادة المريض من أهم الحقوق الواجبة على المسلم، لما في ذلك من تقوية أواصر المحبة، وتوثيق عرى الأخوة الإسلامية، فضلاً عن تطييب قلب المريض، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ في الحديثين من قوله ﷺ "من عاد مريضًا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض؛ وكذلك الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده، قال: "لا بأس؛ طهور إن شاء الله" وقد حث الإسلام على عيادة المريض فقال النبي ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ)) وفي رواية ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ - ثم ذكر ﷺ من ذلك - عيادة المريض))[2] وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: ((أَمَرَنا النبيُّ ﷺ بسبع ونهانا عن سَبع: أمرنا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٨).

(٢) اخرجه مسلم ٢١٦٢.

بعيادة المريض... إلخ))[١].

وبين ابن عثيمين: (أن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم، لأن هذا قطيعة وأي قطيعة!)[٢]، (وينبغي على من عاد مريضًا أن لا يقول إلا خيرًا، لأن الملائكة تؤمن على قوله، ولقد جاء ذلك مصرحًا به في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: ((قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا. فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ. وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً قَالَتْ: فَقُلْتُ. فَأَعْقَبَنِي اللّه مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ. مُحَمَّدًا ﷺ))[٣].

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة، والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية. وللنبي ﷺ دعوات، ينبغي على العائد أن يدعو بها، لأنها صدرت من المعصوم الذي أوتي جوامع الكلم، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٤]. فمن دعائه ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يحضره أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاهُ اللّهُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ))، وقوله ﷺ: ((لا بأسَ، طَهُورٌ إنْ شاءَ اللّهُ)).

قال ابن حجر في بيان ذلك: (وقوله "طهور" هو خبر مبتدأ محذوف أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة، ويستفاد منه أن لفظ الطهور ليس بمعنى الطاهر فقط، وقوله "إن شاء الله" يدل على أن قوله طهور دعاء لا خبر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩١٩.

(٤) كتاب الأدب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٢٥٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم:

يستنبط هذا من الحديثين إذ أنه ﷺ بشّر المريض الذي إذا عاده أحد المسلمين وقال عنده: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" سبع مرات، فإن الله سوف يعافيه ما لم يحضر أجله، وفي ذلك تبشير له وبعث للأمل في شفائه، كما يظهر ذلك في الحديث الثاني من تبشير النبي ﷺ للأعرابي عند عيادته له وذلك بقوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله"، فكان ﷺ يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل [1].

وخير دليل على ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: ((جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ. وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ لِي. أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لاَ» فَقُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ: الثُّلُثُ. وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ. إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاس وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلاَّ أُجِرْتَ. حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ قَالَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَأُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحًا، إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً. وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ. لكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ. يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ))[2].

قال النووي: (فيه استحباب عيادة المريض، وإنها مستحبة للإمام كاستحبابها لآحاد الناس...، وأما قوله ﷺ "إنك لن تخلف فتعمل عملاً" فالمراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه)[3]، وقوله ﷺ "ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) وتلك

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٥.

بشرى منه ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبعث الأمل في نفسه، قال النووي: (فإن سعدًا عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم، ودنياهم فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق، وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم)[1].

وتبشير المريض وبعث الأمل في نفسه يكون من باب الفأل (والفأل هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الحسنة) مصداقُ ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنه ﷺ سُئل ما الفأل؟ فقال: ((الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ))[2] وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أن الفأل: ((الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ))[3] ومن ثم يكون المراد بالتفاؤل: (انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن بالله، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب)[4].

ثالثًا - من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض:

لقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع هدي النبي ﷺ في كل ما ورد عنه من أقوال وأفعال فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5] وقال ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[6].

قال ابن كثير: (أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض: "إن هو إلا وحي يوحى" أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[7]، فعلى

---

(١) المرجع السابق ١٠٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٥، ومسلم ٢٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٠٤٦/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

المدعوين الالتزام بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عند زيارة المريض (بأن يقول "أي العائد" سبع مرات "أسأل الله العظيم" أي في ذاته وصفاته "أن يشفيك")[١].

وأن يقول "لا بأس طهور إن شاء الله" وذلك فضلاً عما ورد من أحاديث صحيحة في ذلك كقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ((ثم وضعَ يدَهُ على جبهتِهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني، ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا))[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في ترغيب المدعو وحمله على الاستجابة للامر المدعو إليه)[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ - مرغبًا في الدعاء عند المريض على النحو المبين - "إلا عافاه الله من ذلك، المرض" أي: (أعطاه عافية تامة من ذلك المرض)[٤].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: تكفير المرض للذنوب:

قد ورد هذا في بيانه ﷺ للأعرابي في أن مرضه سيكون سببًا في تكفير خطاياه إن شاء الله، وذلك في قوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله" قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "لا بأس" أي: أن المرض يكفر الخطايا، فإن حصلت العافية فقد حصلت الفائدتان، وإلا حصل ربح التكفير، وقوله "طهور" أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة)[٥].

فالمرض مطهر للذنب، مكفر للخطايا، وإن ظنه الإنسان كربًا وشدة، هكذا كان الرسول ﷺ يخبر المرضى ويعلمهم[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٠٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٠١.

وقد استفاضت الأحاديث النبوية في بيان ذلك، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ، حَتَّى الشَّوْكَةِ، إِلاَّ قُصَّ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ، أَوْ كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))[2].

وقال ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيرًا يُصِبْ مِنْهُ))[3].

قال ابن حجر: (وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر ذنوب من تقع له)[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، إِلاَّ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضًا، فَإِنْ عَافَاهُ، أُرَاهُ قَالَ: غَسَلَهُ))، وفي رواية: ((وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ، وإن شفاه غسله))[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((ما من مرض يصيبني أحب إلي من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر))[6].

فليعلم الإنسان أن الله تعالى رحمته واسعة، وأن فضله عظيم، فإذا ابتلى عبده فإنما هو لتكفير ذنوبه ورفع درجاته، فليصبر ويحتسب لينال الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ومسلم ٢٥٧٣ واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥١١/٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠١، قال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح الأدب المفرد ٣٨٦).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٨٨).

الحديث رقم (٩٠٨)

٩٠٨- وعنه: أنَّ النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ[1] يَعُودُهُ، قَالَ: ((لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

طهور: أي مطهر لك من ذنوبك[3].

الشرح الأدبي

لو راجعنا ما مضى من أحاديث في باب عيادة المريض لوجدناها تحصي زيارات للرسول ﷺ إلى مختلف طبقات الناس الغني، والفقير المسلم، وغير المسلم الكبار، والصغار، والصاحب، والأعرابي، وهو تطبيق عملي لتوجيهه بعيادة المريض، وفي هذا الحديث يزور أعرابياً، ويدخل عليه بالبشر، والسرور يسبقه ذكر لله، ويحدوه على مدار الأنفاس، وقوله (لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ) فيها إيجاز بالقِصَر، وهو كثرة المعاني، وقلة الألفاظ، وفائدته المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنه لاسيما المرضى، والأعراب، وقوله (لا بأس؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ) لا بأس عليك مما تجده بل يكفر الله به ذنوبك ثم يفرج عنك فيجمع لك الأجر، ومغفرة الذنوب، وفيه فتح لباب الأمل في الشفاء من دائه، والطهارة من ذنوبه مما يساعد في تنشيطه، والتعبير بالطهور مبالغة في الطهر حتى تشمل الطهر

---

(١) لفظ البخاري في الموضعين ٥٦٥٦، و٣٦١٦: (مريض) بدل: (من).

(٢) برقم ٥٦٥٦، و٣٦١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

القلبي باليقين بالله، والثقة في أنه الشافي، والطهر المعنوي بالنقاء من الذنوب، والطهر البدني من المرض.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب تطييب نفس المريض[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٤-١٦٥ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٩)

٩٠٩- وعن أَبي سعيد الخدري ﵁ : أن جبريلَ أتَى النَّبيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قَالَ: بِسْمِ اللهِ أرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسمِ اللَّهِ أُرقِيكَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

أرقيك: الرقية: العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة[2].

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث يدور حول الرقية، وهي مظهر من مظاهر ارتباط المؤمن بربه، وارتباط المؤمن بأخيه الراقي له، وقد قام المعنى على الحوار بين رسول السماء إلى الأرض جبريل عليه السلام، و رسول الأرض للأرض محمد ﷺ ، وسؤال جبريل عليه السلام، (اشتكيت) استفهام تقرير بغرض التحقيق، والتثبيت، وهو كناية عن المرض، والرقي التي ذكرها جبريل عليه السلام تتميز بعدة ميزات في بنائها التركيبي أولها أنها تحيط المريض بعناية الله عن طريق الإرصاد البديع حيث بدأت باسم الله، وانتهت بسم الله، والباء في البسملة للاستعانة بمعنى أبتدأ مستعيناً بسم الله. ثانيها أنها اعتمدت توكيد الوقاية، والمبالغة في الحفظ عن طريق الإطناب بذكر الخاص بعد العام عن طريق لفظ (كل) المضاف للنكرة (شيء) الذي شمل الحفظ من كل شر، ثم خصص من هذا العموم ما له مزيد تعلق بالضرر، وهو (كل نفس) وهو خصوص بالنسبة لما قبله؛ لأنه بعض من الشيء المستعاذ منه أولاً، وهو عموم بالنسبة لما بعده؛ لأنه

---

(١) برقم ٤٠/٢١٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ى).

جزء منه خصه بالذكر لمزيد الاهتمام، وهو نوع من ذكر الخاص بعد العام عناية به، وحاصل هذا الدعاء على هذا النسق أنه جعل له حماية مزدوجة حيث رقاه أولاً من شر كل شيء ثم خص من هذا العموم شر كل نفس لمزيد خطرها ثم خص من هذا العموم شر العين لمزيد خطرها على ما تقدم ثم عاد بالدعاء له بالشفاء مما حل به منها، ومن الملاحظ أن لفظ الجلالة (الله) تكرر فيه ثلاث مرات والمستعاذ منه الشر العام، وشر النفس، وشر العين.

فقه الحديث

استحباب الرقية بأسماء الله تعالى:

قال القرطبي عن حديث عائشة رضي الله عنها[1] وهو بمعنى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (فيه دليل على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى، وبالعوذة الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض التوكل على الله تعالى ولا ينقصه)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك:

ورد هذا في الحديث من قول أبي سعيد رضي الله عنه، "إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت؟ قال: "نعم" قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك" قال القرطبي: (وفي الحديث دليلٌ على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى وبالعُوذ الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٨٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٣/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧-١٤٢.

التوكل على الله تعالى ولا ينقصه؛ إذ لو كان شيءٌ من ذلك لكان النبي ﷺ أحق الناس بأن يجتنب ذلك؛ فإن الله تعالى لم يزل يُرَقِّي نبيه ﷺ في المقامات الشريفة، والدرجات الرفيعة إلى أن قبضه الله على أرفع مقام، وأعلى حال، وقد رُقي في أمراضه، حتى في مرض موته ﷺ، فقد رقته عائشة رضي الله عنها في مرض موته، ومسحته بيدها وبيده[١]، وهو مُقرٌّ لذلك، غير منكرٍ لشيءٍ مما هنالك)[٢].

(والرقية قد تكون بكتابة شيء وتعليقه، وقد تكون بقراءة شيء من القرآن والمعوذات والأدعية المأثورة)[٣]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[٤].

قال النووي: (وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس)[٥].

وقال صاحب عون المعبود: (قال القسطلاني: وفيه جواز الرقية لكن بشروط أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية غير مؤثرة بنفسها، بل بتقدير الله عز وجل، وقال الشافعي: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله)[٦]. (وقد سئل مالك

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٦٣ - ٥٦٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ، ٢٣/٩٦ نقلاً عن قواعد الفقه للمجددي.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٩٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٦٦٧.

عن الرقى بالأسماء العجمية، فقال: وما يدريك أنها كفر؟ ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به، مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر وغير ذلك)[١].

وينبغي أن يكون العلاج بالرقى الشرعية بالقرآن الكريم وبما ورد عن النبي ﷺ في ذلك لكمال الشفاء وتمامه، قال ابن القيم: (فقد مرّ بي وقت في مكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البراء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع)[٢]، (وقد تضمنت الفاتحة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهي: الله والرب والرحمن والرحيم، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية؛ وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة، وطلب الهداية.

وبالجملة: فما تضمنته الفاتحة: من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به والتوكيل عليه؛ وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي: الهداية التي تجلب النعم، وتدفع النقم - من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: إن موضع الرقية منها: "إياك نعبد وإياك نستعين" ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء؛ فإن فيهما -: من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهي: عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل، وهي: الاستعانة به على عبادته - ما ليس في غيرها)[٣]. وفي ذلك بيان الفضل وأهمية العلاج بالرقية الشرعية.

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان رقية جبريل ﷺ للنبي ﷺ:

إنه ينبغي على الداعية بيان رقية الأمين جبريل ﷺ للنبي ﷺ عندما اشتكى ﷺ من وجع أو مرض ليستفيد بها الناس، وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين:

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٧/٢٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٧٨/٤.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي، ١٥١ - ١٥٢.

(وفيه دليل على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية "بسم الله أرقيك" يعني: اقرأ عليك "من كل شيء يؤذيك" من مرض، أو حزن، أو هم، أو غم... إلخ "من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك" "من شر كل نفس" من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك، أو "عين حاسد" أي: ما يسمونه الناس بالعين)[1].

قال النووي: (... فإن النفس تطلق على العين ويقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه)[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[3]، وقال القرطبي وفي الحديث (دليل على أن الحسد يؤثر في المحسود ضررًا يقع به؛ إما في جسمه بمرض، أو في ماله وما يختص به بضرر، وذلك بإذن الله تعالى، ومشيئته، كما قد أجرى عادته، وحقق إرادته، فربط الأسباب بالمسببات، وأجرى بذلك العادات، ثم أمرنا في دفع ذلك بالالتجاء إليه، والدعاء، وأحالنا على الاستعانة بالعوذ والرقى)[4] (وقول: الله يشفيك، أي يبرئه ويزيل سقمه "بسم الله أرقيك" فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخره)[5].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله:

هذا ما بينه جبريل عليه السلام في قوله: "بسم الله أرقيك... الله يشفيك..."، والأصل في ذلك قول الحق تبارك وتعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[6] قال ابن كثير (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[7]، وقد أجمع العلماء على أن من شروط جواز

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٧٩/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٣٦٧.

(٣) سورة الفلق، آية: ٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٤/٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٧٩/٢.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٧/٦.

الرقية (أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[1][2].

(١) أخرجه مسلم ١٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٥٤٦

الحديث رقم (٩١٠)

٩١٠- وعن أَبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رسول الله ﷺ، أنَّه قَالَ: ((مَنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وأنَا أكْبَرُ[1]. وَإِذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لاَ إله إلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بي)) وَكَانَ يقُولُ: ((مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ)) رواه الترمذي[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صورت عبارة الرسول ﷺ في قوله: (تطعمه النار) النار في خيال المخاطبين بوحش يتناول طعامه بشراً أحياء عن طريق الاستعارة في الفعل المضارع (تطعمه) الذي ساعد على تحريك الصورة التي تهز الوجدان، بمشهد الدخول في النار، مما يجعل المخاطب يعود سريعاً إلى حرف النفي (لم) وما سبقه من الذكر الذي يحجب، وإذا راجعنا تركيب هذا الحجاب العظيم من النار وجدنا جمله تشترك في عدة خصائص بلاغية: منها قيامها على أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي والذي يكون النفي فيه عاماً شاملاً لكل ما سوى المقصور فيفرد الله بالصفة، وينفيها عن كل ما سواه، وتحقيقي؛ لأنه مطابق للواقع لأن الله هو المتصف بهذه الصفات في الحقيقة، والواقع، ومنها: أن كل جملة شملت إقراراً من العبد بمضمونها، وتوكيداً من الله لهذا المضمون، وفي هذا

---

(١) عند الترمذي زيادة: (وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقولُ: لا إله إلا أنا وحدي).

(٢) برقم ٣٤٣٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥١، وقال الحاكم ٥/١: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

تجاوب بين العبد، وربه في توحيد خالص من العبد يشمله رضا من الرب، وبالنظر في الألفاظ نجد أنه تشع بمعاني الإخلاص لله تعالى كالألوهية، والوحدانية، والقدرة، والحول، والقوة، والملك، والحمد، وهذه العناصر جعلتها حجاباً من هول نار تطعم البشر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذكر الله.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان فضل الذكر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ذكر الله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه.. إلخ الحديث"، قال ابن القيم: (وذكر الله هي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا...، فبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون...، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها)[1].

(وهو قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

...، به تعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتُجلى

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

الظلمات، ملجأ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية القلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته ...، والذكر برهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن، يزين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين)(٢).

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالإكثار من ذكره فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(٣)، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمرًا المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب)(٤).

وقال ابن كثير: (قال ابن عباس في قوله تعالى: "اذكروا الله ذكرًا كثيرًا" إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوبًا على تركه فقال ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾(٥) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال)(٦).

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر مسفر الزهراني ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١ - ٤٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٣١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٣٢.

وقال السعدي: (يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله. وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح، "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي: أول النهار وآخره، لفضلهما، وشرفهما، وسهولة العمل فيهما)[1].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان فضل الذكر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "...، من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" قال الطيبي: (أي لم تأكله، استعار الطعم للإحراق مبالغة)[2] وقد بين تعالى عظم فضل ذكره، بأن علق الفلاح على الإكثار منه، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] وأثنى على أهله، وحسن جزائهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] ومن عظم فضل ذكر الله، نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة، فقد ختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨٣/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[١].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبي أمي، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[٢].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة، لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصل)[٣].

وختم تعالى به الصلاة كقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[٤] وختم تعالى به الجمعة فقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥] قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[٦].

وقد قرنه تعالى بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٦١.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع: يسري السيد أحمد، ١/٢٨٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢/٦٤٤.

تُفْلِحُونَ ﴾[(١)] قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثةُ أقوال: الأول: اذكروا الله عند جَزَعِ قلوبكم، فإنَّ ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: أُثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يَسْكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(٢)].

وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتِّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: أُذكروا ما عندكم من وَعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم. قلت: والأظهرُ أنه ذِكرُ اللسان الموافقُ للجنان. قال محمد بن كعب القُرَظي: لو رُخِّص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾[(٣)] ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[(٤)])[(٥)].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل ذكر الله فقال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[(٦)].

وقال ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٩/١٠.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[1].

قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "وأزكاها" أي أنماها وأنقاها، والزكاء النماء والبركة" وخير لكم من إنفاق الذهب والورق "بكسر الراء ويسكن أي خير لكم من إنفاق الذهب والفضة...إلخ)[2].

(وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده)[3]، فعلى الداعية بيان عظم فضل ذكر الله، لما في ذلك من كامل الأجر، والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: أسلوب التبشير:

قد ورد التبشير كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" والتبشير من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها تأليف القلوب وحملها على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه، لما في ذلك من عظم الأجر وجزيل الثواب. وهذا ما ورد في الحديث، تبشير المدعو على كثرة ذكر الله تعالى وعدم طعم النار له، وفي ذلك بشارة عظيمة يتمناها كل مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٢٤.

(٣) الفوائد، ابن القيم، ٢٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعهد المتربين والسؤال عن أحوالهم:

لقد كان من هدي رسول الله ﷺ في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم، سواء أكانت تتعلق بالعبادة أم ما يتعلق بحياتهم وما يعرض لهم من أزمات وعوارض كالمرض والحاجة ونحو ذلك، والعمل على حلها والمساعدة في تخطيها والتغلب عليها، كما هو واضح في أحاديث الباب من خلال تعهده ﷺ لمن يمرض من صحابته، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

لذا كان من تمام التربية وكمال الفضل أن يتفقد المربي تلاميذه وطلابه ويتعهدهم بالسؤال والزيارة ويعود مرضاهم ويتعهدهم بالسؤال والزيارة، ويعود مرضاهم مع مراعاة آداب عيادة المريض من "خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع"[1]، وغير ذلك من الآداب.

وهذا التعهد لا يقتصر على ما تنزل بهم من نوازل وأزمات، وإنما ينبغي أن يتعهدهم في كل ما فيه مصلحتهم فيسألهم عن أحوالهم وعباداتهم تنشيطاً لهم ورفعاً لهمتهم في الطاعة والعبادة .

ومن شواهد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ النَّبِي ﷺ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى، ص٤٥٨.

فهذا أدب حسن للمربين في تعهد مَنْ يقومون بتربيتهم فينظرون للمقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[(١)].

ثانياً: التربية بالتلقين:

من أساليب التربية والبناء العملي والفكري، اتباع أسلوب التلقين والحفظ، خاصة في مثل الكلمات التي تُردّد بنصها كالأدعية المأثورة ونحوها، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التلقين في أحاديث الباب في تعليم الصحابة الأدعية التي تقال عند المرض، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً ، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ الله العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ الله تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ». وكذلك حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قالَ لا إلَهَ إلاّ الله وَالله أكْبَرُ. صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَقالَ لا إلَهَ إلاّ أنا وَأنا أكْبَرُ ...».

وقد ورد أسلوب التلقين في رقية جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ. مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ. مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللّهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ».

لذا ينبغي على المعلمين ألا يغفلوا أسلوب التلقين في نقل المعلومات وإلى من يقومون بتعليمهم خاصة إذا كانوا في المراحل العمرية الأولى.

إذ أنه في المرحلة العمرية الأولى "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لُقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تستغل هذه الفترة في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور، مع

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢٧٦، ٢٧٧.

الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"(١).

ثالثاً- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل وغير ذلك، لذا كان أسلوب الممارسة العملية أهم أساليب التربية الإسلامية"(٢).

وجاء هذا الأسلوب جلياً واضحاً في أحاديث الباب فلم يكتف الرسول ﷺ بالإرشاد إلى عيادة المريض وتلقين الناس الرقى التي يقولها المريض أو مَنْ يعوده، كما في قوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللَّه تَعَالَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ المَرَضِ».

بل جمع إلى ذلك الممارسة العملية، ليكون ذلك قدوة حية ومثلاً كريماً يحتذى به، ونرى ذلك في عيادته للمريض ورقيته، سواء كانت لنفسه أو لمن يمرض من أهله أو من أحد من المسلمين، ومن دلائل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ: بأصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبَّابته بالأرض، ثم رفعها وقال: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنا بِرِيقَةِ بَعْضِنا يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنا بإذْنِ رَبِّنا».

وكذا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عاداني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكانت عيادته ﷺ للمرضى غير قاصرة على أهله أو كبار صحابته وإنما كانت تعم الجميع دون النظر إلى المستوى والفوارق الاجتماعية،

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٢) انظر: التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٤٢.

ومن دلائل ذلك في الباب حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

وهكذا يعلمنا رائد التربية الإسلامية ومعلم البشرية ﷺ أن نتعلم ونمارس ما نتعلم وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، كما ينبغي على المربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة.

وخلاصة ما سبق أن "أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيراً فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شراً فشر وخسران، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة، وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[1].

رابعاً- التربية على التوجه إلى الله والدعاء إليه:

إن من أهداف التربية الإسلامية تربية المسلم على أن تكون علاقته مباشرة بالله، يلجأ إليه في كافة الظروف وفي جميع الأحوال يسأله مباشرة دون حاجة إلى واسطة ولا استئذان في الليل أو النهار، في البر أو البحر، أو الجو، يظهر الضعف والفقر إلى الله يرجو رحمته ويخاف عذابه.

وفي أحاديث الباب وتعليم النبي ﷺ الصحابة للرقية التي تنطق ألفاظها بالتوجه إلى الله تعالى ما يدل على ذلك، فهو ﷺ يأمر بالتوجه إلى الله تعالى مباشرة سواء كان في ممارساته العملية أو تعليمه للناس، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ الله تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

المَرَضِ». وفي ذلك تعليم للمسلم أن يتذكر قدرة الله تعالى ويلتجئ إليه ويدعوه دونما شفيع أو وسيط فإن الإسلام يرفض الشفعاء والوسطاء.

"إن التوجه إلى الله تعالى ودعاءه توثيقٌ لصلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، إذ أن علاقة الإنسان بالله تعالى تحتل مساحة واسعة في التوجيه الإسلامي خلافاً للفلسفات المادية الحديثة التي ركزت على علاقات الإنسان المادية بالطبيعة، والمجتمع وأهملت علاقته بالله تعالى، ولاشك أن علاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية"[(١)].

خامساً- التكرار المنظم:

من الأساليب التربوية التي وردت في أحاديث الباب "أسلوب التكرار" وذلك ما نلحظه في إرشاده ﷺ إلى الرقية بألفاظ تكرر ألفاظها سواء كان هذا التكرار مطلقاً دونما تقييد بعدد، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال عادني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعدًا" فنجد أن الرسول ﷺ "كرر الدعاء لمزيد الاعتناء بسعد رضي الله عنه وللمبالغة في الدعاء رجاء تحققه"[(٢)]. أو كان التكرار مقيداً بعدد، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض".

لذا ينبغي على المعلم الاستفادة من هذا المنهج النبوي القويم، فينبغي عليه "تكرار الأشياء المهمة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيداً لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهماً جيداً دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ.

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٠.

إن التكرار من الأساليب التعليمة المستخدمة لتثبيت التعلم، والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكيناً للسامعين لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع، وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم"[(١)].

سادسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في الأحاديث عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستخدمها، من ذلك:

أ-التربية بالممارسة العملية والتجربة: كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤُك شفاءً لا يغادر سَقَما.

والممارسة العملية تكون من خلال قيام المعلم ببعض الأفعال التدريسية عن طريق استخدام الموارد المتاحة لديه حتى يمكنه إكساب المتعلمين بعض المهارات اللازمة لهم في أمور حياتهم.

ب-استخدام موارد المجتمع المحلي: كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جُرْح قال النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا -ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها- وقال: "بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضها يشفى به سقيمنا بإذن ربنا".

ويمكن للمعلم أن يستعين ببعض الموارد الموجودة في المجتمع المحيط للمدرسة في تحقيق أهدافه التربوية من التدريس ويدخل ذلك في نطاق المشاركة المجتمعية.

ج-التربية بالمواقف والأحداث: كما في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعًا يجده في جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" والمعلم البارع هو الذي يستثمر المواقف المختلفة لغرس الأهداف

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٢١٦، ٢١٧.

التربوية فيهم، وتعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

د-الحوار والمناقشة: كما في قول أنس رضي الله عنه لثابت، ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس مذهب البأس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقمًا.

وأسلوب المناقشة والحوار من شأنه تفعيل موقف المتعلم في العملية التعليمية وينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعال في موقف التعليم والتعلم.



١٤٦- باب استحباب سؤال المريض عن حاله

الحديث رقم (٩١١)

٩١١- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ عليَّ بْنَ أَبي طالب رضي الله عنه، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ اللهِ ﷺ، في وَجَعِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فيهِ، فقالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

بارئًا: أي معافىً[(٢)]، فاعل بمعنى مفعول.

الشرح الأدبي

الظرف عند المضاف للرسول ﷺ يوحي بشرف المكان، وبيان المخرج، وقوله (في وجعه) يشير إلى خصيصة في المرض وهي الوجع، الألم، ويوحي باشتداد المرض، وقوله الذي توفي فيه تؤكد ذلك، وقوله (فقال الناس) يشير إلى الحال العامة بانشغال الناس بمرض الرسول ﷺ واستفهامهم (كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟) يفصح عن هذا المصاب الجلل فالواحد منهم يفديه بأهله، ونفسه، وماله، وقول الإمام علي - كرم الله وجهه - (أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً) أي معافى مما يعتري المريض من الهم، والقلق، أو هو من باب التفاؤل.

---

(١) برقم ٤٤٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر أ)، وانظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب سؤال أهل المريض وأقاربه عنه وجواب المسؤول[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم.

أولاً- من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله:

هذا واضح من سؤال الصحابة عليًا عن حال النبي ﷺ في مرضه. قال ابن عثيمين: (ففيه دليل على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض، فإنه يسأل عنه من يراه من أقاربه أو غيرهم ليطمئن الإنسان. وفي وقتنا الحالي حصل - ولله الحمد - الاتصال بالهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه، فهذا الهاتف يدخل على البيوت بدون استئذان، لهذا نقول إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك، فإنك تتصل بالهاتف وتسأل عن حاله، ويكتب لك الأجر بذلك إن شاء الله تعالى، والله الموفق)[٢].

وقال ابن علان: (يؤخذ منه استحباب السؤال عن حال المريض إذا عسر الوصول إليه لعارض، كغلبة مرض أو شرب دواء، فيسن سؤال أهله حينئذٍ عن حاله، قال ابن حجر الهيتمي: وهذا الندب وإن لم يصرح به أصحابنا لكنه ظاهر المعنى، لأن المريض إذا بلغه ذلك سرّ به)[٣].

قال ابن القيم عن فائدة زيارة المريض -وينسحب هذا على ما قد يقوم مقامها

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٨ .

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨١/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

كالسؤال عنه إذا تعذرت الزيارة-: (وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[١].

والسؤال عن المريض من الآداب التي تناسب عصرنا الحاضر، خاصة في بعض الأحيان يكون المريض حالته حرجة، ويمنع الأطباء من زيارته، خوفًا من أن يزداد مرضه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضحٌ من سؤال الصحابة ﭭ علي بن أبي طالب ﭬ: (يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ: فأجابهم عن سؤالهم هذا بأن أخبر انه ﷺ أصبح بحمد الله بارئًا "أي قريبًا من البرء بحسب ظنه أو للتفاؤل، أو بارئًا مما يعتري المريض من قلق وغفلة"، وفيه أنه ينبغي لمن يسأل عن حال المريض أن يجيب بمثل ما ذكر فيه، مما يشعر برضا المريض بما هو فيه عن الله تعالى، وانه مستمر على حمده وشكره، لم تغيره عنه شدة ولا مشقة، وبما يؤذن بخفة مرضه وقرب عافيته[٢].

قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه جواز الإخبار عن حال المريض بأحسن ما يخبر به رجاءً للبرء، فإنه قال: "أصبح رسول الله ﷺ بارئًا" وبارئًا اسم فاعل، واسم الفاعل فعله لما يستقبل من الزمان، فهو يعني إن شاء الله بارئًا)[٣].

فأسلوب السؤال والجواب من اساليب الدعوة التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين...، وخاصة أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم على من

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١١٦/٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٤/١.

يحترمونه ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته.. فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه [(١)].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم:

لقد سأل الصحابة ﷺ عن حال النبي ﷺ في مرضه، وهذا السؤال من محاسن الأخلاق ومكارم الشمائل، لأن في ذلك مواساة للمريض وأهله، وإشعارًا لهم بأن المجتمع معهم يواسيهم ويشاركهم ما هم فيه من محنة وتعب. ولاشك أن هذا يساعد على نشر روح الود والمحبة والتآلف بين المجتمع، فضلاً عن أنه يظهر المجتمع وحدة مترابطة يخاف بعضها على بعض، ويشارك بعضها بعضًا الآلام والمسرات والأحزان والأفراح، يقول ابن القيم عن أنواع المواساة: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا النضر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[(٢)].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص ٥٨.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التفاؤل:

إن من أهداف التربية الإسلامية السامية بعث روح التفاؤل في النفوس، إذ أن التفاؤل "يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن ويقتل فيها اليأس والقنوط ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل"(١).

إن الناس بحاجة إلى غرس التفاؤل في نفوسهم، ونرى ذلك في الباب في إجابة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عمن سأله عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً» .

ففي هذا الحديث إرشاد إلى "تحسين الإجابة تفاؤلاً وإشعاراً بالرضى بقضاء الله تعالى وشكره على السراء والضراء، وكذلك يجيب المريض عن حاله، بمثل هذه الجملة الطيبة"(٢).

إن غرس التفاؤل في نفوس الناس -خاصة المتربين- له أكبر الأثر وأنفعه في الحياة، إذ أن "النفوس المتعبة المريضة القلقة الخائفة المتشائمة المتطيرة المرتبكة المترددة الخائرة الحائرة يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها هي أن تؤدي دوراً فاعلاً وإيجابياً تنفع به نفسها أو تنفع به غيرها..

لذلك كان من أهداف التربية الإسلامية، أن تكون النفوس دائمة البشر إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها واثقة من نفسها، حتى تُبنى وتتكون وتزداد فيها معالي الأمور وصفات الكمال ويبنى بها أمة كريمة ودولة عظيمة"(٣).

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في الإسلام، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٩-٢٣٢.

ثانياً- التربية على توثيق العلاقات بين الناس:

من المضامين التربوية التي يحملها حديث الباب في طَيَّاته التربية على توثيق العلاقات الاجتماعية بين الناس والتي من أسبابها عيادة المريض، والسؤال عن حاله تضامناً معه ومع أهله، وتأتي أهمية السؤال عن المريض في أن المريض قد يُحال بين الناس وزيارته، لما قد يقتضيه طبيعة المرض أو المكان والكيفية التي يعالج بها فإذا كان الأمر كذلك فلا أقل من سؤال أهله عنه والاطمئنان عليه.

وقد عبَّر الصحابة بصورة حية عن اهتمامهم برسول الله ﷺ وسؤال ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونرى ذلك في صريح قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ...".

لقد بات معلوماً في التربية الإسلامية خاصة الاجتماعية منها أن عيادة المريض والسؤال عنه "من الآداب التي توثق العلاقات بين الناس وتقوي المعنويات العامة وترفع روح المجتمع وتنهض به"[1].

وتلك الآداب والتوجيهات لا تقتصر على النواحي المادية فحسب، وإنما تمتد لتشمل التكافل المعنوي والأدبي وغيرهما، "فربما يكون الإنسان قد حيره أمر من الأمور ينقصه الرأي السديد، وفي هذه الحالة يكون تفريج كربه بإدلاء المشورة والنصيحة له فيما يعود عليه بالنفع والخير، كما أن زيارة الإنسان المسلم لأخيه المريض وسؤاله عنه يعتبر تنفيساً لهمه وضيقه، لما يترتب على ذلك من تسلية للمريض، وتذكير له على أن ما يصيبه في هذه الدنيا يكون له فيه الأجر العظيم إذا كان صابراً محتسباً"[2].

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ قيمة رفع الروح المعنوية وتسلية المريض والتخفيف عنه وعن أهله سواء بزيارته أو بالسؤال عنه والاهتمام به بقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٦١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٦٨.

الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟». فهل هناك فضل أعظم وأجر أكبر من ذلك؟!.



١٤٧- باب مَا يقوله مَن أيس من حياته

الحديث رقم (٩١٢)

٩١٢- عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قالت: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلَيَّ، يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الموقف الذي تحكيه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يعكس المودة، والرحمة، والحنان التي جعلها الله بين الزوجين والذي يدل عليه قولها (وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إلَيَّ) وقوله ﷺ (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) اللهم نداء خاشع، ودعاء خاضع، وقوله (اغفر لي) أمر أريد به الدعاء، والمغفرة من الغفر، وهو الستر، والتغطية، وطلبه المغفرة يعلمنا أن نتهم أنفسنا، فهو الذي لم يذنب قط، يدعوا بالمغفرة فكيف بالخطأ، وقوله (وارحمني) استشعار لموجبات أسماء العزة، والجبروت، وبصيرة بمظاهر القدرة في الملكوت، وما ينتظر الناس من أهوال في المواقف وقوله: (وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) كناية عن محبته لربه، وشوقه للقائه، والتعبير بالإلحاق رغبة في إدراك سابق، وذكر الرفيق يثير في النفس معاني الشفقة، والرفق، والرأفة، ووصفه بالعلو يعطيه أبعاداً إيحائية تتخطى حدود أهل الأرض حيث يجب أن يكون خير خلق الله في منزلته عند ربه.

فقه الحديث

تقدم بالأرقام ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٤، ومسلم ٢٤٤٤/٨٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة ﵂ بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة ﵂ بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير:

فقد قال ﷺ: (اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأعْلَى) وقد أخرج البخاري في كتاب المغازي في باب مرض النبي ﷺ ووفاته[1] أحاديث، منها الأحاديث التالية:

قالت عائشة ﵂: ((كنتُ أسمعُ أنَّهُ لا يموتُ نبيٌّ حتى يُخيَّرَ بين الدنيا والآخرة؛ فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في مرضِهِ الذي مات فيه - وأخذتهُ بُحَّةٌ - يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[2]، فظننتُ أنه خُيِّرَ))[3].

وقالت ﵂: ((لما مرِضَ النبيُّ ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول: في الرَّفيق الأعلى))[4].

وقالت: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يُرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ. فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى. قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ))[5].

---

(١) كتاب المغازي برقم ٦٤، والباب برقم ٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٥، ومسلم ٨٦ - ٢٤٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٣٦، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٣٧، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

قال النووي: (الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى: الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة "رفيق" تطلق على الواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1])[2].

وقال ابن حجر: (ومعنى كونهم رفيقًا تعاونهم على طاعة الله وارتفاق بعضهم ببعض... قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلام المصطفى بهذه الكلمة، كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر، باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره إذا كان قلبه عامرًا بالذكر انتهى ملخصًا)[3].

ثانيًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

ولذلك عنون النووي هذا الباب بقوله: باب ما يقوله من أيس من حياته. قال ابن علان قوله: "اللهم اغفر لي" وهذا منه خضوع لمقام الربوبية، وإلا فهو معصوم من جميع الذنوب، أو تشريع للأمة، وتنبيه على أن حق مثل هذا المطلب، ألا يغفل عنه المستيقظ حالتئذ، لأنها حالة الانتقال وساعة الارتحال "وارحمني" ورحمة كل شيء بحسب ما يليق به، فأعظم الرحمات ما منحه نبيه ﷺ مما لا يحيط به بيان... "وألحقني بالرفيق الأعلى" قيل: المراد به الملائكة المقربون والعباد الصالحون بالمعنى الأعم، وهو الوجه الأتم المناسب لما جاء في قول يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4])[5].

قال ابن عثيمين: (ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت فماذا يقول؟ تقول عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٠/١٥/٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٤٤/٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧ - ١١٢٨.

الأعلى"، هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا، هكذا الرسول ﷺ يقول عند موته)[١].

قال النووي عما يستحب لمن أيس من حياته أن يفعله قال: (ويستحب أن يكثر من القرآن والأذكار، ويكره له الجزع، وسوء الخلق، والشتم، والمخاصمة، والمنازعة في غير الأمور الدينية، ويستحب أن يكون شاكرًا لله تعالى بقلبه ولسانه، ويستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته من الدنيا، فيجتهد على ختمها بخير، ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها، من ردِّ المظالم والودائع والعواري، واستحلال أهله: من زوجته، ووالديه، وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، أو تعلق في شيء. وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن لهم جدٌّ يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال: من قضاء بعض الديون ونحو ذلك. وأن يكون حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غنيٌّ عن عذابه وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه.

ويستحب أن يكون متعاهدًا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع. وكذلك يستقرئ أحاديث الرجال وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت. وأن يكون خيره متزايدًا، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة ذلك، وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح، أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه. وينبغي له أن لا يقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه، فإن هذا مما يُبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل والعدو الخفي فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١١٨١ - ١١٨٢.

الأحوال، ويُستحبُّ أن يُوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضًا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم: صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الميِّتَ يُعذَّبُ ببكاء أهلهِ عليه))[1].

فإياكم يا أحبائي والسعي في أسباب عذابي، ويوصيهم بالرفق بمن يخلفه من طفل وغلام وجارية ونحوهم، ويوصيهم بالإحسان إلى أصدقائه، ويُعلِّمهم أنه صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنَّ مِنْ أبرِّ البرِّ أنْ يصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيه))[2] وصحَّ أن رسول الله ﷺ كان يكرم صواحبات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها[3] ويستحب استحبابًا مؤكدًا أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، ويؤكد العهد بذلك. ويوصيهم بتعاهده بالدعاء وأن لا ينسوه بطول الأمد. ويستحب له أن يقول لهم في وقت بعد وقت: متى رأيتم مني تقصيرًا في شيء فنبهوني عليه برفق، وأدُّوا إلي النصيحة في ذاك، فإني معرَّض للغفلة والكسل والإهمال، فإذا قصرت فنشِّطوني وعاونوني على أُهبة سفري هذا البعيد.

ودلائل ما ذكرته في هذا الباب معروفة مشهورة، حذفتها اختصارًا فإنها تحتمل كراريس. وإذا حضره النزع فيكثر من قول: لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه)[4].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد كان هذا الدعاء منه ﷺ وفعله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثله، ويعملوا بعمله ويقتدوا به ويهتدوا بهديه، فهو قدوتهم وأسوتهم ومثلهم المحتذى. فبين لهم بهذا الدعاء ما يفعلونه وقت اليأس من الحياة، وهو التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وطلب غفرانه ورحمته وعلو المنزلة والمكانة عنده.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٦، ومسلم ٩٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٣) انظر ما أخرجه البخاري ٣٨١٦ - ٣٨١٨، ومسلم ٢٤٣٥.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٧ - ١٦٩.

فينبغي على المسلم أن يحرص على دعاء الله في كل الأوقات وجميع الأحوال، فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن [١].

(١) الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

الحديث رقم (٩١٣)

٩١٣- وعنها، قالت: رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بالمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ)) رواه الترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قدح: إناء يشرب فيه الماء ونحوه[2].

غمرات الموت أو سكرات الموت: غمرات الموت: شدائده ومكارهه. وسكرات الموت: جمع سكْرة: الغشي الناشيء عن الألم[3].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بالمَوْتِ) يجعل الحديث ذا شجون، لأن مرأى الرسول ﷺ في هذه الحال مما يفطر القلب، ويفزعه، وقولها، (وهو بالموت) يوحي بحرج اللحظة، وشدتها التي تؤكد صعوبة الموقف الذي سيمر بالناس جميعاً لكي يعد كل إنسان لهذا الموقف عدته، وقوله (وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء) كناية عن شدة ألمه، وارتفاع حرارة الجسم من المرض، وتشير (ثم) بين إدخال اليد في القدح، وبين المسح على الوجه إلى فترة زمنية تحكي ضعف الجسم، وبطء الحركة، وقول الرسول (أعني) أمر بمعنى الدعاء بطلب الإعانة التي تشير إلى

---

(١) برقم ٩٧٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٣٦٥/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ في الفتح ٣٦٢/١١: إسناده حسن.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٣٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/١١-٢٧٠.

شدة الأمر، وأنها عقبة يحتاج الإنسان فيها إلى من يعينه، والتعبير بالغمر يوحي بإحاطة المرض، وجمع الكلمة يعطيها بعداً إيحائياً كأنه إذا خرج من سكرة دخل في أخرى دلالة على امتناع الخروج لمن دخل في سكرات الموت، وإضافة الغمرات، أو السكرات للموت يزيدها ترهيباً من حيث شدته، وهوله، وما يسفر عنه الموت من آلام فوق الوصف، ثم إنه موقف سيمر بكل، واحد منا، وإذا كان الرسول ﷺ أحب خلق الله، وأتقاهم يقول ذلك فما حال بقية الناس؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت:

لقد دعا النبي ﷺ ربه الإعانة على سكرات الموت وشدته كما يتضح من الحديث، وقد قالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: ((إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في يومي وفي بيتي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت. قالت: دخل عليّ أخي بسواك معه، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إليه. وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه. فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أي نعم فلينته له فأمرّه على فيه. قالت: وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ثم يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، حتى قُبض ومالت يده في الماء))[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٤٩. وقد ساق ابن كثير أحاديث وفاته ﷺ في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٤/٨ - ٧٨، من ذلك: فصل في كيفية احتضاره ووفاته عليه الصلاة والسلام.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها كذلك: ((مات النبيُّ ﷺ وإنه لبين حاقِنَتي وذاقِنَتي[١]، فلا أكرَهُ شدةَ الموت لأحدٍ أبدًا بعدَ النبي ﷺ))[٢].

قال الطيبي: (قال البيضاوي: عنت أني لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى. وأن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات، وإلا لكان رسول الله ﷺ أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحدًا يموت من غير شدة)[٣].

قال ابن عثيمين: (هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده إناء فيه ماء، وقد أتى من شدة الموت وسكراته ما لم يُؤْتِ أحد، لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شدّد عليه المرض، شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر، لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديدًا، ونزعه شديدًا حتى ينال أعلى درجات الصابرين، فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت، أو قال: على غمرات الموت" أي أعني عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروى، ولا يزيغ عقلي، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشدة إذا لم يعنك الله عز وجل ويصبرك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: اللهم أعنى على غمرات الموت. وفي رواية أخرى يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات"[٤] وصدق النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا

---

(١) قال الطيبي: (قولها "بين حاقنتي وذاقنتي" أي توفي مستندًا إليّ. قال ابن الأثير[النهاية في غريب الحديث ٢٢٢، ٣٢٨] الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق. الذاقنة: الذقن. وقيل: طرف الحلقوم. وقيل: ما يناله الذقن من الصدر. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٤٩.

كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(١))(٢).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبرت أم المؤمنين عائشة ﵂ عن حال النبي ﷺ وقت احتضاره، وقد استخدم أسلوب الإخبار هذا كثيرًا في نقل أحوال النبي ﷺ من قبل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أمرهم النبي ﷺ بالتبليغ عنه فقد قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))(٣).

قال ابن حجر: (قال المعافى النهرواني في كتاب "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معانٍ: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾(٤) ومن الثاني: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً ﴾(٥) ومن الثالث: جعل الأمير فلانًا اليوم آية: ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية: لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ اهـ كلامه)(٦).

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء

هذا واضح في قول عائشة ﵂ إن النبي ﷺ قال: "اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت" فكان هذا الدعاء لبيان تضرع النبي ﷺ -وهو في حال احتضاره- إلى الله تعالى ولجوئه إليه عز وجل وطلب العون منه والتوفيق والسداد، وهذا كله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ فهو قدوتهم وأسوتهم.

---

(١) سورة ق، آية: ١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨٢/٢.

(٣) اخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٨/٦، .

نقل ابن علان في الفتوحات الربانية شرح الأذكار النواوية القول بأنه (في تشديد الموت على الأنبياء فائدتان: إحداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو كما جاء: ((إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَوْلِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ))[1]. والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، فقد يطلع الإنسان على بعض الموتى ولا يرى عليه حركة ولا قلقًا ويرى سهولة خروج روحه، فيظن الأمر سهلاً ولا يعرفُ ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون شدة الموت مع كرامتهم على الله سبحانه، قطع الخلقُ بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقًا، لإخبار الصادق عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث[2])[3].

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٠٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٩).

(٢) الحديث نصه: "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة" أخرجه الترمذي ١٦٦٨. وصححه الألباني (صحيح الترمذي ١٣٦٢).

(٣) الفتوحات الربانية ٤/٩٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مداومة الدعاء واللجوء إلى الله تعالى:

إن من أهداف التربية الإسلامية، توثيق صلة المسلم بربه، يدعوه ويلجأ إليه ويستجير به ويعتصم به، ويزداد هذا التعلق عند نزول المصائب وفي الأوقات العصيبة التي تمر بالإنسان، وأشدها الاحتضار ونزول الموت وسكراته، فما أحوج الإنسان ساعتها إلى رحمة الله وواسع فضله، وتنقل لنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث الباب دعائين من الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ عند نزول الموت، في الحديث الأول دعا ربه وسأله المغفرة والرحمة وأن يلحقه بالرفيق الأعلى، فقال ﷺ: «اللهمَّ اغفرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى»، وفي الحديث الثاني دعا ربه أن يعينه على تحمل سكرات الموت وغمراته قائلاً: «اللَّهُمَّ أَعِني عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا ينبغي للمربي أن يركز في توجيهاته على أهمية حسن الصلة بالله والابتهال إليه والدعاء واللجوء إليه، فإن الدعاء هو "السلاح الأمضى والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس يثبتها ويقومها"[1].

إن تربية النشء على حسن الصلة بالله وتوثيقها بتصحيح العقيدة والإيمان به تعالى وأن كل ما ينزل بالمسلم في حياته لا يستطيع دفعه لأنه قضاء الله وقدره، ويستعين بالدعاء على تحمل الشدائد والصعاب التي تحيط به وتلم به، "ومتى انطبعت العقيدة وصحت في نفس المسلم فإنه سيتجنب كل ما من شأنه أن ينزلق به في هوة الحرام، وسيعمل على الاستباق إلى الفضيلة التي تسكب في ضميره السكينة، وهدوء البال وسينعكس هذا السلوك الراشد على أفراد المجتمع مما يشيع فيه الأمن والسلام، وكلٌّ من راحة الضمير وطيب النفس والإحساس بالأمن والسلام يعتبر أسمى ما يمكن أن تحققه التربية للإنسان كفرد وكمجموعة"[2].

---

(١) الثبات ووسائله في ضوء القرآن الكريم، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ص٥٨.

(٢) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص١٢، ١٣.

ثانياً- حفظ العلم وتبليغه للناس:

إن مما ينبغي أن يغرسه المربي في نفوس المتعلمين أن ما يتعلمونه من علم وما يرونه من أحوال العلماء، لا يتعلمونه لكي يُنْسى أو يُتَبَاهى بحفظه، بل يجب العمل بما علمه الإنسان وليس ذلك فحسب بل يحرص أيضًا على نشر هذا العلم النافع.

وقد أعطت لنا أم المؤمنين عائشة ﵂ مثلاً حياً يحتذى به، حيث نقلت للأمة كل ما رأت من أحواله ﷺ خاصة التي لا يطلع عليها غالبًا إلا أهله وذووه والمقربون منه- كأحواله في البيت والتي منها ما كان يعانيه ﷺ من سكرات الموت، وما كان يدعو به من أدعية، كما في حديثي الباب: ﷺ: «اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى»، «اللَّهُمَّ أعِني عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا يحسن بالمتربي إذ أراد لنفسه الخير ولغيره أيضاً أن يحفظ ما استطاع من سنة رسول الله ﷺ ويعمل بما حفظ ويبلغه لغيره.



١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض

ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أوْ قصاص ونحوهما

الحديث رقم (٩١٤)

٩١٤- عن عِمْرَان بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أتَت النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رسول الله، أصَبْتُ حَدًّا فَأقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: ((أحْسِنْ إلَيْهَا، فَإذَا وَضَعَتْ فَأتِني بِهَا)) فَفَعَلَ، فَأمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

حَدًّا: الحدُّ: الذنب الموجب للعقوبة في الدنيا والآخرة[٢].

الشرح الأدبي

التعبير بالإتيان يشير إلى مجيء فيه تكلف، ومشقة، وهو ما يشي بما تجد المرأة في هذه الحالة في نفسها من شدة الحرج، والحياء لاسيما في مواجهة الرسول ﷺ، وتعرضها للفضيحة بين الناس، وفي مجتمع طاهر يندر أن يحدث فيه مثل هذا الذنب، وإذا علمنا شدة الموقف أدركنا مدى صبرها، وقوة احتمالها إرضاء لربها، ورغبة في تطهير نفسها يدل على ذلك قولها (، أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْهُ عَلَيَّ) والتعبير بالإصابة دلالة على تحقق الإلمام بالذنب كما أن صياغته في الماضي تؤكد ذلك وتنكير الحد لاستهجان التصريح بذكره معرفاً، وفيه ستر لهذا الذنب عن من لا يلزم إخباره بعد

---

(١) برقم ١٦٩٦/٢٤، وتقدم برقم ٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د د).

الرسول ﷺ، وقد يدل التنكير مع هذا على تعظيم هذا الحد، واتصال الفاء بالفعل في قوله (فأقمه) تشير إلى رغبتها في سرعة تطهير نفسها، والخلاص من ذنبها، والتعبير بالإقامة يوحي بتعديل الميل، وتقويم الخطأ، وإتمام الحد، وقول الرسول ﷺ لوليها (أَحْسِنْ إِلَيْهَا) يشير إلى سمو الإسلام، وكمال تعاليمه، حتى في أشد المواقف التي يتصدى فيها للفاحشة يتخذ الإحسان سبيله يأخذ الحق دون تثريب، ولا زيادة، وقوله: (فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا) يشير إلى عدل الإسلام في عدم أخذ الصغير بذنب أمه، ومن يتأمل الموقف النفسي لامرأة أتت هذا الموقف، وراحت تعترف به أمام الناس، وعند رسول الله ﷺ، ثم إنها بقيت شهوراً طويلة في مجتمع ينظر إلى هذا الذنب على أنه أقبح الذنوب، وظلت تعالج نظرات الشماتة، والاحتقار، والغضب، وغيرها ثم إنها فوق ذلك تنتظر الموت أدرك عظم ما عانت في سبيل استرداد ثوب الطهر الذي خلعته عنها المعصية، ثم خلعته عليها التوبة بعد ذلك، ولذلك قال الرسول ﷺ عنها في نهاية الحديث بعد أن صلى عليها (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ؟!).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

الحكم الأول: إقامة حد الرجم على المرأة الزانية إذا كانت حبلى من الزنا: إذا كانت المرأة الزانية حبلى من زنا، فلا يجوز إقامة الحد عليها وهذا محل اتفاق بين الفقهاء. ويؤخر إلى أن تلد ويرضع الطفل حتى يأكل. ولأن إقامة الحد على الحامل فيه قتل للجنين الذي في بطنها، وهو قتل لنفس بريئة من غير وجه حق(١).

الحكم الثاني: مشروعية الوصية: فقد اتفق الفقهاء على مشروعية الوصية في مجملها(٢).

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن الجزيري ٣٠/٥.

(٢) الإجماع لابن المنذر ٧٣، رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٤٨/٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤٢٢/٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٥٣٨/٢، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٦.

الحكم الثالث: هل يجلد من وجب عليه الرجم أم لا؟ اختلف الفقهاء في اجتماع الحدين الرجم والجلد على من وجب عليه الرجم. فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزاني المحصن لايجب عليه إلا الرجم فقط[١].

وذهب الحسن البصري وإسحاق إلى أن الزاني المحصن يجلد ثم يرجم[٢].

الحكم الرابع: رجم الرجل والمرأة: وقد اتفق الفقهاء على أن المرأة ترجم قاعدةً، يجمع عليها ثيابها ويشد بحيث لا تنكشف عورتها أثناء تقلبها وتكرار اضطرابها. أما الرجل فإنه يرجم قائمًا[٣].

الحكم الخامس: الصلاة على المرجوم: قد اختلف العلماء في الصلاة على المرجوم، فكرهها مالك وأحمد للإمام وأهل الفضل دون باقي الناس، ويصلي عليه غير الإمام وأهل الفضل. قال الشافعي وآخرون يصلّي عليه الإمام وأهل الفضل وغيرهم، والخلاف بين الشافعي ومالك إنما هو في الإمام وأهل الفضل. وأما غيرهم فاتفقوا على أنه يصلي علي، وبه قال جماهير العلماء. قالوا: فيصلي على الفساق والمقتولين في الحدود والمحاربة وغيرهم)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) بداية المجتهد للمرغيناني ٣٤/١، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٣٨/٣، المجتهد لابن رشد ١٢٣٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨٩/٦.

(٢) شرح معاني الآثار ١٣٨/٣، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٢٣٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٩/٦، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩/٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢١٢/١١/٦ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تقدم ذكرها في المضامين التربوية للباب رقم (٢).



١٤٩- باب جواز قول المريض: أنَا وجع، أوْ شديد الوجع أوْ مَوْعُوكٌ أوْ وارأساه ونحو ذلك. وبيان أنَّه لا كراهة في ذلك إذا لَمْ يكن عَلَى سبيل التسخط وإظهار الجزع

الحديث رقم (٩١٥)

٩١٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسسْتُهُ[١]، فَقلتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَديدًا، فَقَالَ: ((اجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يُوعَك: يتألم من الحُمَّى أو غيرها[٣].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يقرر أن الأنبياء أشد بلاءً من غيرهم وقوله: (يوعك) يشخص بدلالته المرض، ويحدد مكانه في البطن، وصياغته في المضارع تقرر استمراره، وتجدده، وقوله: (فمسسته) يشير إلى الرفق، والشفقة، والمحبة، وقوله: (إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكاً شَدَيداً؟) وهو استفهام تقرير يفيض بالشفقة، والرحمة، وتوكيد الفعل بالمصدر (توعك وعكاً) ووصفه بالشدة يشير إلى شدة ما يعانيه في المرض، والتي أكدها في جوابه بتقريرها، بل ومضاعفتها عن طريق التشبيه (إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ) فهو كغيره يتقلب في أمر الله بين الصحة، والمرض لأنه سنة الله في عباده المؤمنين قال

---

(١) عندهما زيادة: (بيدي).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٧، ومسلم ٢٥٧١/٤٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ع ك)

تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة١٥٥) حتى لا يتضجر مسلم بما أصابه في أي زمان، ومكان، فهو لن يكون أفضل من رسول الله!

فقه الحديث

بوّب البخاري في صحيحه على أحاديث الباب في كتاب المرضى: باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع أو وارأساه أو اشتدّ بي الوجع وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1])[2].

وقال النووي: (قوله في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع اشتد بي" ... فيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله أو نحو ذلك، وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه)[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٢) الباب رقم ١٦ من كتاب المرضى برقم ٧٥، الأحاديث ٥٦٦٥-٥٦٦٨. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/١٠-١٢٥، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٣-١٦٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٦٥.

(٤) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم (٩١٧).

الحديث رقم (٩١٦)

٩١٦- وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءني رسولُ الله ﷺ يَعُودُني مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فقلتُ: بَلَغَ بي مَا تَرَى، وَأنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إلاَّ ابْنَتِي. وذكر الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جاءني رسول الله ﷺ بوصل الفعل بياء المخاطب يوحي باعتزازه بزيارة الرسول ﷺ ، والفعل (يعودني) يؤكد الفعل السابق، ويشير إلى سبب الزيارة، وقوله (من وجع) ينص عليه، وقوله (بَلَغَ بي مَا تَرَى) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الاستعطاف، والاسترحام، وهو ليس من باب الشكوى، والضجر، وإنما من باب وصف الحال، واستدرار رحمة الرحيم لاسيما إذا كان رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٦٨، ومسلم ١٦٢٨/٥، وتقدم ٦. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦).

الحديث رقم (٩١٧)

٩١٧- وعن القاسم بن محمد ، قَالَ: قالت عائشةُ رضي الله عنها : وَارَاْسَاهُ! فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : ((بَلْ انَا، وَارَاْسَاهُ!)) وذكر الحديث. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

وارأساه: تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع[2].

الشرح الأدبي

حورا النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة ﵂ يقرر أن حديث الإنسان بمرضه ليس فيه غضاضة إذا لم يكن على وجه الاعتراض على أمر الله، وقولها: (وا..! رأساه) وا نداء استغاثة مما تلاقيه من الألم، وهو ما يصيب الرأس من الصداع، وقول الرسول ﷺ (بَلْ أنا، وَارَاْسَاهُ !) تقديم الضمير أنا للاختصاص، أنا الذي أعني الألم في رأسي أكثر مما تعانيه أنت، ولذلك أتى ببل في بداية الجملة، ومن المعلوم من الحديث السابق أنه كان يعاني ضعف غيره.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر.

ثالثًا: من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم.

---

(١) برقم ٥٦٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٠.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٩١٧ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩١٥).

أولاً - من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع:

يتضح هذا من قول ابن مسعود رضي الله عنه : "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك تُوعك وعكاً شديداً ، فقال: أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم" وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ("وارأساه" هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع)[1].

كما أنها قالت في هذا الحديث نفسه ((واثُكْلِيَاهْ))[2] قال ابن حجر: (بضم المثلثة [أي الثاء] وسكون الكاف وفتح اللام وبكسرها مع التحتانية الخفيفة وبعد الألف هاء للندبة. وأصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد ، وليست حقيقته هنا مرادة ، بل هو كلام كان يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها)[3].

أما قوله ﷺ "بل أنا وارأساه" فقال ابن حجر: (هي كلمة إضراب [أي بل]، والمعنى: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي. وزاد في رواية عبيد الله ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[4]... وفي الحديث أن ذكر الوجع ليس بشكاية ، فكم من ساكت وهو ساخط ، وكم من شاكٍ وهو راض ، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان)[5].

وقال ابن عثيمين: (فهذا [أي الحديث] اجتمع فيه سنتان: إقرارية وقولية ، أما الإقرارية فإن النبي ﷺ أقرّ عائشة عندما قالت: "وارأساه" وأما القولية فهو نفسه ﷺ قال: "وارأساه" ، وعليه فإن الإنسان إذا قال: وارأساه وابطناه أو ما أشبه ذلك ، فلا حرج بشرط ألا يقصد بذلك أن يشكو الخالق إلى المخلوق ، بل يقصد التوجع مما قضاه الله

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠ ، .

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٦.

(٣) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠ .

(٤) أخرجه أحمد ٢٨٨/٦ ، رقم ٢٥٩٠٨ ، وابن ماجه ١٤٦٥ وقال محققو المسند: حديث حسن ٨٢/٤٣.

(٥) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/١٠ - ١٢٦ ، .

عليه، فإذا كان مجرد خبر فلا بأس به، ولا سيما إذا كان يذكر هذا عند من يريد أن يعالجه، لأنه خبر مجرد، ليس المراد به الاعتراض والتسخط على قضاء الله وقدره)[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر:

لقد ساق البخاري هذا الحديث في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع وقول أيوب عليه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢])[٣].

قال ابن حجر: (لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا، بل فيه زيادة عبادة، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك، وأثبت له اسم الصبر مع ذلك[٤]...

فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر، والله أعلم، قال القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على دفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه، كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذموما، حتى يحصل

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٨٦/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٣) كتاب المرضى برقم ٧٥، والباب برقم ١٦، وتحته الأحاديث ٥٦٦٥ - ٥٦٦٨.

(٤) يقصد ابن حجر قوله تعالى عن استجابته سبحانه لدعاء أيوب: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وقوله عز وجل عن أيوب ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [سورة ص: ٤٤].

التسخط للمقدور، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر، والله أعلم، وروى أحمد في "الزهد" عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه، وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة في الباب، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى ا هـ، ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا)[(١)].

ثالثًا - من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك لتوعك وعكا شديداً، فقال: أجل، كما يوعك رجلان منكم، قال: لك أجران، قال: نعم ما من مسلم يصيبه أذى - مرض فما سواه إلا حطّ الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"، وقول النبي ﷺ: "بل أنا واراساه" قال ابن حجر: (هي [أي بل] كلمة إضراب، والمعنى دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي، وزاد في رواية عبيدالله [ابن عبدالله بن عتبة] عن عائشة: ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[(٢)(٣)].

ومن قبيل لفت الداعية انتباه المدعو إلى ما هو أهم، ما رواه عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ((أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ. أَتَتِ النَّبِيَّ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ. وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ لاَ

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٨٨، رقم ٢٥٩٠٨، وابن ماجه ١٤٦٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٤٣/٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥ .

أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا))[١].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة، لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((أنَّ فاطمةَ عليها السلام شكت ماتلقى في يدها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تسألهُ خادمًا، فلم تجدْه، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَته، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بينَنا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ماهو خيرٌ لكما من خادمٍ؟ إذا أوَيتما إلى فِراشِكما - أو أخَذتما مَضاجعَكما - فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدًا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[٣].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما. وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما، حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر، عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقى المخاطب بغير ما يطلب، إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والصبر على مشاق الدنيا، والتجافي عن دار الغرور)[٤].

وربما كان قيام الداعية بلفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم، هو العلاج الصحيح لما يقع فيه كثير من أهل التدين، وخاصة الشباب الذين يعلنون حزنهم الشديد على ما أصاب الأمة الإسلامية من تأخر وتخلف وتسلط أعدائها عليها وعلى مقدراتها، فيعلنون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١١٥، .

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٢٨.

سخطهم الكبير وألمهم المفجع من هذه الحال التي وصلت إليها الأمة الإسلامية مما قد يؤدي ببعضهم إلى اليأس من الإصلاح والوقوف عند حالة الشكوى، بل واعتزال الناس وترك دنياهم، وهنا يأتي دور الداعية الفقيه. فيلفت الانتباه إلى ما هو أهم وأولى، فيبين أن الحزن والتألم لذلك، يدل على حسن التوجه وصدق التدين، لكن الأهم هو عدم الوقوف عند ذلك والاكتفاء، وإنما الأهم هو قيام كل مسلم بواجبه تجاه أمته قدر المستطاع، لأن على كل فرد من المسلمين من الواجبات التي لا يستطيع أن يتنازل عنها بمحض اختياره، وإنما الواجب عليه القيام بها قدر استطاعته.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم التواصل الإيجابي مع الناس:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية: دعم تواصل الإنسان مع إخوانه، بزيارتهم والسؤال عنهم وتفقدهم إذا غابوا ومواساتهم والتعاون معهم وغير ذلك من مظاهر التواصل الإيجابي، ولقد أصّل لنا النبي ﷺ في أحاديث الباب بسلوكه العملي مَنْ خلال تواصله مع من يربيهم وتفقده لأحوالهم والاطمئنان عليهم، كما ورد في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدَّ بي، فقلت: ...»، وهذا مما يدلل على أهمية العمل والتحرك بما يحمله الإنسان من قيم وآداب "إذ أن تَكَوّن أخلاقِ الإنسان وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عملياً ليبني علاقات معَ بني الإنسان بالواقع"(١).

إن مما ينبغي على المعلم والمربي فعله: هو دعم العلاقات الاجتماعية في نفوس المتربين ودعم ميولهم لإقامة العلاقات الاجتماعية الحسنة فيما بينهم خاصة في أوساط الناشئة منهم "فنتيجة لخروج الصبي المتكرر من البيت والذهاب إلى المسجد والمدرسة والاحتكاك بأقرانه في تلك الأماكن يبدأ الصبي في تكوين علاقات اجتماعية أوسع من علاقاته السابقة التي كانت قاصرة على إخوته وأقاربه، ويظهر من الصبي الرغبة في تكوين الصداقات والعلاقات وما يتبع ذلك من التأثر بهم والحرص على مودتهم وتبادل المقتنيات الشخصية معهم أو الزيارات، ومثل هذا الاتجاه لا ينبغي منعه بل ينبغي دعمه وتأييده حتى يتعود الصبي التعامل مع الناس، وهو عما قريب سيصير رجلاً فلابد أن تكون له الخبرة الكافية في ذلك، لكن ينبغي عل المربي أن يتنبه لنوعية تربية هؤلاء الأصدقاء، وذلك لأثرها على الصبي في هذه المرحلة، حيث حاسته النقدية أو قدرته على النقد لا تتجاوز المواقف الآنية، فقد يعود إلى قول أو فعل ما انتقده منذ وقت

---

(١) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، محمد فاضل الجمالي ص١٠٤.

قليل وخاصة إذا صدر عن صديقه أو زميله، ولهذا قالوا: "الصاحب ساحب"، وأبلغ منه قول الرسول ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١)(٢).

ثانياً: من خصائص التربية: الواقعية ومراعاة طبيعة النفس البشرية:

إن واقعية التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة من خلال الحقائق الموضوعية المتوافقة مع الفطرة البشرية ومع القدرات الإنسانية لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان(٣).

وهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من أحاديث الباب حيث أقر النبي ﷺ أموراً ينكرها بعض من لا يفهمون واقعية التعاليم الإسلامية، ويعتبرونها منافية للرضا بقضاء الله وقدره، ولذا حينما توجعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت: وَارَأْسَاهُ. فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ»، وكذلك في شكاية سعد بن أبي وقاص له من مرضه، فعنه رضي الله عنه قال: «جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ: قَدْ بَلَغَ بِي مَا تَرَى...».

فنجد أن النبي ﷺ لم ينكر على أحد تأوهاً أو شكاية من مرض، بل إننا لنجد أن النبي ﷺ "أقر عائشة على شكواها من وجع رأسها، وبين لها أن عنده أشد مما عندها، والمدار في كل ذلك على عدم السخط في القضاء أو إهمال الصبر عند البلاء"(٤).

ومما سبق يتبين لنا أن "التربية الإسلامية تربية واقعية، تتعامل مع الإنسان كما هو لحماً ودماً وفكراً وشعوراً وانفعالاً ونزوعاً وروحاً وتحليقاً، ومناط ذلك مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، والدين

---

(١) اخرجه احمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ٣٣٥/٢، وقال شعيب الأرنؤوط، إسناده جيد، انظر: الموسوعة الحديثية، حديث رقم: ٨٤١٧، ج/١٤٢/١٤.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٨٤، ٨٥.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٥٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٤.

الإسلامي وشارع هذا الدين رءوف رحيم لا يريد بعباده عنتاً ولا رهقاً إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمال في المعاش والمعاد"[1].



(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٦٨، ١٧٧.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٨٨٣)	٤٣٢
الحديث رقم (٨٨٤)	٤٣٥
الحديث رقم (٨٨٥)	٤٤٢
١٤٣- باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء	٤٥١
الحديث رقم (٨٨٦)	٤٥١
الحديث رقم (٨٨٧)	٤٥٩
الحديث رقم (٨٨٨)	٤٦٥
الحديث رقم (٨٨٩)	٤٦٦
الحديث رقم (٨٩٠)	٤٧٠
الحديث رقم (٨٩١)	٤٧٩
الحديث رقم (٨٩٢)	٤٨٣
الحديث رقم (٨٩٣)	٤٨٩
الحديث رقم (٨٩٤)	٤٩٠
٦- كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه	٤٩٧
١٤٤- باب عيادة المريض	٤٩٧
الحديث رقم (٨٩٥)	٤٩٧
الحديث رقم (٨٩٦)	٤٩٩
الحديث رقم (٨٩٧)	٥٠١
الحديث رقم (٨٩٨)	٥٠٧
الحديث رقم (٨٩٩)	٥١٢
الحديث رقم (٩٠٠)	٥١٧
الحديث رقم (٩٠١)	٥٢١
١٤٥- باب مَا يُدعى به للمريض	٥٣٢
الحديث رقم (٩٠٢)	٥٣٢